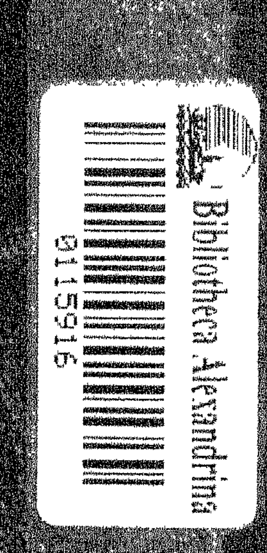


# كتاب السلوك

## لمعرفة دول الملوك

لتقى الدين أحمد بن على المقريزى

الجزء الثانى — القسم الأول


قام بنشره

محمد مصطفى زيادة (Ph. D.)

أستاذ مساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة

# تصـــدير

## للقسم الأول من الجزء الثانى من كتاب السلوك للمقريزى

ظهرَ الجزء الأول من كتاب السلوك للمقريزى فى ثلاثة أقسام تنتهى بآخر سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٣م)، وسيظهر الجزء الثانى فى تقسيم مشابه، وأوله ما تخرجه اليوم «لجنة التأليف والترجمة والنشر».

وكنتُ قد اعتمدت فى نشر الجزء الأول كله على المخطوطة التى كتبها المقريزى لنفسه (Autograph Manuscript)، فجعلتُها أصلا لتصفيح المتن وترتيبه وتحريره(١)، ورجوتُ أن أجد بقية تلك النسخة الهامة — أو بعض بقيتها — حيث وُجدت مخطوطة الجزء الأول. فسافرتُ إلى إستنبول فى بعثة صيفية سنة ١٩٣٦، وأمعنت فى محتويات مكتباتها الغنية، وعثرت على نسخ كثيرة متفاوتة التواريخ من كتاب السلوك، إلا تلك البقية التى نشدتها من المخطوطة الأصلية. وهنالك اخترتُ من بين النسخ الموجودة مخطوطة جامع فاتح كتبخانسى (أرقامها ٤٣٨١ — ٤٣٩٠)، واعتبرتها أصلا لنشر الجزء الثانى بأقسامه، وسميتها ف بالحواشى؛ ثم استعنتُ على تقويم المتن بها بنسخة المكتبة الأهلية بباريس (Bib. Nat., Fonds Arabe, Mss. Nos. 1726 - 1727)، وهى موجودة صورها الشمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة، تحت رقم ٤٥٥ تاريخ، وقد سميتُ هذه النسخة الباريسية ب .

ويلاحظ أولاً أن نسخة فاتح كتبخانسى (ف) مكتوبة فى اثنى عشر جزءاً

---

(١) انظر المقريزى: كتاب السلوك، ج ١، قسم ١، صفحة هـ، ز — ط؛ قسم ٢، صفحة ج؛ قسم ٣، صفحة د — هـ.

ضخما[1] ، الأول والحادى عشر منها مفقود ، وتلك تجزئة تنفرد بها هذه المخطوطة من دون مخطوطات كتاب السلوك فيما أعلم ، وربما كان المقصود بها تضخيم الكتاب من حيث الحجم والعرض والطول ، ليتناسب ومقام الأمير يشبك بن مهدى الدوادار ، وهو الأمير الذى كُتبت لمكتبته تلك النسخة حوالى سنة ٨٨٠ هـ ( ١٤٧٥ م ) ، أى بعد وفاة المقريزى بخمس وثلاثين سنة تقريباً [2] . أما نسخة باريس ( ب ) فهى فى أربعة أجزاء ، وهذه التجزئة الأربعية ، وإنْ اختلفت قليلا باختلاف النسخ من حيث البداية والنهاية ، هى التجزئة الغالبة على سائر النسخ التى اطلعتُ عليها فى إستنبول ، والتى قرأتُها قبلا فى لندن وباريس أيام تلمذتى ؛ وهى أيضاً التجزئة التى رتّبها المقريزى لكتابه حين كتبه ، بدليل اختتامه الجزء الأول منه بسنة ٧٠٢ هـ كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، واشتمال هذا الجزء على رُبْع المدة الزمنية التى وردت فى كتاب السلوك كله .

وهذه التجزئة الأربعية هى التى أتبّعُ فى النشر ، على أنى قد اتخذتُ من تجزئة ف أيضاً وسيلة عملية لتقسيم كل جزء من الأجزاء التالية ، فجعلتُ القسم الأول من الجزء الثانى منتهياً بنهاية المخطوطة ف رقم ٤٣٨٣[3] ، أى آخر سنة ٧٢٨ هـ ( ١٣٢٧م ) ، وهى السنة الثامنة عشرة من العهد الثالث للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون . وعند منتصف سنة ٧٠٨ هـ ( ١٣٠٨ م ) من هـــذا القسم ينتهى ما نقله المستشرق (Quatremère) إلى الفرنسية من كتاب السلوك[4] ، ومِنْ ثَمّ يظهر المتن لأول مرة مطبوعا بلغته الأصلية ، ما عدا شذرات قصيرة سبق ظهورها فى كتب مختلفة [5] .

وتمتاز نسخة ف بكبر صفحاتها ، فطول الصفحة منها ٣٠ سنتيمتراً ، وعرضها ٢٤ سنتيمتراً ، وهى مكتوبة بمداد أسود على ورق جيد سميك نوعا وبقلم نسخى مملوكى واضح ، تتخلّله عناوين السنين وبدايات عهود السلاطين بقلم ثلث بمداد أحمر .

---

(١) انظر ما يلى هنا ، ص ٣ ، حاشية ١ .

(٢) انظر ما يلى هنا ، ٧١ ، حاشية ٣ .

(٣) انظر ما يلى هنا ، ص ٣٠٤ ، حاشية ١ .

(٤) انظر ما يلى هنا ، ص ٤٥ ، حاشية ١ .

(٥) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، صفحة ى ــ ك ؛ قسم ٢ ، صفحة د .

وقد عنى ناسخها بنقطها نقطا تاما تقريباً ، وضَبَـطها ضبطا ليس بالصحيح دائماً ، سواء من ناحيتى النحو والصرف أو ناحيـة ضبط أسماء الأشخاص والأعلام الجغرافية . وقد كُـتبت هذه المخطوطة للأمير يشـبك بن مهدى الدوادار كما تقدم ، وهو أتابك العسـاكر المملوكيـة فى عهد السلطان الملك الأشرف قايتبـاى ، واسمه مكـتوب بصفحـة العنوان بكل جزء من أجزائها بحروف مذهبة فى أرضية زرقاء[1].

ولقد كان من المنتظر أن تكون مخطوطة ف هذه بنجوة من الأخطاء والسقطات والخوالى ( Lacunae ) ، فإن صاحبها لابد قد اختار لكـتابتها نساخاً أميناً ، وبذل له من الأجر ما يضمن به الإتقان والدقة فى النقل . غير أنها لم تخل من تهاون الناسخ وسهوه ، وقصوره أحيـاناً عن معرفة الضبط الصحيـح بسبب حال اللغة العربية فى عصره ، كما أنهـا مكـتوبة بالرسم الإملائى الذى سبقت الإشارة إلى أمثلته فى تصدير القسمين الأول والثانى من الجزء الأول من كـتاب السلوك[2] . وهذا وغيره من المآخذ التى لن تتخـلـص منهـا أية مخطوطة من المخطوطات ( ما عدا أمهـات القرآن ) ، مما يضاف إلى ما قلتُ سابقاً وتكراراً بأن النشر من نسخة واحدة — بالغـة ما بلغت من حسن الصيانة والوضوح والضبط — عمليـة غير مأمونة البتة[3].

وعلى الرغم مما تبـيّن من أوصاف مخطوطة ف فتنها بالنسبة إلى متن مخطوطة ب أقرب فى جملته إلى الصحة والصواب ، وذلك لقرب تاريخ كتابتها من زمن المؤلف ، ولاعتناء ناسخها ما أمكنه بضبط أسمائها وأعلامها الجغرافية ؛ ومع هذا فقد ساعدتنى مخطوطة ب على تكميل المتن وتوضيح مشكلاته وغوامضه فى مواضع شتى ، كما دلّـلتُ

(١) انظر ما يلى هنا ، صفحة م .

(٢) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، صفحة ح — ط ؛ قسم ٢ ، صفحة د — ه .

(٣) انظر مقالتى « صناعة التاريخ فى مصر » ، مجلة الثقافة ، السنة الثانية ، عدد ١٠٠ بتـاريخ ٢٦ نوفبر سنة ١٩٤٠ ؛ وكذلك المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ صفحة د ؛ وما يلى هنا ، ص ١١٩ ، حاشية ١ .

على ذلك بحواشى المقارنة والمقابلة (١) ، وقصدتُ به أن أقرر بأن المخطوطين يكمّل بعضهما بعضاً .

ولقد تخفّفت من الحواشى بأنواعها فى هذه الصفحات وذلك لأن معظم الألفاظ الاصطلاحية وأسماء الوظائف والأعلام الجغرافية الواردة بالمتن هنا قد تقدّم شرحها بأقسام الجزء الأول ، ولأن المتن نفسه فى هذا الجزء الثانى وافٍ غانٍ عن الشرح بالحاشية أو الإضـــافة بين حاصرتين ، إذ لم يَعْمد المقريزىّ فيه إلى الاختصار والاقتضاب ، بل إنه كثيراً ما قرَن الأخبار بتفاصيلها وأسبابها(٢)

وإنى أختتم هذا التصدير القصير بكلمة شكر خالصة للأستاذ أحمد أمين بك عميد كلية الآداب ، ورئيس « لجنة التأليف والترجمة والنشر » ، فهو صاحب الفضل الأول فى إخراج كتاب السلوك من ظلام المخطوطات ، إذ تعهّد مشروعَ نشره لدى اللجنة حتى أقرّته ، وقرأ صفحات الجزء الأول بأقسامه الثلاثة قبل طبعها ، ولاحظ عليها عدة ملاحظات أوجبت مراجعة المتن وتعديل بعض الحواشى . فلما تجهّز الجزء الثانى للمطبعة رجوته أن يتولى ذلك أيضاً بشىء من سابق عنايته ، فاستجاب إلىّ مرحباً ، فجاءت استجابته تقريظاً لكتاب السلوك ونشره ، كما جاءت قراءته لصفحاته منجاة للناشر من بعض الزلل . وإنى أشكر أيضاً للأستاذ الدكتور طه حسين بك تشجيعه إياى على المضى فى هذا العمل الطويل ، علماً منه بأن كتاب السلوك وغيره من مراجع التاريخ المصرى لن تصبح طعاماً سَلِيْجاً سهلا للجيل الناشىء من المشتغلين بالتاريخ إلا بعد تنقيتها بالنشر الدقيق والحاشية المفيدة ؛ وكفى دليلا على تشجيعه أنه هو الذى سهّل لى السفر إلى إستنبول للبحث عن المخطوطات التى استلزمها عملى . وإنى أشكر أيضاً للأستاذ جاستون فيت ( Gaston Wiet ) ، مدير دار الآثار العربية بالقاهرة ، إرشاده إياى إلى بضعة مراجع استعنت بها على

(١) انظر ما يلى هنا ص ١٠ ، حاشية ١ ؛ ص ٥٩ ، حاشية ٣ ، ٤ ؛ ص ٩١ ، حاشية ١ ؛ ص ١١٣ ، حاشية ١ ؛ ص ١٣٩ ، حاشية ٣ ، وغيرها كثير .

(٢) انظر ما يلى هنا مثلا ص ١٥٤ ، سطر ٣ وما بعده ؛ ص ٢١٦ ، سطر ٣ وما بعده ، ص ٢٤٤ ، سطر ٩ وما بعده .

شرح كثير من الألفاظ الاصطلاحية بالمتن ؛ كما أنى أشكر محمد رمزى بك المفتش بوزارة المالية سابقاً ، لإمدادى بكثير من مذكراته التى تقصر عنها الكتب المطبوعة . وأقدم شكرى أيضاً لزميلى مصطفى السقا أفندى ، المدرس بقسم اللغة العربية بكلية الآداب . فقد قرأ معى شطراً من مخطوطة فاتح مقابلة على صفحات مخطوطة باريس ؛ وكذلك أشكر اثنين من تلاميذى القدماء ، وهما جمال الدين الشيال أفندى المدرس بمدرسة قنا الثانوية ، وحسن حبشى أفندى المدرس بمدرسة الكوت المتوسطة بالعراق ، فقد قام كل منهما بدوره فى معاونتى معاونة مستمرّة فى بعض أدوار العمل فى هذه الصفحات .

مصر الجديدة { ذى القعدة سنة ١٣٦٠ هـ . / نوفمبر سنة ١٩٤١ م .

محمد مصطفى زيادة

# أسماء المراجع المتداولة بحواشى كتاب السلوك للمقريزى

( تحتوى القائمة التالية على أسماء المراجع الإضافية التى استلزمها هذا القسم الأول من الجزء الثانى ، فضلا عما تقدمت الإشارة إليه من المراجع بالقوائم الواردة بكل قسم من أقسام الجزء الأول ) .

---

## مراجع عربية مخطوطة ومطبوعة


ابن أبى الفضائل ( مفضل ... ) : كتاب النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد . القسم الثالث ، من ٧٠٠ إلى ٧١٦ هـ . ( Texte Arabe publié. et traduit en français par E. Blochet, Patrologia Orientalis. Tome xx, Fas. I. 1923 ) .

ابن أياس ( محمد بن أحمد ... ) : بدائع الزهور ووقائع الدهور ، ٣ أجزاء . (المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٣١١ هـ) .

ابن تغرى بردى ( أبو المحاسن يوسف ...) : منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور . ( Edited by W. Popper; University of California Press, Berkeley California 1930-32 )

ابن تغرى بردى ( أبو المحاسن يوسف) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الثامن . ( مطبوعات دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٩ ) .

ابن حبيب ( الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ... الشافعى ) : درة الإسلاك فى دولة الأتراك . (صور شمسية بمكتبة الجامعة المصرية ، رقم ٢٢٩٦١ ) .

ابن حجر ( شهاب الدين أحمد ... العسقلانى ) : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء . ( مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٥٠ هـ).

ابن الزيات (شمس الدين محمد ) : كتاب الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى . ( المطبعة الأميرية بمصر ، ١٣٢٥ هـ ، ١٩٠٧ م ) .

ابن الصلاح (أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى المعروف بابن الصلاح) : مقدمة فى علوم الحديث . ( المطبعة القيمة ، بمباى ، الهند ، ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ ) .

ابن العماد الحنبلى ( أبو الفلاح عبد الحى ... ) : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء . ( مكتبة القدسى ، القاهرة ١٣٥١ هـ ) .

ابن منظور ( جمال الدين محمد بن جلال الدين الخزرجى الإفريقى ... الملقب بابن منظور ، صاحب لسان العرب ) : كتاب نثار الأزهار فى الليل والنهار . ( مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، ١٢٩٨ هـ ) .

الأدفوى (كمال الدين أبو جعفر بن ثعلب ) : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد . المطبعة الجمالية بحارة الروم ، القاهرة ، ١٣٣٢ هـ ، ١٩١٤ م ) .

الإسفراييني ( أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد ... الشافعى ) : التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين . نشر السيد عزت العطار ، مطبعة الأنوار ، القاهرة ، ١٩٤٠ ) .

حسن (زكى محمد ) : كنوز الفاطميين . (مطبوعات دار الآثار العربية ، القاهرة ، ١٩٣٧ ) .

الخالدى ( بهاء الدين محمد بن لطف الله .. العمرى ) : المقصد الرفيع المنشا الهادى لصناعة الإنشا . ( صور شمسية بمكتبة الجامعة المصرية ، من مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس ) .

الخزرجى (على بن الحسن ) : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية
( E. J. W. Gibb Memorial Series, London, 1908-1918).

زيادة ( محمد مصطفى ) : بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ المماليك . ( مجلة كلية الآداب ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ١٩٣٦ ) .

الصدف ( رزق الله منقريوس ) : تاريخ الدول الإسلامية ، أربعة أجزاء ( القاهرة ، ١٩٠٦ ) .

عرنوس ( محمود بن محمد بن . . ) : تاريخ القضاء فى الإسلام . ( المطبعة المصرية الأهلية الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ ) .

عمر طوسن ( صاحب السمو الأمير ) : كتاب مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن . ( مطبعة صلاح الدين ، الإسكندرية ، ١٩٤١ ) .

القرمانى ( أحمد بن يوسف الدمشقى ) : كتاب أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، ( بغداد ، ١٢٨٢ هـ ، ١٨٥٦ م ) .

القلقشندى ( أحمد بن على ) : ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر ، مختصر صبح الأعشى فى كتابة الإنشا . ( مطبعة الواعظ ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، ١٩٠٦ م ) .

الكرملى ( الأب أنستاس مارى ... البغدادى ) : النقود العربية وعلم النميات . ( المطبعة العصرية ، القاهرة ، ١٩٣٩ ) .

الكندى ( أبو عمر محمد بن يوسف ) : كتاب الولاة والقضاة . (ed. R. Guest) .

المقريزى ( تقى الدين أحمد بن على ... ) : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال . (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٠).

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ( ed. Gaston Wiet ) .

# مراجع بلغات أوربية

Atiya (A.S ): Egypt And Aragon, Embassies And Diplomatic Correspondence between 1300 and 1330. A. D. (Abhandlungen Für Die Kunde Des Morgenlandes, Band 13, Leipzig. 1938 ).

Atiya ( A. S. ) : The Crusade In the Later Middle Ages. ( Methuen, London, 1938).

De Sacy ( Sylvestre ) : Traité Des Monnaies Musulmanes, trad, de l'Arabe de Makrizi, ( Bibliothéque des Arabisants Français T.I. pp.9-66, Le Caire. Imprimerie de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, 1905).

De Sacy ( Sylvestre ) : Sur la Nature et les Révolutions du Droit de Propriété Territoriale en Egypte. (Bibliothéque Des Arabisants Francais 1 er Serie. Le Caire, 1923 ).

Diehl ( Charles ) : Htistory of the Byzantine Empire; translated from the French by G. B. Ives. ( Princeton University Press, 1925 ),

Lang ( R. H. ) : Cyprus. ( London, Macmillan 1878 ).

Samaha ( A. H. M. ) : Arabic Names of Stars. ( Helwan Obesrvatory, Bulletin No, 39, Ministry of Public Works, Egypt ).

Van Berchem ( Max ) : Materiaux Pour Un Corpus Inscriptionum Arabicarum.(Méms. Mission Arch. Francaise Au Caire.T. 19me. Paris,1903).

Yonge ( Charlotte A. ) : The Story of the Christians and Moors of Spain. ( Macmillan, London 1878 ).

Zambaur (E. de) : Manuel de Genealogie et de Chronologie pour l'Histoire de l'Islam. ( Lafaire, Hanovre, 1927).

Zetterstéen (K.V.) : Beiträge Zur Geschichte der Mamlukensultane. ( Brill, Leiden, 1919 ).

بسم الله الرحمن الرحيم رب اعن

السلطان الملك الاشرف صلاح الدين

خليل بن الملك المنصور سيف الدين

قلاوون الالفي الصالحي النجمي

جلس على تخت الملك بقلعة الجبل يوم الاحد سابع

ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة وجدد

اشكر له الملك في يوم الاثنين ثامنه وطلب

القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر تقليده بولاية

العهد فاخرجه اليه مكتوبا بغير علامة الملك

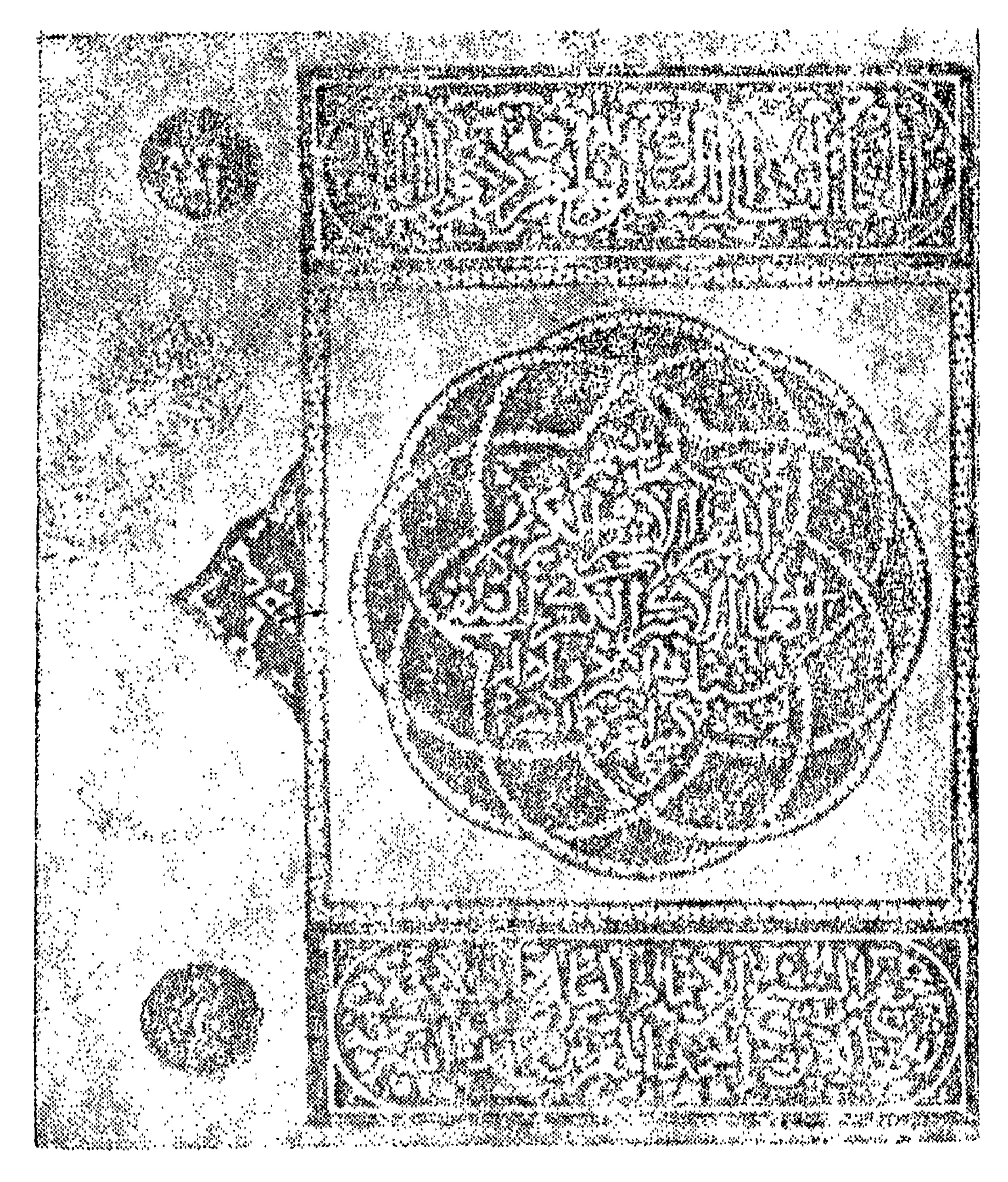
المنصور وكان ابن عبد الظاهر قد قدمه اليه

ليعلم عليه فلم يرض وتنكر لذلك الاشرف له

وابن عبد الظاهر يعتقد والمنصور يمتنع لان

قال له يا فتح الدين انا ما اولي خليل على المسلمين فلما

صفحة من مخطوطة ف



صفحة العنوان من الجزء الثالث من مخطوطة ف

المقريزى

---

# كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

---

الجزء الثانى ـ القسم الأول

---

(ص ٢١٠ ب) سنة أربع وسبعمائة[١] . [ فى ] مستهل المحرم قدم البريد بوصول الأمير سيف الدين قَطَايا[٢] بن سيغرا أمير بنى كلاب فى عدة من مشايخ العرب ، ثم قدم فأكرمه السلطان والأمراء ، وأعيدوا إلى حلب . وكان من خبر قطايا[٣] أنه لما خرج عن طاعة السلطان ، وعاث فى أعمال حلب وأفسد ، طلبه عساكر حلب ، ففر إلى بلاد (٢١١ ا) الشرق، وأقام مع المغل ، فأكرموه مدة حياة الملك محمود غازان حتى مات ، فلم يجد [ بعدئذ ] ماكان يعهده ، فترامى على نائب حلب ، وما زال يستعطفه فى أن يأذن له فى العود بعد الشفاعة له إلى السلطان ، فأجاب سؤاله وكاتب فيه ، فعُفى عن ذنبه وأعيدت له إقطاعاته بحلب .

وقدم البَريد بوقوع الفتنة بين الأمير أَسَنْدَمُر[٤] كرجى نائب طرابلس ، والأمير بالوج الحسامى من أمرائها ، من أجل أن أسندمر استخدم فى ديوانه سامرياً كاتباً يقال له أبو السرور ، فزاد تحكمه ، وأخذ يتجر[٥] لمخدومه فى عدة بضائع ، وركب

---

(١) انتهى الجزء الأول من هذا الكتاب بأخبار سنة ٧٠٣ ﻫ ووفياتها ، وذلك حسبما أورد المقريزى بالنسخة الخطية التى كتبها بيده ، وهى التى جعلها الناشر أصلا لإخراج الجزء الأول كله . (انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٩٥٧) . غير أنه مما يؤسف له ألا يوجد من تلك النسخة الأصلية سوى الجزء الأول من أربعة أجزاء ، وأن ما عداها من النسخ الأخرى متفاوت فى التقسيم من حيث عدد الأجزاء نفسها، ومن حيث البداية والنهاية فى كل منها . مثال ذلك نسخة ف ( فاتح ، رقم ٤٣٨٢ ، إستانبول ) ، وهى التى اعتمدها الناشر أصلا لنشر هذا الجزء الثانى ، فإنها تقع فى اثنى عشر جزءاً منفصلة ، وتأتى سنة ٧٠٤ ﻫ بها فى أواخر الجزء الثالث منها ، أى صفحة ٢١٠ ب ، كما بالمتن هنا . ومثال ذلك أيضاً نسخة ب ( المكتبة الأهلية ـ باريس ) ، وهى مما استعان به الناشر فى إخراج هذا الجزء الثانى أيضاً ، فإن سنة ٧٠٤ ﻫ بها واردة فى ص ٢٩٩ ا من الجزء الأول منها .

(٢) كذا فى ف ، بفتحة على القاف فقط ، وهو فى ب (٢٩٩ ا ) « قطايا بن سعيد » ؛ وليس فى الفصول الخاصة بقبائل العرب بمصر والشام بالقلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣١٢ ـ ٣٦٠ ؛ ج ٤ ، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ ) ما يساعد على ترجيح إحدى هاتين الصيغتين .

(٣) فى ف ، وفى ب أيضاً ( ٢٩٩ ا ) « ابن قطايا » .

(٤) مضبوط هكذا فى (Zetterstéen: Beiträge Zur Geschichte der Mamlukensultane p.110) ، وهو مضبوط أيضاً فى ف ضبطاً جزئياً فقط . يلاحظ أن كاتب نسخة ف هذه قد عنى بضبط معظم الأعلام وأسماء البلدان الواردة بها ، وأنه « انتهى » من نسخ الكتاب كله فى أحد عشر جزءاً سنة ٨٨٠ ﻫ ، أى قبل انتهاء دولة المماليك من مصر ، فلا أقل من المحافظة على ضبطه وإثباته من غير تعليق إن كان الضبط كاملا صحيحاً ، إلا إذا وجد الناشر ما يخالف ذلك فيما لديه من المراجع ، فهنالك يكون موضع الإشارة أو التصحيح أو التكميل .

(٥) فى ف ، وكذلك فى ب ( ٢٩٩ ا ) « متجر » .

الخيول المسوّمة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة ، وتصرّفَ في عامة الأمور بطرابلس حتى كثرت امواله ( ٢١١ ب ) وَسعَادَاته ، وتزايد شره وضرره ، وكثرت شكاية الناس منه . فقام الأمير بالوج في ذلك وتحدّث مع أمراء طرابلس في إزالته عن المسلمين ، وَوَاعَدَهم على نصرته ومعَاوَنته [إياهم] . ثم قام في يوم الموكب للنائب أسندمُر ، وذكر له ما أصاب الناس من كاتبه السامريّ ، وَمَاهم فيه من الضّرر ، فردّ عليه ردّاً غير جيّد ، وجبّهه بالتكذيب فيما نقله ، وأغلظ عليه حتى اشتد غضب الأمير بالوج منه — وكان قوى النفس شرس الأخلاق — ، وحلف بالأيمان المغلّظة ليضربنّ رقبة السامريّ ، وقام من مجلس النائب . فكتب فيه النائب أسندمُر يشكو منه شكوى طويلة عريضة ، فأعيد جوابه بالقبض على الأمير بالوج وحَبْسه ( ٢١٢ ا ) ، فأخذ سيفه وسجنه ، فاشتدّت عند ذلك وطأة السامريّ على الناس ، فتجرّدُوا له وكتبوا فيه محاضر بقوادح حُفظت عنه ، وأثبتوها بدمشق . فكتب الأمير جمال[1] الدين [ آقوش الأفرم ] نائب الشام فيه ، فقام الأمير بَيْبَرس الجاشنكير في ذلك . وكتب بحمل السامرى إلى دمشق وتسليمه للقاضى المالكى ، والإفراج عن بالوج ، فأفرج عنه وأنعم عليه ، وَقَيّد السامرى وَسلّمه للبريد ، فسار به إلى حمص ، فاتفق قتله بها ، واتهم أسندمر أنه دس عليه من ضرب عنقه حتى لا يُتَمكن منه ، فحملت رأسه إلى دمشق .

وفيها حكم قاضى المالكية بإراقة دم شمس الدين محمد بن الباجْرَبَقى[2] ، ففرّ من دمشق . وقدم الأمير سَلاّر[3] من الحجاز في نصف صفر ( ٢١٢ ب ) ، وقد فعل في الحجاز أفعالاً

(١) في ف « عز الدين » ، وصحته كما بالمتن هنا . انظر ( Zetterstéen : Op. Cit P. 130 ) ، وكذلك ابن أبي الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٠١ ) ، ويظهر أن منشأ ذلك الخطأ أن كان من رجال الدولة أمير آخر لقبه الأفرم أيضاً ، وكان اسمه عز الدين .

(٢) بغير نقط أو ضبط في ف ، والنسبة إلى بلدة باجربق بالعراق الأعلى ، بين البقعاء ونصيبين . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤٥٣ ) . وللباجربقى هذا ترجمة في كل من ابن حجر ( الدرر الكامنة ج٤ ، ص ١٢ ــ ١٤ ) ، وابن العماد الحنبلى ( شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٦٤ — ٦٥ ) ، وملخصهما أنه كان في الأصل فقيهاً بالمدارس ، ثم تزهد وصحب الفقراء ، وصار له أتباع ، غير أنه كان يتفوه بكثير مما اعتبره رجال الدين كفراً ، مثل قوله إن الأنبياء والرسل طولت على الأمم الطريق إلى الله ؛ وقد ظل يعانى من أنواع النفى والتشريد بسبب ذلك وغيره من أقوال وآراء حتى كانت وفاته سنة ٧٢٤ هـ .

(٣) ضبط هذا اللفظ من ( Zetterstéen : Op. Cit. P . 52 ) ، وهو مضبوط هكذا فيما يلى بكثير من المواضع في ف ، وهذا الأمير هو صاحب الأخبار الطوال في تلك السنوات الأولى من عهد السلطان الناصر محمد .

جميلة : منها أنه كتب أسماء المجاورين بمكة وأوفى عنهم جميع ما كان عليهم من الدّيون لأربابها ، وأعطى لكل منهم بعد وفاء دينه مؤونة سنة ، ووصلت مراكبه إلى جدة سالمة ، ففرّق مافيها على سائر أهل مكة جليلهم وحقيرهم ، وكتب سائر الفقراء وجميع الأشراف ، وحمل إليهم الدنانير والدراهم والغلة بقدر كفاية كل منهم سنة ، فلم تبق بمكة امرأة ولا رجل ولا صغير ولا كبير ولا غنى ولا فقير عبد أو حرّ شريف أوغير شريف إلا وعمّه ذلك ، ثم استدعى الزّيلع[1] وفرّق فيهم الذهب والفضّة والغلال والسكر والحلوى حتى عَمّ سائرهم ، وبعث مباشريه إلى جدّة ، ففعلوا فيها كما فعل هو بمكة (٢١٣ ا) ، وحمل ما بقى إلى المدينة النبوية ، فلما بلغ وادى بنى سالم وجد العرب قد أخذوا عدة جمال من الحجاج ، فتبعهم وأخذ منهم خمسين رجلا ، فأفتاه الفقهاء بأنهم محاربون[2] ، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وعمّ أهل المدينة بالعطايا[3] كما عمّ أهل مكة ، فكان الناس بالحرمين يقولون : « ياسلاّر ! كفاك الله همّ النار » ، ولم يُسمع عن أحد فعل من الخير كما فعل .

وقدم البريد من حلب بحضور جماعة من المغل وافدين إلى بلاد الإسلام ، نحو مائتى فارس بنسائهم وأولادهم ، وفيهم عدة من أقارب غازان وبعض أولاد سُنْقر الأشقر ، فكتب بإكرامهم ، فقدموا إلى القاهرة فى جمادى الأولى . وقدم معهم أخوا سلار ، وهما فخر الدين (٢١٣ ب) داود ، وسيف الدين جُبا[4] ، وقدمت [أيضا] أم سلار . فرتبت لهم الرواتب ، وأعطوا الإقطاعات ، وفرّق جماعة منهم على الأمراء . وأنشأ سلار لأمه دارا بإسطبل الجوق[5]

---

(١) الزيلع أهل البلد المعروف بذلك الاسم بالصومال الإنجليزى الحالى ، وفى ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩٦٦ ــ ٩٦٧ ) قصة غريبة لشرح السبب فى وجود جالية دائمة منهم بمكة .

(٢) المقصود بهذه العبارة أن الفقهاء أفتوا الأمير سلار بأن أولئك العرب قد عصوا الحاكم بفعلتهم هذه ، ولذا استحقوا عقوبته حسب الشرع ، على أن استعمال لفظ « محارب » للدلالة على هؤلاء ــ وهم سارقون فقط ــ يوجب الالتفات .

(٣) فى ف « بالعطا » والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٠٠ ا ) ، وهى أحسن .

(٤) بغير ضبط أو نقط فى ف والصيغة المثبتة هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 132) ، وفى نفس المرجع والصفحة معلومات قيمة بصدد أصل سلار ، منها أنه كان من أسرى وقعة الأبلستين سنة ٦٧٥ هـ ، فى عهد السلطان الظاهر بيبرس .

(٥) ليس بالمقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٤٤ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ) فى باب الإصطبلات مكان بهذا الاسم ، غير أنه يوجد به (نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ) وصف لحكر الخازن الذى عرف به هذا الإصطبل فى بعد ، ونصه : « حكر الخازن ، هذا المكان فيما بين بركة الفيل وخط الجامع الطولونى ؛ كان من جملة البساتين ، ثم صار إصطبلا للجوق الذى فيه خيول المماليك السلطانية ...... » .

الذى عمله العادل كتبغا ميدانا ، ثم عرف بحكر[١] الخازن ، ورقى أخويه وأعطاهم الإمريات

وقدم الأمير حسام الدين أزْدَمُر المُجيرى ، وعماد الدين على بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى بن معرف بن السكرى ، من بلاد الشرق إلى دمشق فى رابع عشرى شعبان ، ودخلا القاهرة أول رمضان ، ومعهما كتاب خَرْبَندا[٢] وهديته ، فتضمن كتابه جلوسه على تخت الملك بعد أخيه محمود غازان ، وخاطب السلطان بالأخوة ، وسأل إخماد الفتن ، وطلبَ (١٢١٤ا) الصلح ، وقال فى آخر كلامه : عَفَا اللهُ عَمَّا سَلفَ وَمنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهِ منه . فأجيب ، وجهزت له الهدية ، وأكرم رسوله ، وسُفِّر معه علاء الدين على بن الأمير سيف الدين بلبان القَلَنْجُقى[٣] أحد مقدمى الحلقة ، والصدر سليمان المالكى المرتقى أحد العدْول[٤] ، فتوجهوا فى أول ذى القعدة ، وعادَ[٥] [علاء الدين وسليمان المالكى] فى رمضان سنة خمس وسبع مائة . وقدم بدر الدين محمد بن فضل الله بن مجلى[٦] من بلاد غازان إلى دمشق فى ثالث عشرى جمادى الآخرة .

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) فى ف «خربيدا» ، والرسم المثبت هنا من (Zettersteen : Op. Cit. p. 129) . وهذا الاسم كثير الورود فيما يلى ، وسيدأب الناشر على نقطه وضبطه كما هنا بغير تعليق ؛ ويلاحظ أولا أن كثيراً من مؤرخى هذا العصر — أو نساخهم على الأقل — كتبوا هذا الاسم كالصيغة الواردة فى ف ، وأنه كان فى الحقيقة معروفاً باسم « خربندا » — ومعناه المكارى — فى حداثته فقط ، وأنه اتخذ لنفسه اسماً مناسباً فيما بعد ، وهو خدابندا ، ومعناه عبد الله .(انظر Browne : A. Lit. Hist. of Persia . III p. 46) ، وكذلك المقريزى : (كتاب السلوك ، ج ١ ، ٧١٤ ، ٧٧٥ ، ٩٢٧ ، ٩٥٤) .

(٣) مضبوط هكذا فى ف ، وهو فى ب (١٣٠٠ا) « القلقنجى » . انظر (Zettersteen : op. Cit. p. 131) حيث ورد هذا الاسم مضبوطاً بالرسم الوارد فى ف .

(٤) العدول جمع عدل ، وهو فى مصطلح الفقهاء والمحدثين الرجل الصحيح الرواية ، وشرطه حسبما جاء فى ابن الصلاح (مقدمة فى علوم الحديث ، ص ٥٠) « أن يكون مسلما بالغا عاقلا ، سالما من أسباب الفسق وخوارم المروءة ، متيقظا غير مغفل ، حافظا إن حدث من حفظه ، ضابطا لكتابه إن حدث من كتابه » . على أن المقصود بالعدول هنا فى الغالب جماعة الشهود الذين يختارهم القاضى لمعاونته فى أعماله ، فيجلسون حوله يمنة ويسرة بمجلس الحكم على ترتيب الأقدمية فى تعديله لهم ، ويقومون بما يقوم به المسجل (Notaire) فى أوربا الوسيطة والحديثة ، ومنهم من تولى الوظائف الكبرى كالحسبة ووكالة بيت المال والنيابة أيام الدولة الفاطمية ، وكانوا يتزيون بزى خاص بطبقتهم ، كالمناديل تحت الحلوق . انظر القلقشندى (صبح الأعشى ج ٣ ، ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٩٧) ، الكندى (كتاب الولاة والقضاة ed. Guest — ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، وكذلك (Quatremère : Op. Cit. II. 2. P. III. N. 48)

(٥) فى ف « وعادا » ، وقد حذف ضمير المثنى وأضيف ما بين الحاصرتين لتوضيح العبارة .

(٦) بغير نقط أو ضبط فى ف . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ٣٣١ ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ، ج ٤ ، ٢٧٢) ، حيث توجد ترجمة لكل من محمد هذا وأخويه على وأحمد .

وقدم رسل[١] الملك طقطاى صاحب سَرَاى وبرّ القبجاق فى أوّل ربيع الأوّل، وأنزلوا بمناظر الكبش، وأجريت لهم الرواتب. ثم حضروا بهديتهم وكتاب ملكهم، وهو يتضمن الركوب لحرب (٢١٤ب) غازان ليكون فى المساعدة عليه، فأجيبَ بأن الله قد كفاهم أمر غازان، وأن أخاه خَرْبَنْدا قد أذعن للصلح[٢]، وجهزت له هدية خرج بها مَعَ الرُسل الأمير سيف الدين بَلَبان الصَّرخدى إلى الإسكندرية، وساروا فى البحر.

وقدم عدة من التجار وشكوا من المؤيد [ هزبر الدين داود بن[٣] يوسف بن عمر بن على بن رسول ] ملك اليمن، وكان مع ذلك قد قطع الهدية التى كانت تحمل من اليمن ومبلغها ستة آلاف دينار، يُشترى بها أصناف وتسيَّر إلى قلعة الإسماعيلية[٤] مع هدية تختص بالسلطان. وكان المظفر يوسف بن المنصور عمر بن على بن رَسُول حملها مدة أربعين سنة، ثم حملها ابنه الأشرف، فلما خرج عليه هزبر الدين داود بن المظفر يوسف (١٢١٥) بن المنصور بن على بن رسول قطع الجهتين[٥] واستخفّ بسلطان مصر، فكُتِب إليه بالإنكار والتهديد، وسُيِّر إليه مع ناصر[٦] الدين الطورى وشمس الدين ومحمد بن عَدْلان، ومعهما كتاب الخليفة أيضاً بالإنكار عليه والتهديد وأمره أن يحمل المقرر على العادة.

وقدم[٧] أياى متملك دمقلة من بلاد النوبة بهدية ما بين جمال وأبقار ورقيق وشبّ

(١) فى ف « رسول »، وقد غير اللفظ إلى صيغة الجمع ليستقيم مع بقية العبارة.

(٢) فى ف « فى الصلح » والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٠٠ ا).

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة (Zambaur : Manuel de Denealogie et de Chronologie p. 120) وكان المؤيد هذا على ملك اليمن سنة ٦٩٦هـ، ويظهر أن التجار المذكورين هنا كانوا من بلاد الصين، على أنه لا يوجد فى الخزرجى ( العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية، ج ١، ص ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٧ ) ما يدل على سوء معاملته لتجار ما، أو قطع للحمل المقرر من اليمن، إذ يجد فيه القارىء أخباراً بصدد تاجر اسمه عبدالعزيز بن منصور الحلبى، وقد أكرمه ملك اليمن وأحسن إقامته، كما يجد فيه تفاصيل الحمل المرسل إلى مصر تلك السنة.

(٤) لعل المقصود بهذا الاسم إحدى قلاع الإسماعيلية باليمن، غير أن الناشر لم يستطع أن يجد ما لديه من المراجع ما يعين موضع القلعة المقصودة. انظر المقريزى كتاب السلوك، ج١، ص ٥٨٦ ).

(٥) الجهة هى الضريبة أو الجزية المقررة. انظر كتاب المقريزى ( كتاب السلوك، ج١، ص٣٧٣، ٦٨٨).

(٦) اسم هذا السفير مبارز الدين الطورى فى الخزرجى ( العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٣٦٧ ).

(٧) كذا فى ف، وفى أبى الفداء ( المختصر فى تاريخ البشر، ج٢، ص٥٣ ) أيضاً ؛ وقد ذكر القلقشندى ( صبح الأعشى، ج٥، ص٢٧٦ ) أن ملك النوبة فى أيام السلطان الناصر محمد بن قلاون رجل اسمه « أمى »، فلعل هذا هو اسمه الصحيح، وقد توفى سنة ٧١٦ هـ. انظر أيضاً ( Budge : A Histoy of Ethiopia. I. P. 105106 ) حيث يوجد ملخص لتاريخ النوبة فى عصر الأيوبيين والمماليك.

وَسُنْبادَج(١) ، وطلب عسكراً ؛ فأنزل بدار الضيافة وعين معه الأمير سيف الدين طقصبا والى قوص وجماعة الوافدية(٢) ، وعدة من أجناده الحلقة نحو ثلاثمائة فارس ، ومن أجناد الولاة بالوجه القبلى ومن العربان جماعة كبيرة . فاجتمعوا من البر والبحر بقوص ، وسار بهم طقصبا مع أياى ملك النوبة .

وفيها بعث الأمير ركن الدين(٣) بيبرس الدوادار إلى القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب السر أن يكتب إلى نائب الشام كتاباً ، فقال : « لابد من مشاورة السلطان أوالنائب » ، فغضب بيبرس واستدعاه ، فلما جاءه لم يكترث به ، وقال له : « كيف أقول لك — والك ! — اكتب ما تكتب ؟ » فقال : « تأدب يا مير(٤) ! ولا تقول(٥) والك ! » . فقام بيبرس وضربه على رأسه ثلاث ضربات ، فخرج من عنده إلى الأمير سلار النائب ، وعرّفه ماجرى عليه ، فأقره عنده . واجتمع بالأمراء وقت الخدمة ، وعرّف الأمير بيبرس الجاشنكير الخبر فشق عليه وعلى بقية الأمراء ذلك ، واتفقوا على بيبرس الدوادار فأخذ سيفه وعُوّق من بكرة النهار إلى الظهر ، وعُنّف (٢١٦ ا) تعنيفاً زائداً ، وعزل من الدوادارية ، واستقر عوضه الأمير أيدمر .

وقدم البريد من دمشق بأن تقى الدين أحمد بن تيمية تنازع مع أهل دمشق فى الصخرة التى بمسجد النارنج(٦) بجوار مصلى دمشق ، وأن الأثر الذى بها هو قدم النبى ﷺ ، وأن ما يفعله الناس من التبرك به وتقبيله لايجوز ، وأنه مضى بالحجارين

(١) كذا فى ف « بغير نقط للجيم ؛ وقد عرف (Dozy : Supp. Dict. Ar.) هذا اللفظ بأنه (émeri, pierre pour polir) ، أى مادة حجرية للجلاء ؛ وأضاف بأنه يرد أيضاً بالذال بدل الدال.

(٢) الوافدية جمع وافدى ؛ والمراد به الغريب الوافد إلى بلد جديد ، وقد أطلق هذا اللفظ غالباً على الترك والتتر الذين وفدوا — طوعاً أو كرهاً — إلى بلاد دولة المماليك بمصر والشام فى العصور الوسطى . راجع (Quatremère : Hist. des Sultans Mamlouks. 11. 2. P. 245. N. 48, P. 251)

(٣) هذا هو المؤرخ المشهور وكتابه « زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة » من أهم الكتب التى اعتمد الناشر عليها فى عمله هنا ، ولا سيما فى الجزء الأول . انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، فهرس الأعلام ، ص ١٠٧٧) .

(٤ ، ٥) كذا فى ف .

(٦) كذا فى ف ، وهو نيٍّ ، (٣٠١) « التاريخ » ، وترجمه (Quatremère : Op. Cit. II. 2. P 247) ترجمة حرفية بتلك الصيغة .

وقطع الصخرة في سادس عشر رجب، وقد أنكر عليه الناس ما فعله. فأجيبَ إن كان الأمرُ على ما زَعم فقد فعل الخير وأزال بدعة، وإن كان الأمر بخلاف ما قال فإذا تبين صحته يُقابل(١) عَلى مَا فعله. [وقدِم(٢)] أيدُغدى الشهرزورى رسولا من جهة أبى يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو (٢١٦ب) بن أبى بكر بن جماعة المرينى ملك المغرب، بهدية جليلة، وقدم معه رَكب المغاربة يريدون الحج، وكان قد انقطع من بلاد المغرب منذ سنين، فجهزهم أبو يعقوب، وبعث معهم مصحفا جليلا غشاهُ بالذهب المرصع بالجوهر الرائع، ووقفه فى الحرم. فأكرم [أيدغدى] وأنزل بالميدان، وأجريت عليه الرواتب، وكان أيدغدى هذا لما قبض على يَعقوبَا فى الأيام الظاهرية فرّ فى جماعة من الأكراد إلى(٣) برقة، وقدم على أبى(٤) يعقوب بهدية، فقربه وقدمه حتى صار فى منزلة وزير، وحسنت سيرته عندهم إلى أن بعثه [أبو يعقوب] بالهدية ليحج.

وفيها بنى الأمير موسى بن الصالح على بن قلاوُن على ابنة الأمير سلار النائب بملوك (١٢١٧) أبيه الصالح. وعُمل مهم عظيم جدا، وَجهزت ابنة سلار بمائة وستين ألف دينار، ومشى فى زفته الأمير بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء، وحمل كل منهم التقادم من الشمع وغيره. فحمل الأمراء إليه ثلاثمائة وثلاثين قنطارا من الشمع.

وفيها أوقع بالوزير ناصر الدين محمد بن الشيخى: وسببه أن الأمير سلار النائب لما قدم من الحجاز عَرّفه الجدارية اجتماعه بالسلطان على تروجة ومسارته له وحمله مَبلغَ ألفى دينار، وأنه فاوضه فى أمر الأمراء، وشجعه عليهم، وأن السلطان كلما احتاج إلى شىء استدعى به منه، فيحمله إليه. فشق ذلك على سلار، وحرّك منه ما فى نفسه من كراهته له. وكان الأمير بيبرس الجاشنكير (٢١٧ ب) قد عزم على الحج فأراد مبادرة ابن الشيخى قبل سفر بيبرس لئلا يوقع به فى غيبته، فشق ذلك عليه، فاستشار الأمير علم الدين سنجر الجاوُلى فى أمره، فاتفقا على إقامة شخص من الأقباط يرافعه ويحقق فى جهته مال السلطان. وَندبَ لذلك من وقع الاختيار عليه. فكتب

(١) كذا فى ف، والمعنى أنه مجازى. (قاموس المحيط).
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٠١).
(٣) انظر المقريزى (كتاب السلوك، ج ١، ص ٥٩٥).
(٤) فى ف « بن ».

أوراقا ، وجلس الأمراء فى الخدمة ، فعرّفهم سلار ما بلغه عن الوزير ومماليكه وحطّ عليه . فقال الأمراء بأجمعهم : «مَتى ظَهرَ فى قبله شيء[1] قُطع جلده بالمقارع» ، واستدعى . فلما حضر قال له سلار : «اسمع ما يقول هذا الرجل من أنك أخذت مال السلطان وخنته ، وقد عرفتَ الشرط» ، وأشار للرجل بمحاققته . فقال ابن الشيخى لشؤم بخته : «ومن هذا القطعة[2] (٢١٨ ا) النحس حتى أتكلم معه ، أو يُسمع منه فى حق مثلى مايقوله» . فاشتد عند ذلك غضب سلار ، وقال له : «يا قوّاد ! ياقطعة نحس ! إيش أنت حتى تكبّر نفسك ! وإذا حضر واحد يعرفنا خيانتك تخرق به قدامنا ، أما لنا حرمة عندك ؟» ، وأمر الحاجب فضربه على رأسه إلى أن خرب شاشه . وسلّمه إلى شد الدواوين ، وأمره بمعاقبته ومعاقبة مماليكه كبك وبكتوت وغيره ، فأخذ سيفه فى آخر يوم من شعبان ومضى به هو ومماليكه وشاور عَليه من الغد ، فأمرَ بمطالبته بالحَمْل[3] ، فأخذ فى تحصيل المال ولا يمر به يوم إلا ويُخرِق به عز الدين أيبك الشجاعى شاد الدواوين وينكل به ، لما كان فى نفسه من تكبره عليه ومشيه فى ركابه هو ووالى القاهرة عند قربه من (٢١٨ب) داره . ثم إنه جلس بالصناعة[4] فى مصر ، واستدعاهُ من القلعة ، فنزل راكبا حمارا وشق به أسواق مصر إلى الصناعة ، فثار به أهل مصر يريدون رجمه ، وسبّوه . ثم أعاده ، ولم يزل على ذلك إلى يوم الأربعاء ثانى عشر رمضان فاستدعى[5] سعد الدين محمد بن عَطايا ناظر[6] البيوت واستقر فى الوزارة .

---

(١) فى ب (١ ٣ ب) «متى ظهر فى قبله متى قطع جلده بالمقارع» ، وهذا مثل الدلالة على قيمة نسخة باريس بالنسبة لنسخة فاتح (ف) التى اعتمدت أصلا للنشر هنا .

(٢) القطعة هنا الرجل المحتقر ، ويستعمل هذا اللفظ عادة متبوعا بصفة من الصفات لتأكيد المعنى المراد كما هنا ، أو كما فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، حيث ورد به . قطعة سائس أحدب » ، وترجم لفظ قطعة عموماً إلى الفرنسية بالآتى (zéro, homme sans crédit)

(٣) الحمل ـ والجمع حمول ـ ما يحمل إلى السلطان من محصول إقليم نوعاً أو عيناً ، ومعناه هنا كما هو واضح بالمتن ، ما يحمله المحكوم عليه عدلا أو ظلماً من الأموال إلى خزائن السلطان . Dozy Supp. Dict. Ar

(٤) المقصود بالصناعة إحدى دور صناعة السفن المعروفة بالقاهرة فى العصور الوسطى ، وربما كان المراد هنا دار الصناعة بساحل الفسطاط : انظر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ــ ١٩٧ ) .

(٥) فى ف «استدعى» .

(٦) أورد القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣١) هذه الوظيفة ضمن الوظائف الديوانية ||

وجلس والأمير علم الدين سنجر الجاولى قائم بين يديه يؤخر مايوقع عليه من الأوراق ، وكان ابن عطايا قبل هذا بثلاثة أيام قد رؤى قائما بين يدى الجاولى يقرأ عليه ورقة حساب . واستمرّ ابن الشيخى إلى ليلة عيد الفطر ، وبيبرس الجاشنكير لايتحدث فى أمره بشيء ، وإذا عرض عليه شاد الدواوين شيئا من أموره قال له : (٢١٩ ا) « مهما رَسم نائب السلطان افعله » . هذا وقد ثقّل عليه فى أمر ابن الشيخى زوجته بنت بَهَادُرْ رأس نوبة وولداها (١) جركتمر وأمير على وأخوهما خليل ، وكانوا من خواص الأمير بيبرس ، وهو يعدهم بخلاصه إلى أن اجتمع والأمراء عند النائب ، فتحدث (٢) معه فى خلاصه ، فعرّفه ما كان منه مع السلطان على تروجة ، فأمسك عنه وقام .

وفيها توجه الأمير بيبرس الجاشنكير إلى الحجاز مرة ثانية فى أول ذى القعدة ، ومعه علاء الدين أَيدُغْدِى الشهرزورى رسول ملك المغرب ، والأمير بيبرس المنصورى الدوادار ، والأمير بهاء الدين يعقوبا ، فى جماعة كثيرة من الأمراء . وكان قد خرج الركب فى عالم كثير (٢١٩ ب) من الناس مع الأمير عزالدين أيبك الخازندار زوج ابنة الملك الظاهر بيبرس إلى البركة ، فكثر الحجاج ، وقسموا (٣) ثلاث ركوب : ركبٌ مع الأمير بيبرس المنصورى ، وركب مع الأمير يعقوبا ، وركب مع أيبك ؛ وعند ما سار الأمير بيبرس الجاشنكير رَسم النائب سلار لشاد الدواوين فضرب ابن الشيخى فى يومه بالمقارع ، واستمر يعاقبه حتى مات من العقوبة فى سابعه .

وفيها سار الشريفان حميضة ورميثة من القاهرة مع الأمير عز الدين أيدَمر الكُوكَنْدى إلى مكة ، فقبض الأمير بيبرس الجاشنكير على الشريفين أبى الغيث وعطيفة ، وولى مكانهما حميضة ورميثة .

---

= التى لايتولاها عادة أرباب القلم ، واعتبرها تاسعة تلك الوظائف البالغة خمساً وعشرين ، واسمها الكامل « نظر البيوت والحاشية » ، وكان عمل القائم عليها مشاركة الأستادار — وهو من أرباب السيف — فى إدارة بيوت السلطان كلها ، من المطابخ والشرابخاناه والحاشية والغلمان . ( أنظر نفس المرجع والجزء ، ص ٢٠ ) ، وكذلك ( Demombynes : La Syrie p. Lxxiii ) .

(١) فى ف « ولديها » .

(٢) فى ف « تحدث » .

(٣) فى ف « قسموا » .

وفيها وجد الحاج عدّة مشاق : منها ( ٢٢٠ ا ) قلة الماء وغلاء السعر وهبوب سمائم محرقة هَلك منها خلق كثير من جفاف قِرَب الماء . وأخذ الحاج من وادى النار على طريق أخرى ، فتاهوا وهلك منهم عَالَم كبير . وبلغ الشعير كل ويبة بأربعين درهما ، والدقيق كل ويبة بستين .

وفيها قدم الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح بمن معه من غزاة سيس وفيها أجدَب الشام من الغور إلى العريش ، وجفت المياه ، ونزح الناس عن أوطانهم من العطش . وخلا من الصفْقَة[1] القبلية ألفَان وثمان مائة قرية . وفيها ظهر فى معدن الزمرّد قطعة زنتها مائة وخمسة وسبعون مثقالا ، فأخفاها الضامن[2] وحملها إلى بعض[3] الملوك ، فدفع [ له ] فيها مائة وعشرين ألف درهم فأبى بيعها ، فأخذها منه وبعث ( ٢٢٠ ب ) بها إلى السلطان ، فمات الضامن غما .

وفيها توجه شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فى ذى الحجة من دمشق . ومعه الأمير بَهاء الدين قراقوش المنصورى ، إلى [أهل] جَبل كِسرَوان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا ، فجمعت العساكر لقتالهم .

وفيها قام بأمر المدينة النبوية الشريف ناصر الدين أبو عامر منصور ، بعد موت أبيه الأمير عز الدين أبى سفر[4] جماز بن شيحة فى ربيع الآخر . وبلغ النيل سبعة عشر ذراعا ، وثمانية عشر إصبعا .

ومات فى هذه السنة زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا ، فى ليلة الخميس ثامن صفر ، وكان فقيها شافعيا فاضلا متدينا ، رئيسا وافر الحرمة محبا لأهل الخير . ( ٢٢١ ا ) ومات فتح الدين أحمد بن محمد بن

---

(١) كذا فى ف بغير ضبط ، والصفقة هنا الناحية ، غير أن المعاجم العربية المتداولة فى هذه الحواشى تذكر الصفق ـ وليس الصفقة كما بالمتن ـ بهذا المعنى ( انظر المحيط ) .

(٢) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٦٥ ) .

(٣) الإشارة هنا إلى ملك اليمن . انظر ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ـ طبعة دار الكتب المصرية ـ ، ج ٨ ، ص ٢١٥ ، حاشية ٢ ) وكذلك ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١١٤ ـ ١١٦ ) ، حيث القصة كلها واردة بتفصيل .

(٤) فى ت « أبى سفر حماد بن سيحه » وقد ضبط الاسم كله من ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٠١ ) .

سلطان القوصى الشافعى ، وكيل بيت المال بقوص وأحد أعيانها ، فى حادى عشر المحرم . ومات شمس الدين أحمد بن على بن هبة الله بن السديد الإسنائى ، خطيب إسنا ونائب الحكم بها وبأدفو وبقوص، فى رَجب ؛ وكان قد انتهت إليه رياسة الصعيد[1]، وبَنى بقوص مدرسة ؛ وكان قوى النفس كثير العطاء مهيبا [2] مَمْدُوحاً ، يبذل فى بقاء رياسته الآلاف ، فيقال إنه بذل فى نيابة الحكم بقوص ثمانين ألف درهم ، فسار إلى مصر ومات بها . ومات الأمير بيبرس الموفقى المنصورى أحد أمراء دمشق بها ، فى يوم الأربعاء ثالث عشرى جمادى الآخرة ، مخنوقا وهو سكران . ومات الأمير الشريف عز الدين جماز بن شيحة (٢٢١ ب) أمير المدينة النبوية ، وقد أضرّ ؛ وقام بالإمرة الأمير ناصر الدين منصور بن جماز . ومات بهاء الدين عبد المحسن بن الصاحب محيى الدين محمد بن أحمد بن هبة الله ، ويعرف بأبى جَرادة ، مات بالقاهرة ؛ وكان سخيا مباركا فاضلا ، حَدّث عن يوسف بن خليل وغيره . ومات علم الدين عبد الكريم بن على بن عمر الأنصارى المعروف بالعلم العراقى الفقيه الشافعى ، مدرس التفسير بالقبة المنصورية ، يوم الثلاثاء سادس صفر عن بضع وثمانين سنة ؛ وكان عالم مصر . ومات تاج الدين على بن أحمد بن عبد المحسن الحسينى العراقى الإسكندرانى شيخ الإسكندرية ، الإمام المحدّث ، فى ذى الحجة ، تفرّد بالرواية عن جماعة ، ورحل الناس إليه ؛ وكان ( ٢٢٢ ا ) فقيها عالما . ومات نجم الدين عمر بن أبى القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن الكاتب[3] بن أبى الطيب الدمشقى ، ناظر المارستان النورى بدمشق وناظر الخزانة ووكيل بيت المال بها ، ليلة الثلاثاء نصف جمادى الآخرة ؛ وكان فقيها مدرسا مشكورا فى ولاياته . ومات أمين الدين محمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد بمكة فى المحرم ، وسمع الحديث بمكة ، وانتهت إليه مشيخة الحديث بها . ومات شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين إسماعيل بن أبى سعيد بن التّيتى الآمدى ، أحد الأمراء ونائب دار العدل بقلعة الجبل . ومات الأمير مبارز الدين سَوار الرومى أمير شِكار، أحد الوافدية من

(١) لا يوجد بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى وظيفة بهذه الصفة ، على أن عبارة المتن تدل على أنها كانت « وظيفة شرف » ، يتولاها أقدم نواب الحكم ( القضاة ) بالصعيد .

(٢) فى ف « مهابا » .

(٣) فى ف « ابى السكاب » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٠٢ ب ) ، وهى أقرب إلى الصواب .

الروم فى الأيام (٢٢٢ب) الظاهرية ، وكان كريماً شجاعاً متديناً . ومات الأمير سيف الدين بهادر سَمِز [١] مقتولا بأيدى عرب الشام . ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد — ويقال ديباى — الشيخى تحت العقوبة فى سابع ذى القعدة ، وأخرج على جنوية إلى القرافة ، فدفن بها ، وكان فيه مكارم وعصبة [٢] ومروءة ويكتب الخط المليح ، ويعرف صناعة الحساب ، مع الظلم والعسف والتكبّر ، وأحدث مظالم عديدة ، وأصله من بلاد ماردين ، وقدم مع شمس الدين محمد بن التيتى [٣] إلى دمشق ، وسار منها إلى القاهرة مجرداً فقيراً يمشى على قدميه، وتعيّش فى خياطة الأقباع ببعض أسواق القاهرة مدة ، ثم تزيّا بزى الأجناد وخدم مع الشادين ، ولازم الوقوف فى خدمة (٢٢٣ ا) الحسام بُرناق شاد الكيالة زماناً حتى عرف دَخْل المباشرة وخَرْجها ، فتلطّف مع بعض مقطعى الكيالة وأوعدهم حتى ضمن ساحل الغلة ببولاق ، فشدّد [٤] فيه حتى فاض معه جملة ؛ وخدم الصاحب فخر الدين بن الخليلى ، وهادى الأمراء إلى أن ولى شد الدواوين بإمرة عشرة ، وانتقل منها إلى شد الجيزية وولاية القاهرة وجمع بينهما ، فصار من أمراء الطبلخاناه ، وولى الوزارة ، فكان فيها حتفه . ومات الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشهاب أبى على الحسين بن شمس الدين أبى عبد الله محمد الأرَموى نقيب الأشراف فى تاسع عشر شوال ، وولى نقابة الأشراف بعده الشريف بدر الدين بن عز الدين ؛ وقتله بدمشق أبو السرور السامرى (٢٢٣ ب) كاتبُ الأمير سيف الدين أسندمر كرجى نائب طرابلس .

* * *

سنة خمس وسبعمائة . فى أول المحرم باشر جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزوينى نيابة الحكم بدمشق ، عن نجم الدين أحمد بن صَصْرَى .

وفى ثانيه سار الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام من دمشق فى عساكرها

(١) ذكر ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة — طبعة دار الكتب المصرية ، ج ٨ ، ص ٢١٧ ) هذه الوفاة ، وقال إن لفظ « سمز » تركى معناه السمين .

(٢) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ( ٣٠٣ ا ) ، ولعل المراد « عصبية » .

(٣) فى ف « التيتى » ، انظر الصفحة السابقة .

(٤) فى ف « اشدد » والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٠٣ ا ) .

لقتال أهل جبال كسروان ، ونادى بالمدينة من تأخر من الأجناد والرّجالة شُنق . فاجتمع له نحو الخمسين ألف راجل ، [ وزحف بهم (١) لمهاجمة أهل تلك الجبال ] ، ونازلهم وخرب ضياعهم وقطع كرومهم ، ومزّقهم (٢) بعد ما قاتلهم أحد عشر يوماً ، قُتل فيها الملك (٣) الأوحد شادى بن الملك الزاهر داود وأربعة من الجند ، وملَك الجبل عَنوة ، ووضع فيهم السيف وأسر ستمائة ( ٢٢٤ ا ) رجل ، وغنمت العساكر منهم مالا عظيما ، وعاد إلى دمشق فى رابع عشر صفر .

وقدم الأمير بيبرس الجاشنكير من الحجاز ومعه الشريفان أبو الغيث وعطيفة ، فرتب لهما ما يكفيهما وصارا يركبان مع الأمراء . وقدم الحاج . ورُسِمَ بتجهيز الهدية إلى ملك الغرب ، وصحبتها عشرون إكديشاً من أكاديش التتر ، وعشرون أسيراً منهم وشىء من طبولهم وقسيّهم ، وخرج بها — مع أيدغدى الشهرزورى — علاء الدين أيدغدى التليلى الشمسى مملوك سنقر الأشقر ، والأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى . واستقرّ أمين الدين أبو بكر بن وجيه الدين عبد العظيم بن يوسف بن الرّقاقى (٤) فى نظر الشام ، عوضاً عن شهاب الدين بن ميسر . وعزل شمس الدين ( ٢٢٤ ب ) محمد بن عثمان بن الحريرى عن قضاء الحنفية بدمشق ، وكتب باستقرار شمس الدين الأذرَعى عوضاً عنه . وسبب عزل الحريرى أنه وجد بخطّه أن الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية لم يَرَ الناسُ بعد السلف الصالح مثلَه ، فاتفق أن البريدى لما توجه بتقليد الأذرَعى ظنّ أنه للحريرى ، وقَدِم دمشق والنائب قد خرج إلى الصيد ، فأعطى التقليد للحريرى ، فقام إلى المدرسة الظاهرية وحَكم ، وكان ابن الأذرعى يظنها له ، فيئس واغتم لذلك . ثم قرئ التقليد بحضرة الناس ، فإذا هو باسم

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٢) فى ف « ومزق اهلها » وقد عدّلت إلى هذه الصيغة لضرورة انسجام الضمائر .

(٣) كان هذا الأمير الأيوبى وقت ذاك من أمراء دمشق ، واسمه حسبما ورد فى ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة — طبعة دار الكتب المصرية — ج ٨ ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ ) « الملك الأوحد — وقيل الزاهر — تقى الدين شادى بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه الصغير ابن الأمير ناصر الدين ( ص ٢٢٠ ) محمد بن الملك المنصور أسد الدين شيركوه الكبير بن شادى ابن مروان الأيوبى » .

(٤) فى ف « الرقابى » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٠٣ ب ) ، ولعل النسبة إلى موضع الرقاق المذكور فى ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٩٩ ) .

الأذرعى ، فقام الحريرى خجلا ، واستدعى الأذرعى فجلس وحكم .

وفيها أظهر ابن تيمية الإنكار على الفقراء الأحمدية فيما يفعلونه : (٢٢٥ ا) من دخولهم فى النيران المشتعلة ، وأكلهم الحيات : ولبسهم الأطواق الحديد فى أعناقهم ، وتقلدهم بالسلاسل على مناكبهم ، وعمل الأساور الحديد فى أيديهم ، ولفهم شعورهم وتلبيدها . وقام فى ذلك قياماً عظيما بدمشق ، وحضر فى جماعة إلى النائب ، وعرّفه أن هذه الطائفة مبتدعة ؛ فجمع له ولهم ؛ الناس من أهل العلم ، فكان يوماً مشهوداً كادت أن تقوم فيه فتنة ؛ واستقر الأمر على العمل بحكم [1] الشرع ونزعهم هذه الهيئات .

وفيها أقطع السلطان فى جمادى الآخرة جبال كسروان بعد فتحها للأمير علاء الدين ابن معبد البعلبكىّ ، وسيفِ الدين بكتمر عتيق بكتاش الفخرى ، وحسام الدين لاجين ، وعز ( ٢٢٥ ب ) الدين خطاب العراقى ، فركبوا بالشربوش [2] وخرجوا إليها ، فزرعها لهم الجبلية [3] ، ورفعت أيدى الرفضة عنها .

وفيها أخّر [4] متملك سيس الحمل الجارى به العادة ، فبعث إليه نائب حلب أستاداره قَشْتَمر الشمسى أحد مقدمى حلب على عسكر نحو الألفين ، وفيهم الأمير شمس الدين آقسنقر الفارسى ، والأمير فتح الدين بن صُبرَة [5] المهمندار ، والأمير قَشْتَمُر النجيبى ، وقشتمر المظفرى ، فى ذى الحجة من السنة الماضية . فشنوا الغارات على بلاد سيس ، ونهبوا وحرّقوا كثيراً من الضياع ، وسَبَوا النساء والأطفال فى الحرم . وكان قد وصل إلى سيس طائفة من التتار فى طلب المال ، فركب التتار مع صاحب سيس ، وملكوا ( ٢٢٦ ا ) رأس الدربند ، فركب العسكر لقتالهم وقد انحصروا ، فرمى التتار عليهم بالنشاب والأرمن بالحجارة ، فقتل جماعة وأسر من الأمراء ابن صُبرة [6] ، وقشتمر النجيبى ، وقشتمر المظفرى ، فى آخرين من أهل حلب ؛ وخلَص قشتمر مقدم العسكر ، وآقسنقر الفارسى . وتوجه التتار بالأسرى

(١) فى ف « بحكمة » :
(٢) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، فهرس الألفاظ الاصطلاحية ) .
(٣) فى ف « الجبلية » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٠٤ ا ) .
(٤) فى ف « اخذ » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٠٤ ا ) .
(٥) هذا الاسم مضبوط فى ف بفتحة على الراء فقط . ( انظر الحاشية التالية ) .
(٦) مضبوط فى ف بضم الصاد فقط .

إلى خر بَنْدَا بالأردو ، فرسّم عليهم : وبلغ نائب حلب خبز الكسرة ، فكتب بذلك إلى السلطان والأمراء ، فرُسِم بخروج الأمير بكتاش أمير سلاح ، وبيبرس الدوادار وأقوش الموصلي قتّال السبع ، والدُكُز [١] السلاح دار ؛ فساروا من القاهرة فى نصف شعبان على أربعة آلاف فارس . فبعث متملك سيس الحمل ، واعتذر بأن القتال لم يكن منه وإنما كان من التتر (٢٢٦ ب) ، ووعده بالتحيّل فى إحضار الأمراء المأسورين ، فرجع الأمير بكتاش بمن معه من غزة .

وفيها أفرج عن الأمير سيف الدين الحاج بَهادر الحكمى الظاهرى ، وأخرج إلى دمشق على إقطاع قيران مشد الدواوين ، واستقر حاجباً بدمشق عوضاً عن الأمير بكتمر الحسامى ؛ ونقل بكتمر من الحجوبية إلى شد الدواوين ، وقبض على قيران وصُودر .

وفيها قدم رسول ملك قسطنطينية [٢] ، ومعه رسول الكرج ، بهدايا وكتاب يتضمن الشفاعة فى فتح الكنيسة [٣] المصلّبة بالقدس لزيارة الكرج لها ، وأن الكرج تكون فى طاعة السلطان وعوناً له متى احتاج إليهم . فكُتِب بفتح الكنيسة ففتحت ، وأعيد الرسول بالجواب .

وفيها (٢٢٧ أ) توقفت الأحوال بالقاهرة ، لكثرة الفلوس وما دخل فيها من الخفاف الوزن ؛ وارتفع سعر القمح من عشرين درهما الأردب إلى أربعين . فرُسم بضرب فلوس جدُد ، وعُملت الفلوس الخفاف بدرهمين ونصف الرطل ، فمشت الأحوال .

وفيها قام شمس الدين محمد بن عدلان بالقاهرة ، وأنكر على تقى الدين أحمد بن تيمية فتوى رآها بخطه فى مسألة الاستواء [٤] ومسألة خلق القرآن ، واجتمع بالقضاة فى ذلك .

---

(١) مضبوط هكذا فى (Zetterstéen : Op. Cit. p. 151) . انظر أيضا المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٦٧) .

(٢) كان إمبراطور الدولة البيزنطية تلك السنة الموافقة لعام ١٣٠٥ ميلادية أندرونيق الثانى (Andronicus II, 1282-1320) ، وكان ملك الكرج وقت ذاك داود السادس (David VI) انظر : (Diehl Hist, of the Byz, Emp.p. 180) وكذلك (Allen:A Hist.of the Georgian People, p. 120)

(٣) ليس بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى مايدل على هذه الكنيسة بين كنائس بيت المقدس المعروفة وقد ترجم (Quatraremère : Op. Cit.II, 2. p. 255) هذا الاسم إلى (L'eglise appelée mousalliah) ، اعتماداً على صيغة النسخة الباريسية التى اتخذها أصلا لترجمته .

(٤) المقصود بذلك استواء الله على العرش .

فورد كتاب نائب الشام بأن ابن تيمية تكلم بعضُ أصحابه فى القرآن بكلام ، فعزّره قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن صصرى(١) وسجنه ، فجمع ابن تيمية أصحابه وأخرج الرجل من السجن . فغضب ابن صصرى ، وعُقِد له ولابن تيمية مجلس عند النائب آل (٢٢٧ ب) الأمر فيه إلى أن كتب ابن تيمية خطه وأشهد عليه أنه شافعى المذهب يعتقد ما يعتقده الإمام الشافعى ، وأنه أشعرى الاعتقاد . فنودى بدمشق مَنْ ذَكر عقيدة ابن تيمية شُنِقَ ؛ فاشتد حينئذ ابن عدلان ، وقام معه قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى . وحرّض الأمراء عليه . ومازال بهم حتى خرج الأمير ركن الدين العمرى الحاجب على البريد بحمله وحَمْل أخيه شرف الدين عبد الرحمن [ إلى القاهرة (٢) ] . وطَلب [ الأميرُ (٣) رَكن الدين ] نجمَ الدين أحمد بن صصرى ، و[ وجيه الدين ] (٤) بن المنجا ، وتقى الدين شقير ، وأولاد ابن الصائغ ؛ فأحضرهم يوم الخميس ثانى عشرى رمضان ؛ فاجتمع القضاة والفقهاء بقلعة الجبل ، وحضر الأمراء ، فادّعى ابن عدلان على ابن تيمية ، فلم يُجبه وقام يخطب ، فصاح (٢٢٨ ا) عليه [ القاضى (٥) زين الدين ] ابن مخلوف [ المالكى ] : « نحن أحضرناك للدعوى عليك ، ما أحضرناك خطيباً » ، وألزمه بالجواب . فقال له : « أنت عدوّى ؛ لا يجوز حكمك على » ، فأمر باعتقاله ، فأخِذ وسُجِن بحارة الديلم من القاهرة هو وأخوه . وخُلع على ابن صَصْرى ، وأعيد إلى دمشق ، ومعه كتاب ليقرأ على منبر الجامع بالمنع من الكلام فى العقائد والنهى عن اعتقاد شىء من فتاوى ابن تيمية ، وأن يكتب على الحنابلة محاضر بالرجوع عن ذلك ، وتثبت على قضاة الممالك ، وتقرأ على المنابر ؛ ففعل ذلك بدمشق .

وفيها قُطع خبز الأمير الكبير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح الصالحى النجمى :

---

(١) صيغة ب (٣٠٤ ب) هنا كالآتى : « فغضب بن حضرى وسجنه فجمع ابن تيمية وعقد له ولابن تيمية بجلس ... » ، وهذا دليل ثان على قيمة نسخة ب بالنسبة إلى ف ، مع ما للنسخة الأولى من فائدة أحياناً فى تحرير المتن وتصحيحه .

(٢ ، ٣) أضيف ما بين الحاصرتين لاستكمال الجملة ، وذلك بعد مراجعة أبى الفداء ( المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٥٤ ) .

(٤) فى ف «وابن المنحا» . راجع ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص١٢٣ ، ١٢٩) .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر ( الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ج ١ ، ص ١٤٤ — ١٦٠ ) ، حيث وردت هذه الحادثة وغيرها من أخبار ابن تيمية فى ترجمته .

وسبب ذلك أنه مرض وقد أناف على الثمانين ، « فخاف أستاداره بكتمر الفارسى من موته ، وأن يطالب (٢٢٨ب) من ديوان(١) السلطان بتفاوت(٢) الإقطاع فى مدة إمرته وهى ستون سنة ، وأن يلزم بالتقاوى السلطانية(٣) ، وحسّن لولده ناصر الدين محمد أن يمضى إلى الأمير بيبرس وسلار على لسان أبيه ، بأن يتحدثا مع السلطان بأنه قديم هجرة وله خدمة فى البيت المنصورى ، وقد أسن وعجز عن الركوب ، ولا يحل له أكل هذا الإقطاع بغير استحقاق ، ويسألاه(٤) فى إخراجه عنه وكتابة مسموح(٥) لأولاده ومباشريه بما يخص السلطان من تفاوت الإقطاعات والانتقالات من تاريخ إمرته إلى خروج الإقطاع عنه ، وخيّله أنه متى لم يفعل ذلك حتى يموت والده لم يبق لهم من بعده موجود ، ويحتاج إلى الاستدانة ليوفى الديوان السلطانى (٢٢٩ ا) مستحقه . فانفعل لذلك ، وبلّغ مارتّبه الأستادار عن أبيه إلى بيبرس وسلار ، فتألما وبكيا ،

(١) كانت وظيفة هذا الديوان حسبما ورد بالقلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٣ ) محاسبة الأمير المعزول أو المنقول عن إقطاعه — أو ورثته من بعده عند وفاته — على ما تحصل من ذلك الإقطاع من مال خراجى ، فإذا ثبت للديوان أن الأمير كان يمشى فى ذلك بحسب السنة الهلالية الهجرية ، وليس على حسب السنة الخراجية الشمسية ، حاسبه الديوان على ما استولى عليه من المال ، وهو المعبر عنه بعبارة « تفاوت الإقطاع » ، أو « التفاوت الجيشى » . هذا وكانت العادة أن يقوم بذلك ناظر ديوان المرتجعات ثم رفضت هذه الوظيفة وديوانها ، وصار أمر المرتجع موقوفاً على مستوفى المرتجع ، كما أصبح الديوان المختص بهذا معروفاً باسم ديوان السلطان . انظر (Poliak : Feudalism in the Middle East. p. 22)
( Demombynes : Op. cit. p. VXXV )

(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) المقصود بالتقاوى السلطانية فى الغالب ما كان يجمع للسلطان من مختلف الأقاليم برسم التقاوى ، وقد عرف المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ص ٩١ ) ذلك تعريفاً فيه شىء من الغموض ، ونصه : « وكانت لأراضى مصر تقاو مخلدة فى نواحيها ، وهى على قسمين : تقاو سلطانية ، وتقاو بلدية ، فالتقاوى السلطانية وضعها الملوك فى النواحى ، وكان الأمير أو الجندى عند ما يستمر فى الإقطاع يقبض ماله من التقاوى السلطانية ، فإذا خرج عنه طولب بها . فلما كان الروك الناصرى خلدت تقاوى كل ناحيه بها ، وضبطت فى الديوان السلطانى ، فبلغت جملتها مائة ألف وستين ألف أردب ، سوى التقاوى البلدية » . انظر أيضاً المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٠٨ ، حاشية ٦ ، وكذلك (Poliak: Op. Cit. p. 69)

(٤) الضمير عائد على السلطان .

(٥) المسموح — وجمعه مسموحات — لفظ جرى فى مصطلح الدولة المملوكية على مبلغ من المال يعينه السلطان لأمير من الأمراء المقطعين فوق إقطاعه ، ويأخذه الأمير مسانهة أو مشاهرة ، ومعناه هنا ما يسمح به السلطان لورثة أحد أمرائه بعد وفاته . راجع (Poliak : Op. Cit. p. 6 ; Demombynes Op. Cit. p. LXXVI )

ودخلا به إلى السلطان ؛ فأعاد [ ناصر الدين محمد ] له الرسالة بحضور الأمراء ، فأجيب ، وكتب المسموح ، ونصه : « رسم بالأمر الشريف شرّفه الله وعظمه أن يسامح المقر العالى المولوى الأميرى البدرى بكتاش الفخرى الصالحى أمير سلاح بجميع ما عليه من تفاوت الإقطاعات المنتقل إليها والمنتقل عنها ، من غير طلب تفاوت ولا تقاو [(١)]، ولا ما يخص الديوان الشريف من هلالى وخراجى وغيره ، مسامحة وإنعاما عليه ، لما سلف له من الخدمة وتقادم الهجرة ، مسامحة لا ردّ فيها ولا رجوع عنها بحيث لا [(٢)] يطالب بشىء قلّ ولا جلّ ، لما مضى من الزمان وإلى يوم (٢٢٩ ب) تاريخه ، لنزوله عن إقطاعه حسب سؤاله » ؛ وتوجه إليه الأمير شمس الدين سنقر الكمالى الحاجب ، والأمير بدر الدين محمد بن الوزيرى ( بذلك ) . وسبق ولده ودخل عليه ومعه بكتمر أستاداره ، وحدّثاه فى أنه قد ضعف عن الحركة ، وأن الإقطاع يستكثر عليه ، فقال : « أرجو أن يمن الله بالعافية ، وأن أموت على ظهر فرسى فى الجهاد » ؛ فذكرا له ما يتخوفانه [(٣)] بعد موته من المغرم ، فلم يلتفت لكلامهما . وقدم الحاجب وابن الوزيرى بالمسموح ، فقالا لهما : « لا تطيلا فى الكلام ، فإنه اختلط وفسد عقله » ؛ فدخلا وعرّفاه ما قاله عنه ولده من طلب الإعفاء من الخدمة ، فإنه نزل عن الإقطاع ، وقدّما له المسموح ، وبلغاه سلام السلطان والأمراء ، وأنه (٢٣٠ ا ) لم يفعل هذا إلا حسب سؤاله ، وقد رتب له خمسة آلاف درهم فى الشهر . فغضب عند ذلك وقال : « قطع السلطان خبزى ؟ » ، قالا : « نعم ! » ، وعرّفاه ما كان من ولده ، فالتفت إليه وقال : « أنت سألت فى ذلك ؟ » ، قال : « نعم ! » ، فسبّه ، وقال للأميرين : « قولا للسلطان والأمراء ما كنت أستحق أن يقطع خبزى قبل الموت ، وهم يعلمون ما فعلته معهم ، وكنت أؤمل أن أموت فى الغزاة ، وما برحت أخرج كل سنة لعل أن يدركنى أجلى ، فما قدر الله » . ثم أعرض عنهم ، وقاموا عنه ، فمات من مرضه هذا . واستقر إقطاعه فى الخاص السلطانى ، وأضيفت أجناده إلى الحلقة ، وذلك فى ذى الحجة .

وفيها قدمت هدية الملك المؤيد (٢٣٠ ب) هزبر الدين دواد صاحب اليمن ، فوجدت

---

(١) فى ف « تقاوى » .
(٢) فى ف « لم » .
(٣) فى ف « ما يتخوفاه » .

قيمتها أقل من العادة ، فكُتب بالإنكار عليه والتهديد ، وسُيِّر مع بدر الدين[١] محمد الطورى أحد مقدمى الحلقة ، فلم يعبأ به [الملك المؤيد] ، ولا أجاب عن الكتاب بشىء .

وفيها استسق أهل دمشق لقلة الغيث ، فسُقُوا بعد ذلك .

ومات فى هذه السنة خطيب دمشق شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزارى الفقيه الشافعى المقرئ النحوى المحدث ، فى شوال عن خمس وسبعين سنة . ومات مجد الدين سالم بن أبى الهيجاء بن جميل الأذرعى[٢] قاضى نابلس ، بالقاهرة فى ثانى عشر صفر ، بعد ما باشر قضاء نابلس أربعين سنة ، وصرف عنها وقدم بأهله إلى القاهرة (٢٣١ ا) فمات بها . ومات الحافظ شرف الدين [أبو محمد] عبد المؤمن بن خلف بن [أبى] الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطى[٣] الفقيه الشافعى المحدث آخر الحفاظ ، فى خامس عشر ذى القعدة ، من غير مرض ، عن اثنتين وتسعين سنة . ومات قاضى القضاة بحلب شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام الشافعى بها ، فى أوائل جمادى الأولى ، وكان فاضلا مشكور السيرة . ومات محمد بن عبد المنعم بن شهاب [الدين][٤] بن المؤدب بمصر ، حدّث عن ابن باقا . ومات الفقيه العابد المسند أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد الحرّانى الحنبلى ، ومولده بحران سنة ثمانى عشرة وستمائة ، سمع من ابن روزبة والمؤتمن بن قميرة ، وسمع بمصر من ابن الجميزى (٢٣١ ب) وغيره ، وتفرّد بأشياء ، وكان فيه دعابة ، وتلا بمكة ألف ختمة . ومات شرف الدين يحيى بن أحمد بن عبد العزيز الجذامى الإسكندرانى . ومات الأوحد تقى الدين شادى بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان ، أحد أمراء دمشق ، فى ثانى صفر على قتال الكسرويين ، وكان فاضلا خبيراً بالأمور . وماتت المعمّرة

(١) لعل بدر الدين هذا أخ لناصر الدين الطورى الذى تقدمت الإشارة إليه . (انظر ص ٧ ، حاشية ٦) .

(٢) فى ف « الادرعى » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٠٥ ب) .

(٣) فى ف « شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن الحسن بن عفيف بن سرور بن خضر التسوقى الدمياطى ... » ، وقد صحح وأضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢١٨) ، وابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٢) .

(٤) ليس لما بين الحاصرتين وجود فى ف ، ولكنه فى ب (٣٠٥ ب) .

أم الفضل زينب بنت سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة الإسعردية بمصر في ذي القعدة ؛ حدّثت عن ابن الزبيدى وأحمد بن عبد الواحد البخارى وغيره ، وتفرّدت بأشياء .

* * *

(٢٣٢ ا) سنة ست وسبعمائة : فيها توحّش ما بين الأميرين علم الدين سنجر البرَواني وسيف الدين الطشلاقى على باب القلة من القلعة بحضرة الأمراء ، من أجل استحقاقهما فى الإقطاعات ، فإنهما تباعلا[1] ، ونزل الطشلاقى على إقطاع البروانى . وكان كل منهما فيه كبر وظلم وعسف ، والبروانى من خواص الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، والطشلاقى من ألزام الأمير سلار النائب لأنه خشداشه ، وكلاهما مملوك الصالح على بن قلاون . فاشتد الطشلاقى على البروانى وسَفِه عليه ، فقام البروانى إلى الأمير بيبرس فشكا منه ، فاستدعى به وعنّفه ، فأساء فى الرد وأفحش فى حق البروانى ، وقال : (٢٣٢ ب) «أنت واحد منى وافدى ، تجعل نفسك مثل مماليك السلطان ؟» . فاستشاط بيبرس غضباً ، وقام ليضربه ، فجرّد سيفه يريد ضرب بيبرس ، فقامت قيامة بيبرس وأخذ سيفه وأومأ ليضربه ، فترامى عليه من حضره وأمسكه عنه ، وأخرجوا الطشلاقى بعد ما كادت مماليك بيبرس أن تقتله . وللوقت طلب بيبرس الأمير سنقر الكمالى الحاجب ، وأمره بإخراج الطشلاقى إلى دمشق ، فخشى من النائب سلار ودخل عليه وأخبره الخبر فوجد العَلَم[2] عنده ، وأمره بالعود إلى بيبرس وملاطفته فى العفو عن الطشلاقى ، وأنه يلزم داره حتى يرضى عنه . فعاد إلى بيبرس ، وعند ما أخذ يبلغه رسالة سلار صرخ فيه ، وحلف إن بات الطشلاقى (٢٣٣ ا) الليلة فى القاهرة عُملت فتنة كبيرة . فعاد الحاجب وبلغ سلار ذلك ، فلم يسعه إلا السكوت ، وأخرج الطشلاقى من وقته ، وأمر[3] الحاجب بتأخيره فى بلبيس

---

(١) كذا في ب (١٣٠٦) بغير نقط البتة ، وهى فى ف «مدا علا» ، بغير نقط أيضاً ، وقد فضل الناشر صيغة ب لاستطاعة تحريرها إلى الرسم الوارد بالمتن ، والمعنى أنهما تجالسا للحديث فيما بينهما من أمر . (لسان العرب) .

(٢) أى علم الدين سنجر البروانى .

(٣) فى ف «وامره» .

ليراجع بيبرس فيه . وعندما اجتمعا من الغـــد فى الخدمة بدأه بيبرس بما كان من الطشلاقى فى حقه من الإساءة ، وسلار يسكّن غضبه فلا يسكن بل يشتد ، فأمسك على حقد ؛ وتوجه الطشلاقى إلى الشام .

وفيها قدم البريد من حماة بمحضر ثابت على القاضى أن ضيعة تعرف ببارين بين جبلين ،فسُمع للجبلين فى الليل قعقعة عظيمة ، فتسارع الناس فى الصباح[1] إليهما ، فإذا أحد الجبلين قد قطع الوادى وانتقل منه قدر نصفه إلى الجبل الآخر ، والمياه فيما بين الجبلين (٢٣٣ ب) تجرى فى الوادى ؛ فلم يسقط من الجبل المنتقل شىء من الحجارة ، ومقدار النصف الذى انتقل من الجبل مائة ذراع وعشرة أذرع ، ومسافة الوادى الذى قطعه هذا الجبل مائة ذراع ؛ وأن قاضى حماة خرج بالشهود حتى عاين ذلك ، وكتب به محضرا فكان هذا من غرائب الاتفاق .

وفيها قدم الخبر من بلاد المغرب بقتل السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب المرينى صاحب تلمسان فى ذى القعدة من [السنة] الخالية[2] على يد خدمه ، وأن ابنه أبا سالم قام من بعده ، فثاروا به بعد أسبوع ،وأقاموا عوضه [حفيده][3] أبا عامر ثابت .

وفيها ابتدأت الوحشة بين الأميرين بيبرس وسلار : وسببها أن التاج بن سعيد الدولة (٢٣٤ ا) الكاتب[4] كان متمكناً من بيبرس مستوليا على سائر أموره ، فمكنه من الدولة حتى صارت أمور الأموال الديوانية المتعلقة بالوزارة والأستادارية لا يلتفت فيها إلى كلام غيره ، واستعان معه بأكرم بن بشير أحد أقاربه ، فتقرّبا إلى بيبرس بتحصيل الأموال من المشتروات[5] ، وأضافا له جهة النظرون . وكان التاج صديقاً لابن الشيخى ، وهو الذى قدّمه إلى الوزارة ، فلما قتل شقّ عليه ، واتهم الأمير علم الدين سنجر الجاولى بأنه

(١) فى ف « الصياح » ، انظر ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٢) .
(٢) فى ف « الخيالة » وهو فى ب (٣٠٦ ب ) « الحالية » .
(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٥ ) .
(٤) كان التاج بن سعيد الدولة ، حسبما ورد فى ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج٨ ، ص٢٢٢) كاتبا للأمير بيبرس .
(٥) فى ف « المشتراوات » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٠٦ ب) ، وهو لفظ جرى فى مصطلح دولة المماليك ــ وصحته فى اللغة مشتريات ــ للدلالة على المماليك الذين يشرون حديثا ويجلبون إلى القاهرة =

السبب فى ذلك ، وأنه الذى أغرى به الأمير سلار ، لما كان يعلم من عداوة الجاولى لابن الشيخى ومصادقته للصاحب سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا ، وهو الذى عينه (٢٣٤ ب) للوزارة بقصد[١] إنكاء التاج بن سعيد الدولة . فأخذ التاج فى العمل على الجاولى ، وهو يومئذ ينوب عن بيبرس الجاشنكير فى الاستادرية ؛ ونُدِب لمرافعته رجلٌ من الأقباط ، وصار كل قليل يقول عنه لبيبرس إنه نهب الأموال ، وأخذ رواتب كثيرة لنفسه وحواشيه ، وقد وقفت أحوال الدولة من ذلك ، والوزير ابن عطايا لا يدرى صناعة الكتابة ، وإنما أشار الجاولى على سلار بوزارته ليتمكن من أغراضه ، وإن بعض كتاب الحوائج خاناة كتب أوراقاً بمال كبير فى جهة الجاولى ، وأكثر من هذا القول وما أشبهه ، إلى أن تقرَّر ذلك فى نفس بيبرس وتغير على الجاولى ، وحدث سلار فى أمره ، وأنه (٢٣٥ ا) أخذ جملة مال مستكثرة . وكان سلار صديقاً للجاولى شديد المحبة له من قديم ؛ حتى أن كلا منهما عمر مدرسة على جبل يشكر[٢] بجوار مناظر الكبش مجاورة لمدرسة الآخر ، وعمل لنفسه مدفناً بحذاء مدفن الآخر . فدافع سلار عن الجاولى ، وقال لبيبرس : « بالله لا تسمع للديوان[٣] ! فإنهم مناحيس يريدون الفتن » . فتمادى بيبرس فى الحط على الجاولى وسبّه ، وقال : « لابد أن أخلّص منه المال » . فلما افترقا أعلم سلار الجاولى بتغير بيبرس عليه ، فقال له : « هذا من التاج بن سعيد الدولة » ، فأشار عليه بالدخول إلى بيبرس ومخادعته بلين القول له ، عساه ينخدع ويمسك عما يريده . فامتثل ذلك وصار إليه وخضع له وتذلل ، فاشتد (٢٣٥ ب) فى الحرج وبالغ فى السب والتهديد ، ولم يلتفت إلى قوله ، فقام يتعثر فى أذياله إلى سلار وأخبره ، فغضب من ذلك . وعند خروج الجاولى من عند بيبرس دخل عليه ابن سعيد الدولة بأوراق قد رتبها بما فى جهة الجاولى ، وقرأها عليه ، وأحضر معه أكرم ابن بشير ليحاقق الجاولى على ما فى الأوراق ؛ فقوّى بيبرس قلب ابن بشير على المحافظة .

---

= وربما كان هذا هو المعنى المقصود هنا ، على أن (Quatremère : Op. cit. II. 2. p. 262) قد ترجم هذا اللفظ إلى (marchandises) ، أى البضائع عامة .

(١) فى ف « يقصد » .

(٢) فى ف « يسكن » .

(٣) المقصود بلفظ « الديوان » الموظفون الذين يقومون بعمل من أعمال الدولة (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

ولما كان الغد ، وخرج الأمراء من الخدمة السلطانية ، وجلسوا عند النائب سلار ، وفيهم الجاولى والوزير ، أمر بيبرس بإحضار ابن بشير الكاتب ؛ فلما جاء قال له : « أنتَ قلتَ إن مال السلطان ضائع ، وإن هذا ـ يعنى الجاولى ـ أخذ منه أشياء ، وإن الوزير وافقه على ذلك ، وإن (٢٣٦ ا) أحوال الدولة قد وقفت ، وإنك ترافعهما وتحقق مال السلطان فى جهتهما ؟ فتكلم الآن معهما ، ولا تقل إلا الصحيح » . فنهض عند ذلك قائما ، وأخرج الأوراق ، وحاقق الوزير على فصول تلزم الجاولى ؛ فأجاب الجاولى عنها فصلا فصلا ، وابن بشير يرد عليه ، وقال فى كلامه : « أنت أمير ماتدرى فصول الكتابة » ؛ وطال الكلام ، وانفض المجلس على أقبح صورة ، وقد وقع التنافر بين بيبرس وسلار بسبب قيام كل منهما فى نصرة صاحبه .

وكان من عادة بيبرس أن يركب لسلار عند ركوبه وينزل عند نزوله ، فمن يومئذ لم يركب معه ، وبقى كل منهما يركب فى حاشيته وحده ؛ وتوقع الناس الفتنة . (٢٣٦ ب) فبعث الأمير سلار بسنقر الكمالى الحاجب إلى بيبرس ليتلطف به ويعرّفه « إن الجاولى قد علمتَ ما بينى وبينه من الأخوّة ، بحيث أن كلاً منا عمل الآخر وصيه على أولاده بعد موته » ، ويتضرّع له حتى يعفو عنه . فمضى إليه وبالغ معه فى الكلام ، وهو يشتدّ إلى أن قال : « لا أرجع عنه حتى آخذ منه مال السلطان وأضربه بالمقارع » . وبعث إليه : « إنْ لم تحمل المال ضربتك بالمقارع حتى تموت مثل الغير » ـ يعنى ابن الشيخى ؛ وبعث إلى الوزير بذلك أيضاً ، ورسمّ عليهما حتى يحملا المال . فلما بلّغ الكمالى ذلك لسلار قامت قيامته ، إلا أنه كان كثير المداراة عاقلا . وأخذ الجاولى فى بيع خيله وقماشه وأمتعته ( ٢٣٧ ا ) بباب القلة على الأمراء ، فشق عليهم ما نزل به وتشروا مبيعه بأضعاف ثمنه ، ليردوه إليه إذا صلح حاله مع الأمير بيبرس ، تقرّباً لخاطر الأمير سلار .

وتمادى الحال عدة أيام وبيبرس وسلار لا يجتمعان ؛ واستعد الأمراء البرجية ألزام بيبرس ، وصاروا يركبون بالسلاح من تحت ثيابهم خوفا من وقوع الفتنة ، وترقّب الناس الشر فى كل يوم ، وتحدثوا به . فركب الأمراء الأكابر : أقوش قتال السبع ، وبيبرس الدودار ، وبَرُلغى ، وأيبك الخازندار ، وسنقر الكمالى ، وبكتوت الفتاح ، فى آخرين إلى

الأمير بيبرس الجاشنكير، وتحدثوا معه فى تسكين الشر وإخماد الفتنة. وما زالوا (٢٣٧ ب) به حتى رفع الترسيم عن الجاولى بشرط أن يخرج إلى الشام بَطَّالاً، وقاموا من عنده إلى الأمير سلار، وما زالوا به حتى وافق على سفر الجاولى، فسافر من يومه بعد ما قطع خبزه، ثم أنعم عليه بعد وصوله إلى دمشق بإمرة طبلخاناه.

وفيها أفرج عن الصاحب سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا بعدما حمل نحو الثمانين ألف درهم، واصطلح بيبرس وسلار، ثم تحدَّثا فى أمر الوزارة ومن يصلح لها، فعين سلار التاج بن سعيد الدولة، فقال بيبرس: «إنه لا يوافق، فقد عرضتُها عليه وامتنع منها»، فقال سلار: «دعنى وإياه»، فقال: «دونك!»، وتفرَّقا. فبعث سلار إلى التاج أحضره، فلما دخل عليه عبَس فى وجهه وصاح بانزعاج: «(٢٣٨ ا) هاتوا خلعة الوزارة»، فأحضروها، وأشار إلى التاج بلبسها فتمنع، وصرخ فيه وحلف لئن لم يلبسها ضرب عنقه. فخاف الإخراق به لما يعلمه من بغض سلار له، ولبس التشريف فى يوم الخميس خامس عشر المحرم، وقبَّل يد الأمير سلار فبشّ له ووصّاه، وخرج من دار النيابة بالقلعة إلى قاعة الصاحب بها، وبين يديه النقباء والحجاب؛ وأخرجت له دواة الوزارة والبغلة، فعلّم على الأوراق وصرّف الأمور إلى بعد العصر، ونزل إلى داره. وبلغ ذلك الأمير بيبرس فسرّ به، لأنه كان من غرضه.

وأصبح الناس يوم الجمعة إلى دار الوزير تاج الدين أبى الفتوح بن سعيد الدولة ينتظرون ركوبه، فلم يخرج إلى أن علا النهار (٢٣٨ ب)، [و] خرج غلامه وقال: «يا جماعة! القاضى عزل نفسه وتوجه إلى زاوية الشيخ نصر المنبجى»[1]، فتفرقوا، وكان لما نزل إلى داره توجه ليلا إلى الشيخ نصر، وكان خصيصا به، وله مكانة عند الأمير بيبرس؛ وبعث بتشريف الوزارة إلى الخزانة السلطانية بالقلعة، وأقام عند الشيخ نصر مستجيراً به؛ فكتب الشيخ نصر إلى بيبرس يشفع فيه، ويقول له إنه قد استعفى من الوزارة وقال إنه لا يباشرها أبداً، ويقصد أن يقيم فى الزاوية مع الفقراء يعبدالله.

---

(١) فى ف «المنجى». انظر ابن العماد (شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥٢)، حيث توجد ترجمة قصيرة لهذا الشيخ العابد، المتوفى سنة ٧١٩ هـ.

فأخذ بيبرس الورقة ودخل على سلار، فلما وقف عليها قال: « قد أعفيناه ، فأحضره حتى نستشيره فيمن يلي الوزارة » ، فأحضره بيبرس إليه فاعتذر ، وأشار بوزارة (٢٣٩ا) ضياء الدين أبي بكر بن عبد الله بن أحمد النشائي[١] ناظر [٢] الدواوين ، فاستدعى وخلع عليه فى يوم الاثنين تاسع عشره . فباشر [ ضياء الدين ] الوزارة ، وليس له منها سوى الاسم ؛ وصار التاج يدبر الأمور ، ولا يصرّف شيء إلا بخطه ، ولا يُفعل أمر[٣] إلا بحكمه .

وفى سادس صفر خلع على التاج بن سعيد الدولة ، واستقر مشيراً[٤] وناظراً على الوزارة وسائر النظار مصراً وشاما ، ومنفرداً بنظر البيوتات والأشغال المتعلقة بالأستادارية ونظرِ الصحبة ونظر الجيوش ، وكُتب له توقيع لم يكتب لمتعمّم مثله . وصار يجلس بجانب الأمير سلار نائب السلطنة ، فوق كل متعمم من الكتاب ، ونفذ حكمه ومضى قلمه فى سائر أمور الدولة ، ( ٢٣٩ ب ) . فألان الوزير جانبه له وخفض [٥] جناحه بكل ممكن . واستقر عز الدين أيدمر الخطيرى أستاداراً عوضاً عن سنجر الجاولى .

وفيها قدم الرسل الذين توجهوا إلى الملك طقطاى[٦] صاحب بلاد الشمال ، وهم الأمير بَلَبان الصرخدى ورفقته ، ومعهم نامون[٧] رسول طقطاى بهدية سنية ، وكتاب يتضمن أن عسكر مصر تسير إلى بر الفرات ليسير معهم ويأخذ بلاد غازان ، ويكون لكل منهما ما يصل إليه من البلاد . فأكرم الرسول وجهزت له الهدايا ، وأجيب بأن الصلح قد وقع مع خربندا ولا يليق نقضه ، فإن حدث غير ذلك عمل

(١) فى ف « النشاى » . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 134) .

(٢) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، كشاف الألفاظ الاصطلاحية ) .

(٣) فى ف « امرا » .

(٤) يتضح مما يلى أن هذه الوظيفة كانت من مستحدثات ذلك العام ، على أنه كان من مصطلح دولة المماليك أن يلقب الوزير بلقب « مشير الدولة » ، أو « مشير السلطنة » أو « مشير الملوك والسلاطين » . انظر القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٦ ص ٧٠ ) .

(٥) فى ف « حفظ » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٠٨ ب ) .

(٦) فى ف « نقطاى » ، والرسم هنا مما سبق وروده بصفحة ٧ ؛ وسيدأب الناشر على هذا الرسم فيما يلى بغير إشارة أو تعليق .

(٧) كذا فى ف ، وفى ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١١٧ ) .

بمقتضاه ؛ وسير إليه الأمير بدر الدين بكمش(١) الظاهرى ، وفخر الدين أياز الشمسى أمير آخور ، وسنقر (١٢٤٠) الأشقر ، وأحد مقدمى الحلقة .

وفيها نقل شهاب الدين غازى بن أحمد بن الواسطى من نظر الدولة ، ومعه(٢) تاج الدين عبد الرحيم بن السنهورى ، إلى نظر حلب . وسبب ذلك أنه كان يعادى التاج بن سعيد الدولة ، بحيث إنه كان سبباً فى ضرب سنقر الأعسر له بالمقارع أيام وزارته حتى أسلم . وكان طويل اللسان ، يعرف بالتركى ، ويداخل الأمراء ، فإذا دخل ابن سعيد الدولة إلى بيت أمير وهو هناك لا يقوم له ولا يلتفت إليه . فلما تحدث [ ابن سعيد الدولة ] فى أمور المملكة ثقل عليه ابن الواسطى ، وما زال بالأمير بيبرس إلى أن كتب توقيعه بنظر حلب ، وبُعث إليه . فقام(٣) لما جاءه التوقيع ، وقال : « والله لقد كنت قانعاً بجهنم عوضاً (٢٤٠ ب) عن موافقة ابن تعيس الدولة » ، وسار إليها .

وفيها نقل الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى من شد الدواوين بدمشق إلى الحجوبية ، على عادته(٤) فى ثامن ذى الحجة ، واستقر عوضه فى الشد الأمير جمال الدين أقوش الرستمى والى القاهرة بالصفة القبلية ، بعدما التزم بثمانى مائة ألف درهم فى أربع سنين .

وفيها قدم البريد من دمشق بقدوم رجل من بلاد التتر يقال له الشيخ بُرَاق ، فى تاسع جمادى الأولى ، ومعه جماعة من الفقراء نحو المائة : لهم هيئة عجيبة ، وعلى رءوسهم كلاوت(٥) لباد مقصصة بعمائم فوقها ، وفيها قرون من لباد شبه قرون الجاموس فيها أجراس ، ولحاهم محلّقة دون شواربهم ، ولبسهم لباد أبيض ، وقد تقلدوا (١٢٤١) بحبال منظومة بكعاب البقر ، وكل منهم مكسور الثنية العليا ، وشيخهم من أبناء الأربعين سنة ، وفيه إقدام وجرأة وقوة نفس وله صولة ، ومعه طبلخاناه تدق له نوبة ، وله محتسب على جماعته

(١) فى ف « بكمس » . انظر (Zettersteen : Cit. p. 155) .

(٢) فى ف « رفقه » .

(٣) فى ف « فقال » .

(٤) لعل المقصود بذلك أنه ظل على إقطاعه القديم ورواتبه .

(٥) فى ف « كلاوب » ، وهو أحد جموع لفظ كلوتة . انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٩٣ ، ٨٣٠ ) ، وكذلك ( Dozy : Supp. Dict. Ar. ) .

يؤدب كل من ترك شيئاً من سنّته بضرب عشرين عصا تحت رجليه ، وهو ومن معه ملازمون التعبد والصلاة ؛ وأنه قيل له عن زيه ، فقال : « أردت أن أكون مسخرة الفقراء » ؛ وذكر أن غازان لما بلغه خبره استدعاه وألقى عليه سبعاً ضاريا ، فركب على ظهر السبع ومشى به ، فجلّ فى عين غازان ونثر عليه عشرة آلاف دينار ؛ وأنه عندما قدم دمشق كان النائب بالميدان الأخضر فدخل عليه ، وكان هناك نعامة قد تفاقم شرّها ولم يقدر أحد على (٢٤١ب) الدنو منها ، فأمر النائب بإرسالها عليه ، فتوجهت نحوه فوثب عليها وركبها ، فطارت به فى الميدان قدر خمسين ذراعاً فى الهواء حتى دنا من النائب فقال له : « أطير بها إلى فوق شيئاً آخر ؟ » ، قال : « لا ! » ، وأنه أنعم عليه وهاداه الناس . فكُتب بمنعه من القدوم إلى مصر ، فسار إلى القدس ورجع إلى بلاده ؛ وفيهم يقول السراج من موشحة (١) طويلة أولها :

جتنا عجم من جوّا الروم صور تحيّر فيها الافكار
لهم قرونْ مثل الثيران إبليس يصيحْ منهم زنهار

وفيها عاد الأمير طقصُبا ومعه العسكر من بلاد النوبة إلى قوص ، بعد غيبتهم تسعة أشهر ، ومقاساة أهوال فى محاربة السودان وقلة الزاد .

وفيها منع الأميران بيبرس(٢٤٢ا) وسلار المراكب من عبور الخليج المعروف بالحاكمى خارج القاهرة ، لكثرة ما كان يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات، وتبرج(١) النساء فى المراكب وجلوسهن مع الرجال مكشوفات الوجوه بكوافى الذهب على رؤوسهن ، وتعاطيهن الخمر ، وكانت تثور الفتن بسبب ذلك ، وتقتل القتلى العديدة . فلم يدخل الخليج إلا مركب فيها متجر ، وأما مراكب النزهة فامتنعت، وعدّ ذلك من أحسن الأفعال.

وفيها كملت عمارة الجامع الذى أنشأه الأمير جمال الدين أقوش الأفرم بسفح جبل

(١) ليس ما يلى من الموشحات ، وإنما هو من الموالى ، لأن الموشحات يلتزم فيها اللفظ العربى الصحيح ، والموالى لا تتطلب ذلك ، كما بالمتن هنا .

(٢) فى ف « تبهرج » ، والصحيح ما أثبت بالمتن ، وهو إظهار النساء زينتهن للرجال . ( قاموس المحيط ) ، على أن لفظ التبهرج قد جرى فى استعمال المتأخرين بهذا المعنى أيضا ، وفى (Quatremère : Op. Cit. II. 2. p. 269, N. 59) أمثلة كثيرة على ذلك .

قاسُيون ، وخطب به القاضى شمس الدين بن العز الحنفى ، يوم الجمعة رابع عشرى شوال.

وفيها ولى قضاء الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الحسن (٢٤٢ ب) على بن الشيخ صفى الدين أبى القاسم محمد البصروى ، فى تاسع عشرى ذى القعدة ، عوضاً عن شهاب الدين أحمد الأذرَعى .

وفيها قدمت رسل صاحب سيس بالحمل ، بعد ما أطلق مائتين وسبعين أسيراً من المسلمين ، قدموا حلب .

وفيها ولى جلال الدين محمد القزوينى خطابة دمشق ، بعد وفاة شمس الدين محمد ابن أحمد [ بن[1] عثمان ] الخلاطى فى شوال .

وفيها أفرج الأمير سلار عن شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فى آخر يوم من رمضان ، بعد ماجمع القضاة والفقهاء ، وبعثوا إليه ليحضر من الاعتقال فامتنع ، وترددت إليه الرسل مراراً فلم يحضر ، وانفضوا من عند سلار . فاستُدْعى بأخويه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن (٢٤٣ ا) ، وجرى بينهما وبين القاضى [ زين[2] الدين بن مخلوف ] المالكى كلام كثير . ثم اجتمع شرف الدين والمالكى ثانياً عند الأمير سلار ، وحضر ابن عدلان ، وتفرّقوا عن غير شىء .

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر شهاب الدين أحمد بن عبد الكافى بن عبد الوهاب البُلْبَيْنى[3] الشافعى ، أحد نواب القضاة الشافعية خارج القاهرة ، وكان صالحاً ديناً فاضلا. ومات الصاحب شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطا الأذرعى الحنفى الدمشقى ، محتسب دمشق ووزيرها. ومات الأمير عز الدين أيبك الطويل الخازندار المنصورى ، فى حادى عشر ربيع الأول بدمشق ، وكان كثير البر ديّنا . ومات الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح الصالحى النجمى (٢٤٣ ب) ، أصله من مماليك الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ، وصار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فترقى فى الخدم حتى صار من أكبر

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن العماد ( شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٤ ).

(٢) أضيف مابين الحاصرتين مما تقدم بالمتن . ( انظر ص ١٨ ) .

(٣) بغير ضبط فى ف ، وهو وارد فى ب ( ٣٠٩ ب ) برسم « البيلى » ، والنسبة إلى بلدة البلبنا التابعة لمديرية جرجا الحالية . (مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ٨٢) . انظر أيضا الأدفوى (الطالع السعيد ، ص ٤٥ ) ، حيث توجد ترجمة قصيرة لهذا الشيخ .

الأمراء ، وخرج إلى الغزاة غير مرة ، وعُرف بالخير وعلو الهمة وسداد الرأى وكثرة المعروف ؛ ولما قتل المنصور لاجين أجمعوا على سلطنته فأبى ، وأشار بعود الناصر محمد بن قلاون[1] فأعيد ، ومات — بعد ما استرجع[2] إقطاعه — بالقاهرة فى ربيع الأول ، عن ثمانين سنة ، وهو آخر الصالحية ، وإليه ينسب قصر أمير سلاح بالقاهرة . ومات الأمير سيف الدين بَلَبان الجُوكَندار المنصورى ؛ ولى نيابة قلعة صفد وشد الدواوين بدمشق ثم نيابة قلعتها ، ومات وهو نائب حمص بها ( ١٢٤٤ ) ؛ وكان خيرا . ومات الشيخ سيف الدين الرجيحى[3] بن سابق بن هلال بن الشيخ يونس اليونسى شيخ الفقراء اليونسية[4] ؛ قدم من العراق ، فصارت له حرمة وافرة فى الأيام المنصورية قلاون حتى مات ، وله أتباع كثيرة ؛ فخلفه ابنه حسام الدين فضل . ومات الطواشى شمس الدين صواب السهيلى بالكرك عن مائة سنة ، وكان له برّ ومعروف . ومات

---

(١) لم ترد هذه الحقيقة فى موضعها بهذا الوضوح بالجزء الأول من هذا الكتاب ، ( ج ١ ، ص ٨٦٩ ، وما بعدها ) .

(٢) المقصود بذلك أنه ترك الإمرة وتكاليفها وإقطاعها ، وكان ذلك بسبب مرضه . انظر ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٤ ) . وهذه الحقيقة توجب الالتفات فى نظم الحكم المملوكية ، إذ المعروف أن الإقطاع لا يرتجع إلا بموت شاغله أو عزله ، وكان لذلك ديوان خاص اسمه ديوان المرتجعات . انظر القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٣ ) .

(٣) فى ف « رجيحى » فقط . انظر ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٨٢ ) .

(٤) عرف المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ ) هذه الطائفة بأنها من الروافض ، وأن مؤسسها يونس بن عبد الرحمن القمى ؛ ثم تعرض للموضوع مرة ثانية عند ذكر الزاوية اليونسية خارج القاهرة قرب اللوق ، حيث كانت تنزل تلك الطائفة ( نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ ) ، فقال ما نصه : « ويونس المنسوب إليه الطائفة اليونسية غير واحد ، فمنهم يونس بن عبد الرحمن القمى مولى آل يقطين ، وهو الذى يزعم أن معبوده على عرشه تحمله ملائكته ، وإن كان هو أقوى منها ، كالكركى تحمله رجلاه وهو أقوى منهما ، وقد كفر من زعم ذلك ، فإن الله تعالى هو الذى يحمل العرش وحملته ؛ وهذه الطائفة اليونسية من غلاة الشيعة . واليونسية أيضا فرقة من المرجئة ، ينتمون إلى يونس السمرى ، وكان يزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له ، وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة له ، فمن اجتمعت فيه هذه الخلال فهو مؤمن ؛ وزعم أن إبليس كان عارفا بالله ، غير أنه كفر باستكباره عليه . ومنهم يونس بن يونس مساعد الشيبانى ثم المخارقى شيخ الفقراء اليونسية ، شيخ صالح له كرامات مشهورة ، ولم يكن له شيخ ، بل كان مجذوبا ، جذب إلى طريق الخير ، توفى بأعمال دارا فى سنة تسع عشرة وسبعمائة ، وقد ناهز تسعين سنة ، وقبره مشهور يزار ويتبرك به ، وإليه تنسب هذه الطائفة اليونسية » . هذا ويوجد فى الأسفراييني ( كتاب التبصير فى الدين ، ص ٥٩ — ٦٠ ) فرقة يونسية أخرى ، تنسب إلى يونس بن عون ، والرأى عندها : « أن الإيمان فى القلب وفى اللسان ، وحقيقته المعرفة بالله سبحانه والمحبة له والخضوع له والتصديق لرسله وكتبه » .

ضياء الدين عبد العزيز بن محمد بن على الطوسى الشافعى ، بدمشق فى تاسع عشرى جمادى الأولى ؛ وله شرح الحاوى فى الفقه ، وشرح مختصر ابن الحاجب ، ودرّس مدة بدمشق . ومات بدر الدين محمد بن فضل الله بن مُجَلّى (١) العمرى ، أخو كاتبى السر شرف (٢٤٤ب) الدين عبد الوهاب ومحيى الدين يحيى ، وقد جاوز سبعين سنة . ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطى خطيب دمشق ، فجأة فى ثامن شوال ؛ وكان صالحا معتقداً . ومات محمد بن عبد العظيم بن على بن سالم القاضى جمال الدين أبو بكر بن السقطى الشافعى ؛ ولد سنة ثمان عشرة وستمائة ، وناب فى الحكم بالقاهرة أربعين سنة ، ثم تعفف عن الحكم ، ومات بالقاهرة ليلة الاثنين جمادى عشر شعبان . ومات الأمير فارس الدين أصْلم الردادى فى رابع ذى العقدة بدمشق . وفى نصف ذى القعدة مات الأمير سيف الدين كاوركا المنصورى . ومات الأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزورى (٢٤٥ ا) بالقاهرة ، فى سابع عشر ذى الحجة . ومات الطواشى عز الدين دينار العزيزى الخازندار الظاهرى ، يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول ؛ وكان خيراً ديّنا محبا لأهل الخير ، وكان دوادار الملك الناصر (٢) وناظر أوقاف الملك الظاهر . ومات ملك المغرب أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة ؛ وَثبَ عليه سعادة الخصى أحد مواليه فى بعض حجره ، وقد خضب رجليه بالحناء وهو مستلق على قفاه ، فطعنه طعنات قطع بها أمعاءه ، وخرج فأدرك وقُتل ؛ فمات السلطان آخر يوم الأربعاء سابع ذى القعدة ، وأقيم بعده أبو ثابت عامر ابن الأمير ابى عامر بن (٢٤٥ب) السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، فكانت مدته إحدى وعشرين سنة .

* * *

سنة سبع وسبعمائة . فيها ورد الخبر بأن الملك المؤيد هزبر الدين داود ملك اليمن كَثُرَ ظلمه للتجار ، وأخذ أموالهم ، وترك إرسال الهدية إلى مصر على العادة بعد أن عزم

---

(١) فى ف « محلى» . انظر ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٤ ) .

(٢) يظهر أن هنا غلطا ، فليس بين سلاطين المماليك من لقبه الناصر قبل السلطان محمد بن قلاون ، وهو لاحق للسلطان الظاهر بيبرس المنسوب إليه ذلك الطواشى ؛ هذا وليس بين المراجع المتداولة فى هذه الحواشى من كان اسمه دينار بين دوادارية السلطان الناصر محمد بن قلاون حتى تلك السنة .

على تجهيزها ، وقصد أن يبعث الأموال إلى مكة ليقدّم اسمه على اسم سلطان مصر فى الدعاء . فكُتب إليه من قبل السلطان ومن قبل الخليفة أبى الربيع سليمان بالإنذار والإرهاب ، وجُهِّزا على يد نجاب ورُسم لكل من الأمراء المقدمين بعمارة مركب يقال لها جَلْبَة[1] ، وعمارة قياسة[2] لطيفة يقال لها ( ٢٤٦ ا ) فلوة[3] برسم حمل الأزواد وغيرها ، وتسفير ذلك إلى الطور على الظهر ليرمى على بحر القلزم ، لغزو بلاد اليمن . فاشترك كل أمير مقدم ألف ومضافيه فى عمل جلبة وفلوة ، ونُدِب لعملها الأمير عز الدين أيبك الشجاعى الأشقر شاد الدواوين ، وسافر إلى قوص . . .

وفيها ضجر السلطان من تحكم الأميرين بيبرس وسلار عليه ، ومنعه من التصرف ، وضيق يده ، وشكا ذلك لخاصكيته . واستدعى الأميرَ بكتمر الجوكندار أمير جاندار فى خفية ، وأعلمه بما عزم عليه من القيام على الأميرين ، فقرر [الأمير] أن القلعة إذا أغلقت فى الليل ، وحملت مفاتيحها إلى السلطان على العادة ، [و] لبست مماليك (٢٤٦ ب) السلطان السلاح ، وركبت الخيول من الإسطبل ، وسارت إلى إسطبلات الأمراء ، ودُقّت كوسات السلطان بالقلعة دقا حربيا ليجتمع تحت القلعة من هو فى طاعة السلطان ، ويهجم بكتمر الجوكندار فى عدة على بيتى بيبرس وسلار بالقلعة ، ويأخذونهما[4] . وكان لكل من بيبرس وسلار أعين عند السلطان ، فبلغهما ذلك فاحترسا ، وأمرا الأمير سيف الدين بَلَبان الدمشقى والى القلعة — وكان خصيصاً بهما — أن يوهم أنه أغلق باب القلعة ، ويُطرّف[5] أقفالها ، ويعبر بالمفاتيح على العادة ، ففعل ذلك . وظن السلطان ومماليكه أنهم قد حصلوا على غرضهم ، وانتظروا بكتمر الجوكندار أن يحضر إليهم فلم ( ٢٤٧ ا ) يحضر ، وبعثوا إليه فإذا هو مع بيبرس وسلار ، قد حلف لهما على القيام معهما . فلما طلع النهار ظن السلطان أن بكتمر قد غدر به ، وترقّب المكروه من الأمراء .

( ١ ) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٧ ) .

( ٢ ) القياسة – والجمع قياييس – سفينة تستعمل للإبحار فى المياه القليلة العمق ، كشواطىء البحار ، وتكون عادة عريضة المساحة ، قليلة الارتفاع ، بطيئة السير . انظر Dozy: Supp. Dict. Ar ).

( ٣ ) انظر تعريف هذا النوع من السفن فى ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٨٧ ، ٢٧٠ ) .

( ٤ ) فى ف « يأخذوها » .

( ٥ ) المعنى أنه لا يحكم إقفالها ، بأن يجعل ألسنة الأقفال فى الطرف فقط : ( انظر محيط المحيط ) .

وأما بكتمر فإن بيبرس وسلار لما بلغهما الخبر خرجا إلى دار النيابة بالقلعة ، و
بيبرس أن يهجم على بكتمر ويقتله ، فمنعه سلاّر لما كان عنده من التثبت والتؤ
وأشار بالإرسال إليه ليحضر حتى تبطل حركة السلطان . فلما أتاه الرسول تحير و
الامتناع ، والتبس مماليكه السلاح . ثم منعهم وخرج ، فعنّفه سلار ولامه على ماق
فأنكر وحلف لهم على أنه معهم ، وأقام إلى الصباح ، ودخل مع الأمراء إلى الخدمة
الأمير سلار . ووقف أُلزامُ (٢٤٧ ب) بيبرس وسلار على خيولهم بباب الإس
مترقبين خروج المماليك السلطانية ، ولم يدخل أحد من الأمراء إلى خدمة السلطا
وتشاوروا . وقد أشيع فى القاهرة أن الأمراء يريدون قتل السلطان ، أو إخراجه (
الكرك ، فلم تفتح الأسواق ، وخرج العامة والأجناد إلى تحت القلعة . وبقى الأ
نهارهم مجتمعين ، وبعثوا بالاحتراس على السلطان خوفا من نزوله من باب السر . وأ
عدة مماليك ، وأوقفوهم مع الأمير سيف الدين سُمك(٢) أخى سلار على باب الإسط

فلما كان نصف الليل وقع بداخل الإسطبل حِسٌّ وحركة من قيام الم
السلطانية ولبسهم السلاح ، ليزلوا بالسلطان على حية (١٢٤٨) من الإسط
وتوقعوا الحرب ، فمنعهم السلطان من ذلك ؛ وأراد سمك(٣) إقامة الحرمة ،
بالنشاب وضرب الطبل ، فوقع سهم بالرفرف(٤) السلطانى . واستمرّ الحال على
إلى أذان العصر من الغد ، فبعث السلطان إلى الأمراء يقول : « ما سبب الركوب
باب إسطبلى ؟ إن كان غرضكم فى الملك فهل(٥) أنا متطلع إليه ؟ فخذوه وابعثو
موضع أردتم » . فردوا إليه الجواب مع الأمير بيبرس الدوادار والأمير عز

(١) فى ف « يريدون قتل السلطان واخراجه . . . » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١١
(٢) كذا فى ف بغير ضبط ، انظر ما يلى ص ٣٥ ، حاشية ٢
(٣) فى ف « مسك » . انظر الحاشية السابقة .
(٤) الرفرف السلطانى موضع بطرف القلعة الجنوبى على مايظهر مما يلى ، إذ عمره السلطان ا
خليل بن قلاون ، وجعله عاليا يشرف على الجيزة كلها . وكان قد بيضه ، وصور فيه أمرا
وخواصها ، وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها ، وجعله مجلسا يجلس فيه ؛ واستمر جلوس
به حتى هدمه السلطان الناصر محمد سنة ٧١٢ هـ ، وعمل مكانه برجا بجوار الإسطبل السلطانى ، و
المماليك السلطانية ، وهو المعروف باسم برج الرفرف . المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج
٢١٢ — ٢١٣) .
(٥) فى ف « فها ابا » .

أيبك الخازندار والأمير برلُغى الأشرفى، بأن « السبب هو مَنْ عند السلطان من المماليك الذين يحرّضونه على الأمراء » ؛ فعتبهم على ما هو فيه، وأنكر أن يكون أحد[1] من مماليكه ذكر له شيئاً عن الأمراء.

وفى عودهم من عند السلطان (٢٤٨ ب) وقعت ضجة بالقلعة : سببها أن العامة كان جمعهم قد كثر، فلما رأوا السلطان قد وقف بالرفرف، وحواشى بيبرس وسلار قد وقفوا على باب الإسطبل محاصرين، حنقوا من هذا وصرخوا، ثم حملوا يداً واحدة على الأمراء بباب الإسطبل، وهم يقولون : « يا ناصر ! يامنصور ! » . فأراد سُمك[2] قتالهم، فمنعه مَنْ معه من الأمراء. وبلغ ذلك بيبرس وسلار، فأركبا الأمير [ سيف الدين ] بَتْخاص[3] المنصورى فى عدة مماليك إلى العامة، فضربوهم بالدبابيس ليتفرقوا ؛ فاشتد صياحهم : « يا ناصر ! يامنصور ! »، وتكاثر جمعهم ودعاؤهم للسلطان، وصاروا يقولون : « الله يخون من يخون بن قلاون » ؛ وحملت[4] طائفة منهم على بتخاص ورجمته[5] طائفة أخرى، فجرّد السيف ليضعه (٢٤٩ أ) فيهم ؛ ثم خشى العاقبة وأخذ يلاطفهم، وقال : « طيبوا خواطركم، فإن السلطان قد طاب خاطره على الأمراء »، ومازال بهم حتى تفرقوا وعاد.

فبعث الأمراء ثانياً إلى السلطان بأنهم مماليكه وفى طاعته، ولابد من إخراج الشباب[6] الذين يرمون الفتن ؛ فامتنع من ذلك واشتد، فما زال به بيبرس الدوادار وبرلغى حتى أخرج بهم إلى الأمراء، وهم يَلْبُغا التُرجمانى وأيدمر المرقبى وخاص ترك. فهددهم بيبرس وسلار وو بخاهم[7] وقصدا[8] تقييدهم ؛ فلم توافق الأمراء على ذلك رعاية

(١) فى ف « احدا » .

(٢) هذا الاسم مضبوط فى ف بضم السين فقط، وفى (Zetterstéen : Op.Cit.P.152) من اسمه سموك .

(٣) فى ف « بدخاص » بغير ضبط، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 40)، وابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٣٢، ٢٣ )، ومنها أيضاً أضيف ما بين الحاصرتين، وسيدأب الناشر على تصحيح هذا الاسم بتلك الصيغة فيما يلى بغير تعليق .

(٤) فى ف « وحمل » .

(٥) فى ف « ورجمه » .

(٦) سمى المقريزى أولئك الشباب فيما يلى بهذه الصفحة .

(٧) فى ف « بوخهم » .

(٨) فى ف « وقصدوا » .

لخاطر السلطان ، وأُخرجوا إلى القدس من وقتهم على البريد . ودخل جميع الأمراء على السلطان وقبّلوا الأرض ، ثم قبلوا يده ، فأفيضت عليهم الخلع ، وعلى الأمير (٢٤٩ ب) بيبرس وسلار فى ثالثه .

ثم سأل الأمراءُ السلطانَ أن يركب فى أمرائه إلى الجبل الأحمر ، حتى تطمئن قلوب العامة ويعلموا أن الفتنة خمدت ، فأجاب وخرجوا . وبات السلطان فى قلق زائد وكرب عظيم لإخراج مماليكه ، وركب من الغد بالأمراء إلى قبة النصر تحت الجبل الأحمر ، وعاد بعد ما قال لبيبرس وسلار : « إن سبب الفتنة إنما كان من بكتمر الجوكندار » ؛ وذلك أنه رآه قد ركب بجانب الأمير بيبرس وحادثه ، فتذكر غدره به ، وشق عليه ذلك . فتلطفوا به فى أمره فقال : « والله مابقيت لى عين تنظر إليه ، ومتى أقام فى مصر لا جلست على كرسى الملك أبداً » ؛ فأخرج من وقته إلى قلعة الصبيبة فى خامس عشره ، واستقر عوضه أمير (١٢٥٠) جاندار[1] بدر الدين بكتوت الفتاح ، فلما مات سنقر شاه نائب صفد استقر عوضه بكتمر الجوكندار . وتوجه الأمير كراى المنصورى إلى بلدة أدفو بالصعيد ، وهو حنق على الأمير بيبرس الجاشنكير .

وفيها عمّر الأمير بيبرس الجاشنكير الخانكاه الركنية موضع دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة ، ووقف عليها أوقافا جليلة ، فمات قبل فتحها ، وأغلقها الملك الناصر مدة ، ثم أمر بفتحها ففتحت ، ورتّب فيها عدة من الصوفية . وبنى بيبرس أيضاً تربة بها ، فاستمرت مغلقة[2] إلى آخر سنة خمس وعشرين [ وسبعمائة ] . وأنشأ الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب دمشق جامعاً بصالحية دمشق ، وبعث (٢٥٠ ب) يسأل فى أرض يوقفها عليه ، فأجيب بأنه يعيّن ما يختار .

وقدم البريد من حلب بوصول الأمير فتح الدين بن صُبرة ، وقد خلص من بلاد التتار ، ومعه جماعة[3] من أسر من الأجناد فى نوبة سيس ؛ فأعيد له إقطاعه على عادته . وورد كتاب الأمير كراى المنصورى بالشكوى من والى توص ؛ ومن غده قدم

---

(١) عبارة « واستقر عوضه أمير جاندار » مكررة فى ف ، وهذا من غلط الناسخ .

(٢) فى ف « مغلوته » .

(٣) فى ف « حماد » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٣١٢ ) .

كتاب متولى قوص بأن كراى ظلم فلاحيـــه بأدفو ، وأخذ دوابهم ، وعمل زاداً كبيراً ليتوجه إلى بلاد السودان ؛ فكُتب لكراى بالحضور سريعاً ، وكتب لوالى قوص بالاحتراس على كراى وأخذ الطرقات من كل جانب .

وفيها أحضرت خاصكية السلطان من القدس ، وذلك أن الأمير أقوش الأفرم نائب الشام (٢٥١ ا) بعث إلى الأميرين بيبرس وسلار يلومهما على ماوقع من نفى خاصكية السلطان ويشير بردّهم ، وأنه متى لم يرسم بردهم حضر[1] بنفسه وأعادهم . فلم يَسعْهما إلا إحضارهم ، وأنعِم على كلٍ من يلبغا التركمانى وألطُنبغا الصالحى و بَلَبان الزرّاق بإمرة عشرة . واستقرّ شهاب الدين أحمد بن على بن عبادة فى نظر المارستان المنصورى . وقدم الأمير كراى من الصعيد فتمارض فى بيته ، ولم يَطْلع إلى القلعة ، ثم سأل الإعفاء من الإمرة ، وأن يقيم بالقدس بَطّالا[2] ، واعتذر بكثرة أمراضه ، فأجيب إلى ذلك ، وولى نظر القدس والخليل بجارٍ يقوم بكفايته ، وتوجّه من القاهرة ؛ فأنعم بإقطاعه على الأمير سيف الدين بتخاص المنصورى .

(٢٥١ ب) وفيها وقع الاهتمام بالسفر إلى اليمن ، وعوّل الأمير سلار على أن يتوجه إليها بنفسه : وذلك أنه خشى من أن السلطان يدبّر عليه حيلة أخرى ، وقد لايتهيأ له إفسادها فيؤخذ ؛ ومع ذلك فإنه شقّ عليه ما صار فيه الأمير بيبرس الجاشنكير من القوة والاستظهار عليه بكثرة خوشداشيته البرجية ، وأنهم قد صاروا معظم الأمراء ، واشتدت شوكة بيبرس بهم ، وعظمت مهابته وانبسطت يده فى التحكم ، بحيث إنه أخرج الجاولى بغير اختيار سلار ، وانفرد بالركوب فى جمع عظيم . و[قد] قصد البرجية فى نوبة بكتمر الجوكندار أن يخرج السلطان إلى الكرك ، ويُسَلْطَن بيبرس لولا ما كان من صنع[3] سلار (٢٥٢ ا) بسياسة وتدبير

---

(١) فى ف « والا حضر بنفسه » .

(٢) البطال لفظ جرى فى مصطلح دولة المماليك للدلالة على الأمير الذى يزول عنه إقطاعه بعزله عن وظيفته و نفيه ؛ وهناك أيضا لفظ « طرخان » ، ومعناه الأمير المتقاعد دون أن يكون مغضوبا عليه ، وكان لمثل هذا النوع الثانى من الأمراء أن يقيم حيث يشاء . راجع (Poliak: Op. Cit. p. 32 N.7) ، وما به من المراجع .

(٣) فى ف « منع » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣١٢ ب) ، وهى أبلغ وأحس لأداء المعنى المراد .

حتى وقع الصلح مع السلطان مع السلطان . فخاف [ سلار ] عواقب الأمور مع السلطان ومع بيبرس ، وتحيّل فى الخلاص من ذلك بأنه يحجّ فى جماعة من ألزامه وأتباعه ، ثم يسير إلى اليمن ويتملكها ويتمنّع[1] بها . ففطن بيبرس بهذا ، ودسّ إليه من الأمراء من ثنى[2] عزمه عن ذلك . وشُرع فى الاهتمام بعمل المراكب حتى تنجّزت ، وجُهزت الأسلحة والأمتعة ؛ ثم اقتضى الرأى تأخير السفر حتى يعود جواب صاحب اليمن ، فكتب بحضور شاد الدواوين فقدم وهو مريض ، ومازال منقطعا بداره حتى مات ، وعُيّن الأمير سيف الدين نوغاى القبجاقى أمير الركب ، وخرج بالحاج على العادة .

وقدم البريد من حلب ( ٢٥٢ ب ) بقتل هَيْثُوم[3] متملك سيس على يد بعض أمراء المغل : وذلك أن هيتوم كان يحمل القطيعة إلى المغل كما يحملها إلى مصر ، ويحضر إليه كل سنة أمير من أمرائهم حتى يتسلم الحمل ؛ فحضر إليه من أمراء المغل برلغوا ، وقد أسلم وحسن إسلامه ، فعزم على بناء جامع بسيس يعلن فيه بالأذان ، كما تجهر هناك النصارى بضرب النواقيس . فشقّ ذلك على هيتوم ، وكتب إلى خربندا بأن برلغوا[4] يريد اللحاق بأهل مصر ، وبناء جامع بسيس . فبعث [ خربندا ] بالإنكار على برلغوا ، وتهدّده وألزمه بالحضور ؛ فغضب [ برلغوا ] من هيتوم ، وصنع طعاماً ودعاه ، ولم يكن عنده علم بأن برلغوا اطلع على شكواه منه لخربندا ، فحضر وهو آمن فى جماعة من أكابر ( ٢٥٣ ا ) الأرمن وأخوان له . فعندما مدوا أيديهم إلى الطعام أخذتهم السيوف من كل جانب ، فقتلوا عن[5] آخرهم ؛ ولم ينج سوى أخوه ليفون فى نفر قليل ، فلحق بخربندا وأعلمه بقتل برلغوا لأخيه هيتوم وأمرائه ؛ وقدم عليه أيضاً برلغوا ، فقتله بقتله هيتوم ؛ وولّى ليفونَ مملكة سيس وسيره إليها .

(١) كذا فى ف ، والمعنى أن يحتمى بها . ( محيط المحيط ) .

(٢) فى ف « اثنى » .

(٣) فى ف « هينوم » بالنون ، وسيدأب الناشر على هذا التصحيح فيما يلى بغير تعليق . انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥١٠ ، حاشية ١ ) ، وغير ذلك من الصفحات المبينة بكشاف الأسماء هناك .

(٤) فى « برلغى » ، وقد رؤى إيراد هذا الاسم حسبما ورد سابقا بهذه الصفحة حتى لا تختلط العبارة على القارىء .

(٥) فى ف « من عند آخرهم » ، وهو تعبير غريب .

وفيها بعث الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب الشام عدة عسكر إلى الرحبة ، مع الأمير علاء الدين أيدغدى شقير مملوك منكوتمر ، وردفه بالأمير قطلوبك الكبير ، ثم بالأمير بهادر آص .

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذراعاً وإحدى وعشرين إصبعاً . وهبّ فى برمهات الموافق لشوال من جهة الغرب (٢٥٣ ب) ريح عند إدراك الغلال ، فهافت(١) وجفّ أكثرها ، فلم يحصل منها عند الحصاد إلا اليسير ، ومنها ما كان أقل من بذاره . فتميّز سعر الغلة ، وأبيع الأردب القمح بخمسين درهما ، ثم انحط .

وفيها استقر الأمير بيبرس العلائى الحاجب فى نيابة غزة ، عوضاً عن الأمير أقجبار .

وفيها سار من دمشق إلى الرحبة عسكر عليه الأمير علاء الدين أيدُغدى الشقيرى ، والأمير سيف الدين قطلوبك(٢) [ والأمير ] بهادر [ آص ](٣) .

وفى العشرين من رجب توجه الأمير جمال الدين أقوش نائب الشام لزيارة القدس ، ومعه جماعة من أعيان دمشق ، وعاد فى تاسع شعبان .

وفى سابع عشرين رجب توجّه ركب العُمّار إلى مكة ، صحبة الأمير عز الدين الكوكندى (٢٥٤ا) ، وكان معهم الشيخ نجم الدين بن عبود ، والشيخ نجم الدين بن الرفعة .

وفيها خرج الأمير شرف الدين أحمد بن قيصر التركمانى والأمير بدر الدين بيليك المحسنى إلى برقا(٤) فى شوال .

وفيها قدم الأمير مهنا بن عيسى ، فأكرمه السلطان وأخلع عليه ، فتحدّث فى خلاص شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فأجيب ، وخرج بنفسه إلى الجب بالقلعة وأخرجه منه . ونزل [ ابن تيمية ](٥) بدار الأمير سلار النائب ، وعُقد له

(١) فى ف «هافت» .

(٢) فى ف « تطلبك » . انظر ص ٣٨ ، ويلاحظ أن كلا من الصيغتين صحيح ، وذلك حسبما ورد فى (Zetterstéen : Op . Cit . pp.54, 57 etc.) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق .

(٤) كذا فى ف ، فإذا كان المقصود بذلك بلدة « برقاء » من قرى الصعيد الأدنى قرب ألصنا وجبت كتابتها بهمزة فى آخرها ، أما إذا كان المقصود إقليم برقة المعروف ــ وهو الراجح ــ فيلزم تعديلها إلى ذلك الرسم بتاء مربوطة . انظر ياقوت ( معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٦٩ ، ٥٧٣ ، وما بعدها ) .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ١٤٥ ) ؛ وكان الأمير سلار ينتصر لابن تيمية ، وربما كان ذلك لمجرد أن غريمه الأمير بيبرس كان متعصباً عليه .

مجلس حضره ابن الرفعة والتاجي(١) وابن عدلان والنمراوى وجماعة الفقهاء ، ولم تحضر القضاة ، وناظروا ابن تيمية ثم انفضوا ، ثم عُقد له بعد سفر مهنا بن عيسى مجلس آخر بالصالحية . ثم قام تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم (٢٥٤ ب) بن عطاء ، وشيخ سعيد السعداء ، وجمعوا فوق الخمسمائة رجل ، وساروا إلى القلعة وتبعهم العامة ، وشكوا من ابن تيمية أنه يتكلم فى مشايخ الطريقة ؛ فرُد أمرهم إلى القاضى الشافعى ، فدفعه عنه إلى تقى الدين على بن الزواوى المالكى ، فحكم بسفر ابن تيمية إلى الشام ، فسار على البريد وحُبس بها .

وفيها بنى الأمير أسندمُر نائب طرابلس قلعة مكان حصن صنجيل(٢) ، وبنى الأمير قراسنقر نائب حلب قلعة حارم التى خربها هولاكو .

ومات فى هذه السنة الأمير عز الدين أيدمُر السنانى بدمشق ، وله شعر جيد ومعرفة بتعبير المنامات ، ومن شعره :

تخذ النسيم إلى الحبيب رسولا ... دنف حكاه رقةً ونحولا
تجرى العيون من العيون صبابة ... فيسيل فى أثر الغريق سيولا
ويقول من حسد له ياليتنى ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومات الأمير سيف الدين بَيْبُغا الناصرى [فى شعبان](٣) ، وترك مالا كبيراً . ومات الأمير ركن الدين بيبرس الجالق(٤) العجمى أحد البرجية(٥) الصالحية ، [و] كبير الأمراء

---

(١) فى ف « الناجى » .

(٢) فى ف « منحل » ، وفى ب (٣١٢ ا) « منجيل » ، والرسم المثبت هنا من :Quatremère) Op. Cit. II. 2, p. 281) وهذا الموضع هو الذى بناه الكونت رايموند الصليبى المعروف باسم الصنجيل ( St. gilles ) ، سنة ١١٠٤ م ( ٤٨٧ هـ ) على مقربة من طرابلس ، وسماه باسم تل الحجاج ( Mons peregrinus ) ، وقد زحف منه يريد الاستيلاء على طرابلس نفسها سنة ١١٠٥ م . انظر (Le Strange : palestine Under The Moslems. pp. 350, 538 ; Stvenson : The Crusaders In The East. p. 54, et Seq. )

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٣١٣ ب ) .

(٤) شرح ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٧ ) ، هذا اللفظ التركى بالآتى : « والجالق باللغة التركية اسم للفرس الحاد المزاج الكثير اللعب » .

(٥) عبارة ( البرجية الصالحية ) توجب الالتفات ، فلفظ الصالحية نسبة إلى الملك الصالح أيوب ، آخر سلاطين الأيوبيين بمصر إلا واحداً ، ولاشك فى هذه النسبة لأنه لايوجد من بين سلاطين مصر من بعده حتى عهد الناصر بن قلاون من لقبه الصالح غيره ، كما أنه لاشك أيضاً فى أن الأمير ركن الدين بيبرس الجالق المذكور هنا — وقد عاش نحو ثمانين سنة — قد حضر عهد السلطان الصالح أيوب ، وكان من مماليكه . لكن المعروف أن لفظ ( البرجية ) من اختراع السلطان قلاون ، إذ المتواتر فى الكتب =

بدمشق ، عن نحو الثمانين سنة ، فى نصف جمادى الأولى بمدينة الرملة ؛ وكان ديّنا له ثروة وفيه خير : كان يقرض الأجناد عند تجردهم ، ويمهلهم حتى يتيسر لهم ، فعدم له فى ذلك مال كبير . ومات شمس الدين خضر بن الحلبي المعروف بشَلَّحُويَة[1] والى القاهرة ، وكان أبوه خازندار السلطان صلاح الدين يوسف صاحب حلب ودمشق ؛ وقدم الخضر ( ٢٥٥ ب ) إلى القاهرة ، واستقر فى ولايتها فى الأيام الظاهرية بيبرس والأيام المنصورية[2] قلاون ، ثم نقله الأشرف خليل بن قلاون إلى شد الدواوين ؛ وكان ناهضاً أميناً فى جميع مايليه ، مع المعرفة والديانة والمروءة ؛ وكان إذا أراد أن يضرب أحداً قال « شلحونه » ، فعرف بذلك . ومات خطلوشاه نائب التتر ؛ وكان مقدمهم يوم شقحب ، وكان كافراً فاجراً . ومات الأمير علاء الدين مغلطاى البيسرى[3] ، أحد أمراء دمشق ، ليلة الاثنين ثانى جمادى الأولى ؛ وكانت له مروءة وشجاعة . ومات الطواشى شهاب الدين فاخر المنصورى مقدم المماليك ؛ وكانت له سطوة ومهابة[4] . ومات الشيخ عمر بن يعقوب ( ٢٥٦ ا ) بن أحمد السعودى ، فى يوم الأربعاء ثانى رجب ؛ وكان رجلا صالحاً معتقداً . ومات الصاحب تاج الدين محمد ابن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن

= كالمقريزى مثلا ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٥٦ ) أنه كان قد أفرد من مشترياته من المماليك ثلاثة آلاف وسبعمائة من الآص والجركس ، جعلهم فى أبراج القلعة وسماهم البرجية ، فإذا صح أن لفظ الصالحية هنا نسبة إلى الملك الصالح أيوب — وليس لدينا ما ينقض ذلك — فإن لفظ البرجية يرجع أصله إلى ما قبل عهد قلاون ، وينبنى عليه أن ما تواضع عليه المؤرخون من تسمية دولة المماليك الثانية باسم البرجية ، نسبة إلى مماليك قلاون المعروفين بذلك الاسم ، ليس بنجوة من الشك والتجريح . على أنه من الواجب العلمى أن يذكر هنا أن ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٧ ) وقد ذكر فى وفاة هذا الأمير أنه « كان أحد البحرية » ، غير أن ذلك لا يقطع بخطأ المقريزى أو ناسخه ، وتقرير تلك المسألة كلها موقوف على مراجعة جميع النسخ الخطية من هذا الكتاب ، وكتاب السلوك للمقريزى وغيرها من الكتب أيضاً ، ولا سيما كتب المعاصرين لأوائل القرن الثامن الهجرى .

(١) انظر مايلى بهذه الصفحة سطر ٨ .

(٢) فى ف « والأيام القلاونيه » والصيغة المثبتة هنا من ب (٣١٣ ب) وهى أحسن لانسجامها مع بقية العبارة .

(٣) فى ف « البشيرى » وهو فى ب ( ٣١٣ ب ) برسم « انتترى » والصيغة المثبتة هنا من ابن حجر ( الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٥٥ ) ، حيث وردت ترجمة قصيرة لهذا الأمير .

(٤) وصف ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٢٢٨ ) هذا الطواشى وصفاً يدل على شىء من أساليب تربية المماليك السلطانية ونصه : « وكانت له سطوة ومهابة على المماليك السلطانية : بحيث أنه كان لا يستجرىء أحد أن يمر من بين يديه كائنا من كان ، بحاجة أو بغير حاجة ، وحيثما وقع بصره عليه أمر بضربه » .

رِحنا (١) — ومولده فى تاسع شعبان سنة أربعين وستمائة ، وجدّه لأمه الوزير شرف الدين صاعد الفائزى — ، فى يوم السبت خامس جمادى الآخرة . ومات شرف الدين محمد بن فتح الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد القيسرانى ، أحد موقعى الإنشاء بالقاهرة ، فى أول شعبان . ومات أبو عبد الله بن مطرف الأندلسى ، بمكة فى رمضان عن نيف وتسعين سنة ؛ وقد جاور بها ستين سنة ، وصار شيخ الحرم ، لحمل الشريف حميضة نعشه . ومات الشيخ (٢٥٦ ب) عثمان بن جوشن السعودى . ومات الشيخ عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ظافر الشيرازى المصرى ، فى خامس ربيع الأول ؛ ومولده فى ذى الحجة سنة ثمان عشرة وستمائة . ومات أقضى القضاة جمال الدين أبو بكر محمد بن عبد العظيم بن على بن سالم بن السقطى الشافعى ، فى ليلة الاثنين حادى عشر شعبان ؛ ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة ؛ وأخرج له التقى الأسعردى مشيخة .

* * *

سنة ثمان وسبعمائة . فى أولها قدم مبشرو الحاج بأن الأمير نوغاى حارب العبيد بمكة : وذلك أنهم كثر تخطّفهم أموال التجار ، وأخْذُهم من الناس (٢٥٧ ا) بالغصب ما أرادوا ؛ فلما وقف بعضهم على تاجر ليأخذ قماشه منعه ؛ فضربه ضربا مبرحا ، فثار الناس وتصايحوا . فبعث نوغاى مماليكه إلى العبيد ، فأمسكوا بعضهم وفرّ باقيهم بعد ما جرحوا ؛ فركب الشريف حميضة بالأشراف والعبيد للحرب ، وركب نوغاى بمن معه ، ونادى ألا يخرج أحد من الحاج وليحفظ متاعه ، وساق فإذا طائفة من السَّرْوِيين (٢) قد فروا من الخوْف إلى الجبل ، فقتل منهم جماعة ظنا أنهم من العبيد ، فكف حُميضة عن القتال ؛ وما زال الناس بنوغاى حتى أمسك عن الشر .

وقدم البريد من حلب بأن طائفة من المغل قدموا إلى الفرات ، فخرج العسكر إليهم ؛ فلما ساروا سقط الطائر من (٢٥٧ ب) قلعة كركر بنزول المغل عليها ونهب التركمان وأخذهم ؛ فكتب إلى العسكر المجرد بنجدتهم ، فكبسوا المغل فى الليل وقتلوهم ، واستردوا ما أخذوه

(١) ضبط هذا الاسم من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٨) .

(٢) المقصود بالسرويين هنا أهل قرية سرو ، وهى قرية كبيرة مما يلى مكة ، وكذلك أهل غيرها من السروات أو الجهات الجبلية المحيطة بمكة ؛ وكانوا يحضرون فى موسم الحاج — على ما يظهر — لحمل الميرة وجلبها ، وهم حسبما جاء فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٦ — ٨٧) قوم غتم بالوحش أشبه .

من كركر ، وأسروا منهم ستين رجلا ، وغنموا عدة خيول .

وفيها أفرج عن الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من البرج بالقلعة ، وأسكن بدار الأمير عز الدين الأفرم بمصر ، فى ربيع الأول .

وفى ثالث ربيع الآخر فُوِّضت الخطابة بجامع قلعة الجبل لقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، عوضاً عن الشيخ شمس الدين محمد الجزرى .

وفيها وصلت رسل سيس بالحمل على العادة ، ومن جملته طشتٌ ذهبٌ مرصّع (٢٥٨ ا) بالجوهر .

وفيها عدّى السلطان إلى برّ الجيزة ، وأقام يتصيد نحو عشرين يوماً ؛ وعاد وقد ضاق صدره واشتد حنقه ، وصار فى غاية الحصر من [ تحكم ] (١) بيبرس وسلار عليه ، وعدم تصرفه ومنعه من كل ما يريد حتى إنه ما يصل إلى ما يشتهى أكله لقلة المرتب ، فلولا ما كان يتحصل له من أوقاف أبيه لما وجد سبيلا إلى بلوغ بعض أغراضه . فأخذ فى العمل لنفسه ، وأظهر أنه يريد الحج بعياله ، وحدّث بيبرس وسلار فى ذلك يوم النصف من رمضان ، فوافقاه عليه . وأعجب البرجية سفرُه لينالوا أغراضهم ، وشرعوا فى تجهيزه ، وكتبوا إلى دمشق والكرك وغيره برمى الإقامات ، وأُلزم عرب الشرقية بحمل الشعير ، فتهيأ ذلك . وأحضر الأمراء (٢٥٨ ب) تقادمهم وتأنقوا فيها ، فقبلها [ السلطان ] وشكرهم على ذلك ؛ وركب فى خامس عشرى رمضان يريد السفر ، ونزل من القلعة ومعه الأمراء ؛ وخرج العامة وتباكوا حوله ، وتأسفوا على فراقه ، ودعوا له إلى أن نزل بركة الحاج . وتعيّن للسفر معه من الأمراء عز الدين أيدمر الخطيرى الأستادار عوضاً عن الجاولى ، وسيف الدين آل ملك الجوكندار ، وحسام الدين قرا لاجين أمير مجلس ، وسيف الدين بلبان أمير جاندار ، وعز الدين أيبك الرومى السلاح دار ، وركن الدين بيبرس الأحمدى ، وعلم الدين سنجر الجقدار ، وسيف الدين بقطاى الساقى ، وشمس الدين سنقر السعدى النقيب ؛ ومن المماليك خمسة وسبعون نفراً . وودّعه (٢٥٩ ا) بيبرس وسلار فيمن معهم من الأمراء وهم على خيولهم من غير أن يترجّلوا له ، وعاد الأمراء .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣١٤ ب) .

ورحل [ السلطان ] من ليلته ، وعرّج إلى جهة الصالحية وعيّد بها ، وسار إلى الكرك ومعه رحل الخاص مائة وخمسون فرساً ، فقدمها يوم الأحد عاشر شوال . فاحتفل الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى المعروف بنائب الكرك بقدومه ، وقام بما يليق به ، وزيّن القلعة والمدينة ، وفتح باب السر ومدّ الجسر ، وكان له مدة لم يمدّ ، وقد سار خشبُه ، فلما عبرت الدواب عليه . وأتى السلطان فى آخرهم انكسر الجسر تحت رجلى فرسه بعد ما تعدى يديه الجسر ، فكاد يسقط إلى الخندق لولا أنهم جبذوا العنان حتى خرج من الجسر وهو سالم ؛ وسقط ( ٢٥٩ ب ) الأمير بلبان طرنا أمير جاندار ، وجماعة لم يمت منهم سوى رجل واحد .

وعند ما استقر السلطان بقلعة الكرك عرّف الأمراء أنه قد انثنى عزمه عن الحج ، واختار الإقامة بالكرك ، وترك السلطنة ليستريح خاطره ؛ فشقّ عليهم ذلك ، وبكوا وقبلوا له الأرض يتضرعون إليه فى ترك هذا الخاطر ، وكشفوا رؤسهم فلم يرجع إليهم ؛ وقال [ السلطان ] للخطيرى : « قد أخذ بيبرس الجاشنكير السلطنة ولا بد » ، ثم استدعى علاء الدين على بن أحمد بن سعيد بن الأثير ، وكان قد توجه معه ، وكتب إلى الأمراء بالسلام عليهم ، وأنه رجع عن الحج وأقام بالكرك وترك السلطنة ، ويسأل الإنعام عليه بالكرك والشوبك ، وأعطاه للأمراء ( ٢٦٠ ا ) وأمرهم بالعود ، وأعطاهم الهجن — وعدتها خمسمائة هجين — والجمال والمال الذى قدمه له الأمراء ؛ فساروا إلى القاهرة .

واستولى السلطان على ما كان فى الكرك من المال ، وهو ستمائة ألف درهم فضة وعشرون ألف دينار ، وقيل بل وَجدَ سبعة وعشرين ألف دينار وسبعمائة ألف درهم . واستدعى أهل الكرك ، فحلّفهم له الأمير جمال الدين نائب الكرك ، وأمرهم فحملوا له أحجاراً كثيرة إلى القلعة ، فلم يبق أحد حتى حمل إليه الحجارة من الوادى . فلما حصل نائب الكرك والناس فى الوادى لنقل الحجارة ، بعث السلطان إلى النائب أن يتوجه إلى مصر وينقل ماله بالكرك ، و [ بيّن له ] أن أهل القلعة لا سبيل ( ٢٦٠ ب ) إلى مجاورتهم له بها ولا إقامتهم بالمدينة ، « فإنى أعلم كيف باعوا الملك السعيد بن الظاهر بالمال لطرنطاى ، وقد مكنتُ حريمهم وأولادهم من النزول إليهم » . فامتثل النائب الأمر وأخذ حريمه ، وقدّم للسلطان ما كان له من الغلال وهى شىء كثير فقبلها ، وأخذ أهل القلعة حريمهم وتفرّقوا فى البلاد .

وأقام [ السلطان ] الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى فى نيابة قلعة الكرك ، فصار هو وأخوه الحاج أرقطاى وأرغون الدوادار مقيمين على عُلو القلعة ؛ وبعث إلى عرب الشوبك بأن يكونوا فى الخدمة برسم الصيد . وكان حريم السلطان قد توجه إلى الحجاز من القاهرة فى سابع عشر شوال ، فلما دخل السلطان إلى ( ٢٦١ ا ) الكرك بعث فى طلبهم ، فأدركهم وهم على عقبة أيلة مع الأمير جمال الدين خضر بن نوكيه ، فقدم بهم إلى الكرك .

ووصل الأمراء إلى قلعة الجبل فى يوم الجمعة ثانى عشرى شوال ، واجتمعوا عند الأمير سلار النائب بدار النيابة من القلعة ، وقرئ كتاب السلطان عليهم فبهتوا ، ثم اشتوروا فيمن يقوم بالملك ، فاختار أكابر الأمراء سلار لعقله وتودده ، واختار البرجية بيبرس ؛ فلم يجب سلار إلى ذلك ، وخاف البرجية لئلا يجيب ، فقاموا وانفض المجلس . وخلا كل من أصحاب بيبرس وسلار بصاحبه ؛ وحسّن له القيام بالسلطنة ، وخوّفه عاقبة تركها ، وأنه متى ولى غيره لا يوافقوه بل يقاتلوه . وبات البرجية تغلى مراجلهم ( ٢٦١ ب ) خوفا من ولاية سلار ، وسعى بعضهم إلى بعض ، وكانوا أكثر جمعاً من أصحاب سلار ؛ وأعدوا السلاح وتأهبوا للحرب ، فبلغ ذلك سلار فخشى سوء العاقبة ، واستدعى الأمراء إخوته وحفدته ومن ينتمى إليه ، وقرر مع عقلائهم سرا موافقته على مايشير به ـ وكان مطاعا فيهم ـ فأجابوه ؛ ثم خرج إلى شباك النيابة [1] .

## السلطان الملك المظفر
## ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى

جلس على تخت الملك فى يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة ؛ وذلك أنه لما أصبح يوم السبت جلس الأمير سلار النائب ( ٢٦٢ ا ) بشباك دار النيابة ؛ [ و ] حضر بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء واشتوروا فيمن يلى السلطنة . فقال الأمير أقوش قتال السبع والأمير بيبرس الدوادارى والأمير أيبك الخازندار ،

(١) هنا ينتهى ماترجمه (Quatremère) من كتاب السلوك للمقريزى ، باسم (Histoire des Sultans Mamlouks) ، وقد اعتمد الناشر على تلك الترجمة فى إخراج ما تقدم من ذلك الكتاب اعتماداً تنبئ عنه الحواشى ، ولا أقل هنا من الاعتراف بأنه لولا تلك الترجمة لما استطاع أن يصل إلى هذه المرحلة من عمله الطويل .

وهم أكابر المنصورية : « ينبغى استدعاء الخليفة والقضاة وإعلامهم بما وقع » ؛ فخرج الطلب لهم وحضروا ، فقرئ عليهم كتاب السلطان ، وشهد عند قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف [ المالكى ] (١) الأميران عز الدين الخطيرى والحاج آل ملك ، ومن كان معهم من الأمراء ، بنزول الملك الناصر عن المملكة وترك سلطنة مصر والشام ، فأثبت ذلك . وأعيد الكلام فيمن يصلح ، فاشار الأمراء الأكابر بالأمير سلار (٢٦٢ ب) ، فقال : « نعم ! على شرط أن كل ما أشير به لا تخالفوه » ، وأحضر المصحف وحلفهم على موافقته ، وألا يخالفوه فى شىء . فقلق البرجية ولم تبق إلا إقامتهم الفتنة ، فكفهم الله عن ذلك وانقضى الحلف . فقال سلار : « والله يا أمراء أنا ما أصلح للملك ، ولا يصلح له إلا أخى هذا » ؛ وأشار إلى بيبرس الجاشنكير ، ونهض قائماً إليه ؛ فتسارع البرجية وقالوا بأجمعهم : « صدق الأمير » ، وأخذوا بيد بيبرس وأقاموه كرها ، وصاحوا بالجاوشية فصرخوا باسمه . وكان فرس النوبة عند الشباك ، فألبسوه تشريف الخلافة : وهى فرجية أطلس أسود وطرحة ، وتقلد بسيفين على العادة . ومشى سلار والناس بين يديه (٢) من دار النيابة (٢٦٣ ا) بعد العصر حتى ركب ، وعبر من باب القلة إلى الإيوان ؛ وجلس على التخت ؛ ولقب بالملك المظفر ، وصار يبكى بحيث يراه الناس . ثم قام إلى القصر ، وتفرق الناس بعد ما ظنوا كل ظن من وقوع الحرب بين السلارية والبيبرسية . فكانت مدة سلطنة الملك الناصر هذه عشر سنين وخمسة أشهر وسبعة عشر يوما .

ولما استقر الملك المظفر فى مملكة مصر اجتمع الأمراء بالخدمة على العادة فى يوم الاثنين خامس عشريه ؛ فأظهر التغمم بما صار إليه ، وخلع على الأمير سلار خلعة النيابة على عادته ، بعد ما استعفى وطلب أن يكون من جملة الأمراء ، حتى قال له : « إن لم تكن أنت نائبا فلا أعمل (٣) أنا السلطنة » ، وقامت عليه (٢٦٣ ب) الأمراء . ثم كتب إلى الأعمال باستقرار الملك المظفر فى السلطنة ، وتوجه الأمير بيبرس الأحمدى إلى حلب ، والأمير بلاط إلى حماة ، والأمير عز الدين أيبك البغدادى وزير

(١) انظر ص ٣٠ ، سطر ١٣ .
(٢) الضمير عائد على بيبرس .
(٣) كذا فى ف ، انظر أيضاً ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ٣٥ ) .

بغداد وسيف الدين ساطى (١) إلى دمشق على البريد.

وطُلب التاج بن سعيد الدولة ، وعُرضت عليه الوزارة ؛ فامتنع منها وصمّم ، وأشار باستمرار الصاحب ضياء الدين النشائى ، فخلع عليه وعلى التاج . واستمر [ ابن سعيد الدولة ] فى نظر الجيش ، والإشارة فى أمر الوزارة والتوقيع ، ونزلا . وقد عظم أمر التاج حتى كانت تعرض عليه أجوبة النواب ، ولا يكتب السلطان على شىء ما لم يَر خطه ؛ فشقّ ذلك على شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب (٢٦٤ ا) السر ، وخيّل السلطان من حدوث الفساد بسبب ذلك ، فمنعه من الوقوف على الأجوبة والكتابة عليها ، وأمضى له ماعدا ذلك .

وكُتب للملك الناصر تقليد بنيابة الكرك ومنشور بإقطاع مائة فارس ، وجهز إليه وقُرِن (٢) بهما كتاب الملك المظفر : « بأنى أجبت سؤالك فيما اخترته ، وقد حكم الأمراء علىّ فلم تمكن مخالفتهم ، وأنا نائبك » ؛ وخرج بها (٣) الأمير الحاج آل مَلك فلما وصل إليه أظهر البشر ، وأمر الحراس أن يصيحوا باسم الملك المظفر ، وخطب له يوم الجمعة أيضاً على منبر الكرك ، وأنعم على البريدى وأعاده ؛ فسُرّ المظفر بذلك .

وقدم البريد من ممالك الشام بالطاعة وحِلفِهم ، ماعدا الأفرم نائب ( ٢٦٤ ب ) دمشق ، فإنه لما قدم عليه وزير بغداد بالخبر قال : « بئس والله مافعله الملك الناصر بنفسه ! ، وبئس ما فعله بيبرس ! وأنا لا أحلف لبيبرس — وقد حلفت الملك الناصر — ، حتى أبعث إلى الناصر » ؛ ثم سيّر جماعة إلى الكرك على البَرِيد بكتابه ، فأعاد [الناصر] الجواب بالشكر والثناء ، وأنه قد ترك الملك ، فليحلف لمن يُوَلونه (٤) ؛ وقدم [ البريدى بذلك إلى دمشق ] فى يوم الخميس خامس عشر ذى القعدة ، فاجتمع الناس من الغد بالجامع وقرئ تقليد الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام على عادته ، وخُلع على محيى الدين يحيى بن فضل الله كاتب السر ، وأنعم على الأمير برلغى بإقطاع السلطان قبل سلطنته ، وأنعم بإقطاع برلغى على بتخاص ، ( ٢٦٥ ا ) وبإقطاع بتخاص على الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك . وخُطب للملك

---

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٤٤ ، حاشية ١ ، ص ١٤٥ ) ، وهو فى ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٣٥ ، وحاشية ١ بنفس الصفحة ) برسم « شادى » .

(٢) فى ف « وقرينه » ، وهو تعبير صحيح ، على أن الصيغة المعدلة بالمتن أوضح .

(٣) الضمير عائد على التقليد والمنشور وكتاب السلطان بيبرس . (٤) فى ف « يولوه » .

المظفر ، ونودى بدمشق فزينت ، وعاد وزير بغداد وساطى [١] إلى القاهرة .

فركب الملك المظفر بشعار السلطنة بعد ما جُدّدت له الولاية بالسلطنة من الخليفة ، وخلع على أرباب الدولة ما بين صاحب سَيف وربّ قلم ، فبلغت عدة الخلع إلى ألف ومائتى خلعة . وكتب له تقليد السلطنة من إنشاء علاء الدين على بن عبد الظاهر ، ونزل من قلعة الجبل بكرة يوم السبت سابع عشره ، وسَيّر بالميدان الأسود ومعه الأمراءُ وعليه التشريف : وهو فرجية سوداء بطرز ذهب وشاش أسود ملمع بقطع ذهب ولفّته مدورة ، والسيفان على ( ٢٦٥ ب ) عاتقيه ، والوزير ضياء الدين قدامَه على فرس ، والتقليد على رأسه فى كيس حرير أسود ، بعد ما قرئ بالقلعة [٢] على الأمراء .

وورد الخبر بأن متملك قبرس [٣] اتفق مع جماعة من ملوك الفرنج على عمارة ستين قطعة لغزو دمياط ، فجمع السلطان الأمراء وشاورهم ، فاتفقوا على عمل جسر مادّ من القاهرة إلى دمياط خوفاً من نزول الفرنج أيام النيل ؛ ونُدب لذلك الأمير جمال الدين أقوش الرومى الحسامى ، وأمر ألا يراعى أحداً من الأمراء فى تأخير رجال بلاده ؛ ورسم للأمراء أن يخرج كل منهم الرجال والأبقار ، وكتب إلى الولاة بالمساعدة [٤] والعمل ، وأن يخرج

(١) فى ف « شاطى » ؛ انظر ص ٤٧ ، حاشية ١ .

(٢) يلاحظ القارئ أن هذا وصف دقيق لموكب السلطان المملوكى غداة تقليده السلطنة . انظر أيضاً وصف حفلة انتخابه وإعلانه سلطانا فى ص ٤٦ .

(٣) كان ملك قبرس تلك السنة هنرى الثانى لوسيجنان (Henry II, Lusignan, 1285-1324 A.D.) وهو ممن هرب من وقعة عكا سنة ١٢٩١ م ( ٦٩٢ هـ ) ، التى انتهت بها دولة الصليبيين من الشام ، على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاون . وقد أخذ هنرى الثانى وغيره من ملوك أوربة ، وباباواتها وأصحاب الرأى فيها ، يدعون من بعد تلك الوقعة الحاسمة إلى معاودة الحرب ضد سلاطين المماليك لإعادة الدولة الصليبية إلى مكانها القديم . وكتبت من أجل ذلك تقارير ، وجهزت مشاريع حربية ، ومنها مشروع (Jaques Molay) رئيس الداوية (Grand Master of the Templars) ، وهو المشروع الذى قدم إلى البابا كلمنت الخامس (Clement V) بمدينة أفنيون (Avignon) سنة ١٣٠٧ م ( ٧٠٧ هـ ) ، أى السنة السابقة لما ورد بالمتن هنا من خبر بصدد الخطر الصليبى ؛ ومن تلك المشاريع أيضاً ما قدمه هنرى الثانى نفسه للمجلس الدينى المنعقد فى فين (Vienne) سنة ١٣١١ م : (٧١١ هـ) ، أى بعد الخبر الوارد هنا ببضع سنين . غير أنه لا يوجد بالمراجع الأوربية المعروفة ما يدل على أن شيئاً من تلك المشاريع الصليبية كان فى حيز التنفيذ حوالى ذلك الوقت ، فالراجح أن أخبار تلك المشاريع كانت تصل إلى القاهرة كأنها حوادث توشك أن تقع بالبلاد (A.S.Atiya : The Crusade In The Later Middle Ages. PP.29-73) ، انظر أيضاً (Lang : Cyprus. P. 177)

(٤) فى ف « المساعده » .

كل والٍ برجاله. وكان أقوش (٢٦٦ ا) مهاباً عبوساً قليل الكلام، له حرمة فى قلوب الناس؛ فلم يصل إلى فارسكور حتى وجد ولاة العمل قد نصبوا الخيم وأحضروا الرجال، فاستدعى المهندسين ورتّب العمل. فاستقر الحال على ثلاثمائة جُرافة[1] بستمائة رأس بقر وثلاثين ألف راجل، وأُحضر إليه نواب جميع الأمراء. فكان يركب دائما لتفقد العمل واستحثاث الرجال، بحيث إنه فقد بعض الأيام شاد الأمير بدر الدين الفتاح ورجاله، فلما أتاه بعد طلبه ضربه نحو الخمسمائة عصاة. فلم يغب عنه بعد ذلك أحد؛ ونكّل بكثير من مشايخ العربان، وضربهم بالمقارع وخزم آنافهم وقطع آذانهم، ولم يكد يسلم منه أحد من أجناد (٢٦٦ ب) الأمراء ومشدّى البلاد؛ ومازال يجتهد فى العمل حتى نجز فى أقل من شهر؛ و[كان] ابتداؤه من قليوب وآخره بدمياط، يسير عليه الراكب يومين، وعرضه من أعلاه أربع قصبات، ومن أسفله ست قصبات، يمشى ستة[2] فرسان صفا واحداً. وعم النفع به، فإن النيل كان فى أيام الزيادة يعلو حتى تنقطع الطرقات ويمتنع الوصول إلى دمياط. وحضر بعد فراغه الأميرُ أقوش [إلى القاهرة]، وخُلع عليه وشُكرت همته.

ووقع الاتفاق على عمل جسر آخر بطريق الإسكندرية، وندب لعمله الأمير سيف الدين الحرمكى، فعمر قناطر الجيزة إلى آخر الرمل [تحت الهرمين][3]، وكانت تهدمت، فعمّ النفع بعمارتها.

وورد الخبر بأن الخوارزمى (٢٦٧ ا) والتليلى عادا من بلاد المغرب بهدية جليلة، وركب معهم الحاج، فخرج عليهم العربان وأخذوا سائر ما معهم حتى صاروا عراة. فخرج جماعة من الأجناد والمماليك إلى الإسكندرية ليتلقوا الرسـل والحجاج، وساروا ومعهم نائب الإسكندرية إلى سُوسَة[4]، فلقوهم بها، وأحسنوا إليهم وإلى الحاج، وساروا بهم إلى القاهرة.

---

(١) ترجم (Dozx : Supp. Dict. Ar.) هـذا اللفظ ترجـمة غامضة، ونصها: (nettoyoge des canaux, travail du serf)، أى تطهير الترع وعمل السخرة.

(٢) فى ف «ست».

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة، ج، ص ٢٦٤ ا).

(٤) بغير ضبط فى ف، وهى بلدة شمـالى القيروان بتونس، على مسافة ستة وثلاثين ميـلا منها. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٠، وما بعدها).

وفيها كثرت مرافعة أهل الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء فى شيخهم كريم الدين عبد الكريم الآملى ، فقام عليه الشيخ نصر المنبجى[(١)] قياما عظيما حتى صُرف بقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة .

وفيها أطلقت حماة لنائبها الأمير سيف الدين قبجق ، فعزل وولى . وفيها (٢٦٧ ب) صُرِف أمين الدين أبو بكر بن الرقاقى من نظر دمشق ، وعاد إلى القاهرة .

ومات فى هذه السنة علم الدين إبراهيم بن الرشيد بن أبى الوحش بن أبى حُلَيْقَة[(٢)]، رئيس الأطباء بمصر والشام ، وترك مائتى ألف دينار ، وقيل ثلاثمائة ألف . ومات برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن ظافر البرلسى ناظر بيت المال ، فى خامس صفر بالقاهرة ؛ وولى نظر بيت المال عوضه نور الدين الزواوى النائب المالكى . ومات محيى الدين أحمد بن أبى الفتح بن باتكين[(٣)] ؛ وكان يعانى الخدم الديوانية ، وله شعر حسن وفضيلة ، وعنده مفاكهة ومحاضرة جميلة ؛ ومولده سنة أربع عشرة وستمائة ؛ وعمى قبل موته ، ومات بالقاهرة . ومات الشهاب (٢٦٨ ا) أحمد بن محمد بن صادق القوصى ، فى حادى عشر صفر بقوص ؛ وكان فقيهاً شافعياً يوقع عن قاضى قوص ، وفيه تحرّز وعنده يقظة . ومات الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصى ، فى ليلة الجمعة سابع ذى القعدة ؛ وقد حُمل من قوص [ إلى القاهرة ] ، بسبب قيامه فى هدم الكنائس حتى هدم العامة من قوص ثلاثة عشرة كنيسة ، فعوّق بالمسجد أياماً ثم خلِّى عنه ، فأقام بجامع عمرو بن العاص حتى مات ؛ وبيعت ثيابه التى مات فيها بخمسين ديناراً ، تفرّقها أهل الزوايا . ومات عثمان الحلبونى الصعيدى ببرزة خارج دمشق ؛ وكانت له أحوال ومكاشفات . ومات شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن شامة الطائى السوادى ، فى ( ٢٦٨ ب ) يوم الثلاثاء رابع عشرى ذى القعدة عن سبع وأربعين سنة ؛ ودفن بالقرافة . ومات ظهير الدين أبو نصر بن الرشيد أبى السرور بن

---

(١) فى ف « المنحى » ، بغير نقط البتة ؛ انظر ص ٢٦ ، حاشية ١ .

(٢) فى ف « حليفه » ، والرسم المثبت هنا بضبطه من المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢٢ ، ٧٢٩ ) . انظر أيضا ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٤٥ ) .

(٣) كذا فى ف بغير نقط تقريبا ، وفى ب ( ٣١٧ ب ) «ما تكين» ، وليس فى المراجع المتداولة بهذه الحواشى ما يساعد على تحرير هذا الاسم ، واعل الرسم المثبت هنا قريب من الصحيح .

أبى النصر السامرى الدمشقى ؛ أسلم فى الأيام المنصورية قلاون ، وتنقّل فى الخدم الديوانية حتى ولى نظر الجيش بدمشق ، ثم انقطع فى داره حتى مات فى حادى عشرى رمضان ؛ ومولده سنة اثنتين وعشرين وستمائة ؛ وكان جميلا لينا متواضعاً محبا لأهل الخير ، مواظباً على الصلوات بجامع بنى أمية ، فيه برّ وصدقات مع العفة . ومات شهاب الدين بن على الحسينى ؛ حدّث بمصر عن ابن المقير وابن رواج والشاوى[١] ، ومات بها . ومات الأمير عزالدين ( ٢٦٩ ا ) أيبك الشجاعى الأشقر شاد الدواوين ، فى محرم بمصر ، ومات الأمير علاء الدين الطبرس [٢] المنصورى والى باب القلعة الملقب بالمجنون ، المنسوب إليه العمارة فوق قنطرة [٣] المجنونة على الخليج الكبير خارج القاهرة ؛ وكان عفيفاً ديّناً ، له أحكام قراقوشية مع تسلّط على النساء ، وكان يخرج أيام المواسم إلى القرافة وينكل بهن ، [ فامتنعن من [٤] الخروج فى زمانه إلا لأمر مهم ، مثل الحمام وغيره ] . ومات الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس ، فى خامس رجب بمصر ؛ ومات ولده قبله بيوم . ومات الشيخ المعتقد أحمد بن أبى القاسم المراغى ، فى ليلة السبت ثانى المحرم بمصر . ومات الأمير عز الدين أيدمر الرشيدى أستادار النائب ( ٢٦٩ ب ) سلار ، فى تاسع عشر شوال ؛ وكان عاقلا له ثراء واسع وجاه عريض . ومات ملك المغرب أبو ثابت عامر بن الأمير أبى عامر ابن السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى ، فى ثامن صفر ؛ فبويع أخوه الربيع بن أبى عامر .

* * *

سنة تسع وسبعمائة : فيها قدم علاء الدين النليثلى وأيدغدى من بلاد المغرب ، ومعهما الشيخ أبو زكريا اللحيانى متولى طرابلس الغرب وأبو إدريس عبد الحق المرينى

(١) كذا فى ت .

(٢) فى ف « الطربرس » ، والرسم المثبت هنا من بيبرس المنصورى ( زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢٦٥ ا ) .

(٣) ذكر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ) أن هذه القنطرة عرفت قديماً وحديثا بهذا الاسم ، ولكنه لم يعلل تسميتها به .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٣٠ ) .

يريدان الحج ؛ فكانت غيبة التليلي ورَفيقه ثلاث سنين وثلاثة أشهر فنزل اللحيانى بمناظر الكبش ورتّب له ما يليق به .

وفيها بنى الأمير برغلى على ابنة السلطان ،(١٢٧٠ ا) وعُمل مهم عظيم خُلع فيه على سائر الأمراء . وعُزل الأمير بيبرس العَلائى من نيابة غزة ، واستقر عوضه بلبان البدرى . وكُتب إلى دمشق بإبطال المقرر (١) على الخمور بساحل الشام ، وإراقتها وتعويض الجند بَدلها . وقدم شمس الدين محمد بن عدلان من اليمن ، وقد مات رفيقه سنقر السعدى .

وقدم الخبر بأن الملك الناصر كثير الركوب للصيد ببلاد الكرك فى مماليكه ،فتخيّل الملك المظفر من ذلك وخشى عاقبته . واتفق أنه قدم الخبر أيضاً بحركة خَرْبَنْدا للسير إلى بلاد الشام ، فكُتب إلى الملك الناصر بحركة خربندا ، وقد دعت الحاجة إلى المال فيرسل ما أخذه معه من مال مصر ،وما استولى (٢٧٠ ب) عليه من حاصل الكرك ، ومَنْ عنده من المماليك ولا يدع عنده منهم سوى عشرة برسم الخدمة ، ويرسل الخيول التى قادها من مصر ، ومتى لم يفعل خرجت إليه العساكر حتى تخرب الكرك عليه . ورأى [ الناصر ] أن المغالطة اولى ، وكتب الجواب : « المملوك (٢) محمد بن قلاون يقبّل الأرض ، ويُنهى أنه ما قصد الإقامة إلا طلبا للسلامة (٣)، وإن مولانا السلطان هو الذى ربانى ، وما أعرف لى والداً غيره ، وكلّ ما أنا فيه فمنه وعلى يديه ، والقدر الذى أخذته من الكرك لأجل مالا بدّ لى فيه من الكلف والنفقة . وقد امتثلتُ المرسوم

(١) هذا اللفظ من مصطلح الإدارة المالية فى عهد المماليك ، ومعناه المكس أو الضريبة ، وقد شرح المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٨٨ — ٨٩ ) معظم هذه المقررات التى ضربت على أهل مصر — ولا بد من أشباهها كانت مفروضة بالشام أيضاً — ؛ غير أنه لم يذكر مقرر الخمور من بينها ، ولعل سبب ذلك أنه كان مقرراً عارضاً غير دائم ، بعكس غيره من المقررات التى ظلت قائمة حتى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

(٢) كان سلاطين الدولة المملوكية — والأمراء أيضاً — ينعتون أنفسهم بهذا اللفظ فى كتبهم إلى ملوك الدول الإسلامية فقط ، وإلى زملائهم الأقدمين من كبار الأمراء فى الدولة . (راجع مقالتى : بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك بمصر، ص ٨١ ، مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ) . غير أن الجديد هنا أن ينعت الناصر محمد نفسه بهذا النعت ، وهو لم يمسه الرق ألبتة ، وفى هذا دليل واضح على أن ذلك اللفظ قد فقد معناه الحرفى ، وأنه قد صار نعتاً للتواضع والطاعة .

(٣) فى ف « طلب السلامه » .

الشريف وأرسلت نصف المبلغ الذى تأخر عندى امتثالا لأمر مولانا السلطان ؛ وأما الخيل فقدمات بعضها ، (٢٧١ ا) ولم يبق إلا ماأركبه ؛ والمماليك فلم أترك عندى إلا من اختار أن يقيم معى ، ممن هو مقطوع العلائق من الأهل والولد ، فكيف يحل لى أن أخرجهم؟ وما بقى إلا إحسان مولانا السلطان » . وكتب [ الناصر ] بأعلى الكتاب : « الملكى المظفرى » ، وخلع على مغلطاى ودفع إليه الكتاب ، وحمل معه مائتى ألف درهم ، وأعاده وقد حمَّله مشافهة بمعنى جوابه ؛ فقنع السلطان [ المظفر بيبرس ] بذلك .

وفيها قدّمَ السلطانُ البرجية وأمّر منهم جماعة كبيرة ، وأراد أن يُؤمّر جماعة الأمير سلارفلم يوافق على ذلك ، وحلف بأيمان مغلظة أنه لايمكن أحداً منهم أن يتأمّر .

وفيها تفاوض[1] كاتب السر شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله والتاج بن سعيد الدولة : وسبب ذلك ( ٢٧١ ب ) أن التاج تزايد تحكمه[2] فى الدولة ، بحيث إنه لم يُكتب لأحد توقيع برزقه أوبراتب أو استخدام فى وظيفة حتى يكتب عليه ؛ ثم شارك كاتب السر فى معرفة أجوبة النواب وغيرهم ، فامتنع ابن فضل الله من ذلك ، وردّ عليه الجواب ، وفيه « ولا كرامة أن يكون مطلعاً على أسرار المملكة » . ثم حدّث [ ابنُ فضل الله ] الأميرَ سلارالنائب فى ذلك ، وقبّح عنده أن يطلع رجل قبطى على أسرار المملكة وأخبارالعدو ، وأنه لايوافق على ذلك بوجه . فشقّ على سلارماقصد التاج ، وقام فى مساعدة ابن فضل الله ، وما زال بالسلطان إلى أن منع التاج من الاطلاع على شىء من أمر ديوان الإنشاء ؛ فاشتد غضبه وباينّ ابن فضل الله .

وقدم ( ٢٧٢ ا ) البريد بإبطال سائر الخمّارات ، فسُرّ السلطان بهذا ، وعزم على أن يفعل مثل ذلك بديارمصر . وندب [ لذلك ] الأمير سيف الدين الشيخى أحد البرجية ، وتقدم إليه ألايراعى أحداً من خشداشيته ، ولايدع بيتا بمصروالقاهرة من بيوت أعلى الناس وأدناهم يبلغه أن فيه خمراً إلاويكبسه ويكسرمافيه . وكان الشيخى فيه شدة وقوة

(١) المعنى أن هذين الأميرين تناقشا أو تجادلا فى عملهما المشترك . ( انظر قاموس المحيط ) .

(٢) فى ف « حكمه » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣١٨ ب ) ، وهو أدق وأبلغ للمعنى المراد .

نفس ، فطلب والى القاهرة ومقدميها وأصحاب (١) الأرباع ، [ وسألهم عن (٢) مواضع الخمر فلم يجيبوه ] ، وأخفوا سائر المواضع ؛ وضرب جماعة منهم بالمقارع حتى دلوه على من عَصَر العنب أو من عنده خمر ، وكتب أسماءهم ، فكان فيهم عدة من الأمراء والكتاب والأجناد والتجار ؛ وأخذ فى كبس البيوت : فكان الرجل لا يشعر إلا به ( ٢٧٢ب ) فى مماليكه ، وقد هجم عليه ومعه النجارون (٣) والبناءون لتفقد مطامير (٤) الخمر وإخراجها ، فإذا ظفر بها كسّر سائر ما فيها . فنزل بالناس من ذلك بلاء شديد ، وافتضح كثير من المستورين ، ونهب من بيوتهم أشياء ، لكثرة ما كان يجتمع من العامة ، ولفرار صاحب البيت خوفاً على نفسه ؛ وأخذ الأجناد وغيرهم من ذلك ما أغناهم . وأخذ الناس يدلّ بعضهم على بعض ، وتشفّى (٥) جماعة من أعاديهم بذلك . وكبست أيضاً دور اليهود والنصارى ، وأريق ما فيها من الخمور . وتعدّى الأمر دون الأمراء ، فكبست دور من عرف بشرب الخمر منهم ، ومنها (٦) دار الأمير علاء الدين مغلطاى المسعودى أحد أمراء الألوف من البرجية . فأزال الله بذلك ( ٢٧٣ا ) فساداً كبيراً ، ووقع أيضاً بسببه من نهب الأموال فساد كبير ؛ فلما اشتد الأمر تجمع (٧) الأمراء وحدثوا السلطان فيه فكفّ عنه .

وفى ربيع الأول خسف جميع جرم القمر . وفيه كثر الإرجاف بحركة التتر ، فبرز الدهليز السلطانى إلى الريدانية . وفيها استقر سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود الحارثى فى قضاء الحنابلة بالقاهرة ، بعد موت القاضى شرف الدين عبد الغنى ابن عبد الله الحرانى ، فى ثالث ربيع الآخر .

---

(١) الأرباع جمع ربع ، وهو هنا أقسام البلد الآهلة بالسكان ، والمقصود بأصحاب الأرباع ، حسبما ورد فى ( Dozy : Supp. Dict. Ar. ) خفراء الليـــل فى تلك الأقسام ( Quartiniers, étaient les gardes de nuit. )

(٢) أضاف الناشر ما بين الحاصرتين من عنده ، فإن العبارة تتطلبها ، وليس بالمراجع المتــداولة بهذه الحواشى شىء عن هذه الحوادث .

(٣) فى ف « النجارين والبنايين » .

(٤) المطامير جمع مطمورة وهى الحفيرة تحت الأرض . ( قاموس المحيط ) .

(٥) فى ف « فشفى » .

(٦) فى ف « منهم » .

(٧) فى ف « تجمعوا » .

وفيها فشا بالناس أمراض حادة ، وعمّ الوباء ، وطُلبت الأدوية والأطباء ، وعزّ سائر ما يحتاج إليه المرضى ، حتى أبيع السكر وأبيع الفروج بخمسة دراهم ، والرطل البطيخ بدرهم ؛ وكان (٢٧٣ب) الرجل الواحد من العطارين يبيع فى كل يوم بثلاثمئة درهم إلى مائتى درهم .

وفيها توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسرى ، وارتفع سعر القمح حتى أبيع الأردب بخمسين درهما ، والأردب الشعير والفول بعشرين درهماً . ومنع الأمراء البيع من شُونَهم إلا الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى الأستادار ، فإنه تقدّم إلى مباشريه ألا يتركوا عنده سوى مباشرة سنة ، وباع ما عداه قليلا قليلا . وخاف الناس من وقوع نظير غلاء كتبغا ، وخرج بهم الخطيب نور الدين على بن محمد بن الحسن بن على القسطلانى فاستسقى ، وكان يوماً مشهوداً . فنودى من الغد بثلاثة أصابع ، ثم (٢٧٤ ا) توقف . وانتهت زيادة النيل فى سابع عشرى توت إلى خمسة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعاً ، واتفق أنه نقص فى أيام النسىء ، وجاء النوروز ولم يوفّ النيل ستة عشر ذراعا ؛ وفتح الخليج يوم الجمعة ثامن توت ، وهو ثامن عشرى ربيع الأول . وذكر بعضهم أنه لم يوفّ إلى تاسع عشر بابه ، وهو يوم الخميس حادى عشر جمادى الأولى ، وذلك بعد اليأس منه . وانحطّ مع ذلك السعر بعد الوفاء ، وغنّت عامة مصر : « سلطاننا رُكين [1] ، ونائبنا دُقين [2] ، يجينا الماء منين . جيبوا لنا الأعرج [3] ، يجى الما ويدّحرج » [4] .

وفيها قدم البريد من حلب بأن الأمير سوتاى استنابه الملك خَرْبَنْدَا بديار بكر ، وأنه (٢٧٤ ب) حارب طقطاى [5] ، فقتل طقطاى [6] ، وعزم على المسير إلى حلب . فخرج الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع والأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير وعدة من الطبلخاناه والعشراوات فى ألفى فارس ، وساروا فى جمادالأولى

---

(١ ، ٢ ، ٣) المقصود بلفظ (ركين) السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وبلفظ (دقين) الأمير سلار النائب ، فإنه كان أجرد وليس بلحيته وشاربه سوى شعرات قليلة ، وأما الأعرج فهو الناصر محمد بن قلاون . راجع ابن إياس (بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٥٠) .

(٤) كتب ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٢٤٤) تعقيباً على هذه الحوادث ، من غلاء وعدم وفاء النيل ، ما نصه : « وتشاءم الناس بطلعة الملك المظفر بيبرس . . . ومن يومئذ وقعت الوحشة بين المظفر وبين عامة مصر ، وأخذت دولة المظفر بيبرس فى اضطراب » .

(٥ ، ٦) فى ف « تقطاى » .

إلى حلب . وكتب الأمير سلار للأمير جمال الدين أقوش بأربعة آلاف غرارة [ من القمح ؟ ] وثمانين ألف درهم من ماله بدمشق ، معونة له ولمن معه .

وفيها ابتدأ اضطراب دولة السلطان الملك المظفر : وذلك أنه كثر توهّمه من الملك الناصر ، [ وخيّله الأمراء ] وحذروا السلطان منه . وحسّنوا له القبض عليه ، فجبن [ بيبرس ] عن ذلك ؛ ثم مازالوا به حتى بعث الأمير مغلطاى إلى الملك الناصر ، ليأخذ منه الخيل (٢٧٥ ا) والمماليك [ التي عنده ] . وتغلّظ (١)[مغلطاى ] فى القول ، فغضب الملك الناصر من ذلك غضباً شديداً ، وقال له : « أنا خلّيت ملك مصر والشام لبيبرس ، وما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس عندى أو مملوك لى ، ويكرر الطلب ؟ ارجع إليه ، وقل له والله لئن لم يتركنى وإلا دخلت بلاد التتر ، وأعلمتُهم أنى قد تركت ملك أبى وأخى وملكى لمملوكى ، وهو يتبعنى ويطلب منى ما أخذتُه » . فجافاه مغلطاى وخشّن فى القول ، بحيث اشتدّ غضب الملك الناصر وصاح به : « ويلك ! وصلنا إلى هنا ؟ » ، وأمر أن يجرّ ويرمى من سور القلعة . فثار به المماليك يسبونه (٢) ويلعنونه ، وأخرجوه إلى السور ؛ فلم يزل الأمير أرغون الدوادار والأمير طغاى إلى (٢٧٥ب) أن عفا عنه [ الناصر ] وحبسه ، ثم أخرجه ماشياً إلى الغور ؛ وامتعض [مغلطاى ] عند ذلك مما حلّ به .

وكتب [الناصر] ملطفات(٣) إلى نواب الشام بحلب وحماة وطرابلس وصفد ، وإلى أمراء مصر ممن يثق به ، بما كان فيه من ضيق اليد وقلة الحرمة ، وأنه لأجل هذا ترك ملك مصر ، وقنع بالإقامة فى الكرك ، وأن السلطان الملك المظفر فى كل قليل يرسل يطالبه بالمال ثم بالخيل ثم بالمماليك ، وقال لهم : « أنتم مماليك أبى وربيتمونى . فإما [ أن ] تردوه عنى وإلا أسير إلى بلاد التتار » ؛ وتلطّف فى مخاطبتهم غاية التلطف ، وسيّر إليهم العربان بها فأوصلوها إلى أربابها . وكتب الأمير قبجق المنصورى نائب حماة الجواب : « بأنى مع الأمير قراسنقر (٢٧٦ ا) نائب حلب » ؛ وكتب الأمير قراسنقر الجواب : « بأنى مملوك السلطان فى كل مايرسم

(١) فى ف ( يغلط ) ، والرسم المثبت هنا من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٤ ) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الصفحة .

(٢) فى ف « يسبوه ويلعنوه » .

(٣) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٥٢ ، ٨٩٩ ) .

به » ، وسأل أن يتوجه إليه أحد المماليك السلطانية ؛ فبعث [ الناصر(١) مملوكه ] أيتمش المحمدى ، وكتب معه ملطفاً إلى الأمير سيف الدين قطلوبك المنصورى ، والأمير بكتمر الحسامى الحاجب ، بدمشق . وأما بكتمر الجوكندار نائب صفد فإنه طرد القاصد ولم يجتمع به .

وقدم أيتمش دمشق فى خفية ، ونزل عند بعض مماليك الأمير قطلوبك ، ودفع إليه الملطّف . فلما أوصله إلى قطلوبك أنكر عليه ، وأمره بالاحتفاظ على أيتمش ليوصله إلى الأفرم نائب الشام ، ويتقرب إليه بذلك . فترك أيتمش راحلته التى قدم عليها عند ما ( ٢٧٦ ب ) بلغه ذلك ، ومضى إلى دار الأمير سيف الدين بهادر آص فى الليل واستأذن عليه فأذن له ؛ فعرّفه ما كان من الأمير قطلوبك ، فطمّن خاطره وأنزله عنده وقام بحقه ، وأركبه من الغد معه إلى الموكب . وقد سبق قطلوبك وعرّف النائب قدوم مملوك الملك الناصر إليه وهربه ليلا ، فقلق الأفرم من ذلك ، وألزم والى المدينة بتحصيل المملوك ، فقال بهادر آص : « هذا المملوك عندى » ، وأشار إليه ، فنزل عن الفرس وسلم على الأفرم وسار معه فى الموكب إلى دار السعادة ، وقال بحضرة الأمراء : السلطان الملك الناصر يسلم عليكم ، ويقول ما منكم أحد إلا وأكل خبز الشهيد والده وخبزه ، وما منكم إلا مَن ( ٢٧٧ ا ) إنعامه عليه . وأنتم تربية الشهيد والده ، وأنه قاصد الدخول إلى دمشق والإقامة فيها . فإن كان فيكم من يقاتله ويمنعه العبور فعرّفوه » . فلم يتم هذا القول حتى صاح [ عز الدين أيدمر ] الكوكندى(٢) الزرّاق أحد أمراء دمشق « وابن أستاذاه » ، وبكى . فغضب الأفرم نائب الشام عليه وأخرجه ، ثم قال لأيتمش : « قل له — يعنى الملك الناصر — كيف تجىء إلى الشام ، أو إلى غير الشام ، كأن الشام ومصر الآن تحت حكمك ؟ أنا لما (٣) أرسل إلينا السلطان الملك المظفر أن أحلف له ماحلفت حتى سيّرت أقول له : كيف يكون ذلك وابن أستاذنا باق ؟ فأرسل يقول : أنا ما تقدّمت عليه حتى خلع ابن أستاذنا نفسه ، وكتب خطه وأشهد عليه بنزوله عن الملك ، فعند ذلك حلفت له . ( ٢٧٧ ب ) ثم فى هذا الوقت تقول من يردّنى عن الشام ؟ » (٤) ؛ وأمر به

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ) ، ج ٨ ، ص ٢٤٥ ) .

(٢) فى ف ( الكركند ) ، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen:Op. Cit.p. 151 etc) ، ومنه أيضاً ما أضيف بين الحاصرتين .

(٣ ، ٤) نص ما بين الرقمين مضطرب فى ف ، وهو كالآتى : « انا لما ارسل الينا السلطان الملك =

فسَوَّلتْم إلى أستاداره الطنقش . فلما كان الليل استدعاه ، ودفع إليه خمسين ديناراً وقال له : « قل له (١) لايذكر الخروج من الكرك ، وأنا أكتب إلى الملك المظفر وأرجعه عن طلب الخيل والمماليك » ، وخلّى عنه ليعود إلى الكرك . فقدم [أيتمش] على الملك الناصر وحدّثه بما جرى له . فأعاده على البرّية ومعه أركتمر وعثمان الهجان ، ليجتمع بقرا سنقر نائب حلب ، ويواعده على المسير إلى دمشق . وسار الملك الناصر من الكرك إلى بركة زيزاء (٢) .

وأما الملك المظفر فإنه لما بلغه أن الملك الناصر حبس الأمير [علاء الدين] مغلطاى أيتغلى (٣) [ المقدم ذكره ] قلق ، واستدعى الأمير سلار النائب ( ٢٧٨ ا ) ، وعرّفه ذلك . وكانت البرجية قد أغروا المظفر بسلار ، واتهموه بانه قد باطن الملك الناصر ، وأشاروا عليه بقبضه وخوّفوه منه . فبلغ ذلك سلار ، فخاف من البرجية لكثرتهم وقوتهم ، وأخذ فى مداراتهم . وكان أشدهم عليه الأمير سيف الدين بيكور (٤) ، فبعث إليه — و[ كان ] قد شكا له من انكسار خراجه — ستة آلاف أردب غلة وألف دينار مصرية ، فكفّ عنه ؛ وهادى (٥) خواص السلطان ، وأنعم عليهم إنعامات كثيرة طلباً للسلامة منهم . [ ثم حضر سلار عند المظفر وتكلّما فيما هم فيه ] ، فاقتضى الرأى تجهيز قاصد للملك الناصر بتهديده ليفرج عن أيتغلى . وبينا هم فى ذلك قدم البريد من [ عند نائب ] دمشق بأن الملك الناصر سار من

المظفر ان احلف ما حلفت حتى سيرت اقول له لا تخلى (كذا) ملكك ولا تخذنك ، فاجابنى انى ما بقيت لى رغبة فى السلطنة وكتب خطه واشهد عليه بنزوله عن الملك حتى حلفت فتملك المظفر » ؛ وقد عدلت العبارة كلها الى الصيغة المثبتة بالمتن من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٦ ) .

(١) الضمير عائد على الناصر محمد بن قلاون .

(٢) فى ف « زيره » . انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٥٢ ، وغيرها ) .

(٣) فى ف « اىعلى » ، بغير ضبط ، والرسم المثبت هنا من (Zttersteen: Op. Cit. p. 140.) ومنه أضيف مابين الحاصرتين ؛ انظر أيضاً ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٧ ) .

(٤) كذا فى ف بغير نقط ، والرسم المثبت هنا من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٧ ) ، حيث ورد أيضاً أن هذا الاسم « بنكور » فى إحدى النسخ الخطية لذلك الكتاب .

(٥) فى ف « حادى » ، والرسم المثبت هنا من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٧ ) ، حيث العبارة كلها أوضح بكثير مما هنا ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الصفحة من ذلك المرجع .

الكرك إلى البرج [١] الأبيض ، (٢٧٨ ب) ولم يُعرف مقصده ؛ فكُتب إليه بالكشف عن مقصده ، وحفظ الطرقات عليه .

هذا وقد اشتهر بالقاهرة حركة الملك الناصر وخروجه من الكرك ؛ فتحرّك الأمير سيف الدين نوغاى القبجاقى ـ وكان شجاعا مقداماً حاد المزاج قوى النفس ، ومن ألزام الأمير سلار النائب ـ ، وواعده جماعة من المماليك السلطانية أن يهجم بهم على السلطان [ الملك المظفر [٢] بيبرس ] إذا ركب ويقتله . فلما نزل إلى بركة الجب استجمع نوغاى بمن وافقه يريدون الفتك بالسلطان فى عوده من البركة ، وتقرّب نوغاى من السلطان قليلا قليلا ، وقد تغير وجهه وظهر فيه أمارات الشر ؛ ففطن به خواص السلطان وتحلّقوا (٢٧٩ ا) حوله ، فلم يجد نوغاى [٣] سبيلا إلى ما عزم عليه .

وعاد السلطان إلى القلعة ، فعرّفه ألزامه ما فهموه عن نوغاى [٤] ، وحسّنوا له القبض عليه وتقريره على من معه . فاستدعى [ السلطان ] الأمير سلار وأعلمه الخبر ـ وكان قد باطن نوغاى أيضاً ـ فحذره من ذلك ، وخوّفه عاقبة الأخذ بالظنّ ، وأن فيه فساد قلوب الجميع ، وليس إلا الإغضاء فقط ، وقام عنه ، فأخذ البرجية فى الإغراء بسلار ، وأنه ولابدّ قد باطن نوغاى ، ومتى لم يقبض عليه فسد الحال . فبلغ نوغاى ما هُم فيه من الحديث فى القبض عليه ، فواعد أصحابه على اللحاق بالملك الناصر ؛ وخرج هو والأمير علاء الدين مغلطاى القازانى [٥] ، والأمير سيف الدين طقطاى [٦] الساقى ، ونحو ستين مملوكا ، (٢٧٩ ب) وقت المغرب عند غلق باب القلعة من ليلة الخميس خامس عشرى جمادى الآخرة .

---

(١) ذكر ( Zetterstéen: Op. Cit. p. 141 ) هذا الموضع بأنه من « أعمال البلقاء » ، وفى بيبرس المنصورى ( زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢٦٩ ) أنه بالقرب من « طفس » ، وهى حسبما جاء فى القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٢٨٠ ) مركز من مراكز الطريق البريدى بين غزة ودمشق . انظر أيضاً (Demombynes : Op.Cit. pp.243,253)

(٢) أضيف مابين الحاصرتين من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٢٨ ) .

(٣ ، ٤) مابين الرقين غير وارد فى ب ( ١٣٢١ ) ، وهو دليل على أن تلك النسخة ، برغم ما فيها من فائدة لتصحيح المتن هنا ، أقل من نسخة ف التى اعتمدت أصلا للنشر .

(٥) فى ف « الفارقانى » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٣٢١ ) ، وابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٨ ) ، و ( Zetterstéen : Op. Cit. P. 138 ) .

(٦) فى ف « يقطاى » ، والرسم المثبت هنا من ( Zetterstéen : Op. Cit. p. 136 ) .

وعرّف السلطان بذلك من الإسطبل ، ففتح باب القلة ، وطلب الأمير سلار وشاوره ؛ فأشار بتجهيز الأمراء فى طلبهم ، وعيّن أخاه علاء الدين سمك وقطز بن الفارقانى فى عدة من حاشيته وخمسمائة مملوك ، وساروا من وقتهم غير مُجِدّين فى طلبهم ؛ وصار بين الفريقين مرحلة واحدة ، إذا رحل هؤلاء نزل هؤلاء . فلما وصل نوغاى إلى قطيا وجد الحمل قد تجهز إلى القاهرة ، وهو مبلغ عشرين ألف درهم ؛ فأخذه وأخذ خيل الوالى وخيول العرب ، وسار إلى غزة ومضى إلى الكرك ؛ فنزل الأمراء (٢٨٠ ا) بعده غزة ، وعادوا إلى القاهرة . وقد اشتد خوف الملك المظفر وكثر خياله [١] ، فقبض على جماعة تزيد عدتهم على ثلاثمائة مملوك ، وأخرج أخبازهم وأخباز المتوجهين إلى الكرك لمماليكه .

وبلغ الملك الناصر قدوم نوغاى ومن معه وهو فى الصيد ، فأمر بإحضارهم فأتوه ، وقبّلوا له الأرض وهنأوه بالعافية ، فسرّ بهم . وساروا معه إلى زيزاء [٢] ، ومضى إلى زُرْع [٣] يريد دمشق ، ثم رجع إلى الكرك . فشقّ على الملك المظفر ذلك ، ودار به البرجية وشوّشوا فكره بكثرة إيهامهم وتخيّلهم له بمخاطرة العسكر عليه ؛ وما زالوا به حتى أخرج الأمير بينجار [٤] ، والأمير صارم [٥] الدين الجرمكى ؛ فى عدة من الأمراء مجردين ؛ (٢٨٠ ب) وأخرج الأمير أقوش الرومى بجماعته إلى طريق السويس ، ليمنع من عساه يتوجه من الأمراء والمماليك إلى الملك الناصر ؛ وقبض على أحد عشر مملوكا ، وقصد أن يقبض على آخرين فاستوحش الأمير سيف الدين أيطر [٦] وفرّ ، فأدركه الأمير

---

(١) الخيال ـ والجمع أخيلة ـ ، والخيالة أيضاً ، ما تشبه للشخص فى اليقظة والحلم من صورة ( قاموس المحيط ) ؛ على أن المقصود هنا هو أن السلطان قد كثر تخيله أى توهمه وسوء ظنه عن حوله .

(٢) فى ف « زيره » .

(٣) كذا فى ف بغير ضبط ، وهو أحد أعمال حوران ، واسمه الصحيح زُرًّا ، والرسم الوارد هنا تحريف عامى له . ياقوت ( معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٢١ ؛ ج ٢ ، ص ٩٢١ ) . انظر أيضاً ( Demombynes : Op. Cit p. 69 ) .

(٤) فى ف « بيجار » ، والرسم المثبت هنا من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٢٥٥ ) ، وسيدأب الناشر على تصحيحه بهذه الصفحة من غير تعليق فيما يلى .

(٥) فى ف « ناصر » والرسم المثبت هنا من ( Zetterstéen : Op. Cit. 165 etc ) ، وكذلك ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٢٥٥ ) .

(٦) كذا فى ف ، وهو فى ب ( ٣٢١ ب ) بالزاى بدل الراء ، وفى ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٥٥ ) بالياء بدل الباء .

جركتمر بن بهادر رأس نوبة ، وأحضره فحبس ؛ وعند إحضاره طلع الأمير سيف الدين الدكز السلاح دار [بملطف](١) من الملك الناصر يتضمن استجلابه إليه ، فكثر قلق الملك المظفر ، وزاد توهمه ونفرت مع ذلك قلوب جماعة من الأمراء والمماليك ، وخشوا على أنفسهم ؛ واجتمع كثير من المنصورية والأشرفية والأويراتية ، وتواعدوا على الحروب ، وخرج (٢٨١ا) منهم مائة وعشرون فارساً بالسلاح ، وساروا إلى الملك الناصر . فخرج إليهم الأمير بينجار والصارم الجرمكى ، فقاتلهم المماليك ، وجرح الجرمكى بسيف فى فخذه سقط إلى الأرض ، ومضى المماليك على حمية إلى الكرك . فعظم الخطب على السلطان ، واجتمع إليه البرجية ، وقالوا له : « هذا الفساد كله من الأمير سلار ، ومتى لم تقبض عليه خرج الأمر من يدك » ، فلم يوافق على ذلك ؛ واتفق الرأى على تجريد العساكر .

وفى يوم السبت ثانى رجب مات التاج بن سعيد الدولة ؛ واستقر [ابن أخته](٢) كريم الدين أكرم الكبير فى وظائفه ، وتكبر(٣) على الأمراء واستقرت فيه الأحوال(٤) ، حتى كتب على ما يعرف وما لا يعرف .

(٢٨١ب) وأما أيتمش المحمدى فإنه سار إلى حماة ، واجتمع بالأمير قبجق [نائبها] ، فأحال [قبجق](٥) الأمر على [الأمير] قراسنقر [نائب حلب] ، وأنه معه حيث كان . فسار [أيتمش] إلى حلب ، واجتمع بقراسنقر ، فأكرمه ووافق على قيام الملك الناصر ، ودخل فى طاعته ، ووعده على المسير إلى دمشق أول شعبان . وكتب [قراسنقر] إلى الأفرم نائب دمشق يحثه على طاعة الملك الناصر ويرغبه ، وأشار(٦) بمكاتبة الملك الناصر للأمير بكتمر الجوكندار نائب صفد ، والأمير كراى المنصورى بالقدس ، ونائب طرابلس ؛ وأعاد أيتمش ومن معه إلى الملك الناصر ، فسر بذلك .

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٥٦ ) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٧٥ ) .

(٣ ، ٤) ما بين الرقمين وارد فى ف ، وكذلك فى ب ( ١٣٢١ ) ، كالآتى : « وكبر عليه الامرا واستقر فيه الأحوال » .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين . بهذه الفقرة من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٢٥٨ ) .

(٦) عبارة ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٥٨ ) هنا أكثر وضوحا ، ونصها : « وأشار قرا سنقر على الملك الناصر أنه يكاتب الأمير بكتمر الجوكندار ... » .

وكان نوغاى منذ قدم لا يبرح يحرّضه (١) على المسير إلى دمشق ، فلما قدم عليه خبر قراسنقر ( ٢٨٢ ا ) اشتد بأسه وقوى عزمه على الحركة ، إلا أنه ثقل عليه أمر نوغاى من مخاشنته له فى المخاطبة ، وجفاه القول بحيث إنه قال له : « ليس لى بك حاجة ! ارجع إلى حيث شئت ! » ؛ فترك [ نوغاى ] الخدمة وانقطع إلى أن قدم [ أيتمش ](٢) من حلب ، فدخل بينه وبين السلطان حتى أزال ما بينهما ؛ وأسرّ له السلطان ذلك حتى قتله بعد عوده إلى الملك ، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ثم إن الملك الناصر بعث أيتمش أيضاً إلى صفد ، فتلطّف حتى اجتمع بناصر الدين محمد بن بكتمر الجوكندار نائب صفد ، وجمع بينه وبين أبيه ليلا فى مقابر صَفَد ، فعتبه أيتمش على ما كان من ردّه قاصد الملك ( ٢٨٢ ب ) الناصر ، فاعتذر بالخوف من بيبرس وسلار ، وأنه لولا ثقته به لما اجتمع به قط . فلما عرّفه أيتمش طاعة الأمير قرا سنقر والأمير قبجق أجاب بالسمع والطاعة ، وأنه على ميعاد النواب [ إلى المضى (٣) إلى الشام ] ؛ فأعاد أيتمش جوابه على الملك الناصر فسرّ به .

وسار من القاهرة عشرة من الأمراء المقدمين فى يوم السبت تاسع رجب منهم : الأمير سيف الدين برلغى الأشرفى . والأمير جمال الدين أقوش الأشرفى نائب الكرك ، والأمير عز الدين أيبك البغدادى ، والأمير سيف الدين طغريل الإيغانى ، والأمير سيف الدين تناكر(٤) ، ومعهم نحو ثلاثين أميراً من الطبلخاناه ، بعد ما أنفق(٥) فيهم [ السلطان الملك المظفر ] ؛ فأخذ برلغى عشرة آلاف دينار ، وكلّ من المقدمين ( ٢٨٣ ا ) ألفى(٦) دينار ، وكلّ من الطبلخاناه ألف دينار ، وكلّ من مقدمى الحلقة

(١) ضمير الهاء عائد على الملك الناصر .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٣٢) .

(٣) موضع ما بين الحاصرتين فى ف عبارة « ومضى » فقط ، والإضافة المعدلة من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٥٩ ) .

(٤) فى ب « ىاكر » بغير نقط ، والرسم المثبت هنا مما يلى ، ص ٧١ .

(٥) فى ف « نفق » ، وقد صحح وأضيف مابين الحاصرتين من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٦٠ ) .

(٦) فى ف « الف » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٣٢٢ ) ، وابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٠ ) .

ألف درهم ، وكلٌّ من أجناد الكرك خمسمائة درهم ، ونزلوا تجاه مسجد[١] تبر خارج القاهرة ، ثم عادوا بعد أربعة أيام إلى القاهرة ، لورود الخبر بعود الملك الناصر إلى الكرك . ثم ورد الخبر ثانياً بمسيره ، فتجهّز العسكر فى أربعة آلاف فارس ، وخرج برلغى ونائب الكرك ومن تقدّم ذكره ، وساروا فى العشرين من شعبان إلى العباسة . فورد البريد من [ عند الأفرم نائب ] دمشق بقدوم أيتمش المحمدى [ عليه ] من قبل الملك الناصر ، وبما[٢] شافهه به من الجواب ؛ وأنه بعث الأمير علاء الدين أيدغدى شقير الحسامى والأمير سيف الدين جوبان لكشف الأخبار ، وأشار بتأخير سفر العسكر ؛ فكُتب (٢٨٣ ب) بإقامتهم على العباسة . فقدم أيدغدى شقير وجوبان على الملك الناصر ، وعرّفاه أنهما قَدِما لكشف حاله ، وحلفا له على القيام بنصرته ؛ ورجعا إلى دمشق ، فعرّفا الأفرم أن الناصر مقيم ليتصيد ؛ فخاف أن يطرق دمشق بغتة ، فجرد إليه ثمانية أمراء بمضافيهم : منهم الأمير سيف الدين قطلوبك المنصورى ، والأمير سيف الدين الحاج[٣] بهادر الحلبي الحاجب ، والأمير سيف الدين[٤] جوبان ، والأمير كجكن ، والأمير علم الدين الجاولى ، ليقيموا على الطرقات لحفظها على من يخرج إلى الملك الناصر . وكتب [ الأفرم ] إلى الملك المظفر يحثه على إخراج العسكر المصرى ، ليجتمع مع عسكر دمشق على قتال الملك الناصر ، وأنه قد جدّد اليمين له ، (٢٨٤ ا) وحلّف أمراء دمشق أنهم لا يخونون[٥] الملك المظفر ولا ينصرون[٦] الملك الناصر ، وأن نائب حلب وغيره من النواب قد دخلوا فى طاعة الملك الناصر . فلما قرأ الملك المظفر كتاب نائب الشام اضطرب وزاد قلقه .

فورد [ كتاب ][٧] الأمير برلغى من العباسة بأن مماليك الأمير جمال الدين أقوش الرومى

---

(١) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٨٤ حاشية ٣) .

(٢) فى ف « ما » ، وقد أضيفت الباء ، وكذلك ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٠ ) .

(٣ ، ٤) ليس لما بين الرقمين وجود فى ب ( ٣٢٢ ب ) ، وهذا مثل آخر للدلالة على نقص هذه النسخة بالنسبة إلى ف .

(٥) فى ف « يخونوا » .

(٦) فى ف « ينصروا » .

(٧) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٢ ) .

تجمعوا عليه وقتلوه ، وساروا ومعهم خزائنه إلى الملك الناصر ، وأنهم لحق بهم بعض أمراء الطبلخاناه فى جماعة من مماليك الأمراء ؛ وقد فسد الحال ، والرأى أن يخرج السلطان بنفسه . فأخرج [المظفر] تجريدة أخرى فيها عدة من الأمراء ، وهم بشاش وبكتوت الفتاح وكثير من البرجية ؛ وبعث إلى برلغى ألفى دينار ، ووعده بأنه عازم على التوجه إليه ( ٢٨٤ ب ) بنفسه . [فلما ورد كتاب الملك المظفر بذلك ، وبقدوم التجريدة إليه] عزم[1] على الرحيل من الغد إلى جهة الكرك . فلما كان الليل رحل كثير ممن معه يريدون الملك الناصر ، فكتب إلى السلطان بأن نصف العسكر قد صار عليه ، وحرّضه على الخروج بنفسه . فلم يطلع الفجر إلا والأمير سيف الدين بهادر جكى[2] قد وصل بكتاب الأمير برلغى على البريد إلى السلطان ، فلما قضى صلاة الصبح تقدّم إليه وأعلمه برحيل أكثر العسكر إلى الملك الناصر ، وناوله الكتاب ، فلما قرأه تبسّم وقال : « سلّم على برلغى ، وقل له لا تخشَ من شىء ، فإن الخليفة أمير المؤمنين قد عقد لنا بيعة ثانية ، وجدّد لنا عهداً ، وقد قرئ على المنابر ، وجدّدنا اليمين على الأمراء ، وما بقى أحد يجسر أن يخالف ما كتب به أمير المؤمنين ، ( ٢٨٥ ا ) فإنه قد أكّد فى كتابة العقد » . ثم دفع [المظفر] إليه العهد الخليفتى ، وقال : « امض به إليه حتى يقرأه على الأمراء والجند ، ثم يرسله لى ، فإذا فرغ من قراءته يرحل بالعساكر إلى الشام » ، وجهز له أيضاً ألفى دينار أخرى ، وكتب جوابه بنظير المشافهة . فعاد بهادر إلى برلغى ، فلما قرئ عليه الكتاب وانتهى إلى قوله : « وإن أمير المؤمنين ولاّنى تولية جديدة ، وكتب لى عهداً ، وجدّد لى بيعة ثانية » ، فتح [برلغى] العهد فإذا أوله : « إنه من سليمان » ، فقال : « ولسليمان الريح » ، ثم التفت إلى بهادر وقال له : « قل له يابارد الذقن ! والله ما معى أحد يلتفت إلى الخليفة » ، ثم قام وهو مغضب .

وكان سبب تجديد العهد أن نائب دمشق لما ورد كتابه بأنه حلّف أمراء الشام ثانياً ،

---

(١) فى ف « فعزم » ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦١ ) .

(٢) كذا فى ف ، وهو فى ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٢٦٢ ) ، برسم «جك» .

وبعث (٢٨٥ ب) صدر الدين محمد [ بن عمر بن مكى بن عبد الصمد الشهير ] بابن[١] الموحل برسالة إلى السلطان ، صار [ صدر الدين ] يجتمع عنده هو وابن عدلان ، ويشغل السلطان وقته بهما . فأشارا عليه بتجديد البيعة ، وكتابة عهد يقرأ على المنابر ، وتحليف الأمراء ، فإن ذلك يثبت قواعد الملك ؛ ففعل ذلك وحلّف الأمراء بحضرة الخليفة ، وكتب له عهد جديد عن الخليفة أبى الربيع ، ونسخته : « إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من عبد الله وخليفة رسول الله ﷺ على المسلمين أبى الربيع سليمان بن أحمد العباسى لأمراء المسلمين وجيوشها . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ؛ وإنى رضيتُ لكم بعبد[٢] الله تعالى الملك المظفر ركن الدين نائباً عنى لملك الديار (٢٨٦ ا) المصرية والبلاد الشامية ، وأقمتُه مقام نفسى لدينه وكفايته وأهليته ، ورضيتُه للمؤمنين ، وعزلتُ من كان قبله بعد علمى بنزوله عن الملك ، ورأيتُ ذلك متعيناً علىّ ، وحكّمتُ بذلك الحكام الأربعة[٣] . واعلموا رحمكم الله أن الملك عقيم[٤] ليس بالوراثة لأحد خالفٍ عن سالفٍ ولا كابرٍ عن كابر . وقد استخرتُ الله تعالى ؛ ووليت

(١) فى ف « ابن » ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الصفحة من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ٢٦٢ ) .

(٢) فى ف « نصبت لكم بعد الله تعالى ... » ، وقد صحت العبارة من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٣ ) .

(٣) فى ف « الاربع » .

(٤) تحمل هذه العبارة القصيرة فى طياتها تفسيراً شافياً لكثير من حوادث التاريخ الإسلامى ، بل إنها تشرح معظم حوادث التاريخ العام ، قبل أن يصبح مبدأ الوراثة الملكية للابن الأكبر ( Primogeniture ) مبدأ متفقاً عليه فى الممالك المختلفة بالشرق والغرب . وقد شرح صاحب تاج العروس ( ج ٨ ، ص ٤٠٣ ) عبارة « الملك عقيم » شرحاً فقهياً لغويا معاً ، ونصه : « الملك عقيم ، أى لا ينفع فيه نسب ، كما فى الأساس ؛ وقيل لأنه تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق ؛ أو لأن الأب يقتل ابنه إذا خافه على الملك ، وهذا نقله الجوهرى ؛ أو لأنه يُقتل فى طلبه الأب والولد والأخ والعم ، قاله ثعلب » . وفى لسان العرب : « ويقال الملك عقيم ، لا ينفع فيه نسب ، لأن الأب يقتل ابنه على الملك ؛ وقال ثعلب ، معناه أنه يقتل أباه وأخاه وعمه فى ذلك » . على أن المقصود بعبارة « الملك عقيم » هنا أنه لا يورّث ، كما تدلّ عبارة المتن فى وضوح ، وليس فى الشرع ما ينصّ على توريث الملك البتة ؛ ولا غرابة بعد هذا أن يظل مبدأ التوريث الملكى مقتلا غير مقبول أجيالا عديدة فى الدول الإسلامية كلها ، ومنها دولة المماليك التى لابد وأن تكون قد تأثرت بنظرية عقم الملك هذه ، فضلا عما كان فى صميم ظروفها ونظمها من عوامل أخرى ، كالنشأة الحربية والاعتماد على القوة والعنف والكيد وكثرة الأنصار ، مما هو متواتر فى جميع المؤلفات الخاصة بعصر المماليك فى مصر .

عليكم الملك المظفّر ؛ فمن أطاعه فقد أطاعنى ، ومن عصاه فقد عصانى ، ومن عصانى فقد عصى أبا القاسم ابن عمى ﷺ . وبلغنى أن الملك الناصر بن الملك المنصور شقّ العصا على المسلمين ، وفرّق كلمتهم وشتت شملهم ، وأطمع عدوهم فيهم ، وعرّض البلاد الشامية والمصرية إلى سبى (٢٨٦ ب) الحريم والأولاد وسفك الدماء ، وتلك دماء قد صانها الله من ذلك . وأنا خارجٌ إليه ومحاربُه إن استمر على ذلك ، وأدفع عن حريم المسلمين وأنفسهم وأولادهم هذا الأمر العظيم ، وأقاتله حتى يفىء إلى أمر الله تعالى . وقد أوجبتُ عليكم يامعاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائى — اللواء الشريف ،فقد اجتمعت الحكام على وجوب دفعه وقتاله إن استمر على ذلك ، وأنا مستصحب معى لذلك السلطان الملك المظفر ، فجهّزوا أرواحكم والسلام » . وقد قرىء على منابر الجوامع بالقاهرة فى الجامع الأزهر وبجامع الحاكم ، وقت الخطبة فى يوم الجمعة ؛ فلما بلغ القارىء إلى ذكر الملك الناصر صاحوا : « لا ! ما نريده ! » ، (٢٨٧ ا) ووقع فى القاهرة ضجة وحركة بسبب ذلك .

وفيه قدم الأمير بهادر آص من دمشق على البريد يحث السلطان على الخروج بنفسه ، فإن النواب قد مالوا كلهم مع الملك الناصر ؛ فأجاب بأنه لايخرج ، واحتج بكراهيته [1] للفتنة وسفك الدماء ، وأن الخليفة قد كتب بولايته وعزل الملك الناصر ، فإن قبلوا وإلا ترك الملك . ثم قدم الأمير بلاط بكتاب الأمير برلغى أن جميع من خرج من أمراء الطبلخاناه لحقوا بالملك الناصر ، وتبعهم خلق كثير ، ولم يتأخر غير برلغى وجمال الدين أقوش نائب الكرك وأيبك البغدادى وتناكر [2] والفتاح لا غير ، وذلك لأنهم خواص السلطان .

وأما الملك الناصر فإنه سار فى (٢٧٨ ب) أول شعبان بمن معه يريد دمشق ، فدخل فى طاعته [3] الأمير قطلوبك الحاج بهادر الحلبى وبكتمر الحاجب والجاولى ، وكتبوا إليه بذلك ، وأنه يتأنّى فى المسير إلى دمشق من غير سرعة حتى يتبين ما عند بقية أمراء دمشق . ثم كتبوا إلى الأفرم نائب دمشق بأنه لا سبيل إلى محاربة الملك

(١) فى ف « بكبر » ، والصيغة المثبتة هنا من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٤ ) .

(٢) فى ف « ما كر » . انظر ص ٧١ ، ويلاحظ أن اسم هذا الأمير « الدكز » فى ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٢٦٤ ) .

(٣) فى ف « طاعه » .

الناصر ، وأرادوا بذلك إما أن يخرج [الأفرمُ] إليهم فيقبضوه ، أو يسير عن دمشق إلى جهة أخرى فتأتيهم بقية الجيش . وكان كذلك : فإنه لما قدم كتابهم عليه بدمشق شاع بين الناس سيرُ الملك الناصر من الكرك ، فثارت العوام وصاحوا : « نصره الله » . وركب الأجناد إلى النائب ، فاستدعَى من بقى من الأمراء والقضاة ، ونادى : « معاشر أهل الشام ! مالكم (٢٨٨ ا) سلطان إلا الملك المظفر » ؛ فصرخ الناس بأسرهم : « لا ! لا ! ما لنا سلطان إلا الملك الناصر » .

وتسلّل العسكر من دمشق طائفة بعد طائفة إلى الملك الناصر ، وانفرط الأمر من الأفرم . فاجتمع الأمير بيبرس العلائى والأمير بيبرس المجنون بمن معهما على الوثوب بالأفرم وقبضه ، فلم يثبت عندما بلغه ذلك ؛ واستدعى علاء الدين على بن صُبح وكان من خواصه ، وتوجه ليلا إلى جهة الشقيف . فركب الأمير قطلوبك والأمير الحاج بهادر عند ماسمعا الخبر ، وتوجها إلى الملك الناصر فسُرَّ بهما ، وأنعم على كل منهما بعشرة آلاف درهم . ثم قدم إليه أيضاً الجاولى وجوبان ، وسار بمن معه حتى نزل الكسوة ، فخرج إليه (٢٨٨ ب) بقية الأمراء والأجناد ، وقد عمل له سائر شعار السلطنة من الصناجق الخليفتية والسلطانية والعصائب والجتر والغاشية . فحلّف العساكر ، وسار فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شعبان من الكسوة يريد المدينة ، فدخلها بعد ما زُيّنت زينة عظيمة . وخرج جميع الناس إلى لقائه على اختلاف طبقاتهم حتى صغار المكاتب ، فبلغ كراء البيت من البيوت التى من ميدان الحصا إلى القلعة للتفرج على السلطان من خمسمائة درهم إلى مائة درهم . وفرشت الأرض بشقاق الحرير الملونة ، وحَمل الأمير سيف الدين قطلوبك المنصورى الغاشية ، وحمل الأمير الحاج بهادر الجتر . وترجّل الأمراء (٢٨٩ ا) والعساكر بأجمعهم ، حتى [إذا] وصل باب القلعة خرج متولى القلعة وقبّل الأرض ؛ فتوجه السلطان حتى نزل بالقصر الأبلق من الميدان . وكان عليه عند دخوله عباءة بيضاء فيها خطوط سود ، تحتها فرو سنجاب .

وفى وقت نزوله قدم مملوك قراسنقر من حلب لكشف الخبر ، و[ذكر] أن قراسنقر خرج من حلب ، وقبجق خرج من حماة ؛ فخلع عليه ، وكتب [إليهما] بسرعة القدوم . وكتب إلى الأفرم أمان ، وتوجه به علم الدين الجاولى ؛ فلم يثق

بذلك ، وطلب يمين السلطان له ؛ فحلف السلطان وبعث إليه بنسخة الحلف صحبة الأمير الحاج أرقطاى الجمدار ، فما زال به حتى قدم معه هو وابن صبح ؛ فركب السلطان إلى لقائه ، حتى [ إذا ] قرب ( ٢٨٩ ب) منه نزل كل منهما عن فرسه . فأعظم الأفرم نزول السلطان له ، وقبّل الأرض ، وكان قد لبس كاملية[١] وشدّ وسطه وتوشّح بنَصْفِيّة[٢] ، يعنى أنه حضر بهيئة البطال[٣] من الإمرة ، وكفنه[٤] تحت إبطه . وعند ما شاهده الناس على هذه الحالة صرخوا بصوت واحد : « يا مولانا السلطان ! بتربة والدك الشهيد لا تؤذيه[٥] ، ولا تغيّر عليه ! » ، فبكى سائر من حضر . وبالغ السلطان فى إكرامه ، وخلع عليه وأركبه ، وأقرّه على نيابة دمشق ، فكثر الدعاء له ؛ وسار [ الناصر ] إلى القصر . فلما كان الغد أحضر الأفرم خيلا وجمالا وثيابا بمائتى ألف درهم ، تقدمة للسلطان .

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه خطب ( ٢٩٠ ا ) بدمشق للملك الناصر ، وصليت الجمعة بالميدان ، فكان يوما مشهودا .

وفيه قدم الأمير قراسنقر نائب حلب ، والأمير قبجق نائب حماة والأمير أسندمر كرجى نائب طرابلس ، وتمر الساقى نائب حمص . فركب السلطان إلى لقائهم فى ثامن عشريه ، وترجّل لقراسنقر وعانقه ، وشكر الأمراء وأثنى عليهم . ثم قدم الأمير كراى المنصورى من القدس ، وبكتمر الجوكندار نائب صفد . وتقدّم كل من

---

(١) وصف (Dozy : Supp. Dict. Ar.) الكاملية - والجمع كوامل - بالآتى : espéce de robe) أى نوع من الملابس الخارجية كالعباءة . انظر الحاشية التالية .

(٢) النصفية ــ وجمعها نصافى ــ حسبما ورد فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) : قماش من نسيج الحرير والكتان . انظر أيضاً ابن إياس ( بدائع الزهور ــ طبعة استانبول ، ج ٤ ، ص ٤٥ ) . وهناك أيضاً النصافى الحزية ، نسبة إلى حزة قرب إربل ، وهى ثياب من القطن الخشن . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ ) . ويظهر أن المعنى الثانى هو المقصود هنا ، إذ كان الأمير المذكور هنا حريصا على أن يظهر أمام السلطان بملابس الأمير البطال الذى زال عنه إقطاعه ( انظر ص ٣٧ ، حاشية ٢ ) ، وليس من المعقول أن يتشح بالحرير . على أن الجدير بالملاحظة أن عبارة المقريزى هنا تنص على أن هذا النوع من الثياب ــ بما فيه من كاملية ونصفية ووسط مشدود ، كان من ملابس المغضوب عليهم من الأمراء فى دولة المماليك .

(٣) انظر ص ٣٧ ، حاشية ٢ .

(٤) فى ف « كنفه » ، والصيغة المثبتة هنا من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٧) .

(٥) فى ف « لا يوذنه » :

النواب والأمراء تقدمه على قدر حاله ، ما بين ثياب أطلس وحوائص ذهب وكلفتاه زركش ، وخيول مسرجة وغير مسرجة ، وأصناف الجواهر والخلع والأقبية والتشاريف . وكان أجلهم (٢٩٠ب) تقدمةً الأميرُ قطلوبك المنصورى ، فإنه قدّم عشرة أرؤس خيل مسرجة ملجمة ، عنق كل فرس كيس فيه ألف دينار وعليه مملوك ، وأربع قطر بغال ، وعدة بخاتى ، وغير ذلك .

وشرع الملك الناصر فى النفقة على الأمراء والعساكر الواردة مع النواب ، فلما انتهى أمر النفقة قدّم [ السلطان (١) ] بين يديه الأميرَ كراى المنصورى على عسكر [ ليسير ] إلى غزة ، فسار إليها ؛ وصار [ كراى ] يمدّ فى كل يوم سماطاً عظيما للمقيمين والواردين ، وأنفق فى ذلك أموالا جزيلة من حاصله . واجتمع عليه بغزة عالم كبير ، وهو يقوم بكلفهم ويعدهم عن السلطان بما يرضيهم .

وقدم الخبر إلى القاهرة فى خامس (٢٩١ ا) عشرى شعبان باستيلاء الملك الناصر على دمشق بغير قتال ؛ فقلق الملك المظفر ، واضطربت الدولة ، وخرجت عساكر مصر شيئاً بعد شىء تريداللحاق بالملك الناصر ، حتى لم يتأخر عند الملك المظفر بديار مصر إلا خواصه وألزامه . ولم يتأخر عند الأمير برلغى من الأمراء والأجناد سوى خواص الملك المظفر ، [ فتشاور مع جماعته (٢) ] ، فاقتضى رأيه ورأى الأمير أقوش نائب الكرك اللحاق بالملك الناصر أيضاً ؛ فلم يوافق على ذلك البرجية ، وعاد الأمير أيبك البغدادى وبكتوت الفتاح وقجماز وبقية البرجية إلى القاهرة ، وصاروا مع الملك المظفر . وسار برلغى ونائب الكرك إلى الملك الناصر فيمن بقى من الأمراء والعساكر ، (٢٩١ ب) فاضطربت القاهرة .

وكان الملك المظفر قد أمّر فى مستهل رمضان سبعة وعشرين أميراً ، ما بين طبلخاناه وعشراوات : منهم من مماليكه صنقيجى (٣) وصديق وطومان ، وقرمان ، وغُرْلُوا (٤) وبهادر وطرنطاى المحمدى ، وبكتمر الساقى وقراجا الحسامى وبهادر

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٨) .
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٨ ) .
(٣) فى ف «صفحى» ، والرسم المثبت هنا من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٩) .
(٤) فى ف « عرلوا » ، والرسم المثبت هنا من ( Zettersteen : Op. Cit. p. 219 ).

قبجق ، ولاجين أيتغلي [1] وانكبار [2] وطاشتمر أخو بتخاص ، ومن ألزامه جركتمر بن بهادر رأس نوبة وحسنُ بن الردادى ؛ وشقّوا القاهرة على العادة ، فصاحت بهم العامة : « يا فرحة لا تَمّت » .

أخرج [ المظفر ] أيضاً عدة من المماليك إلى بلاد الصعيد ، وظنّ أن ينشىء له دولة . فلما بلغه مسير برلغى وثب الكرك إلى الملك الناصر سُقط فى يده ، وعلم ( ٢٩٢ ا ) زوال أمره ؛ فإن برلغى كان زوج ابنته ومن خواصه ، بحيث أنعم عليه فى هذه الحركة بنيف وأربعين ألف دينار . وقيل سبعين ألف دينار . وظهر عليه اختلال الحال ، وأخذ خواصه فى تعنيفه على إبقاء سلار النائب ، وأن جميع هذا الفساد منه . وكان كذلك : فإنه لما فاتته السلطنة ، وقام فيها بيبرس ، حسده ودبّر عليه ، وبيبرس فى غفلة عنه ، وكان سليم الباطن لا يظن أنه يخونه .

وقُبض فى ليلة الجمعة ثانى عشره على جماعة من العوام ، وضُربوا وشُهّروا لإعلانهم بسبّ الملك المظفر ، فما زادهم ذلك إلا طغياناً ؛ وفى كل ذلك تنسب البرجية فساد الأمور إلى الأمير سلار . فلما ( ٢٩٢ ب ) أكثرَ البرجية من الإغراء بسلار قال لهم [ المظفر ] : « إن كان فى خاطركم شىء فدونكم وإياه إذا جاء إلى الخدمة ، وأما أنا فلا أتعرض له بسوء قط » ؛ فأجمعوا على قبض سلار إذا عَبَر يوم الاثنين خامس عشره إلى الخدمة . فبلغه ذلك فتأخر عن حضور الخدمة ، واحترس على نفسه وأظهر أنه قد وعك ؛ فبعث الملك المظفر يسلّم عليه ويستدعيه ليأخذ رأيه ؛ فاعتذر بأنه لا يطيق الحركة لعجزه عنها .

فلما كان من الغد يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان ، استدعى الملك المظفر الأمراء كلهم ، واستشارهم فيما يفعل . فأشار الأمير بيبرس الدودار والأمير بهادر آص بنزوله عن الملك ، والإشهاد بذلك كما فعل الملك الناصر ، ( ٢٩٣ ا ) « وتسير إليه تستعطفه ، وتخرج إلى الإطفيحية بمن تثق به ، وتقيم هناك حتى يرد جواب الملك الناصر » . فأعجبه ذلك ، وقام ليجهز أمره وبعث ركن الدين بيبرس الدودارى إلى

---

( ١ ) فى ف « اىعلى » ؛ والرسم المثبت هنا مما سبق ، ص ٥٨ ، سطر ٨ .

( ٢ ) فى ف « الحار ، و ف ب ( ١٣٢٥ ) « اكبار » ، والرسم المثبت هنا من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٩ ) .

إلى الملك الناصر يسأله إحدى ثلاث : إما الكرك وأعمالها ، أو حماة وبلادها ، أو صهيون ومضافاتها .

ثم اضطرب [ المظفر ] آخر النهار ، ودخل الخزائن ، فأخذ من المال والخيل والهجن ما أحبّ ، وخرج فى يومه من باب الإسطبل فى مماليكه وعدتهم سبع مائة فارس ، ومعه الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى الأستادار ، والأمير بدر الدين بكتوت الفتاح ، والأمير سيف الدين قجماس ، والأمير سيف الدين تناكر (١) ، فى بقية ألزامه من البرجية . ( ٢٩٣ ب ) وكأنما نودى فى الناس بأنه قد خرج هارباً ، فاجتمع الناس وقد برز من باب الإسطبل ، وصاحوا به وتبعوه وهم يَصِيحون عليه ، وزادوا فى الصياح حتى خرجوا عن الحد ، ورماه بعضهم بالحجارة . فشقّ ذلك على مماليكه ، وهمّوا بالرجوع إليهم ووضع السيف فيهم ؛ فمنعهم من ذلك ، وأمرهم بنثر المال عليهم ليشتغلوا بجمعه عنهم ؛ فأخرج كل من المماليك حفنة مال ونثرها . فلم تلتفت العامة لذلك وتركوه ، وأخذوا فى العدو خلف العسكر ، وهم يسبّون ويصيحون ؛ فشهر المماليك حينئذ سيوفهم ، ورجعوا إلى العوام فانهزموا عنهم . وأصبح الحراس بقلعة الجبل يوم الأربعاء ( ٢٩٤ ا ) سابع عشره يصيحون (٢) باسم الملك الناصر ، بإشارة الأمير سلار ، فإنه أقام بالقلعة .

وفى يوم الجمعة تاسع عشره خُطب على منابر القاهرة ومصر باسم الملك الناصر ، وأسقط اسم الملك المظفر ، فكانت أيامه فى السلطنة عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً ، فكان كما قيل :

أعجلتها النوى فما نلتَ منها     طائلا غير نظرة من بعيد(٣)

---

(١) كذا فى ف . انظر أيضا ص ٦٦ ، سطر ١٨ .

(٢) فى ف « يصيحوا » .

(٣) يتلو هذا البيت فى ف العبارة الآتية ، ونصها « تم الجزء الثالث من السلوك لمعرفة دول الملوك ، يتلوه فى الجزء الرابع إن شاء الله تعالى عود السلطان الناصر ، وذلك على يد الفقير إلى الله تعالى أبى الفضل الأعرج ، فى تاسع عشر ربيع الأول عام ٨٨٠ هـ ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » . ويتضح من هذه العبارة أن نسخة ف كتبت بعد وفاة مؤلفها بخمس وثلاثين فقط ، وهذا مما يميزها عن كثير من النسخ الأخرى ، كنسخة ب المتداول ذكرها بالحواشى . أما أبو الفضل الأعرج ، وهو كاتب هذه النسخة من كتاب السلوك ، فسيأتى التعرف به فى آخر الجزء الرابع من هذه الطبعة .

## (١ ب) عود السلطان[1] الملك الناصر ناصر الدين أبى المعالى محمد بن الملك المنصور قلاون إلى الملك مرة ثالثة

وذلك أنه لما عزم على المسير إلى ديار مصر، خرج من دمشق فى الثانية من نهار يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان — وهى الساعة التى خلع فيها الملك المظفر بيبرس نفسه من الملك — ، وسار يريد مصر.

وعندما فرّ المظفر بيبرس جلس الأمير سلار فى شباك النيابة، وجمع من بقى من الأمراء، واهتم بحفظ القلعة، وأفرج عن المحابيس بها. وركب [ سلار ] ونادى فى الناس: «ادعوا لسلطانكم الملك الناصر»، (٢ ا) وكتب إلى الملك الناصر بنزول بيبرس عن السلطنة وفراره، وسير بذلك أصلم الدوادار وبهادر آص إلى الملك الناصر برسالة المظفر أنه قد نزل عن السلطنة، ويسأل إما الكرك أو حماة أو صهيون. فاتفق يوم وصولهما إلى غزة قدوم الملك الناصر أيضاً، وقدوم الأمير سيف الدين ساطى السلاح دار فى طائفة من الأمراء، وقدوم العربان والتركمان. وقدم الأمير مهنا بجماعة من عرب آل فضل، فركب السلطان إلى لقائه؛ وقدم برلغى ونائب الكرك. فسرّ السلطان بذلك سروراً كبيرا. وكتب [ الناصر ] إلى المظفر أمانا مع بيبرس الدودار وبهادر آص، وقدما فى حادى عشرى رمضان إلى الأمير سلار، فجهز الأمان إلى المظفر.

ولما تكاملت (٢ ب) العساكر بغزة سار [ الناصر ] يريد مصر، فقدم أصلم مملوك سلار بالنجاة[3]؛ ووصل أرسلان[4] الدوادار، فسرّ بذلك. ولم يزل [ الناصر ] سائراً إلى أن نزل بركة الحاج، وقد جهز إليه الأمير سلار الطلب السلطانى والأمراء والعساكر سلخ رمضان؛ وخرج الأمير سلار إلى لقائه. وصلى السلطان صلاة العيد بالدهليز فى يوم الأربعاء مستهل شوال، وأنشده الشعرا مدائحهم، فمن ذلك ما أنشده شمس الدين محمد بن على بن موسى الراعى أبياتاً منها:

---

(١) هذا بدء الجزء الرابع من السلوك، حسب تقسيم نسخة ف، ورقمه ٤٣٨٣ فاتح.

(٢) فى ف «قدم».

(٣) انظر المقريزى (كتاب السلوك، ج ١، ص ٨٥٧).

(٤) فى ف «رسلان»، والرسم المثبت هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٤٩).

الملك عادَ إلى حماهُ كما بدا وَمحمدٌ بالنصر سَرَّ محمدا
وإيابه كالسيف عاد لغمده وَمَعاده كالورد عاوده الندى
الحق مرتجع إلى أربابه من كفّ غاصبه وإن طال المدا

وعمل الأمير [ سلار ] سماطا عظيما بلغت النفقة عليه (١٣) اثنى عشر ألف درهم ، جلس عليه السلطان . فلما انقضى [ السماط ] عزم [ السلطان ] على المبيت والركوب بكرة يوم الخميس . فبلغه أن الأمير برلغى والأمير أقوش نائب الكرك قد اتفقا مع البرجية على الهجوم عليه وقتله ، فبعث إلى الأمراء يعلمهم بما بلغه ، ويأمرهم بالركوب فركبوا ؛ وركب فى مماليكه ودُقت الكوسات . وسار [ الناصر ] وقت الظهر من يوم الأربعاء ، وقد احتفّت به مماليكه كى لا يصل إليه أحد من الأمراء ، وسار إلى القلعة ؛ وخرج الناس بأجمعهم لمشاهدته . فلما بلغ بين العروستين[1] ترجّل سلار وسائر الأمراء ، ومشوا إلى باب السر من القلعة ، وقد وقف جماعة من الأمراء بمماليكهم وعليهم السلاح حتى عبر السلطان من الباب إلى القلعة ، وأمر (٣ ب) الأمراء بالانصراف إلى منازلهم . وعين جماعة من الأمراء الذين يثق بهم أن يستمروا على ظهور خيولهم حول القلعة طول الليل ، فباتوا على ذلك .

وأصبح [ الناصر ] من الغد يوم الخميس ثانيه جالسا على تخت الملك وسرير السلطنة ، وحضر الخليفة أبو الربيع والأمراء والقضاة وسائر أهل الدولة للهناء ، فقرأ محمد بن على بن موسى الراعى : « قُلِ اللّهُمَّ مالِكَ المُلْكِ ، تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ[2] وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » ، ثم دعا . ولما تقدّم الخليفة وسلم ، نظر إليه السلطان وقال له : « كيف تحضر تسلّم على خارجىٍّ ، هل كنت أنا خارجيا وبيبرس كان من سلالة بنى العباس ؟ » ، فتغيّر وجه الخليفة ولم ينطق . ثم التفت السلطان إلى القاضى

(١) أطلق هذا الاسم على خط من الأخطاط الواقعة فى طريق الواصل إلى قلعة الجبل من القاهرة فى العصور الوسطى ، وكان به حسبما أورد ابن الزيات ( الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ، ص ٢٧٨ ) مقابر لبعض الأولياء ، . قد حدده محمد رمزى بك بالموضع الذى توجد به دار المحفوظات المصرية الحالية ، غير أن المراجع المتداولة فى هذه الحواشى لا تنبىء بشىء ، عن أصل تلك التسمية .

(٢) يلى هذا لفظ « الآية » ، دلالة على أن الناسخ — أو المقريزى نفسه — اكتفى بأول الآية وترك البقية للقارىء ، وقد كملت هنا .

علاء الدين على بن عبد الظاهر الموقّع ، وكان (١٤ ا) هو الذى كتب عهد المظفر عن الخليفة ، وقال له : « يا أسود الوجه » ، فقال ابن عبد الظاهر من غير توقف : « يا خوند ! أبلق خير من أسود ؟ » ، فقال السلطان : « ويلك ! حتى ألا تترك (١) رنكه أيضاً ، يعنى أن ابن عبد الظاهر ممن ينتمى إلى الأمير سلار ، وكان رنك سلار أبيض وأسود » ، ثم التفت السلطان إلى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، وقال : « يا قاضى ! كنت تفتى المسلمين بقتالى ؟ » فقال : « معاذ الله ! إنما تكون الفتوى على مقتضى كلام المستفتى » . ثم حضر صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل ، وقبّل يد السلطان فقال له كنت تقول « ما للصبىّ وما للملك يكفله ؟ » ، فحلف بالله ما قال هذا ، وإنما الأعداء أرادوا إتلافه فزادوا فى قصيدته هذا البيت ، (٤ ب) والعفو من شيم الملوك ، فعفا عنه ؛ وكان ابن المرحل قد مدح المظفر بيبرس بقصيدة عرّض فيها بالناصر ، من جملتها :

ما للصبىّ وما للملك يكفله　　شأن الصبى لغير الملك مألوف

ثم استأذن شمس الدين محمد بن عدلان ، فقال السلطان للدوادار : « قل له أنت أفتيتَ أنه خارجىّ وقتالُه جائز ، مالك عنده دخول ؛ ولكن عرّفه هو وابن المرحل [ أنه ] يكفيهما ما قال الشارمساحى فيهما » . وكان من خبر ذلك أن الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة عرّض فيها بهجو الملك المظفر بيبرس وصحبته لابن عدلان وابن المرحل ، منها :

وَلّى المظفر لمّا فاته الظَفَر　　وناصرُ الحق وافى وهو منتصر
وقد طوى الله من بين الورى فتنا　　كادت على عصبة الإسلام تنتشر
فقل لبيبرس إن الدهر ألبسه　　أثواب عارية فى طولها قصر
لما تولّى تولّى الخيرُ عن أمم　　لم يحمدوا أمرهم فيها ولا شكروا
وكيف تمشى به الأحوال فى زمن　　لا النيل وفّى ولا وافاهمُ مطر
ومن يقوم ابن عدلان بنصرته　　وابن المرحل قل لى كيف ينتصر

وكان المطر لم يقع فى هذه السنة ، وقصرَ النيل ، وارتفع السعر .

---

(١) كذا فى ف .

واتفق فى يوم جلوس السلطان ، أن الأمراء لما اجتمعوا قبل خروج السلطان إليهم بالإيوان أشار الأفرم نائب الشام لمنشد يقال له مسعود أحضره معه من دمشق ، فقام وأنشد أبياتا لبعض عوامّ القاهرة ، قالها عند توجّه الملك الناصر من مصر إلى الكرك ، منها :

(٥ ب) أحبــة قلبى إننى لوحيد — وأريد لقاكم والمزار بعيــد
كفى حزنا أنى مقيم ببــلدة — ومن شفّ(١) قلبى بالفراق فريد
أجول بطرفى فى الديار فلا أرى — وجوه أحبتى الذين أريد

فتواجد الأفرم وبكى ، وحسر عن رأسه ، ووضع الكلفتاهُ على الأرض ؛ فأنكر الأمراء ذلك ، وتناول الأمير قراسنقر الكلفتاهُ بيده ووضعها على رأسه . وخرج السلطان فقام الجميع ، وصرخت الجاويشية ، فقبّل الحاضرون الأرض .

وفيه قدّم الأمير سلار من المماليك والخيول وتعابى القماش ما قيمته مائتا ألف درهم ، فقبل السلطان شيئاً وردّ الباقى . وسأل سلار الإعفاء [من نيابة السلطنة (٢)] ، وأن ينعم عليه بالشوبك ؛ فأجيب إلى ذلك . وحلف [سلار] أنه متى طُلب حضر ، وخلع عليه ، (١٦) ، وخرج عصر يوم الجمعة ثالثه مسافراً ؛ فكانت نيابته إحدى عشرة سنة ؛ وتوجه معه الأمير نظام الدين آدم ؛ واستقر ابنه عَلِىّ بالقاهرة ، وأنعم عليه بإمرة عشرة .

وفى خامسه قدم رسول المظفر بيبرس بكتابه يسأل الأمان . وفيه استقر قراسنقر فى نيابة دمشق عوضاً عن الأفرم ، وقبجق فى نيابة حلب ، والحاج بهادر الحلبى فى نيابة طرابلس عوضاً عن أسندمر كرجى ، وقطلوبك المنصورى فى نيابة صفد عوضاً بكتمر الجوكندار ، وأسندمر كرجى فى نيابة حلب حماة عوضا عن قبجق ، وسنقر الكمالى حاجب الحجاب بديار مصر على عادته ، وقرا لاجين أمير مجلس على (٦ ب) عادته ، وبيبرس الدودار على عادته ـ وأضيف إليه نيابة دار العدل ونظر الأحباس ـ فى خامس ذى القعدة ؛ واستقر الأفرم فى نيابة صرخد بمائة فارس . وطُلب

---

(١) فى ف « مرشف » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٢٧) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح ، على أن الوارد فى ف (Zettersteen : op. Cit. p. 131) الأمير سلار « عزل من نيابة السلطنة » .

شهاب الدين بن عبادة ، ورسم له بتجهيز الخلع والتشاريف لسائر أمراء الشام ومصر فجهزت ، وخُلع عليهم كلهم فى يوم الاثنين سادسه ؛ وركبوا فكان يوماً مشهوداً .

وفى يوم الأحد ثانى عشره استقر فخر الدين عمر بن الخليلى فى الوزارة ؛ وصُرف ضياء الدين أبو بكر النشائى ، وعُوِّق بالقلعة أياماً ؛ ثم أفرج عنه ولم يحمل مالاً .

وفى يوم الخميس سادس عشره حضر الأمراء الخدمة على العادة ، وقد قرَّر السلطان ( ١٧ ا ) مع مماليكه القبض[1] على الأمراء ، وأن كل عشرة يقبضون أميراً ممن عيَّنه لهم ، بحيث تكون العشرة عند دخول الأمير محتفَّة به ، فإذا رفع السماط واستدعى السلطان أمير جاندار قبض كل جماعة على من عُيِّن لهم . فلما حصل الأمراء فى الخدمة أحاط بهم المماليك ، ففهموا القصد ، وجلسوا على السماط ، فلم يتناول أحد منهم لقمة . وعند ما نهضوا أشار السلطان إلى أمير جاندار ، فتقدم إليه وقبض المماليك على الأمراء المعينين ، وعدتهم اثنان وعشرون أميراً ؛ فلم يتحرك أحد لقبضهم من خشداشيتهم ، وبهت الجميع . ولم يفلت ممن عُيِّن سوى جركتمر بن بهادر رأس نوبة ، فإنه[2] لما فهم القصد وضع يده على أنفه كأنه رُعِف[3] . وخرج من غير أن يشعر به ( ٧ ب ) أحد . واختفى عند الأمير قراسنقر وكان زوج بنته . فشفع فيه حتى عفى السلطان عنه . وكان الأمراء المقبوض عليهم : تناكر ، وأيبك البغدادى ، والعَتَّابى ، وبَلَبَان التقوى ، وقجماس ، وصاروجا[4] ، وبيبرس عبد الله ، وبيدمر ، ومنكوبرس : وأشقتمر ، والسيواسى ، والكمالى الصغير ، وحسن الرَّدَّادى ، وبلاط ، وتمرْبُغا ، وقيران ، ونوغاى الحموى ، والحاج بَيْليك المظفرى وقُطْقُطُوا ، والغَتْمى ، وأكبار[5] ، وتتمة الاثنين وعشرين .

وجُرِّد عدد من الأمراء إلى دمشق . فأول من سافر علاء الدين مغلطاى المسعودى ،

(١) فى ف « يقبضوا » .

( ٢،٣ ) ما بين الرقمين فى ب ( ١٣٢٨ ا ) كالآتى : « فانه لما فهم القصد ومنع قيده على أنه كان رعف » ، وهذا مثل آخر على قيمة ب بالنسبة لنسخة ف .

(٤) فى ف « صاروجا » والرسم المثبت هنا من ( Zettersléen : Op. Cit. p. 155 ) .

(٥) أثبت الناشر صيغة هذه الأسماء كلها حسبما ورد فى ف ، وضبط ما هو مضبوط هنا فقط .

وتُجبَا أخو سلار ، وطرنطاى البغدادى ، وأيدغدى التليلى ، وبهادر الحوى ، وبلبان الدمشق ، (١٨) وأيدغدى الزرّاق ، وكهرداش الزرّاق ، وبكتمر الأستادار ، وأيدمر الإسماعيلى ، وأقطاى الجمدار ، وبوزبا الساقى[1] وبيبرس الشجاعى ، وكورى السلاح دار ، وأقطوان الأشرفى ، وبهادر الجوكندار ، وبلبان الشمسى ، وعدة من أمراء العشراوات ؛ فلما وصلوا إلى حلب رُسم بإقامة ستة من أمراء الطبلخاناه وعود البقية .

وفى ثالث عشريه استقر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار المنصورى فى نيابة السلطنة بديار مصر ، عوضا عن سلار .

وفى خامس عشريه أحضر الأمير بيبرس الدودار الأموال من عند الملك المظفر بيبرس . وفيه أمّر السلطان اثنين وثلاثين أميراً من مماليكه (٨ ب) : منهم تنكز الحسامى ، وطغاى ، وكستاى ، وقجليس ، وخاص ترك ، وخلط قرا ، وأركتمر ، وأيدمر الشيخى ، وأيدمر الساقى ، وبيبرس أميرآخور ، وطاجار ، وخضر بن نوكاى ، وبهادر قبجق ، والحاج رقطاى ، وأخوه أيتمس المحمدى ، وأرغون الدوادار الذى صار بعدذلك نائب السلطنة بمصر ، وسنقر المرزوقى ، وبلبان الجاشنكير ، واسنبغا ، وبيبغا الملكى ، وأمير على بن قطلوبك ، ونوروز أخو جنكلى ، والجاى الحسامى ، وطيبغا حاجى ، ومغلطاى العزى صهر نوغاى ، وقرمشى الزينى ، وبكتمر قبجق ، وبيغرا[2] الصالحى ، ومغلطاى البهائى ، وسنقر السلاح دار ، ومنكلى بغا . وركبوا جميعاً بالشرابيش ، وشقّوا القاهرة ؛ وقد (١٩) أوقدت الحوانيت كلها إلى الرميلة وسوق الخيل ، ورُصّت المغانى وأرباب الملاهى فى عدة أماكن ، ونثرت عليهم الدراهم ، فكان يوما مشهوداً . وكان المذكورون منهم أمراء طبلخاناه ، ومنهم أمراء عشراوات .

وفيه قُبض على الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى الأستادار ، والأمير بدر الدين بكتوت القتاح أمير جاندار ، بعدما حضرا من عند الملك المظفر وخُلع عليهما . وفيه كُتب إلى

---

(١) فى ف « بورنا » وفى ب ( ١٣٢٨ ) ، « بوزبا » . انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٦٧ ) .

(٢) فى ف « تينوا » ، والرسم المثبت هنا من ( Zetterstéen : Op. cit. P. 183 ) .

ولاة الأعمال بالحوطة على موجود الأمراء المقبوض عليهم ، وطلب [ السلطان ] مباشريهم . وفيه سُفِّر الأمراء المقبوض عليهم إلى حبس الإسكندرية ، وكتب بالإفراج عن المعتقلين بها ، وهم : الأقوش المنصوري قاتل الشجاعي ، والشيخ على التترى ( ٩ب ) ، ومنكلى التترى ، وشاورشى [ بن ] [(١)] قنغر الذى أثار فتنة الشجاعى ، وكتبغا ، وغازى وموسى أخوا [(٢)] حمدان [(٣)] بن صلغاى ؛ فلما حضروا خُلع عليهم ، وأنعم عليهم بإمريات فى الشام وأحضر شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية من سجن الإسكندرية إلى السلطان ، فبالغ فى إكرامه .

وأما المظفر بيبرس فإنه لما فارق قلعة الجبل أقام بإطفيح يومين ، واتفق رأيه ورأى أيدمر الخطيرى وبكتوت الفتاح على المسير إلى برقة والإقامة بها ؛ فلما بلغ المماليك هذا عزموا على مفارقتهم ، فلما رحلوا من إطفيح رجع المماليك شيئا بعد شىء إلى القاهرة ، فما بلغ الملك المظفر إلى إخميم حتى فارقه أكثر من كان معه ؛ فأنثنى رأيه عن برقة . وتركه الخطيرى ( ١٠ ا ) والفتاح وعادا إلى القاهرة ، فتبعهما كثير من المماليك المظفرية وهو يراهم . و [ بينما هو سائر ] قدم عليه الأميران بيبرس الدوادار وبهادر آص [ من عند [(٤)] الملك الناصر ] ليتوجه إلى صهيون ، بعد أن يدفع ما أخذه من المال بأجمعه إلى بيبرس ؛ فسار به [(٥)] [ بيبرس ] فى النيل ، وقدم بهادر آص فى البر بالمظفر ومعه [(٦)] كاتبه كريم الدين أكرم . وسأل [ المظفر ] يمين السلطان مع من يثق به ، فحلف له السلطان بحضرة الأمراء ؛ وبعث إليه بذلك مع أيتمش المحمدى ؛ فلما قدم عليه أيتمش بالغ فى إكرامه ، وتحيّر فيما يفعله ، وكتب الجواب بالطاعة ، وأنه يتوجه إليه ناحية السويس ، وأن كريم الدين يحضر بالخزانة والحواصل التى أخذها فلم يعجب السلطان ذلك ، وعزم على

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ) .

(٢) فى ف « اخوى » .

(٣) فى ف « جدار » ، والرسم المثبت هنا من ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٦٩ ) . انظر أيضا المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٤٩ ) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين بقية هذه الصفحة من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٧٢ ) .

(٥) الضمير عائد على المال .

(٦) فى ف « ومكاتبته » ، والصيغة المثبتة هنا من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٧٢ ) .

إخراج تجريدة إلى غزة ليردّوه (١٠ ب)، وأطلع على ذلك بكتمر الجوكندار النائب وقراسنقر نائب دمشق والحاج بهادر نائب طرابلس.

فلما كان يوم الخميس الذى قُبض فيه على الأمراء جلس بعض المماليك الأشرفية، فلما خرج الأمراء من الخدمة قال [أولئك الأشرفية] : «وأى ذنب لهؤلاء الأمراء الذين قُبض عليهم، وهذا الذى قتل أستاذنا الملك الأشرف، ودمه إلى الآن على سيفه ما خرج أثره، [قد صار[1] اليوم] حاكم المملكة ؟» — يعنى قراسنقر. فنُقل هذا لقراسنقر، فخاف على نفسه، وأخذ فى التعمّل على الخلاص [من مصر[2]]؛ والتزم [للسلطان] أنه [يتوجه و] يحصّل المظفر بيبرس هو والحاج بهادر نائب طرابلس من غير إخراج التجريدة، فإنّ فى بعث الأمراء لذلك شناعة؛ فمشى ذلك على السلطان، ورسم بسفرهما. فخرج [قراسنقر] هو وسائر (١١ ا) النواب إلى ممالكهم، فعوّق [السلطانُ] أسندمرَ كرجى نائب حماة عن السفر، وسار البقية.

ثم جهز السلطان أسندمر كرجى لإحضار المظفر مقيداً، فاتفق دخول قراسنقر والأمراء الى غزة قبل المظفر، فلما بلغهم قربه ركب قراسنقر وسائر النواب والأمراء ولقوه شرقى غزة، وقد بقى معه عدة من مماليكه وقد تأهبوا للحرب، فلبس الأمراء السلاح ليقاتلوهم. فأنكر المظفر على مماليكه تأهبهم للقتال، وقال: «أنا كنت ملكا وحولى أضعافكم، ولى عصبة كثيرة من الأمراء، وما اخترت سفك الدماء»، ومازال حتى كفوا عن القتال؛ وساق بنفسه حتى صار مع الأمراء، وأسلم نفسه إليهم، فسلموا عليه وساروا به إلى معسكرهم وأنزلوه بخيمة، (١١ ب) وأخذوا سلاح مماليكه ووكّلوا بهم من يحفظهم، وأصبحوا من الغد عائدين به معهم إلى مصر. فأدركهم أسندمر كرجى بالخطارة [3]، فأنزل فى الوقت المظفرَ عن

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب (٣٢٩ ا) فقط.

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بقية هذه الصفحة بعد مراجعة ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٧٣).

(٣) الخطارة إحدى مراكز البريد بين مصر والشام فى العصور الوسطى، وموقعها بين السعيدية والصالحية الحالية. (القلقشندى: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٧٧؛ المقريزى: كتاب السلوك، ج ١، ص ٣٧٤، ٥٧١). وقد عين محمد رمزى بك فى ابن تغرى بردى (كتاب النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٥١ حاشية ٥) موضع الخطارة الحالية - واسمها الخطارة الصغرى - بمركز فاقوس من مديرية الشرقية.

فرسه وقيّده بقيد أحضره معه ، فبكى وتحدّرت دموعه على شيبته . فشقّ ذلك على قراسنقر وألقى الكلفتاه عن رأسه إلى الأرض ، وقال : « لعن الله الدنيا ! فياليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم » . فترجّلت الأمراء ، وأخذوا كلوتته[1] ووضعوها على رأسه . هذا مع أن قراسنقر كان أكبر الأسباب فى زوال دولة المظفر ، وهو الذى حسّن للملك الناصر حتى كان ما كان .

ثم عاد قراسنقر والحاج بهادر إلى جهة الشام ، وأخذ بهادر يلوم[2] [قراسنقر] على مخالفة رأيه ، فإنه كان قد أشار على قراسنقر فى الليل (١٢ ا) بعد القبض على المظفر بأن يخلى عنه حتى يصل إلى صهيون ، ويتوجه كل منهما إلى محل ولايته ، [ويخيفا][3] الناصر بأنه[4] متى تغيّر عما كان قد وافق الأمراء عليه بدمشق قاموا بنصرة المظفر وإعادته إلى الملك . فلم يوافق قراسنقر على ذلك ، وظنّ أن الملك الناصر لا يستحيل[5] عليه ولا على المظفر ؛ فلما رأى ما حلّ بالمظفر ندم على مخالفة بهادر . وبيناهما فى ذلك إذ بعث أسندمر كرجى إلى[6] [قراسنقر] بمرسوم السلطان أن يحضر صحبة المظفر إلى القلعة ، وكان عزمه[7] أن يقبض عليه أيضاً ؛ ففطن [قراسنقر] بذلك وامتنع من التوجه إلى مصر ، واعتذر بأن العشير قد جمعوا ويخاف على دمشق منهم ، وجدّ فى المسير ؛ وعرف أنه قد ترك الرأى فى مخالفة بهادر .

وقدم أسندمر بالملك المظفر فى (١٢ ب) ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذى القعدة ؛ فلما مثل المظفر بين يدى السلطان قبّل الأرض ، فأجلسه وعنّفه بما فعل به ، وذكّره بما كان منه وعدّد ذنوبه ، وقال : « تذكر وقد صِحْتَ علىّ وقت كذا بسبب فلان ، ورددت شفاعتى

(١) الكلوتة هى الكلفتاه . انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٩٣ ، ٨٣٠ ) .

(٢) فى ف « يلومه » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٣) موضع مابين الحاصرتين بياض فى ف ، والإضافة من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٨٤ ) .

(٤) فى ف « فانه » .

(٥) كذا فى ف .

(٦) فى ف « اليه » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٧) الضمير عائد على السلطان الناصر .

فى حقّ فلان، واستدعيتُ نفقة فى وقت كذا من الخزانة فمنعتها ، وطلبتُ فى وقت حلوى بلوز وسكر فمنعتنى . ويلك ! وزدتَ فى أمرى حتى منعتنى شهوة نفسى » ، والمظفر ساكت . فلما فرغ كلام السلطان قال له : « يا مولانا السلطان ! كلُّ ماقلتَ فعلتُه ، ولم تبق إلا مراحم السلطان . وإيش يقول المملوك لأستاذه » . فقال له : « يا ركن الدين ! أنا اليوم أستاذك ، وأمس تقول لما طلبت أوز مشوى إيش يعمل بالأوز (١٣ ا) ، الأكل هو عشرون مرة فى النهار ؟ » . ثم أمر [ السلطان ] به إلى مكان ، وكان ذلك ليلة الخميس ، فاستدعى بوضوء وصلى العشاء الآخرة . ثم جاء السلطان وأمر به فقُتل (١) ، وأنزل على جنوية (٢) إلى الإسطبل ، وغُسّل به فى ليلة الجمعة خامس عشرة ، ودفن خلف القلعة .

وقدم كريم الدين (٣) أكرم بن العلم بن السديد كاتب الملك المظفر بالمال والحواصل ، فقرّبه السلطان وأدناه وأثنى عليه ، ووعده بكل جميل إن أظهره على ذخائر بيبرس ، ونزل إلى داره . فبذل [ كريم الدين ] جهده فى تتبع أموال بيبرس ، وخدَم طغاى وكستاى وأرغون الدوادار ، وبذل لهم مالا كثيراً حتى صاروا أكبر أعوانه وأنصاره ، لا يبرحون فى الثناء عليه مع السلطان . وقدم مَن كان مع بيبرس (١٣ ب) من المماليك وعدتهم ثلاثمائة ، ومعهم الخيل [ والهجن (٤) والسلاح ] ، ومبلغ مائتى ألف درهم وعشرين ألف دينار ، وستون (٥) بقجة من أنواع الثياب . فقبض السلطان الجميع ، وفرّق المماليك على الأمراء ، واختصّ منهم بكتمرَ الساقى الآتى ذكره وماصار إليه ، واختص أيضاً طوغان الساقى

(١) أفاض ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٧٥ ) فى وصف مقتل المظفر بيبرس ، ومنه : « ثم جاء السلطان الملك الناصر ؛ فخنق [ المظفر ] بين يديه بوتر حتى كاد يتلف ، ثم سيّبه حتى أفاق ، وعنفه وزاد فى شتمه ، ثم خنقه ثانياً حتى مات ... » .

(٢) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٥٧ ، ٨٤٠ ) .

(٣) لهذا الرجل شأن وأثر كبير فى عهد السلطان الناصر محمد كما سيلى ، ولا بأس هنا من التعريف به فى عبارة مختصرة ، فهو كريم الدين أكرم بن هبة الله القبطى الأصلى ، وكان على وظيفة ناظر الخاص مدة طويلة ، وهو أول من تولى تلك الوظيفة التى ابتدعها الناصر فى أوائل سلطنته ، وكانت وفاته سنة ٧٢٦ هـ . انظر ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠١ — ٤٠٤ ) ، وكذلك ( Wiet : Les Biographies du Manhal Safi p. 75.

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٣٠) .

(٥) فى ف «ستين» .

وقباتمر وبُلبك (١) فى آخرين . واستدعى [ السلطان ] القضاة ، وأقام عندهم البينة بأن جمع مماليك بيبرس وسلار وسائر ما وقفاه من الضياع والأملاك اشترى من مال بيت المال . فلما ثبت ذلك ندب السلطان الأميرَ جمال الدين أقوش نائب الكرك وكريم الدين أكرم لبيع تركة بيبرس ، وإحضار نصف ما يتحصل فإنه للسلطان ، ودَفْع النصف الآخر لابنة بيبرس ( ١٤ ا ) - امرأة الأمير برلغى الأشرفى - ، فإنه لم يترك سواها . فشدّد كريم الدين الطلب على امرأة بيبرس (٢) حتى أخذ منها جواهر عظيمة القدر وذخائر نفيسة جدا ، وحمل منها إلى السلطان ، وأهدى إلى الأمراء الخاصكية القائمين بأمره (٣) والعناية به ، وادّخر لنفسه . وباع موجود بيبرس ، وكان شيئا كثيرا : فوجد له ثمانين بذلة (٤) ثياب ، ما بين أقبية وبغالطيق (٥) للبسه ، وستين سروالا ، وثمانين قميصا . وصار كريم الدين يتردّد إلى بيت شهاب الدين أحمد بن عبادة وكيل السلطان المتحدّث فى أملاكه ، وهو حينئذ عظيم الدولة المتحدث فى سائر أمور المملكة ، ويقرّب إليه بما يحب . وطلب الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلى مباشرى ( ١٤ ب ) الأمراء المقبوض عليهم ، وطالبهم بالأموال .

وأما قراسنقر والنواب فإنه سُقط فى أيديهم ، وداخل كلا (٦) منهم الخوف على نفسه من السلطان ؛ واتفقوا على ألا يحضر أحد منهم إلى السلطان إن استدعاه ، فلم يفدهم ذلك . وكان من خبرهم ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ولما فات السلطان قراسنقر لم ير القبض على أسندمر كرجى ، وخلع عليه وولاه نيابة حماة ، وسار إليها . وندب الأمير علم الدين سنجر الخازن لمساعدة الصاحب فخر الدين على حوطات الأمراء .

---

(١) بغير نقط أو ضبط فى ف ، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 237)

(٢) فى ف « على امراة سرس وعلى ابنته ... » ، وقد حذف الجزء الثانى من هذه العبارة بعد مراجعة ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ص ٤٠٢ ) .

(٣) هنا تعريف موجز لفرقة الخاصكية ، وهى إحدى فرق المماليك السلطانية .

(٤) فى ف « بدله » .

(٥) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤ ، ٥٨ ، ٨٢٠ )

(٦) فى ف « كل » .

ثم ركب السلطان إلى الميدان فى موكب عظيم ، واجتمع الناس لرؤيته ، واستأجروا الحوانيت والدور بمال كبير ، فكان يوما مشهودا .

وفى أول ذى الحجة دخل (١٥ ا) الأمير قراسنقر دمشق . وفيه سار الأمير أرغون الدوادار على البريد إلى الشوبك بتشريف الأمير سَلاّر ، وأنعم عليه بمائة فارس ، وأخرجت له بلاد من خاص الكرك زيادة على ما بيده من الشوبك ، وكتب له به منشور .

وفيه وُسِّط تحت القلعة سبعة من مماليك أقوش الرومى ، بسبب أنهم تولوا قتله وأخذوا ماله ، وصاروا إلى الكرك كما تقدم .

وفيه مُنع الأوِيرَاتية من الدخول إلى الخدمة السلطانية : وسببه أنهم كانوا مستخدمين عند الأمراء ، فلما خامروا على أستاذيهم وفروا إلى السلطان بالكرك ظنوا أنهم قد اتخذوا عنده بذلك يداً ، فصاروا بعد عوده إلى السلطنة يمشون فى خدمة السلطان (١٥ ب) ويقفون فوق المماليك السلطانية ؛ فشقّ ذلك على المماليك ، وأغروا السلطان بهم حتى تنكّر لهم ، وأكثروا من ذمهم والعيب عليهم بكونهم خامروا على أستاذيهم وأنهم لا خير فيهم ، إلى أن منعهم [ السلطان ] .

وفيه كتب لقراسنقر نائب دمشق بمحاربة العَشير وقتالهم ، وكانت بنو هلال و بنو أسد قد كثرت حروبهم وعظم فسادهم لاختلال أمر[1] الدولة ؛ فبعث إليهم [قراسنقر] تجريدة أحضرت[2] رؤساءهم ، وقرر عليهم ثلاثمائة ألف درهم ، وحبس رهائنهم ، وبعث يسأل الإنعام عليه بالمبلغ ، فأنعم عليه . وأعيد الشيخ كريم الدين عبد الكريم الآملى إلى مشيخة سعيد السعداء ، وعزل [عنها] بدر الدين محمد بن جماعة ، واستقر (١٦ ا) عوضه جمال الدين محمد بن تقى الدين محمد بن مجد الدين حسن بن تاج الدين على بن القسطلانى فى خطابة القلعة ، و[ كان قد] عُزِل منها ابن جماعة أيضا لتغير السلطان عليه . وأنعم على الأمير نوغاى القبجاقى بإمرة دمشق عوضا عن قطلوبك المنصورى ، وسار إليها . وكُتب بقطع خبز الأمير قطلوبك الأوشاقى والطنقش أستادار الأفرم وعلاء الدين على بن صبيح مقدمى الجبلية

(١) فى ف « امرا » .

(٢) فى ف «احضروا » .

وحملهم إلى مصر . وفيه قُبض على الأمير برلغى الأشرفى وطغلق السلاح دار ومغلطاى الفارقانى ؛ وكُتب لقراسنقر بالقبض على نوغاى وبيبرس العلمى، فقبض عليهما وسجنا بقلعة دمشق . وأحيط بسائر ما لهما .

وفيها كانت حرب (٦٠ ب) بالمدينة النبوية : وذلك أن الشريف مقبل بن جماز بن شيحة أمير المدينة تنافسَ مع أخيه منصور ، فتركه وقدم إلى القاهرة ، فولاه الملك المظفر نصف الإمرة بنجد ، واستخلف ابنه كبيشة . ففرّ كبيشة عنها وملكها مقبل ، فعاد كبيشة بجمع كبير وحاربه وقتله ، واستقرّ منصور بمفرده .

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر ضياء الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عبد المنعم الأنصارى البخارى ، القرطبى المحتد ، القنائى المولد والوفاة ، فى رابع ذى العقدة ؛ وكان رئيساً ببلده . ومات الشيخ الصالح المعمر أبو العباس أحمد ابن أبى طالب الحمامى البغدادى ، بمكة فى جمادى (١٧ ا) الآخرة . ومات نبيه الدين حسن بن حسين بن جبريل ابن نصر الأنصارى الأسعردى ، بالقاهرة فى أول جمادى الآخرة ؛ ولى حسبة القاهرة ، لما استقر ضياء الدين أبو بكر النشائى وزيراً تولى هو نظر الدولة ؛ مات بمصر عن سبع وسبعين سنة . ومات شمس الدين محمد بن أبى الفتح البعلى الفقيه الحنبلى ، فى المحرم بمصر ؛ وكان بارعا فى الفقه والنحو . ومات الأمير الوزير شمس الدين سنقر الأعسر المنصورى فى ربيع الأول ، ودفن خارج باب النصر ، بعد ما استعفى من الإمرة ولزم داره حتى مات . ومات الشيخ نجم الدين محمد بن إدريس القَمُولىّ (١) الشافعى ، بقوص فى جمادى الأولى ؛ وكان (١٧ ب) صالحا عالما بالفقه والتفسير والحديث . ومات قاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى بن يحيى ابن محمد بن عبد الله بن نصر بن عبد الله بن نصر بن أبى بكر الحرانى الحنبلى ، ليلة الجمعة رابع عشرى ربيع الأول ؛ ودفن بالقرافة ، ومولده بحران سنة خمس وأربعين وستمائة . ومات الأمير سيف الدين طغريل الإيغانى ، بالقاهرة فى عاشر رمضان . ومات الأمير عز الدين أيبك الخازندار ، بالقاهرة فى سابع رمضان . ومات الأمير

(١) القمولى نسبة إلى بلدة قمولا ، وقد اطلق هذا الاسم على كثير من قرى مديرية قنا الحالية ، ومن هذه القرى ما هو تابع لمركز قوص ، ومنها ما هو تابع لمركز الأقصر . ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٧٩ ، حاشية ٢ ) ؛ انظر أيضاً مبارك ( الخطط التوفيقية ، ج ١٤ ، ص ١١٩) .

عز الدين عبد العزيز بن شرف الدين محمد القيسرانى ، كاتب الدرج ومدرس المدرسة الفخرية بالقاهرة ، يوم الخميس عاشر صفر . ومات الأمير سيف الدين قيران شاد الدواوين بدمشق ، بعد عزله . (١٨ ا) ومات الأمير علاء الدين أقطوان الدوادارى [ بدمشق (١) أيضاً ] . ومات الأمير علاء الدين على بن معين الدين سليمان البرواناه نائب دار العدل ، بقلعة الجبل ؛ وقدمت أخته بعد موته فشاهدته ميتاً ، ثم دفن . ومات الأمير جمال الدين أقوش الرستمى شاد الدواوين ، بدمشق فى يوم الأحد ثانى عشرى جمادى الأولى . ومات متملك تونس الأمير أبو عبد الله المعروف بأبى عصيدة بن يحيي الواثق بن محمد المستنصر بن يحيي بن عبد الواحد بن أبى حفص ، فى عاشر ربيع الآخر ؛ وكانت مدته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر ؛ وولى بعده الأمير أبو بكر ابن أبى زيد عبد الرحمن بن أبى بكر بن يحيى بن عبد الواحد (١٨ ب) المدعو بالشهيد ، لأنه قتل ظلماً بعد ستة عشر يوماً ؛ وبويع [بعده أيضاً (٢)] الأمير أبو البقاء خالد بن يحيي بن إبراهيم . ومات التاج أبو الفرج بن سعيد الدولة ، فى يوم السبت ثانى رجب ؛ وكان عند المظفر بيبرس بمكانة عظيمة : قرّره مشيرا ، فكانت تحمل إليه فوطة (٣)

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٣١) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٢٧٩ ) .

(٣) تقدّمت الإشارة إلى هذين اللفظين منفردين فى المقريزى ( كتاب السلوك ، ١ ، ص ٣٤٤ ، ٥٧٨ ، ٩٦٩ ) ، غير أن ورودهما هنا معا يتطلب شرحا إضافيا ، لما لذلك من أهمية فى الديبلومات الإسلامية (Diplomatics) وتفاصيل الإدارة فى مصر فى العصور الوسطى . وربما كان من الضرورى أن يرجع القارىء أولا لما أورده القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥٤ ، ٤٨٨ ) بصدد الإجراءات المتبعة فى توقيع الأوراق الرسمية زمن الفاطميين ، حيث كانت الطريقة أن يوقع الخليفة بخط يده على الأوراق المقدمة له بعبارة مؤذنة للوزير مثلا لبدء التنفيذ ، وهذا هو التوقيع ، فإذا أتمت أدوار التنفيذ أعيدت الأوراق إلى الخليفة ثانية للمصادقة النهائية ، فيكتب « يعتمد » ، وهذه هى العلامة ؛ وكانت تكتب فى مكان معين ، كما كان للتوقيع مكان خاص أيضاً . والراجح أن الأيوبيين والمماليك فى مصر قد اتبعوا ما يشبه تلك الإجراءات الإدارية ، غير أن المعروف أن سلاطين المماليك اتخذوا لأنفسهم علامات دينية ، فكانت علامة المعز أيبك « حسبى الله » ، والظاهر بيبرس « المستعين بالله » ، والناصر محمد بن قلاون « الله أملى » . انظر (Poliak : Op. Cit. pp. 30 - 31) وما به من المراجع . أما فوطة العلامة ، فقد وصفها (Quatremére : Op. Cit. I. I. p.218, N. 98) وشرح استخدامها فى نص طويل ، ومنه : « وطريقة ذلك أن يفرش فوطة من الحرير الإسكندرى ، أحد طرفيها معقود ، ... وأول ما يوضع فيها أكبرما يكون من قطع الورق ، ثم يجعل فوته مادونه فى القطع ... ولا تختلط المكاتبات كى لا تشتبه على الملك فى العلامة ... ولا يوضع فى الفوطة لأخذ الخط الشريف ورق ملون ولا دنس ولا مشق ولا خشن ، كى لا يعثر قلم العلامة فيه ، ولا خفيف كى لا ينفذ منه المداد ، ولا موصول ولا منقوب فى بيت العلامة ، ولا يكون ضيقاً على العلامة ، ولا ما يقصر فى العرض والطول عن وسع الخط . »

العَـلاَمَة ، فيمضى منها ما يختاره ويكتب عليه "عرِض" ، فإذا رأى السلطان خطه علم وإلا فلا ؛ وكذلك كُتُـب البريد ؛ ولم يزل على ذلك حتى بعث إليه الأفرم نائب الشام يهدده بقطع رأسه ، فامتنع ؛ وكان مشهوراً بالأمانة والعفة ، مهيبا له حرمة ، لا يخالط أحداً ولا يقبل هدية .

* * *

سنة عشر وسبعمائة أهلّ المحرم ، فوردت رسل سيس بهدية : منها طشت (١٩ ا) ذهب وإبريق بلور مرصع بالجوهر ، وكتاب يتضمَّن الهناء بالعود إلى الملك ، فأجيب بالشكر .

وصُرِف قاضى القضاء بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الدين بن جماعة الشافعى ، وولى بعده القضاء بديار مصر جمال الدين أبو الربيع سليمان بن مجد الدين أبى حفص عمر بن شرف الدين أبى الغنائم سالم بن عمرو بن عثمان الأذرعى الشهير بالزرعى الشافعى (١) ، فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى صفر .

وعُزِل قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى الحنفى فى رابع ربيع الأول ، فأقام بعد عزله ستة أيام ومات واستُدعى شمس الدين محمد بن عثمان ابن أبى الحسن بن عبد الوهاب بن أبى عمر الأنصارى الدمشقى المعروف بابن الحريرى الحنفى من دمشق إلى القاهرة ، ( ١٩ب ) واستقرّ فى قضاء الحنفية بالقاهرة ومصر فى رابع ربيع الآخر .

وعـزل الأمير علاء الدين كشتغدى البهادرى من شد الدواوين ، واستقر عوضه بلبان المحسنى ؛ ثم عُـزل [ بلبان ] بعد أيام بعَـلَم الدين سنجر الخازن . واستقرّ شمس الدين غبريال فى نظر الدواوين ؛ وعُزل شاورشى بن قنغر من ولاية القاهرة .

وفى ربيع الأول قَـبض السلطان على إخوة سلار وحاشيته ، فقَـبض علاء الدين سَمـك وجُـبا وداود وأمير على وساطى (٢) . وقُبض على الأمير طشتمر الجوكندار

(١) صيغة هذا الاسم فى ف « جمال الدين أبو داود سليمان بن المجد أبى حفص عمر بن الشريف أبى الغنائم سالم بن عمر بن عثمان الزرعى الشافعى » ، وقد صحح إلى الرسم الوارد هنا من ابن حبيب (درة الأسلاك فى دولة الأتراك ، ج ١ ، ص٨٤ ) .

(٢) تقدمت أسماء أولئك الإخوة فى مواضع شتى من المتن هنا ( انظر ص ٥ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٤٧ ، ٦٠ ) ، وقد ضبط اسم سمك من ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٧٩ ) .

وكورى السلاحدار وسيف الدين الطشلاقى وقلغاى ، وتتمة ستة عشر أميراً . وكُتب إلى نائب دمشق ونائب طرابلس بالقبض على الأمراء الذين أفرج عنهم (٢٠ ا) عندما قدم [ السلطان ] من الكرك : وهم الطنبغا وأشقتمر وعبد الله والأقوش المنصورى والشيخ على التترى وبينجار (١) التترى وموسى وغازى وأخوا حمدان بن صلغاى وطرنطاى المحمدى وأقطوان الأشرفى ، فقُبض عليهم خوفا من شرّهم وإقامتهم الفتن . وكتب إلى نائب حلب بالقبض على فخر الدين أياز نائب قلعة الروم ، فقُبض عليه ، وأخِذ ماله فكان ألف ألف درهم ، حُملت إلى السلطان .

واستقر نجم الدين محمد بن عثمان البصروى فى وزارة دمشق ، وسار من القاهرة فى سابع صفر . واستقر الأمير بكتمر الحسامى الحاجب فى نيابة غزة ، عوضاً عن بلبان البدرى ، وسار فى سابع عشرى المحرم . وندب الأمير بدر الدين القرمانى لكشف (٢٠ ب) القلاع الشامية ، فسار ومعه أمين الدين عبد الله بن الغنام . وقبض [السلطان] على قطقطوا والشيخ على وضروط (٢) مماليك سلار ، وأمّر جماعة من المماليك منهم بيبغا الأشرفى وسيف الدين جغطاى وطيبغا الشمسى وبكتمر قبجق وبهادر السعيدى الكركرى وطشتمر أخو بتخاص والعمرى وقطلوبغا وأزدمر وملكتمر الشمسى وقردز (٣) الكمالى وبيدوا وقرا وأيدمر الدوادار وبهادر النقيب .

وفيها قدم الأمير حسام الدين مهنا ملك العرب فى جمادى الأولى ، فأكرمه السلطان وخلع عليه ؛ فسأل فى أشياء : منها ولاة حماة للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل على ، فأجابه [السلطان] إلى ذلك ، ووعده بحماة عوضاً عن أسندمر كرجى ؛ (٢١ ا) ومنها الشفاعة فى عز الدين أيدمر الشيخى ، فعفا عنه [السلطان] وأخرجه إلى قوص ؛ ومنها الشفاعة فى الأمير برلغى الأشرفى ، ـ وكان فى الأصل قد كسبه مهنا من التتر ، وأهداه

---

(١) بغير نقط فى ف ، انظر ص ٦٠ ، حاشية ١ .

(٢) كذا فى ف ، وقد أورد المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٨ ) أميراً مملوكيا بهذا الاسم ، ووصفه بأنه كان حاجباً فى سلطان لم يذكره .

(٣) كذا فى ف ، وهو فى ب ( ٢٣٢ ا ) بالنون بدل الزاى .

للملك المنصور قلاون ، فرتبه عند ابنه الملك الأشرف خليل ـ ، فعدّد السلطان ذنوبه ، وما زال به مهنا حتى خفّف عن برلغى ، وأذن للناس فى الدخول عليه ، ووعده بالإفراج عنه بعد شهر ، فرضى [مهنا] بذلك ؛ وعاد إلى بلاده وهو كثير الشكر والثناء .

ولما فرغ السلطان من أمر المظفر بيبرس لم يبق عنده أهم من سلار ، فندب إليه الأمير ناصر الدين محمد بن أمير سلاح بكتاش الفخرى ، وكتب على يده كتابا بحضوره ؛ فاعتذر عن الحضور بوجع فى فؤاده ، وأنه يحضر إذا زال (٢١ ب) عنه . فتخيّل السلطان من تأخره ، وخاف أن يتوجه إلى التتر ؛ فكتب إلى قراسنقر نائب الشام وإلى أسندمر نائب طرابلس بأخذ الطريق على سلار لئلا يتوجه إلى التتار ؛ وبعث الأمير بيبرس الدوادار وعلم الدين سنجر الجاولى إلى سلار ، وأكد عليهما فى إحضاره ، وأن يضمنا له على السلطان أنه يريد إقامته عنده ليستشيره فى أمور المملكة ؛ فقدما عليه وبلّغاه عن السلطان ما قال ، فوعد بأنه يحضر ، وكتب الجواب بذلك ؛ فلما رجعا اشتدّ قلق السلطان وكثر خياله .

وأما سلار فإنه تحير فى أمره ، واستشار أصحابه فاختلفوا عليه : فمنهم من أشار بتوجهه إلى السلطان ، ومنهم من أشار بتوجهه إلى قطر من الأقطار ، إما (٢٢ ا) إلى التتار أو إلى اليمن أو برقة . فعوّل [سلار] على المسير إلى اليمن ؛ ثم أجمع على الحضور إلى السلطان ، وخرج من الشوبك وعنده من سافر معه من مصر أربع مائة وستون فارساً ، وسار إلى القاهرة ؛ فقدم وقُبض عليه فى سلخ ربيع الآخر ، وسجن بالقلعة .

وفيها عُزل صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل من وظائفه بدمشق ، من أجل أنه قبض عليه بصالحية دمشق وعنده جماعة يعاقرونه الخمر وفيها ضُيِّق على الأمير برلغى بعد سفر الأمير مهنا ، وأخرج حريمه من عنده ومُنع من الوصول إليه ، و[ مِنْ ] أن يُدْخَل إليه بأكل أو شرب فلما أشفى [ برلغى ] على الموت قُتل ، بعد ما يبست أعضاؤه وخرس لسانه من شدة الجوع ؛ ومات ليلة الأربعاء (٢٢ ب) ثانى رجب .

وفيها قُتل الأمير سلار أيضاً بقلعة الجبل، فى رابع عشرى جمادى الأولى ؛ وأحيط بماله وكان شيئاً كثيراً . ولما وصل طُلبه فرّقه السلطان على الأمراء ، ثم ماتت أمه بعد أيام .

وكان [سلار] عاقلا له رأى وحزم ، وأصله لما كسبه المنصور قلاون(١) من التتر .

وقدم البريد بموت الأمير قبجق نائب حلب ؛ وأن عماد الدين إسماعيل لما ورد عليه التقليد بنيابة حماة سار إليها من دمشق . فمنعه أسندمر كرجى ، فأقام بين حماة وحمص ينتظر مرسوم السلطان . فاتفق موت قبجق ، فسار أسندمر من حماة إلى حلب ، وكتب يسأل السلطان نيابتها ؛ فغضب السلطان من أسندمر ، وأسرّ ذلك فى نفسه .

وفيها عُزل الأمير بكتمر (٢٣ ا) الحاجب عن نيابة غزة ، وأحضر إلى القاهرة ؛ وولى نيابة غزة الأمير قطلقتمر .

وفيها عزل الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلى من الوزارة ، والأمير علم الدين سنجر الخازن من شد الدواوين ؛ واستقر الأمير بكتمر الحاجب فى الوزارة فى حادى عشر رمضان ، واستقر فخر الدين أياز أستادار سنقر الأعسر فى شد الدواوين . واتفق أن أياز هذا استخدمه الأمير سلار النائبُ استادارَه بعد موت عز الدين أيدمر الرشيدى ، فلم يزل حتى قبض على سلار وأحيط بماله ، ورُسِّم على أياز مع سائر مباشريه ، وسلموا لعلم الدين سنجر الخازن مشد الدواوين فى المصادرة ، ليستخرج منهم المال ؛ فحمل أياز للخازن ألف دينار ،

(١) أورد ابن العماد ( شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٩ ) وصفا لشخص الأمير سلار ، ونصه أنه «كان مُغليا ، أسمر [اللون] ، سهل الخدين ، وليس بالطول ، ذا هيئة » . وقد ذكر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٩٧ ) بصدد موت سلار ما نصه : أن السلطان رسم بحبسه فى بعض الدور ، « ثم أحضر له شيء يأكل ، فرد ولم يأكل شيئاً ، فأعلموا السلطان بذلك ، فأمر ألا يطعم شيئا ، فأقام ثم هالك بالجوع ومات ؛ وقيل عنه إنه أكل بعض سولقه من الجوع » . وهذا أقل تفصيلا مما أورده ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٦١٦ تاريخ ، ج ، ٤ ، ص ٧٩ ا — ب ) ، ونصه : « ثم إن السلطان طلبه ، وأمر أن تبنى عليه أربع حيطان فى مجلسه ، وأمر ألا يطعم ولا يسقى . وقيل إنه لما قبض عليه ، وحبسه بقلعة الجبل ، أحضر إليه طعاما ، فأبى سلار أن يأكل وأظهر الغضب . فطولع السلطان بذلك ، فأمر بألا يرسل إليه طعام بعد هذا ، فبقى سبعة أيام لا طعم ولا يسقى ، وهو يستغيث [من] الجوع . فأرسل إليه السلطان ثلاثة أطباق مغطاة بسفر الطعام ، فلما أحضروها بين يديه فرح فرحا شديدا ، وظن أن فيها أطعمة يأكل منها ( ٧٩ ب ) ، فكشفوها وإذا هى فى طبق ذهب ، وفى الآخر فضة ، وفى الآخر لؤلؤ وجواهر ؛ فعلم سلار أنه ما أرسل إليه هذه الأطباق إلا ليقابله على ما كان نعمله معه ؛ فقال سلار الحمد لله الذى جعلنى من أهل المقابلة فى الدنيا . وبقى (سلار) على هذه الحالة اثنى عشر يوما ومات ، فأعلموا الملك الناصر بموته ؛ فجاءوا إليه فوجدوه قد أكل ساق حقه (كذا والراجح أنه يعنى السواق ) ؛ وأخذ السرموجة (كذا ) وحطها فى فيه ؛ وقد عض عليها بأسنانه ، وهو ميت ، وقيل إنهم دخلوا عليه قبل موته ، وقالوا السلطان قد عفا عنك ؛ فقام من الفرح ومشى خطوات ، ثم خر ميتا » .

( ٢٣ ب ) وللصاحب فخر الدين ألف دينار ، فردّ الخازن المال وقبله الصاحب . فلم يمض سوى أيام حتى عزل الصاحب والخازن ، وسلما لأياز ليستخرج المال منهما ؛ فبعث إليه الخازن ألف دينار فردّها ، وقال لقاصده : « سلم عليه ، وقل له مالنا عنده شيء ، وطيّب خاطره » ، وبعث إليه الصاحب فخر الدين ألف دينار فأخذها ، وقال لقاصده : « عرّفه أنى أخذت وديعتى التى كان أخذها منى » . ثم إن الأمير بكتمر الجوكندار شفع فيهما ، فأفرج السلطان عنهما .

و[فيها] قدم مملوك عماد الدين إسماعيل بن الأفضل بأنه دخل حماة بعد خروج أسندمر منها . وقدم رسول الأشكرى ورسل ملك الكرج بهدايا سنية فى رجب ، (٢٤ ا) وسألوا فتح الكنيسة[١] المصلبة بالقدس . فكُتب الجواب بأن هذه الكنيسة غُلقت من الأيام الظاهرية على يد الشيخ خضر ، وبنى فيها مسجد ، ولا يمكن نقض ذلك ؛ ورُسم أن تُفتح لهم كنيسة الملكية بمصر وكنيسة اليعاقبة التى بالقاهرة وكنيسة اليهود ، وأذن لهم أن يركبوا على الاستواء[٢] .

و[فيها] كتب بعزل نجم الدين البصرى عن وزارة دمشق ، وولاية شرف الدين حمزة القلانسى عوضه . وقدم البريد بوفاة الحاج بهادر الحلبى نائب طرابلس ، فكتب بنقل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم من صرخد إلى نيابة طرابلس ، فسار إليها . وفرح السلطان بموت الحاج بهادر فرحاً زائداً ، فإنه كان يخشاه ويخشى شرّه .

والتفت [السلطان] إلى (٢٤ ب) أسندمر كرجى [نائب حلب] ، وأخرج تجريدة من القاهرة : فيها من الأمراء كراى المنصورى وهو مقدّم العسكر ، وسنقر الكمالى حاجب الحجاب ، وأيبك الرومى ، وبيبجار ، وككجكن ، وبهادر آص ، وفى عدة من مضافيهم أمراء الطبلخاناه والعشراوات ومقدمى الحلقة ؛ وأظهر أنهم قد توجهوا

(١) تقدمت الإشارة إلى مثل هذه السفارة وتعليماتها فى ص ١٧ ، ويظهر أن السلطان لم يستجب وقت ذلك إلى ماطلبه السفراء ، بعكس ماقرر المقريزى هناك ، وهذا بدليل وصول السفارة المذكورة هنا تكرر الرجاء فيما طلبته فى المرة السابقة . وكيفما كان الأمر فقد أورد ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٩٥ ) ، فى ذلك الصدد أن هذه السفارة كانت تحمل رجاوات أخرى فضلا عن الوارد هنا ، وأن السلطان قد سمح بإعادة تلك الكنيسة — وليس فتحها فقط — إلى أصحابها ، وأنه قد وافق أيضاً على «إجراء أهل الذمة بالديار المصرية على عادتهم ، وفتح كنائسهم ففتحت ، ورسم لهم بالاستواء فى الركوب ، وكانوا قبل ذلك يركبون عرضا من جهة واحدة » .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

لغزو سيس . وكتب [السلطان] لأسندمر كرجى بتجهيز آلات الحصار على العادة ، والاهتمام فى هذا الأمر حتى يصل العسكر المجرد من مصر ؛ وكتب إلى عماد الدين صاحب حماة بالمسير مع العسكر . وسار الأمير كراى من القاهرة مستهل ذى القعدة ، بعد ما أخلع عليه ، وأسرّ إليه السلطان ما يعتمده فى أمر كرجى .

وفيها عدى السلطان النيل إلى الجيزة ، ونزل تحت (٢٥ ا) الأهرام [ ليتصيّد ][1]. فمات ولده على بن الخاتون أردوكين ابنة نوكيه ، وله من العمر ست سنين ، فى ليلة الأحد حادى عشر رجب ؛ ودفن بالقبة الناصرية بين القصرين ، بعد ما حضر الأمير علم الدين سنجر الجاولى لتجهيزه . واشتد حزن أمه عليه ، ووقفت على القبة ما خصها من إرث الملك الأشرف [2] خليل ، ورتّبت عند قبره القراء .

وفيها عظم شأن شهاب الدين أحمد بن عبادة وكيل السلطان ، وضرب أكابر العنبريين[3] بالمقارع ، مثل عز الدين بن حالومة وشمس الدين بن الحكيم : وسبب ذلك أن السلطان كان قد وهبه قبل توجهه إلى الكرك مملوكا جميل الصورة ، فصار يشتمل على المذكورين ويعاشرهم على ما (٢٥ ب) لا ينبغى ؛ فحنق ابن عبادة من ذلك وأوقع بهم . وضرب [ ابن عبادة ] أيضاً شهاب الدين أحمد النويرى صاحب التاريخ بالمقارع : وذلك أنه كان استنابه فى المدرسة الناصرية والمنصورية وغيرهما ، وجعله يدخل على السلطان ويطالعه بالأمور ، فاغترّ بذلك وبسط القول فى ابن عبادة . فلم يعجب السلطان منه وقيعته فى ابن عبادة ، وعرّف ابن عبادة ما قاله فى حقه ، وسلمه إليه ومكّنه منه ، فضربه بالمقارع ضربا مبرّحا وصادره ؛ فلم يشكر النويرىّ أحدٌ على ما كان منه

وفيها توحش خاطر الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بمصر من السلطان ، وخاف منه ؛ واتفق [بكتمر] مع الأمير بتخاص المنصورى على إقامة الأمير (٢٦ ا) مظفر

(١) ليس لما بين الحاصرتين وجود فى ف ؛ ولكنه فى ب (٢٣٣ب) ؛ وفى هذا دليل على أهمية نسخة ب فى تكميل ماينقص المتن أحيانا .

(٢) كانت الخاتون أردوكين زوجة للسلطان الملك الأشرف خليل ، وقد توفى عنها ٦٩٣ هـ ، ونالها من إرثه حسب قانون المواريث الشرعية ، ثم تزوجها أخوه السلطان الملك الناصر محمد ٧٠٠ هـ . انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٧١٧ ، ٩١٧) .

(٣) المقصود بالعنبريين تجار العنبر المستعمل فى الحلى ، وكان لهم سوق بالقاهرة ؛ أسسه السلطان قلاون على أنقاض سجن المعونة المشهور . (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ١٠٢ — ١٠٣) .

الدين موسى ابن الملك الصالح على بن قلاون فى السلطنة ، والاستعانة بالمظفرية ؛ وبعثوا إليه بذلك فوافقهم . وشرع النائب فى استمالة الأمراء ، ومواعدة المماليك المظفرية الذين بخدمة الأمراء ، على [ أن ] كل طائفة تقبض على الأمير التى هى بخدمته فى يوم عيّنه لهم ، ثم يسوق الجميع إلى قبة النصر خارج القاهرة ، وقد نزل هناك الأمير موسى . فدبّروا ذلك حتى انتظم الأمر ، ولم يبق إلا وقوعه ؛ فأراد(١) بيبرس الجدار أحد المظفرية الذين انتظموا فى سلك هذا العقد أن يتخذ يداً عند السلطان ، وعرّفه خوشداشيته قياتمر الخاصكى بما وقع الاتفاق عليه ، فبلّغ الخبر إلى السلطان ، وكان فى الليل ، فلم يتمهل [ السلطان ] ، وطلب ( ٢٦ ب ) أمير موسى إلى عنده ، وكان يسكن بالقاهرة ، فلما نزل إليه الطلب هرب . واستدعى [ السلطان ] الأمير بكتمر النائب ، وبعث أيضاً فى طلب بتخاص ، وكانوا إذ ذاك يسكنون بالقلعة ؛ فلما دخل إليه بكتمر أكرمه وأجلسه وأخذ يحادثه حتى أتاه المماليك بالأمير بتخاص ؛ فسُقط فى يد بكتمر ، وعلم بأنه قد هلك ، فقيّد بتخاص وسجن ، وأقام السلطان فى انتظار أمير موسى ، فعاد إليه الجاولى ونائب الكرك وأخبراه بفراره ، فاشتد غضبه عليهما. وما طلع النهار حتى أحضر السلطان الأمراء ، وعرّفهم ما كان قد تقرّر من إقامة أمير موسى وموافقة بتخاص له ، ولم يذكر بكتمر النائب . والزم [السلطان] الأمير كشتغدى البهادرى ( ٢٧ ا ) والى القاهرة بالنداء عليه ، ومن أحضره من الجند فله إمرته ، وإن كان من العامة أخذَ ألف دينار . فنزل [ كشتغدى ] ومعه الأمير فخر الدين أياز شاد الدواوين وأيدغدى شقير وسودى وعدة من المماليك ، وألزم سائر الأمراء بالإقامة بالقاعة الأشرفية حتى يظهر أمير موسى ، وقبَض على حواشى موسى وجماعته وعاقب كثيراً منهم . فلم يزل الأمر على ذلك من ليلة الأربعاء إلى يوم الجمعة ، [ ثم ] قُبض عليه من بيت أستادار الفارقانى من حارة الوزيرية بالقاهرة ، [ وحمل إلى القلعة ] فسجن بها وزل الأمراء إلى دورهم ، وخلى عن الأمير بكتمر النائب أيضاً ، ورُسم بتسمير أستادار الفارقانى ، ثم عفى عنه وسار إلى داره .

وتتبع السلطان المماليك المظفرية (٢٧ب) فقبض عليهم ، وفيهم بيبرس الذى نمّ عليهم وعملوا فى الحديد . وأنزلوا ليسمروا تحت القلعة ، وقد حضر نساؤهم وأولادهم . وجاء

---

(١) فى ف « اراد » .

الناس من كل موضع ؛ فكثر البكاء والصراخ عليهم رحمة لهم ، والسلطان ينظر ، فأخذته الرحمة وعفا عنهم ، فتركوا ولم يُقتل أحد منهم .

وأما العسكر فإنه لما وصل إلى حمص أقام بها على ما قرره السلطان مع الأمير كراى ، حتى قدم عليه الأمير منكوتمر الطباخى بكتب السلطان لكراى ولكرجى [نائب حلب] بما يعتمدانه(١) من المراسيم . وقد كتب السلطان معه أيضاً مطلقات(٢) إلى أمراء حلب بقبض كرجى ، وحمَّله مشافهات لكراى وغيره ؛ فقضى [منكوتمر] شغله من كراى بحمص ، وسار إلى حلب . فرحل كراى فى أثره ، (٢٨ ا) وجدّ فى السير إلى حلب جريدة من غير أثقال ، فقطع من حمص إلى حلب [فى] يوم ونصف ، ووقف بمن معه تحت قلعتها عند ثلث الليل الأخير ، وصاح « يال على » ، وهى الإشارة التى رتبها السلطان بينه وبين نائب القلعة . فنزل [النائب] عند ذلك من القلعة بجميع رجالها ، وقد استعدوا للحرب ؛ وزحف ومعه الأمير كراى على دار النيابة ، ولحق بهم أمراء حلب وعسكرها . فسلم كرجى ولم يقاتل ، فأُخذ وقيد وسجن بالقلعة ، وأحيط بموجوده ؛ وسار منكوتمر الطباخى على البريد بذلك إلى السلطان . ثم حمل أسندمر كرجى إلى السلطان صحبة الأمير بينجار وأيبك الرومى ؛ فخاف قراسنقر [عند ذلك] على نفسه ، وسأل أن ينقل من دمشق (٢٨ ب) إلى نيابة حلب ، ليبعد عن السلطان ؛ فأجيب إلى ذلك ، وكتب تقليده وجهّز إليه فى أخريات ذى الحجة .

وفيها استقرّ كريم الدين وأبو الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السديد ابن أخت التاج بن سعيد الدولة [فى] نظر الخاص ووكالة السلطان ، بعد موت شهاب الدين أحمد بن عبادة ، فى يوم الإثنين سابع عشر جمادى الأولى .

---

(١) فى ف « يعتمداه » .

(٢) المطلقات جمع مطلق ، وهى ما يرسله السلطان من رسائل عامة إلى نوابه بمصر ونيابات الشام وقد تكون فى سر يكتم ولا يراد إظهاره إلا عند الوقوف عليه ، فتصدر والحالة هذه مختومة . وقد شرح القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٧ ص ٢١٨ ــ ٢٣١ ) أنواعها ومصطلحها وترتيبها وقطع الورق اللازم لكتابتها ، فذكر أنها ثلاثة أنواع : وهى المطلقات المكبرة ، والمصغرة ، والبرالغ ــ مفرده برلغ ؛ وكانت العادة أن يصدر هذا النوع الثالث من المطلقات إذا كان الأمر متعلقا بما يجب عمله نحو قادم عظيم من البلاد الإسلامية المجاورة ؛ هذا ويلاحظ أن المطلقات غير الملطفات التى تقدم التعريف بها . انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٨٥٢ ، ٨٩٩ ؛ ج ٢ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ؛ ٦١ ؛ وكذلك القلقشندى ( ضوء الصبح المسفر ، ص ٤٦ ) ؛ والعمرى ( التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٨١ ــ ٨٣ ) .

و[ فيها ] قدم أسندمر كرجى ، فاعتقل بالقلعة ؛ وبعث يسأل السلطانَ عن ذنبه عنده ، فأعاد جوابه : «مالك ذنب إلا أنك قلت لما ودعتُك عند سفرك ، أوصيك يا خوند لا تترك فى دولتك كبشاً كبيراً ، وأنشئ مماليكك ! ، ولم يَبق عندى كبش كبير غيرك » .

وفيها قبض على طوغان نائب البيرة ؛ ( ٢٩ ا ) وحُمل إلى السلطان لحبسه أياماً ، ثم ولاّه شد الدواوين بدمشق . وخرج الأمير أرغون الدوادار على البريد بتقليد قراسنقر حلب ، وأسِرّ إليه القبض عليه إن أمكن ذلك .

وفيها قدم الشريف منصور [ أحمد ] (١) بن جماز من المدينة النبوية بتقادم ، فأنعم عليه بإعادة ماخرج لأخيه مقبل . وفيها استعفى الطواشى شهاب الدين مرشد الخازندار من الإمرة ، فأعفى .

واتفق فى هذه السنة أمر غريب قلّما عهد مثله : وهو موت سلطان مصر ، وقاضيها إمام الحنفية فى عصره ، ومفسرها ، والمتكلم على القلوب ، وواعظها ، وشيخ شيوخها ، وإمام الشافعية وعالمهم ، ومحتسبها ، وناظر جيوشها ، وأديبها — : فقتل السلطان الملك ( ٢٩ ب ) المظفر بيبرس فى ذى القعدة . وتوفى قاضى القضاة إمام الحنفية فى عصره شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى المصرى ، عن ثلاث وسبعين سنة ، فى يوم الخميس ثالث عشرى رجب ؛ ومولده سنة سبع - وقيل سنة تسع - وثلاثين وستمائة ؛ وأخذ الفقه عن صدر الدين سليمان بن أبى العز بن وهيب وغيره ، ودفن بالقرافة ؛ وله على كتاب الهداية شرح جليل لكنه لم يكمل ، وله اعتراضات على التقى بن تيمية . ومات الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد بن على ابن الشيخ الرفعة مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس الأنصارى البخارى المعروف بابن الرفعة الفقيه الشافعى المصرى ، فى ليلة الجمعة ثامن ( ٣٠ ا ) عشر رجب ، ومولده سنة خمس وأربعين وستمائة . وتوفى الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد الجليل النمراوى ، فى تاسع ذى القعدة . ومات الشيخ تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عطا الله صاحب الكلام الرائق الفائق ، فى ثالث عشر جمادى الآخرة . ومات شيخ الوعاظ نجم الدين العنبرى ، فى سادس شعبان ، ومات شيخ الشيوخ

(١) ليس لما بين الحاصرتين وجود فى ف ، ولكنه فى ب ( ١٣٣٥ ) .

بخانكاه سعيد السعداء كريم الدين أبو القاسم عبد الكريم بن الحسين بن أبى بكر الآملى الطبرى ، فى تاسع شوال ؛ وولى بعده علاء الدين على بن إسماعيل القونوى . ومات القاضى بدر الدين حسن بن نصر الأسعردى المحتسب ، فى مستهل جمادى الآخرة . ( ٣٠ ب ) ومات القاضى بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن على بن المظفر بن الحلى ناظر الجيوش ، فى ليلة العاشر من شوال . ومات الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف بن معتوق الخزاعى الموصلى فى ثامن عشرى جمادى الآخرة ؛ ومولده بالموصل سنة سبع وأربعين وستمائة ؛ وكان كثير المجون والشعر البديع ، وله كتاب طيف الخيال ، لم يصنف مثله فى معناه . ومات ملك المغرب صاحب فاس أبو الربيع بن أبى عامر بن السلطان أبى يعقوب بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ابن محيو بن أبى بكر بن عبد الحق المرينى ، فى آخر جمادى الآخرة ؛ وبويع بعده أبو سعيد ( ١٣٠ مكرر ) عثمان بن يعقوب بن عبد الحق . ومات شهاب الدين أحمد ابن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز بن جامع بن راضى العزازى التاجر ، عن بضع وسبعين سنة بالقاهره فى تاسع عشرى المحرم ؛ وله ديوان شعر كبير . ومات فخر الدين إسماعيل بن عبد القوى بن الحسن بن حيدرة الحميرى الإسنائى ، المعروف بالإمام الفقيه الشافعى ، بعدما كف بصره ، بمدينة قوص . ومات شهاب الدين أحمد ابن على بن عبادة وكيل الخاص ، فى ليلة الأحد سادس عشر جمادى الأولى بالقاهرة ؛ [ ودفن(١) بالقرافة ] ؛ وولى بعده كريم الدين أكرم . ومات أمين الدين أبو بكر ابن وجيه الدين عبد العظيم بن يوسف بن الرقاقى ناظر الدواوين بديار مصر ، ليلة ( ٣٠ ب مكرر ) الأحد ثالث عشرى جمادى الأولى ؛ ودفن بالقرافة ؛ وكان ديناً خيراً كثير الإحسان ؛ ولى نظر بيت المال ونظر البيوت ونظر الدولة بمصر والشام . ومات عز الدين الحسن بن الحارث بن الحسين بن يحيى بن خليفة بن نجا بن حسن بن محمد من ولد الحارث بن مسكين ، أحد أعيان الفقهاء الشافعية ، بمصر ليلة السبت ثامن جمادى الأولى . ومات الشريف أبو عبد الله محمد بن على بن أبى طالب ، عرف بالشريف عطوف الحسينى الموسى العطار ، ليلة الخميس خامس جمادى الآخرة ؛ ودفن خارج باب النصر ؛ وقل حديثه . ومات الأمير سيف الدين بلبان البيدغانى نائب

(١) ليس لما بين الحاصرتين وجود فى ب ؛ ولكنه فى ب ( ٢٣٥ ب )

بغراس ، مقتولا بيد مماليكه . ومات الأمير سيف (١٣١) الدين الحاج بهادر [١] الحلبي نائب طرابلس ، فى ربيع الآخر . ومات الشيخ الصالح عبد الله بن ريحان التقوى الشمسار [٢] بمصر ، حدّث عن ابن المقير وابن [٣] رواح وغيره . ومات بهاء الدين على بن الفقيه عيسى بن سليمان بن رمضان الثعلبي المصرى ، الصدر المعمر المعروف بابن القيم ، فى ذى القعدة ؛ وقد تعين للوزارة ؛ ومولده سنة ثلاث عشرة وستمائة ؛ وكان سليم العقل والحواس . ومات الأمير سيف الدين قبجق المنصورى نائب حلب ، فى جمادى الأولى . ومات الشيخ علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب التاجى ، فى سادس ذى القعدة . ومات بدر الدين أبو البركات عبد اللطيف ابن قاضى (٣١ ب) القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رَزين الشافعى ، يوم الأحد ثامن عشرى جمادى الآخرة بالقاهرة ؛ ومولده بدمشق سنة تسع وأربعين وستمائة ؛ وولى قضاء العسكر . ومات الخطيب بهاء الدين عبد الرحمن بن عماد الدين على بن السكرى فى حياة أبيه ، ليلة السبت حادى عشر رجب بمصر . ومات الأمير سيف الدين قشتمر الشمسى ، بدمشق . ومات الطواشى شهـاب الدين مرشد الخازندار المنصورى ، بالقاهرة فى ليلة الخميس ثالث ذى القعدة ؛ وكان خيّراً ، وانفرد بالرواية عن جماعة ؛ وولد سنة ثلاث عشر وستمائة ؛ ومات ولم تتغير حواسه . ومات الأمير جمال الدين أقوش قتال (١٣٢) السبع الموصلى أمير علم ، بمصر فى تاسع رجب . ومات خضر بن الخليفة أبى الربيع سليمان ، فى ثالث عشر جمادى الأولى . ومات الأمير برلغى الأشرفى فى سجن القلعة ، بعد ما يبست أعضاؤه وجفّ لسانه من الجوع ، فى ليلة الأربعاء ثامن رجب . ومات الأمير حسام الدين طرنطاى البغدادى . ومات الأمير علاء الدين الطنبغا الجمدار . ومات الأمير سيف الدين أرغون الجمقدار . ومات قطب الدين محمود بن مسعود بن مفلح

(١) فى ف « الامير سيف الدين بلبان البيدغانى الحلبى » ، وهذا مكرر الوفاة السابقة ما عدا اللفظ الاخير ، ويظهر أنه غلط من الناسخ ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٣٥ ب )

(٢) كـذا فى ف ، والسمسار ــ بالسين ــ الوسيط بين البائع والمشترى ، وفى محيط المحيط أنه فارسى معرب من لفظ « سيب سار » ، وبعض البلدان فى مصر ينطقه كما بالمتن إلى الآن .

(٣) فى ف « ابن المقير وابن رواح » ، انظر ص ٥١ ، سطر ٥ .

الشيرازى صاحب التصانيف ، رمضان . ومات الأمير سيف الدين سَلار فى ليلة الرابع والعشرين من جمادى الأولى ؛ وكان من التتار الأويراتية ، وصار إلى الملك الصالح على ابن قلاون ، وبقى (٣٢ ب) بعد موته فى خدمة الملك المنصور قلاون حتى مات ؛ ثم [دخل] فى خدمة الملك الأشرف خليل بن قلاون ، وحظى عنده ؛ فلما قُتِلَ خطِى عند لاجين لمودة كانت بينهما ، وترقى إلى أن صار نائب السلطنة بديار مصر ؛ وكان من أخباره ما تقدّم ذكره ، إلى أن قدم من الشوبك ، فتُرِك فى السجن حتى مات جوعاً ؛ وتولى(١) الأمير علم الدين سنجر الجاولى دفنه بتربته على جبل يَشْكر بجوار مناظر الكبش ؛ وكان [سلار] أسمر ، لطيف القد أسيل الخد ، لحيته فى حنكه سوداء ، ظريفاً فى لبسه ؛ اقترح أشياء نُسبت إليه(٢) إلى اليوم ؛ وبلغ من السعادة إلى مبلغ عظيم : فكان يدخل إليه من أجر أملاكه فى كل يوم ألف دينار مصرية ، ومن إقطاعاته (٣٣ ا) وضماناته وحماياته تتمة مائة ألف درهم فى اليوم ، عنها حينئذ زيادة على خمسة آلاف دينار مصرية ؛ وكان إقطاعه أربعين إمرةطبلخاناه ؛ [ وكان عاقلا(٣) متأنياً داهيا] قليل الظلم ؛ واشتملت تركته على ثلاثمائة ألف ألف دينار وزيادة : فوُجد له فى يوم ياقوت أحمر زنة رطلين ونصف ، [وبلخش زنة رطلين(٤) ونصف ] ، وزمرد تسعة عشر رطلا ، وستة صناديق فيها جواهر ، ومن الماس وعين الهر ثلاثمائة قطعة ، ولؤلؤ زنة ما بين مثقال كل حبة إلى درهم عدة ألف ومائة وخمسين حبة ، وذهب عين مصرى مبلغ مائتى ألف [و] أربعة وأربعين ألف دينار ، وفضة دارهم مبلغ أربع مائة ألف [و] أحد وسبعين ألف درهم ؛ ووُجد له (٣٣ ب) أيضاً فى يوم فصوص مختلفة زنة رطلين ، وذهب عين مصرى مبلغ [خمسة وخمسين ألف دينار ، ودراهم فضة ألف ألف درهم ، وحلى ذهب أربع قناطير ،

(١) فى ف « وولى » .

(٢) ذكر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٩ ) أن مما استجده الأمير سلار فى عز أيامه القباء السلارى ، وهو قباء بلا أكمام يلبس تحت الفرجية ، وكان معروفاً قبل عهد هذا الأمير باسم « بغلطاق » . انظر (Dozy : Vètements) ، وكذلك المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، ٥٨٤ ، حاشية ١ ) .

(٣) موضع ما بين الحاصرتين بياض فى ف ، والإضافة من ب (٢٣٦ ب) .

(٤) ليس لما بين الحاصرتين وجود فى ف ، ولكنه فى ب (٢٣٦ب) .

وآلات ما بين طاسات ونحوها ستة قناطير فضة ؛ ووُجد فى يوم ذهبٌ مصرى مبلغ خمسة وأربعين ألف دينار ، ودراهم فضة مبلغ ثلاثمائة ألف وثلاثين ألف درهم ، وفضيات ثلاثة قناطير ؛ ووُجد فى يوم ذهبٌ عين ألف ألف دينار ، وفضة ثلاثمائة ألف درهم ؛ ووُجد له ثلاثمائة قباء من حرير بفرو قاقُم(١)، وثلاثمائة قباء حرير بسنجاب(٢) ، وأربعمائة قباء بغير فرو ، وسروج ذهب مائة سرج ؛ ووُجد له ثمانية صناديق لم يُعلَمَ ما فيها ، حُملت مع ما تقدّم إلى السلطان ؛ ووُجد (٣٤ ا) له ألف تفصيلة مابين طرد وحشٍ(٣) وعَمَلِ الدار(٤) ؛ ووُجد له خام ست عشر نوبة(٥) ؛ ووَصل معه من الشوبك مبلغ خمسين ألف دينار ذهباً ، وأربع مائة ألف درهم وسبعين ألف درهم ، وثلاثمائة خلعة ملوّنة وَخَرْكاه(٦) بغشاء حرير أحمر معْدِنى(٧) مبطن بحرير أزرق مَرَوِى(٨)، وسِتْرُبابها زركش ؛ ووُجدله ثلاثمائة فرس ومائة وعشرون قطار بغال ، وعشرون قطار جمال ، ومن الغنم والبقر والجوارى والمماليك والعقار شيء كثير جدا ؛ ووجد له فى موضع بين حائطين عدة أكياس لم يُدْرَ مافيها ولا كمْ عدّتها ؛ ووجد له فى المرحاض شبه فسقية ، كُشف عنها فإذا هى مملوءة ذهباً ؛ (٣٤ ب) ووُجد له من القمح والشعير والفول ونحوها ثلاثمائة ألف أردب ، وذلك

(١) القاقم — والققم أيضاً — حيوان برى يشبه الفأرة ، إلا أنه أطول منها ، وموطنه حسبما تخبر المعاجم الأوروبية بلاد الشمال ، واسمه فى الإنجليزية (Ermine) ، وفى الفرنسية (Hermine) ؛ وله فروة تكون ناصعة البياض فى الشتاء ، ولذا يكثر صيده فى ذلك الفصل لفروته التى تستعمل للزينة عند الأغنياء ، كسلاطين المماليك وأمرائهم وأشباههم من الأثرياء فى مصر فى العصور الوسطى ، وهو مما تزين به ملابس النبلاء فى البلاط الإنجليزى حتى الآن .

(٢) السنجاب حيوان يشبه اليربوع ، ومن ذيله فروة نفيسة كانت تستعمل لتزيين الملابس كالقاقم ؛ واسمه فى الإنجليزية (Squirrel) ، وفى الفرنسية (Petit - gris) .

(٣) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٨٨ ، حاشية ٢) .

(٤) لعل المقصود بلفظ الدار هنا دار الطراز التى شملت عدة مصانع لنسج الملابس السلطانية بتنيس ودمياط والإسكندرية ، أو دار الديباج التى كانت بالقاهرة . انظر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٦ ١ – ١٨١ ، ٤٦٤) ، القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٧٢ ، ٤٩٠) ، وزكى حسن (كنوز الفاطميين ، ص ٣٥ ، ١١١) .

(٥) كذا فى ف ، وكذلك ب (٣٣٦ ب) .

(٦) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢) .

(٧) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج١ ، ص٤٩٩) .

(٨) الحرير المروى هو المصنوع بمدينة مرو عاصمة خراسان ، وكان يطلق على جميع أنواع الأقمشة الخراسانية أيضاً . (Dozy : Supp. Dict. Ar)

سوى ما أخذ من إخوته ومباشريه وحواشيه وأسبابه(١)، فإنهم صودروا(٢) [جميعا] حتى مُقَدّم شَوَنه وجُباة أملاكه ؛ فاجتمع من ذلك ما لا يدخل تحت حصر لكثرته ، والله يؤتى ملكه من يشاء .

* * *

سنة إحدى عشرة وسبعمائة . [فى] مستهل المحرم وصل الأمير أرغون الدوادار إلى دمشق ، فاحترس منه الأمير قراسنقر على نفسه ، وبعث إليه عدة من مماليكه يتلقونه ويمنعون أحداً ممن قدم معه أن ينفرد . مخافة أن يكون معه من الملطفات للأمراء مافيه ضرر . ثم ركب إليه [قراسنقر] ولقيه بميدان الحصا ظاهر المدينة ، وأنزله (١٣٥) عنده بدار السعادة ، ووكل بخدمته من ثقاته جماعة . فلما كان الغد أخرج له أرغون تقليد نيابة حلب ، فقبّله وقبّل الأرض على العادة ، وأخذ فى التهيؤ للسفر ؛ ولم يَدَع أرغون ينفرد عنه ، بحيث إنه أراد زيارة أماكن بدمشق فركب معه بنفسه حتى قضى أربه وعاد .

وكثر تحدّث الناس بدمشق فى مجىء أرغون ، وأنه يريد قبض قراسنقر ، وأن قراسنقر قد حضره ، فهمّ الأمراء بالركوب على قراسنقر وأخذه ، ثم خشوا العاقبة ، وأنه لم يصل إليهم مرسوم السلطان بذلك ، فكفوا عنه . وصار الأمير بيبرس العلائى يركب بمماليكه فى الليل ، ويطوف حول القلعة على هيئة الحرس . وبلغ ذلك (٣٥ ب) قراسنقر ، فاستدعى الأمراء كلهم إلى عند الأمير أرغون ، وقال لهم : « إنه قد بلغنى أن بعض الأمراء يركب فى الليل ، ويطوف بالقلعة خشية أن أخرج هارباً ، وما فَعَل هذا إلا برأيكم ولا بد أن يكون علمه عندك يا أمير أرغون . فإن كان قد حضر معك مرسوم بالقبض علىّ فما يحتاج إلى فتنة ، فإنى طائع للسلطان ، وهذا سيفى خُذْه » ، وحلّ سيفه . فقال له أرغون : « لم أحضر إلا بتقليد الأمير نيابة حلب حسب سؤالك ، وحاش لله أن يكون السلطان يرى الأمير بهذه العين » ؛ وأنكر [أرغون] أيضاً أن يكون عنده علم بركوب الأمير [بيبرس العلائى] فى الليل حول

(١) الأسباب جمع سبب ، ومعناها هنا الخلصاء والأصدقاء من المحيطين بشخص من الناس . انظر ( Dozy : Supp. Dict. Ar. ) ، حيث توجد معان أخرى لهذا اللفظ .

(٢) فى ف « فانه صودر » ، وقد عدلت إلى الصيغة المثبتة هنا للتوضيح .

السور ؛ فوعد قراسنقر أنه يتوجه غداً إلى حلب ، وانفضّ (٣٦ ا) المجلس .

ثم إن قراسنقر بعث إلى الأمراء ألا يركب أحد منهم لوداعه ولا يخرج من بيته ، واستعدّ وقدّم أثقاله أولا فى الليل . فلما أصبح ركب يوم الرابع من المحرم فى مماليكه وعدتهم ستمائة فارس ، وركب أرغون بجانبه وبهادر آص فى جماعة قليلة . وسار [قراسنقر] ، فقدم عليه الخبر أن الأمير سنقر الكمالى الحاجب قد تأخّر فى حلب بجماعة من عسكر مصر ، فعرّج عن الطريق حتى [إذا] قارب حلب نزل ، وقال لأرغون : « لا أدخل حلب وبها أحد من عسكر مصر » ؛ فبعث [أرغون] إلى سنقر الكمالى يأمره بالخروج من حلب . فلما رحل عنها [سنقر الكمالى] دخل إليها قراسنقر فى نصف المحرم ، ولبس التشريف وقُرئ تقليده على العادة ؛ وأعاد الأميرَ (٣٦ب) أرغونَ وقد أنعم عليه . فوصل [أرغون] إلى دمشق ، وقلّد الأمير سيف الدين كراى المنصورى نيابة دمشق فى يوم الخميس حادى عشريه ، وألبسه التشريف على العادة ، وقُرئ تقليده ، وركب الموكب . ثم أنعم [كرايُ] على أرغون بألف دينار سوى الخيل والخلعة وغير ذلك ، وأعاده إلى مصر ؛ فشكره السلطان على ما كان من حسن تأنّيه وإخماد الفتنة . وقدم الأمير سنقر الكمالى بالعسكر أيضاً ، فخُلع عليه وأجلس بالإيوان .

وفى صفر توجّه الأمير طوغان المنصورى إلى دمشق متولياً شاد الدواوين ، عوضاً عن فخر الدين أياز ؛ فقدمها فى ثامن عشره ، وقُبض على أياز وألزمه بثلاثمائة ألف (٣٧ ا) درهم . وولى الأمير ركن الدين [ بيبرس ] (١) العلائى نيابة حمص .

و [فيها] عُزل الصاحب عز الدين حمزة القلانسى وزير دمشق ، وعُوّق حتى حَمَلَ أربعين ألفاً انساقت باقياً (٢) على ضمان الجهات (٣) ؛ ثم أفرج عنه وقدم القاهرة ، فأنعم عليه ورسم بإعادة ما حمله ، فعاد إلى دمشق واستعاده .

وفيها عُزل الأمير بكتمر الحسامى عن الوزارة ، واستقرّ أمين الدين عبدالله بن الغنّام

---

(١) أضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة ( Zettersteen : Op. Cit. pp. 140,143 ) .

(٢) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٦٥ ، ٧٥٩ ) .

(٣) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٧٣ ، ٦٨٨ ) .

ناظر الدواوين عوضه فى الوزارة . وأنعم على الأمير بكتمر بإمرة ، عوضاً عن سنقر الكمالى ، وولى حاجباً ، وذلك فى سادس ربيع الآخر .

وفى يوم الاثنين حادى عشريه أعيد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى قضاء القضاة بديار مصر (٣٧ ب) ، وصُرف جمال الدين سليمان بن عمر الزرعى . واستقرّ الزرعى فى قضاء[١] العسكر وتدريس الجامع الحاكمى ، ورُسم له أن يجلس بين الحنفى والحنبلى بدار[٢] العدل .

وفى مستهل جمادى الأولى استقرّ الأمير علم الدين سنجر الجاولى فى نيابة غزة ، وقبض على الأمير قطلوقتمر نائب غزة .

وقدم الخبر من سيس بأن فرنج جزيرة[٣] المَصْطكى أسروا رسل السلطان إلى

---

(١) يتضح مما هنا أن هذه الوظيفة كانت تسند إلى القضاة ، وليس لرجل من رجال السيف كما يبدو لأول وهلة ؛ وقد ذكر القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٩ ، ٣٦ – ٣٧ ، ٤٤ – ٤٥ ) أنها من مستحدثات السلطان صلاح الدين الأيوبى . وقد جرى العرف زمن المماليك أن تكون تلك الوظيفة بيد ثلاثة من القضاة ، شافعى وحنفى ومالكى ، ولم يحدث أن تولاها حنبلى . وكان المتبع أن يحضروا ثلاثتهم مجلس السلطان بدار العدل بالقلعة ، ويجلسوا دون قضاة الأربعة ، عن يمين السلطان فيما يلى المالكى ، ويسافروا مع السلطان إذا سافر أيضا . ويلاحظ أن حاجب الحجاب كان ممن ينظرون فى أقضية العسكر كذلك ، غير أنه يظهر أن عمله اقتصر على النظر فيما ينشب بين الجند والأمراء فقط ، فيحضر مجلس السلطان بدار العدل بحكم وظيفة الحجابة والقضاء .

(٢) انظر الحاشية السابقة ، ويظهر أن جلوس القاضى جمال الدين على هذا الترتيب المخالف كان من أجل توليته قضاء القضاة الشافعية سابقاً .

(١) ذكر القلقشندى ( صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٣٧٢ ) هذه الجزيرة الواقعة فى بحر الأرخبيل اليونانى ( Aegean Sen ) بأنها على مسافة قريبة من جزيرة النقربنت ( Negropont Island ) ، وبين ( Blochet ) فى حاشية للترجمة الفرنسية لابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٩٩ بأنها جزيرة خيوس (Chios) ، وقد عرفت باسم جزيرة المصطكى عند جغرافيى العرب ، لشهرتها بذلك الصمغ الذى كان يجلب منها ، كما سماها الترك باسم ( Sakiz-adasi ) ، أى الجزيرة التى تنبت المصطكى . انظر أيضا ( Heyd : Hist du Commerce du Levant etc. II. PP. 633-635 ) . إنما الذى يوجب الالتفات بصدد هذه الجزيرة أن صاحبها الجنوى (Genoese) ، اسمه (Paleologo Zaccaria) كان يعترف لدولة المماليك بشىء من السيادة ، ويقوم لسلاطينها بخدمات معينة ، فوق ما كان هنالك من علاقات اقتصادية بسبب المصطكى . وقد وصف العمرى ( التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٥٩ – ٦٠ ) الجزيرة وصاحبها ، وشرح علاقته بالدولة المملوكية كالآتى : « وهى جزيرة حقيرة صغيرة ، لا تبعد مدى من الإسكندرية ، وصاحبها صغير ، لا فى مال ولا رجال ، وجزيرته ذات قحط ، لا يطرّ شاربها بزرع ، ولا يدرّ حالبها بضرع ، إلا أنها تنبت هذه الشجرة ، فيحمل منها ويجلب ، وترسى السفن عليها بسببها وتطلب ، وفى ملكها خدمة لرسلنا إذا ركبوا ثبج البحر ، وتجهيز لهم إلى حيث أرادوا ، وتنجيز لهم إذا =

الملك طَقْطاى(١) ، ومَنْ معهم مِنْ رسل طقطاى(٢) وعدتهم ستون رجلا، وأنه(٣) بعث فى فدائهم ستين ألف دينار ليتخذ بذلك يدا عند السلطان ، فلم يمكنوه منهم . فكُتب إلى الإسكندرية ودمياط بالحوطة على تجار الفرنج واعتقالهم كلهم ، فأحيط بحواصلهم (١٣٨ ا) وحبسوا بأجمعهم . وحضر أحد تجار الجنوية(٤) فضمن إحضار الرسل وما معهم ، فمُكّن من السفر .

وفيها عزم السلطان على إنشاء جامع ، فاستشار الفخر ناظر الجيش فأشار بعمارته على ساحل مصر ؛ وعُيّن موضع الجامع الجديد ، وكان بستاناً يعرف بالحاج طيبرس وشونا وغير ذلك ، فاستبدل بالأرض على رأى الحنابلة ، فإنها كانت وقفاً . ونزل السلطان حتى رتّبه ، وأقام الفخر على عمارته .

وفيها قُبِض على الأمير بَكْتَمُر(٥) الجوكندار نائب السلطنة بديار مصر ، فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ؛ وقُبض معه على عدة أمراء : منهم صهره ألْكُتَمُر الجدار ، وأيدُغدِى(٦) العثمانى ، ومنكوتمر الطباخى ، وبدر الدين

= توجهوا وإذا عادوا » . انظر أيضا الخالدى ( المقصد الرفيـع المنشا ، ص ٢٨٦ ب ) . ولما كانت علاقة صاحب تلك الجزيرة بهذا التصوير أو قريب منه ( Heyd : Op. Cit. II. P. 290 ) ، فليس من المحتمل أن يقوم رعيته من الفرنج بما ذكره المقريزى بالمتن هنا ؛ والراجح أن الذى حدث ، حسبما ورد فى ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٩٨ ، حاشية ١ من الترجمة الفرنسية ) ، أن الجنوية فى ثغر كافا ( Caffa ) ، وهم أصحاب النفوذ وقت ذاك فى البحر الأسود ، هم الذين أسروا رسل السلطان ورسل طقطاى ، لما كان هناك من سوء العلاقة بين جمهورية جنوة والملك طقطاى ، وقد ذهبوا بهم إلى طرابلس الشام وإلى ثغر أياس ، أملا فى بيعهم بيع الرقيق ، فلم يجرؤ على شرائهم أحد خوفا من السلطان المملوكى ومن الملك طقطاى أيضاً ، وجاءوا بهم أخيراً إلى جزيرة المصطكى ، وربما كان صاحبها هو الذى سارع إلى إيصال خبرهم إلى القاهرة .

( ١ ، ٢ ) فى ف « بقطاى » . انظر ص ٢٧ ، حاشية ٦ .

(٣) الضمير عائد على طقطاى .

(٤) اسم هذا التاجر الجنوى « سكران » ( Sakran ) فى ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ) ، وهو رجل قديم الصلة السلطان الناصر محمد ، وقد أهداه فى سنة ٧٠٣ هـ ( ١٣٠٣ م ) هدية كبيرة . ( Zettersteen : Op. Cit. P. 130 ) .

(٥) كان سبب القبض على هذا الأمير ، حسبما ورد فى ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ ) أنه شرع فى التدبير لخلع السلطان الناصر ، وأنه أراد السلطنة لنفسه . انظر أيضا ( Zettersteen : Op. Cit. p. 155 ) ، حيث توجد معظم الأسماء الواردة فى هذه الفقرة مضبوطة .

(٦) فى ف « وعلى ايدغدى » .

أيدمر الشمسى ، وأيدمر الشيخى ؛ وسُجنوا إلا الطباخى ، فإنه قُتل فى (١) وقته .
ثم استدعى السلطان الأميرَ ركن الدين بيبرس الدوادار [ المنصورى (٢) ] ، وخلع عليه وولاه النيابة عوضاً عن بكتمر الجوكندار فى يوم السبت ثامن عشره .

و [ فيها ] أمر أن يُجدِّد السلطان الجلوس بدار العدل فى كل اثنين ، فدار النقباء على القضاة وغيرهم من أهل الدولة . وجلس [ السلطان ] فى يوم الاثنين عشريه ، ونودى فى الناس من له ظلامة فليرفع قصته بدار العدل ؛ فخاف الأمراء وغيرهم ، وأدّوا ما عليهم من الحقوق من غير شكوى ؛ ورفع الناس قصصهم فقرأها الموقعون على السلطان بدار العدل ، ووقّع عليها بين يديه ، وحكم بين الناس ، [ وأنصف (٣) المظلوم ] ؛ واستمر ( ١٣٩ ا ) الجلوس فى كل يوم اثنين (٤) .

وفيها صَرف السلطان قاضى القضاة زين الدين أبا الحسن على بن مخلوف ، بسبب مفاوضة فى مكتوب ؛ ثم أعاده بعد أيام فى سادس رجب ، وخلع عليه .

وفيها استدعى السلطان القضاة ، وولى كريم الدين أكرم عبد الكريم الكبير وكالته وجميع ما يتعلق به وبأمر السلطنة بحضورهم ، وخلع عليه . فكان أول سعادته أن السلطان اشترى من الفرنج جواهر وغيرها ، فبلغ [ ثمنها ] ستة عشر ألف دينار ، وأحالهم بها على كريم الدين ؛ فذكر الفرنج أنهم بعد ثلاثة أيام يسافرون فحلّفه السلطان ألا يؤخرهم عن الثلاثة أيام ؛ فنزل إلى داره وهو محصور لعدم المال عنده ، واستشار الأمير علاء الدين بن ( ٣٩ ب ) هلال الدولة والصلاح الشرابيشى ، فحسّنا له أخذ حاصل المارستان المنصورى والاقتراض من تجار الكارم (٥) بقية المبلغ — وكانت تجار الكارم بمصر حينئذ فى عدة وافرة ، ولهم أموال عظيمة .
ومضى من الأجل يومان ، وأصبح فى اليوم الثالث آخر الأجل ، فأتاه الفرنج

(١) أمر السلطان الناصر بقتل هذا الأمير لوثته بسبب إقراره بالمشاركة فى مؤامرة بكتمر ، وتفوّهه بكلام قوى فى حق السلطان ، انظر ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٠١ ) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٢٣٨ ا ) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٢٣٨ ب ) .

(٤) يفهم من ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ص ٢٠١ ) أن السلطان الناصر قد استحدث داراً جديدة لجلوسه للمظالم ، إذ يذكر أنه كان يجلس بالإيوان « الذى جدده السلطان فى موضع الإيوان الكبير المنصورى ، واستمر جلوس السلطان بالإيوان المذكور إلى حين وفاته » .

(٥) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٣٩ ، ٨٩٩ ) .

وقت الظهر لقبض المال . فاشتدّ قلقه وأبطأ عليه حضور الكارم . وبينا هو فى ذلك إذ أتاه تجار الكارم ، فنظر بعضهم إلى واحد من الفرنج له عنده مبلغ عشرين ألف دينار قراضاً ؛ فسأل التجارُ الفرنجَ عن سبب جلوسهم على باب كريم الدين ، فقالوا : « لنا عليه حوالة من قبل السلطان بمال ، وقد وعدنا بقبضه اليوم » . فطالبهم الكارمى بما له من مبلغ القراض ، ( ٤٠ ا ) فوعدوه بأدائه . وبلغ ذلك كريم الدين ، فسُرّ به سروراً زائداً وكتمه ؛ وأمر بالكارم والفرنج فدخلوا عليه ، فلم يعرّف الكارم بشىء من أمره ، ولا أنه طلبهم ليقترض منهم مالا ؛ بل قال : ما بالكم مع الفرنج؟ » ، فعرّفعوه أمر القراض الذى عند الإفرنجى ، فقال لهم : « مهما كان عند الإفرنجى هو عندى » . ففرح الفرنج بذلك ، وأحالوا الكارمى على كريم الدين بستة عشر ألف دينار ، [وهى] التى وجبت عليه بحوالة السلطان ، ودفعوا أربعة آلاف تتمة عشرين ألف دينار للكارمى . وقام الفرنج وقد خلص كريم الدين من تبعتهم بغير مال ، والتزم للكارمى بالمبلغ ، فمضى هو وبقية التجار من غير أن يقترض منهم [ شيئا[1] ]، فعدّ هذا من غرائب الاتفاق .

وفيها قُبض ( ٤٠ ب ) على الأمير قطلوبك [ نائب صفد ) [2] . وأنعم على الصاحب نجم الدين البصروى بإمرة .

وفيها قُرّر على أملاك دمشق وأوقافها ألف وخمسمائة فارس ، وهى التى كانت تسمى مقرر الخيالة ؛ فلما ورد المرسوم بذلك على الأمير كراى نائب دمشق أعسف بالناس فى الطلب ، وضرب جماعة وأخذ مالا كبيراً ؛ فتجمّع الناس مع الخطيب جلال الدين محمد القزوينى ، وكبّروا ورفعوا المصاحف والأعلام ، ووقفوا للنائب ، فأمله بهم فضربوا وطردوا طرداً قبيحاً ، فكثر عليه الدعاء ، فلم يمهل بعدها غير تسعة أيام .

وقدم أرغون الدوادار من مصر إلى دمشق يوم الأربعاء ثانى عشرى جمادى الأولى على البريد ، وعلى يده مراسيم للأمراء بالقبض على ( ٤١ ا ) الأمير سيف الدين كراى ؛ ووصل أيضاً فى هذا اليوم مملوك كراى ، وصحبته تشريف وحياصة وسيف لمخدومه ؛

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ١٣٣٩ ) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلى بالصفحة التالية أيضا (Zetterstéen : Op. Cit. p. 156).

واتفق قدوم رسل التتر . فأوصل الأمير أرغون الكتب إلى الأمراء ؛ وأصبح كراى يوم الخميس فركب الموكب ، ونزل وقد احتفل لأجل لبس التشريف ، ولقدوم الرسل . فلما فرغ الأكل ، وانصرفت الرسل ، أحاط الأمراء بكراى وأخرجوا مرسوم السلطان بمسكه ، فقبض عليه وهو بتشريفه[1] ؛ وحُمل مقيّداً إلى الكرك ، فسجن بها . وكان القبض عليه فى يوم الخميس ثالث عشرى جمادى الأولى ، وقُبض فى غده على قطاوبك نائب صفد ، وسجن بالكرك . واستقر فى نيابة دمشق عوض الأمير كراى الكبير جمال الدين أقوش نائب الكرك ، ( ٤١ ب ) وخُلع عليه فى مستهل جمادى الآخرة ، فقدمها فى رابع عشره .

وفيه استقر الأمير سيف الدين بهادر آص فى نيابة صفد ، وأرسل تشريفه صحبة الأمير جمال الدين أقوش ، وقد توجه إليها . ورسم للأمير بدر الدين بكتوت القرمانى بشد الدواوين بدمشق ، وكُتب على يده مسامحة بما قرره كراى . وتوجه [ بكتوت ] مع الأمير جمال الدين أقوش إلى دمشق ، فقدمها فى رابع عشر جمادى الآخرة ؛ وقرئت المسامحة على منبر الجامع ، فسُرّ الناس بذلك . وقُبض بدمشق على الأمير بكتوب الشجاعى ، وسيف الدين جنقار[2] الساقى ، وحملا إلى الكرك .

و [ فيها ] نقل الأمير بكتمر الجوكندار النائب والأمير أسندمر كرجى من سجن الإسكندرية إلى سجن الكرك ؛ ( ٤٢ ا ) فاجتمع بالكرك من الأمراء المعتقلين بكتمر الجوكندار ، وأسندمر كرجى ، وكراى المنصورى ، وقطلوبك المنصورى نائب صفد ، وبيبرس العلائى ، فى آخرين .

وفيها استقر الأمير سيف الدين بيبغا الأشرفى فى نيابة الكرك ، عوضاً عن الأمير أيتمش المحمدى ؛ وكان السلطان قد استنابه بها لما خرج منها إلى دمشق .

وفيها وصل الأمير سليمان بن مهنا إلى القاهرة ، ومعه عدة من التتر مقيّدين ،

---

(١) ذكر ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ص ٢٠٣ ) أنه لما قرئ كتاب السلطان بالقبض على كراى امتثل الأمر ، وخلع ملابس التشريفة ، وهى الشاس والكلوتة ، « وتعمم بتخفيفة » ، إشارة إلى أنه صار من المغضوب عليهم ، وهذا يضيف إلى ما سبقت الإشارة إليه بصدد ملابس الأمراء الذين يزول عنهم رضى السلطان . ( انظر ص ٦٨ ، حاشية ٢ ) .

(٢) فى ف « جنعاد » ، والرسم المثبت هنا من ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ص ٥٣٩ ) .

أسرهم فى الغارة على التتر ، فأنعم عليه بمائة ألف درهم .

و [ فيها ] قدم البريد من حلب بأن خربندا ملك التتر قتل جماعة من خواصه ، وقتل خواصه (١) .

وفيها أقيمت الخطبة للملك الناصر بطرابلس الغرب ، أقامها له ( ٤٢ ب ) الشيخ أبو يحيى زكريا [ بن أحمد بن (٢) محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن حفص عمر ] اللّحيانى ، لما جهزه السلطان إليها بالصناجق وبعدةٍ من الأجناد ؛ وكان ذلك فى شهر رجب ، [ كان الأجناد ] قد قدموا مع بيبرس ، بعد ما قدمها [ أبو يحيى ] من مصر فى جمادى الأولى .

وفى ثامن عشر رمضان كتب باستقرار الأمير بلبان فى نيابة قلعة دمشق ، عوضا عن بهادر السنجرلى . ورسم لبهادر بنيابة قلعة البيرة .

وفى سادس شوال قُبض على الصاحب أمين الدين (٣) عبد الله بن الغنام ، وعلى التاج عبد الرحمن الطويل ؛ وقُرّر عليهما مال ، فحملاه وهما معوّقان بالقلعة ، من غير أن يلى أحد . ثم أفرج عنهما يوم الخميس حادى عشريه ، وخلع عليهما ، واستقرا على عادتهما . فمات التاج فى ذى القعدة ، واستقر عوضه فى نظر ( ٤٣ ا ) الدولة تقى الدين

---

(١) اسم الوزير المقصود هنا سعد الدين الساوى — أو الساوجى — ، وكان فى الحقيقة متوليا لبيت المال مشاركة مع رشيد الدين المؤرخ . ومن الذين قتلوا بأمر خربندا أيضا موسى الكردى الذى ادعى أنه المهدى المنتظر ، وتاج الدين العوجى الذى كان من غلاة الشيعة ، وقد قتل لمحاولاته إخراج خربندا من السنة إلى مذهب الشيعة ، على أن خربندا نفسه قد انقلب شيعيا فى أواخر أيامه . انظر (Browne : Op. Cit. III. PP. 50 - 51 ) راجع أيضاً ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ ) ، حيث جاء أن السبب فى قتل المذكورين من أعيان بغداد وغيرهم ، أنهم كانوا قد تآمروا على حياة خربندا .

(٢) أضيف مابين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها من ابن حجر ( لدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١١٣ — ١١٤ ) ، حيث توجد ترجمة طويلة لهذا الأمير الحفصى الذى ساعد على امتداد دولة المماليك فى عهد الناصر محمد إلى طرابلس . انظر أيضاً ( Zambaur : Op. Cit. pp. 75, 76 ) .

(٣) فى ف « أمين الملك » وهو خطأ واضح ، إذ المعروف نقلا عن ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥١ — ٢٥٢ ) أن ابن الغنام كان قد أسلم على يد الأمير بيبرس الجاشنكير ، وحيث أن المصطلح عليه فى دولة المماليك ، حسبما ذكر القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٩٠ — ٤٩١ ) أن ألقاب رجال الدولة من القبط الذين أسلموا كانت تتغير عند إسلامهم بإضافة الاسم الأصلى إلى لفظ الدين فيقال « شمس الدين » لمن اسمه « الشمس » وهكذا ، فالغالب أن المقريزى — أو ناسخه ، أو مرجعه الذى نقل منه — قد نسى هذه القاعدة ؛ وسيدأب الناشر على هذا التصحيح فيما يلى بغير تعليق .

أسعد بن أمين الملك (١) المعروف بكاتب برلغى ؛ وولى التاج إسحاق والموفق هبة الله [ وظيفة ] (٢) مستوفى الدولة ، وكانا كتابا لسلار .

وفيها توجّه السلطان إلى بلاد الصعيد . ورُسِم بنقض الإيوان الأشرفى بقلعة الجبل ، فنقض وجُدّد ، فلما عاد [ السلطان ] جلس فيه على العادة .

وفيها وصل كرنبس ملك النوبة بالقود المقرر (٣) عليه ، بعد قتل أخيه (٤) . وقدمت رسل الملك المؤيد هزبر الدين دواد ملك اليمن ، بهدية ومائتى جمل ومائتى جمّال وخيول ووحوش وطيور ؛ ففرّق ذلك على الأمراء الأكابر والأصاغر .

وفيها استقر علاء الدين على بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير فى كتابة السر ، عوضاً عن شرف الدين عبد الوهاب بن ( ٤٣ ب ) فضل الله العمرى ، فى يوم الأحد سابع ذى الحجة ؛ ونقل شرف الدين إلى كتابة السر بدمشق ، عوضاً عن أخيه محيى الدين يحيى . وكان ابن الأثير قد توجّه من مصر مع السلطان ، هو وجمال الدين إبراهيم بن المغربى ؛ فلما أقام بالكرك خيّرهما ، فاختارا الإقامة عنده ؛ فلما عاد إلى مُلْك مصر رعى لهما ذلك ، وأقرّ ابن الأثير فى كتابة السر ، وابن المغربى فى رياسة الأطباء .

وفيها أخذ الأمير قراسنقر فى التدبير لنفسه ، خوفا من القبض عليه كما قُبِض على غيره ؛ واصطنع العربان وهَادَاهم ، وصحب سليمان بن مهنا وواخاه (٥) ، وأنعم عليه وعلى أخيه موسى ، حتى صار الجميع من أنصاره ؛ وقدم عليه الأمير مهنا إلى حلب ، ( ٤٤ ا ) وأقام عنده أياما ، وأفضى إليه بسرّه ، وأنه خائف من السلطان ، وأوقفه (٦) على كتاب السلطان بالقبض على مهنا ، وأنه لم يوافق على ذلك ؛ فغضب

(١) كذا فى ف ، وأمين الملك هذا غير ابن الغنام الذى تقدمت الإشارة إليه هنا بالصفحة السابقة . انظر ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٥٩ ) .

(٢) أضيف مابين الحاصرتين لمستقيم العبارة ، وكانت العادة أن يتولى تلك الوظيفة اثنان على الأقل . انظر القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩ ـ ٣٠ ، ٣٤ ) ، وكذلك المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٩٢ ) .

(٣) فى ف « بالمقرر عليه » ، وفى ب ( ٣٣٩ ب ) « بالقود عليه » .

(٤) تقدمت الإشارة إلى هذا الأخ ، واسمه «أياى » ، فى ص ٧ هنا ، وقد ذكر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٧٦ ) أن أياى توفى سنة ٧١٦ هـ ، وأن كرنبس قد تولى النوبة بعده .

(٥) كذا فى ف ، وهو فعل صحيح لغة ، على أنه ضعيف تليل الاستعمال ، والأحسن « آخاه » . ( المحيط ) .

(٦) فى ف « ووافقه » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٤٠ ا ) .

الأمير مهنا ، وأخذ يسكّن ما بقراسنقر ، وانصرف وقد اشتدّ غضبه . وبعث قراسنقر يسأل السلطان فى الإذن له بالسفر إلى الحج ، فأذن له فى الحج ، وقدّر أنه بخروجه من حلب يقدر على أخذه ، وبعث إليه بألفى دينار وخلعة . وكتب [السلطان] إلى الأمير مهنا يطلب منه فرساً عيّنه ، وأن يحضر إلى مصر لزيارته - وكان قد بلغه اجتماع مهنا بقراسنقر ، فدبّر أمراً يعمله معه أيضاً - ؛ فبعث مهنا الفرس وأعاد الجواب . وجهز قراسنقر حاله ، وخرج من حلب فى نصف شوال ، ومعه أربعمائة (٤٤ ب) مملوك ؛ واستناب الأمير شهاب الدين قَرَطاى(١) ، وترك عدة من مماليكه بحلب لحفظ حواصله .

فلما قدم البريد بمسيره من حلب كُتِبَ لقرطاى بالاحتراس ، وألا يُمكّن قراسنقر من حلب إذا عاد ، ويحتجّ عليه بإحضار مرسوم السلطان بتمكينه من ذلك ؛ وكُتب إلى نائب دمشق ونائب غزة ونائب الكرك وإلى بنى عقبة بأخذ الطريق على قراسنقر ؛ فقدم البريد بأنه سلك البَرِّيّة على صرخد إلى زيزاء(٢) . ثم كثر وهمه واشتد خوفه من السلطان ، لورود الخبر من ثقاته بمصر بما عزم عليه السلطان ، وما كُتب به ؛ فعاد من غير الطريق التى سلكها . ففات أهل الكرك القبضُ عليه ، وكتبوا بالخبر إلى السلطان ؛ فشقّ عليه [ذلك] ، وكتب (٤٥ ا) بكشف أخباره ، وكتب إلى حلب بمنعه منها ومَنْعِ مماليكه من الخروج إليه ، « وإن وجدتَ فرصة تقبض(٣) عليه » .

فقدم قراسنقر ظاهر حلب قبل قدوم ما كتب به السلطان ، فمنعه قرطاى من الدخول ، وعوّق من بحلب من مماليكه عن الخروج إليه ، فسُقط فى يده ورحل ، وكَتَبَ إلى الأمير مهنا بما جرى له ؛ فكتب [مهنا] إلى قرطاى بأن يخرج حواصل قراسنقر إليه ؛ وإلا هجم على مدينة حلب وأخذ ماله قهراً . فخاف [قرطاى] من ذلك ؛ وجهز كتابه إلى السلطان فى(٤) طى كتابه ، وبعث بشىء من حواصل قراسنقر إليه مع الأمير عز الدين

---

(١) ضبط هذا اللفظ على منطوقه فى ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٠٥) .
(٢) فى ف « زيره » . انظر ما سبق هنا ، ص ٥٨ .
(٣) أورد المقريزى هذه العبارة بتلك الصيغة على أنها من نص كتاب السلطان إلى ممثل النيابة بحلب ، وهو الأمير قرطاى .
(٤) فى ف « على » والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٤٠ ب) .

فرج بن قراسنقر . [ وانصرف قراسنقر عن حلب وقصَدَ البرّية ، ثم جهز ولده فرج ونائبه عبدون إلى الديار المصرية ، وكذلك جملة من أمواله ][١] ؛ فقدم [فرج] أواخر ذى الحجة ، وأنعم [ السلطان] عليه بإمرة عشرة ، وأقام بالقاهرة مع أخيه علاء الدين ( ٤٥ ب) على بن قراسنقر .

وقدم سليمان بن مهنا إلى قراسنقر ، وأخذه حتى أنزله فى بيت أمه ، واستجار بها من السلطان فأجارته . وأتاه الأمير مهنا وأولاده ، وقام له بما يليق به ؛ وكتب يعرّف السلطان بنزول قراسنقر فى أبياته[٢] ، وأنه استجار بأم سليمان فأجارته ؛ وسأل العفو عنه ، وبعث بذلك أحد أولاده . فأجاب السلطان سؤاله ، وكتب إليه أن يخيّر قراسنقر فى بلد من البلاد حتى يوليه .

فلما سافر ابن مهنا من مصر أخرج السلطان تجريدة فيها من الأمراء حسام الدين قرا لاجين الأستادار ، وحسام الدين لاجين الجاشنكير ، وعلاء الدين مغلطاى المسعودى ، وشمس الدين الدكز[٣] الأشرفى ، ولاجين العمرى ، فى مضافيهم من الطبلخاناه ( ٤٦ا ) والعشراوات . ثم أردفهم [ السلطان ] بتجريدة أخرى ، [ فيها ] الأمير سيف الدين قِبْلى[٤] السلاح دار ، وسيف الدين وآل ملك ، وجنكلى بن البابا ، وأمير حسين بن جندر ، فى جماعة من الخاصكية مثل أرغون الدوادار ، وأرقطاى ، وأيتمش ، وجغطاى ، والجاى الساقى ، وطقطاى الساقى . وكتب [ السلطان ] لنائب دمشق بتجريد كجكن وكتبغا الحاجب بمضافيهما ؛ وجُعل مقدّم هذه العساكر قرا لاجين الأستادار ، وصاحب السرّ والمشورة أرغون الدوادار ؛ فساروا من دمشق يريدون جهة مهنا .

فاستعدّ قراسنقر ، [ وكتب ][٥] إلى الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب طرابلس يستدعيه إليه ، فأجابه بالموافقة ، ووعده بالحضور إليه . وكتب [الأفرم][٦]

---

(١) أضيف مابين الحاصرتين بهذه الصفحة بعد مراجعة ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ج ٣ ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ) .

(٢) كذا فى ف ، وهو جمع صحيح للفظ بيت ، بمعنى المسكن ( المحيط ) .

(٣) فى ف « الدكر » . انظر ص ١٧ ، حاشية ١ .

(٤) ضبط هذا الاسم من ( Zetterstéen : Op. Cit. p. 156 ect. )

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٣٤٠ ب ) .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة أبى الفداء ( المختصر فى أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٦٨ ).

إلى صهره الأمير ( ٤٦ ب ) عز الدين أيدمر الزردكاش بدمشق يأمره باستفساد من قدَر عليه ولحاقه به وبقرا سنقر ، وجهز إليه خمسة آلاف دينار ليفرّقها فيمن يستميله ؛ ونزل العسكر [ السلطانى ][1] حمص .

فأراد قرا سنقر مخادعة السلطان ليتسع له المجال ، وكتب إليه مع مملوكه ؛ وكتب [ إليه ] مهنا مع ولده بالدعاء والشكر ، وأن قراسنقر[2] قد اختار صرخد ؛ وسألا يمين السلطان بالوفاء ، وإخراج ما لقرا سنقر بحلب من المال وتمكينه منه . فمرّ ابن مهنا ومملوك قرا سنقر على حمص ، وعرّفا الأمير قرا لاجين وأرغون الدوادار بدخول قرا سنقر فى الطاعة ، وأنه عيّن صرخد . فمشى ذلك عليهما ، وكتبا معهما إلى السلطان بمعنى ذلك . فانخدع السلطان أيضاً ، ( ٤٧ ا ) وكتب تقليد قراسنقر بنيابة صرخد ، ورسم أن يتوجه به إليه أيتمش المحمدى ؛ وكتب لأيتمش بأن يوصل الملطف إلى مهنا سرّا ، وأن طقطاى[3] يتوجه إلى حلب ، ويخرج ما لقراسنقر بها من المال ، ويسيره إليه . وأنعم [ السلطان ] على مملوك قراسنقر بألف دينار ، ووعده أنه متى قام على أستاذه حتى يعود[4] إلى الطاعة أنعم عليه بإمرة ، وأخرجه على البريد هو وابن مهنا . فسارا إلى حمص ، ودفعا كتب السلطان إلى الأمراء ؛ وسارا بأيتمش إلى قراسنقر فسرّ به وأنزله ، واحتج بأنه يتوجّه إلى صرخد حتى يأتيه ما له فى حلب ؛ فتحيل أيتمش حتى أوصل ملطف السلطان إلى مهنا ، فأطلع عليه قراسنقر .

وبيناهم فى ذلك إذ قدمت أموال قرا سنقر التى كانت ( ٤٧ ب ) بحلب إليه ، فإن طقطاى توجّه إليها وبعث إلى قراسنقر بما كان له فيها . فما هو إلا أن وصل ماله بحلب ، إذا بالأفرم قد قدم عليه أيضاً من الغد ، ومعه خمسة أمراء طبلخاناه وستة عشراوات فى جماعة من التركمان . وقدم الزردكاش ، ومعه الأمير بلبان

---

(١) أضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ ) .

(٢) فى ف « وأنه » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم ليتضح المعنى .

(٣) كان هذا الأمير من رجال التجريدة السلطانية . ( انظر الصفحة السابقة ) .

(٤) فى ف « يقوم » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٣٤١ ) .

الدمشقى والى القلعة، وبيبرس الحسامى؛ فسر قراسنقر بقدومهم. ولما استقر بهم المنزل استدعوا أيتمش، وعدّدوا عليه مَن قتله السلطان من الأمراء، وأنهم قد خافوا على أنفسهم، وعزموا على الدخول إلى بلاد التتر، وركبوا بأجمعهم. فعاد أيتمش إلى الأمراء بحمص، وعرّفهم الخبر، فركبوا عائدين إلى مصر بغير طائل؛ ووقعت الحوطة على أموال الأفرم ومَن تبعه.

وفيها أفرج (١٤٨) عن الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى، وأنعم عليه بخبز الجاولى. وفيها ولى شمس الدين غبريال كاتب قراسنقر نظر الجامع الأموى بدمشق والأوقاف، عوضا عن شرف الدين ابن صَصْرَى، وكان غبريال لما خرج قراسنقر حلب قدم إلى مصر وسعى حتى ولى ذلك. وفى ثالث ذى الحجة قدمت تقدمة اليمن على العادة، فقبلت.

ومات فى هذه السنة من له ذكر الأمير بدر الدين بكتوت الخازندارى[1] - عُرِف بأمير شكار - ، نائب الإسكندرية، [وكانت وفاته] بعد عزله، فى ثامن عشرى رجب بالقاهرة؛ وأصله من مماليك الأمير بيليك الخازندار نائب السلطنة بمصر فى الأيام الظاهرية، وتنقّل حتى اشتهر فى الأيام العادلية كتبغا (٤٨ ب) وصار أمير شكار؛ ثم ولى الإسكندرية وكثر ماله، واختص ببيبرس وسلار؛ فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة حضر وحسّن للسلطان حفر خليج الإسكندرية ليستمر الماء فيه دائما، فندَب معه الأمير بدر الدين محمد بن كيدغدى المعروف بابن الوزيرى، وفَرَض العمل على سائر الأمراء، فأخرَج كل منهم أستاداره ورجاله، وركِب ولاة الأقاليم. - ووقع العمل من رجب سنة عشر وسبعمائة، فكان فيه نحو الأربعين ألف راجل تعمل، وقد قسّم بالأقصاب على الأمراء والولاة، وحفر كل أحد ما حُدّ له؛ فكان قياس العمل من فم البحر إلى شنبار[2] ثمانية آلاف قصبة، ومثلها إلى الإسكندرية. وكان الخليج (١٤٩) الأصلى من حد شنبار[3]

(١) فى ف «الخازندار»، والرسم المثبت هنا من ب (٣٤١ ب)، والنسبة إلى الأمير بيليك الخازندار، كما هنا سطر ١٣. انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٨٩)، حيث توجد ترجمة قصيرة لهذا الأمير المتوفى.

(٢، ٣) كذا فى ف، وهو فى ب «سنبار»، والمراجع من تحديد موقع هذا البلد بمنتصف المسافة بين فوهة هذه القناة الكبرى عند المطف الحالية ومنتهاها عند الإسكندرية أن المقصود بتلك التسمية بلدة «شبرابار» الواردة فى ابن الجيعان (التحفة السنية، ص ١٢٩)، وابن دقماق (الانتصار، ج ٥، ص ٩٣)، والمقريزى (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٧٠) وربما كان الرسم المثبت هنا تحريفا لاسم ذلك البلد فى عصر المقريزى أو ناسخه، أو عصر المرجع الذى نقلت منه تلك الأخبار. هذا ويقرر محمد رمزى بك أن موضع شبرا بار هذه هو أبو حمص الحالية.

يدخل الماء ، فجُعل فم هذا البحر يرى[١] إليه ؛ وعُمل عمقه ست قصبات فى عرض ثمانى قصبات . فلما وصل الحفر إلى حد الخليج الأول حُفر بمقدار الخليج المستجد ، وجعل بحراً واحداً ، وركب عليه القناطر . ووُجد فى الخليج من الرصاص المبنى تحت الصهاريج شىء كثير ، فأنعم به على بكتوت هذا . فلما فرغ أنشأ الناس عليه[٢] أراضى وسواقى ، واستجدت عليه قرية عرفت بالناصرية[٣] ؛ فبلغ ما أنشىء عليه زيادة على مائة ألف فدان ونحو ستمائة ساقية وأربعين قرية ، وسارت فيه المراكب الكبار ، واستغنى أهل الثغر عن حزن الماء فى الصهاريج ؛ وعمر عليه نحو ألف غيط ، وعمرت به عدة بلاد ، وتحوّل الناس حتى سكنوا ما (٤٩ب) عمر من الأراضى على الخليج ، فصار بعدما كان سباخا سواقى القصب والقلقاس والسمسم وغيره . فلما تمّ ذلك أنشأ بكتوت من ماله جسرا ، أقام فيه نحو ثلاثة أشهر حتى بناه رصيفا واحدا نحو الثلاثين قنطرة بناها بالحجارة والكلس ، وعمل أساسه رصاصا[٤] ؛ وأنشأ بجانبه خانا وحانوتا ، وعمل فيه خفراء ، وأجرى لهم رزقة ؛ فبلغت النفقة عليه نحو ستين ألف دينار . وأعانه على ذلك أنه هدم قصرا قديما خارج الإسكندرية وأخذ حجره ، ووجد فى أساسه سربا من رصاص مشوا فيه إلى قرب البحر المالح ، فحصل منه جملة عظيمة من الرصاص[٥] . ثم إنه شجر[٦] مابينه وبين صهره ، فسعى به إلى السلطان وأغراه بأمواله ؛ وكتب أمين الدين (٥٠ا) عبد الله بن الغنام — وهو مستوفى الدولة — عليه أوراقا بمبلغ له أربع مائة ألف دينار ، فطُلب إلى القاهرة . ولما قرئت عليه الأوراق قال : « قبّلوا الأرض بين يد السلطان وعرّفوه عن مملوكه أنه إن كان

(١) فى ف « يرى » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٤١ ب ) .

(٢) الضمير عائد على خليج الإسكندرية .

(٣) حقق محمد رمزى بك موضع هذه القرية من دفاتر الروزنامة القديمة بدار المحفوظات الملكية ، وقرر أن موضعها كفر نكلا الحالية ، بمركز المحمودية بمديرية البحيرة .

(٤) يلاحظ القارىء أن هنا وصفا لبناء الطرق الرئيسية فى مصر فى العصور الوسطى .

(٥) أفاض المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٦٩ ، ومابعدها ) فى وصف قناة الإسكندرية ، شرح ما قام به الأمير بكتوت بمثل ما أورده هنا تقريباً . وقد أورد الأمير طوسون ( P. O. Toussoun : Les Anciennes Branhes du Nil, pp. 169 et seq. ). فصلا خاصا بتاريخ القناة وما حدث فى مجراها من تعديل .

(٦) فى ف « سجر » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٤٢ ا ) .

راضياً عنه فكلُّ ما كُتب كذب ، وإن كان غير راض فكلُّ ما كُتب صحيح » .
وكان قد وُعك فى سفره من الإسكندرية ، فمات بعد ليال فى ثامن عشر رجب وأخذَ ، له مال عظيم جدا ؛ وكان من أعيان الأمراء وكرمائهم وشجعانهم ، مع الذكاء والمروءة والعصبية ؛ وله مسجد خارج باب زويلة ، وله عدة أوقاف على جهات برّ .

و [ مات ] الأمير شمس الدين سنقر شاه الظاهرى ، مات بدمشق . و [مات] الوزير فخر الدين عمر بن عبد العزيز بن الحسين بن الخليلى (٥٠ ب) التميمى ، وهو معزول ، ليلة عيد الفطر ، ودفن بالقرافة ؛ ومولده فى سنة أربعين وستمائة ؛ وكان كريما جوادا. و [مات] مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن الخشاب المخزومى الشافعى ، وكيل بيت المال ، فى ثامن ربيع الأول بالقاهرة ، ودفن بالقرافة ؛ وكان من أعيان الفقهاء ، وولى الحسبة فى الأيام المنصورية قلاون ، وصحب الشجاعى ؛ وأضاف له [قلاون] وكالة بيت المال ووكالة السلطان وعدة مباشرات ، فعظمت مهابته ، وعيب عليه مجونه وعزله وكثرة اجتماعه بالشجاعى ومعاشرته له ، وكان الوزير ابن الخليلى يبكّته بذلك ؛ و [ كان ] لا يكتب فى آخر كتبه سوى : « حسبنا الله » فقط ، من غير « ونعم الوكيل » ، وسئل أن يكتب « ونعم الوكيل » (٥١ ا) فأبى . و[ مات ] قاضى القضاة سعد الدين مسعود [بن أحمد بن مسعود][(1)] بن زيد الحارثى الحنبلى ، فى يوم الأربعاء رابع عشرى ذى الحجة ، ودفن بالقرافة ؛ وسمع وخرّج وصنّف ، وصار من الأئمة الحفاظ ، وكتب على سنن أبى داود قطعة . و [مات] الشيخ صالح محمد العربان ، فى ثامن عشر رجب . و[مات] شرف الدين أبو عبدالله محمد بن شريف بن يوسف بن الوحيد الزرعى ، فى يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان بالقاهرة ؛ وكان يكتب فى التوقيع ، وله معرفة بالإنشاء ، وبلغ الغاية فى جودة الكتابة ، وانتفع الناس بالكتابة عليه ؛ وكان فاضلا شجاعا مقداما لَسِنا[(2)] متكلما ، يُرمى فى دينه بالعظائم ، ويعرف عدة لغات ، وله نظم ونثر . و [مات] الطبيب شرف الدين عبدالله بن أحمد بن أبى الحوافر رئيس الأطباء ، ( ٥١ ب ) فى ليلة

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٣٤٢ ا ) ، انظر أيضاً ابن حبيب ( درة الأسلاك ، ج ١ ص ١٩١ ) وهذا مثل آخر للدلالة على أهمية نسخة ب
(٢) فى ف «لينا» ؛ والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٤٢ ب )

الجمعة ثالث عشرى شوال ، ودفن بالقرافة ؛ وكان ديّنا فاضلا رضىّ الأخلاق ماهراً في علم الطب . و [مات] التاج عبد الرحمن الطويل القبطى الأسلمى ، ناظر الدواوين ، فى ثانى عشرى ذى القعدة ؛ وقد انتهت إليه معرفة الكتابة الديوانية ، وكان إسلامه فى الأيام الأشرفية ، وله صدقات كثيرة . ومات القاضى محيى الدين محمد بن قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى ، ليلة الخميس حادى عشر ذى الحجة ، وكان ينوب عن أخيه بالقاهرة فى الحكم ، ورسم له باستقلال بوظيفة القضاء بعد أبيه ، فمات فى حياته ؛ وكان من النجباء . ومات جمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ جلال الدين المكرم (٥٢ ا) بن على ، فى ثالث عشرى المحرم ، عن بضع وثمانين سنة ؛ ودفن بالقرافة ؛ وكان من أعيان الفقهاء الشافعية ورؤساء القاهرة وأماثل كتاب الإنشاء ، ومن رواة الحديث . و [مات] شمس الدين محمد بن يوسف الجزرى الشافعى خطيب جامع ابن طولون ، وكان يعرف بالمحوجب ، وكان عارفاً بالفقه والأصول ، ودرس بالمعزية بمصر .

وفيها قُتل متملك تونس الأمير أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبدالواحد بن أبى حفص ، فى جمادى الأولى ، فكانت مدته نحو عامين ؛ وقدم الأمير أبو يحيى زكريا اللحيانى من طرابلس[1] ، فملك تونس بعده .

* * *

سنة اثنتى عشرة وسبعمائة . فيها (٥٢ ب) انتهت عمارة الجامع الجديد الناصرى بساحل مصر ؛ فنزل السلطان إليه ، ورتب فيه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى خطيباً ، ورتّب فيه أربعين صوفيا فى سطحه ، وأربعين صوفيا بداخله ورتّب لكل منهم الخبز واللحم فى اليوم ، ومبلغ خمسة عشر درهما فى الشهر ؛ وجعل شيخهم قوام الدين الشيرازى . ووقف [السلطان] عليه[2] قيسارية[3] العنبر بالقاهرة ، وعمّر له

(١) فى ف «من مصر» وهو خطأ ، فإن الأمير أبا يحيى سافر فى الحقيقة من مصر إلى طرابلس ، حيث أقام الخطبة بها للسلطان الناصر محمد كما تقدم ( ص ١٠٦ ) ؛ وقد ذهب إلى تونس من بعد ذلك ، وأقام بها ملكا حتى سنة ٧١٧ هـ ؛ ثم رجع منها إلى طرابلس ، واستقر به المقام أخيراً بالإسكندرية حيث عاش زاهداً فى الملك ، وكانت وفاته بها سنة ٧٢٧ هـ انظر ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ١١٣ ــ ١١٤ ) ، وكذلك ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٢٩ ــ ١٣٠ ) .

(٢) فى ف «عليها» ؛ وقد أصلحت إلى الرسم الوارد بالمتن ، لأن الضمير عائد على الجامع .

(٣) تقدمت الإشارة إلى قيسارية العنبر والعنبريين فى ص ٩١ ؛ حاشية ٣ . أنظر أيضا المقريزى المواعظ والاعتبار ؛ ج ص ٢ ، ٨٩ )

رَبعا وحماما ، [ وأقام له (١) خطيبا ] . وأول صلاة صُلِّيت به ظهر يوم الخميس ثامن صفر ، بإمامة (٢) الفقيه تاج الدين أبى عبدالله محمد بن الشيخ مرهف ؛ وخطب فيه من الغد يوم الجمعة تاسعه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة . فحكر الناس حوله ، وبنوا الدور (٥٣ ا) وغيرها .

وقدم البريد من حلب بعبور قرا سنقر ومن معه من الأمراء (٣) إلى بلاد التتر ، وأنهم بعثوا بأولادهم وحريمهم إلى مصر . وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا إلى الرحبة انقطع كثير ممن تبعهم من المماليك والتركمان ، فبعث قراسنقر ولده الأمير فرج ، وبعث الأفرم ولده موسى مع بعض من يوثق به ؛ وأمرا بتقبيل الأرض بين يدى السلطان ، وأن يبلغاه أن الأمراء ماحملهم على دخول بلاد العدو إلا الخوف ، وأن الأولاد والحريم ودائعه ، فليفعل السلطان معهم ما يليق به ؛ فقدما إلى القاهرة ، وبقيا فى الخدمة . وسار الأمراء إلى ماردين ، وكتبوا إلى خربندا بقدومهم ، فبعث أكابر المغل إلى لقائهم ، وتقدم إلى ولاة (٥٣ب) الأعمال بخدمتهم والقيام لهم بما يليق بهم . فلما قاربوا الأردُو (٤) ركب خربندا وتلقاهم ، وترجّل لهم لما ترجلوا له ، وبالغ فى إكرامهم وسار بهم إلى مخيمه ، وأجلسهم معه على التخت ؛ وضرب لكل منهم خَركاه ، ورتب لهم الرواتب السنية . ثم استدعاهم بعد يومين ، واختلا بقراسنقر ، فحسّن له عبور الشام ، وضمن له تسليم البلاد بغير قتال ؛ ثم خلا بالأفرم فحسّن له أيضاً أخذ الشام ، إلا أنه خيّله من قوة السلطان وكثرة عساكره . فأقطع [خربندا] مَراغة لقراسنقر ، وأقطع هَمذان (٥) للأفرم ، واستمروا هناك .

وفى يوم الأحد عاشر ربيع الأول قبض السلطان على القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله

(١) موضع مابين الحاصرتين فى ف « وخطبا فيه » ، وقد أبدلت إلى الصيغة الواردة بالمتن بعد مراجعة المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ٤٠٣ ) ، حيث يوجد وصف دقيق لبناء هذا الجامع .

(٢) فى ف «بامة» ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٤٣ ا ) .

(٣) فى ف «الأموال» ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٤٣ ا ) .

(٤) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ص ٥٦٩ ، حاشية ٢ ) .

(٥) تقع بلدة مراغة ، حسبما ذكر ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٧٦ ) بإقليم آذربيجان ؛ وأما همذان فوقعها ببلاد الجبل شمالى نهاوند ؛ والناشر ينتهز هذه المناسبة لشكر السيد عبد الرزاق الحصان ببغداد لما أمدّه به من خرائط مخطيطية لتحديد هذا البلد وضبطه وتصحيح الوارد بشأنه فى الجزء الأول من كتاب السلوك ص ٤٠٧ ، ٤١٠ ) .

ناظر الجيش ، وعلى ( ٥٤ ا ) ولده شمس الدين : وسبب ذلك مفاوضة حصلت بينه وبين فخر الدين أياز الشمسى مشد الدواوين ، اشتط فيها [القاضى] على الفخر [أياز الشمسى] وأهانه ؛ فاجتمع [ أياز ] بالدواوين وعرّفهم [1] ماله من الأموال والدواليب [2] فى أعمال مصر ، واجتمع بالسلطان وأغراه به ، والتزم له أن يستخلص منه ألف درهم فأعجبه ذلك ومكّنه منه ، فاشتد بأسه حينئذ ، وجلس على باب القلعة ، وفتح مع الفخر باب شرّ ، وأغلظ فى القول بحضرة الأمراء إلى أن قال له : « أنت كسرت معاملات [3] السلطان وخربت بلاده ، وأخذت أراضى الخاص عملتها لك رزقا » ؛ ثم نهض وقال : « أنا بالله وبالسلطان » ، ودخل والفخر خلفه حتى وقفا بين يدى السلطان ، فبسط أياز لسانه ، ( ٥٤ ب ) وحاقق الفخر على عدة فصول حتى غضب السلطان ، وقال له : « تسلّمهُ وخُذْ مالى منه » ، فأخذه إلى قاعة [4] الصاحب وكتب [أياز] إلى الأعمال بالحوطة على مواشيه وزراعاته وسواقى أقصابه وغير ذلك وأحيط بموجوده فى القاهرة ومصر ، وتُتبّعت حواشيه ، فلم يطق الفخر ما هو فيه من البلاء مع أياز ، وبعث إلى طغاى وكستاى وإلى الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى أمير جاندار ؛ فتحدثوا فى أمره مع السلطان على أن يُنقل إلى بيبرس الأحمدى ، وأنه يحمل جميع ماله ولا يدع منه شيئا ؛ فتسلمه بيبرس أمير جاندار من أياز .

و [فيها] كتب بطلب قطب الدين موسى بن أحمد بن الحسين بن شيخ السلامية ناظر الجيش بدمشق على البريد ، (٥٥ ا) فحضر واستقرّ عوضاً عن الفخر فى نظر الجيش . وتمكن أياز من حاشية الفخر ، وضرب جماعة منهم بالمقارع ، وأخذ سائر موجودهم ، وحمل

---

(١) فى ف «وعرف» ، وقد عدلت إلى الرسم المثبت هنا ، وأضيف ما بين الحاصرتين أيضا ، للتوضيح .

(٢) الدواليب جمع دولاب ؛ ومعناها هنا معاصر قصب السكر وأشباهها من الصناعات التى تحتاج إلى الأدوات العجلية ؛ كمصانع غزل الحرير والسواقى المائية . ( Dozy : Supp. Dict. Ar. )

(٣) ربما كان المقصود بلفظ المعاملات هنا الأشغال التجارية (affaires de commerce) الخاصة بالسلطان ، أو هى النقود السلطانية (arhent monnayé) الجارية الاستعمال فى عهده .

والمعاملات أيضا المكوس والضرائب المستحدثة ، وكانت تسمى الحقوق . انظر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١ ) .

(٤) المقصود بقاعة الصاحب دار الوزارة ، والصاحب لفظ جرى فى عهد الأيوبيين بمصر للدلالة على الوزير ؛ وقد سبقهم إلى استعماله بنو بويه من دون الدول الإسلامية المتقدمة . ( المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ ) .

الفخر نحو الخمسمائة ألف درهم. ثم أفرج(١) [السلطان] عنه وعن ولده وخلع عليهما، فى يوم الأربعاء خامس عشرى ربيع الآخر ؛ واستقر [الفخر] عوضا عن معين الدين هبة الله بن حشيش (٢) صاحب ديوان الجيش. ولم يوفق (٣) ابن شيخ السلامية وارتبك فى المباشرة، بحيث إن السلطان كان إذا سأله عن كشف بلد ليعرف حالها يتأخر قدر ساعة، ثم يجيب بغير الغرض ؛ فتبين جهله بمعرفة جيش مصر.

وفى حادى عشرى ربيع الأول ولى قضاء(٤) القضاة الحنابلة بالقاهرة ومصر تقى الدين أحمد بن عز الدين عمر بن عبد الله المقدسى، عوضا عن (٥٥ ب) سعد الدين مسعود الحارثى.

وفى سادس ربيع الآخر أمّر السلطان من مماليكه ستة وأربعين أميرا: منهم طبلخاناه تسعة، وعشراوات سبعة (٥) عشر، وألوف عشرون ؛ وشقوا القاهرة بالشرابيش، وكان يوما عظيما.

وفيها قدم العسكر المجرد إلى الشام فى يوم الاثنين ثانى ربيع الآخر، وطلع الأمراء إلى القلعة، فقبض على عدة من الأمراء لميلهم إلى قراسنقر: منهم جمال الدين أقوش نائب الكرك - وكان قد حضر من دمشق، وخُلع عليه -، وبيبرس [المنصورى] نائب السلطنة بمصر، وسنقر الكمالى، ولاجين الجاشنكير، وبينجار(٦)، والدكز(٧) الأشرفى، ومغلطاى المسعودى، وسُجنوا(٨).

---

(١) فى ف "وافرج"، وقد عدلت إلى الرسم المثبت هنا، وأضيف ما بين الحاصرتين، بعد مراجعة ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد، ج ٣، ص ٢٢٠).

(٢) ذكر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد، ج ٣، ص ٢٢٠) أن جد معين الدين هذا كان مملوكا للسلطان المعظم توران شاه ابن الصالح نجم الدين أيوب.

(٣) فى ف «فلم يوافق»، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٤٣ ب)، مع إبدال فاء العطف بواو للتوضيح.

(٤) فى ف «ولى قاضى القضاة الخطابة بمصر» والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٤٣ ب). انظر أيضا ابن حبيب (درة الأسلاك، ج ١، ص ١٩٤).

(٥) فى ف «تسعة»، والعدد الوارد هنا من ب (٣٤٤ ا)، وهو أصح.

(٦) بغير نقط فى ف، وقد تقدمت الإشارة إلى صحة هذا الاسم فى ص ٦٠، ويلاحظ أنه وارد برسم «باينجار» فى ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد، ج ٣، ص ٢١٩)، غير أنه مكتوب برسم «بانيجار» فى ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ١ ص ٤٧١).

(٧) فى ف «الذكر». انظر ص ٦١، سطر ٢، وكذلك ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ج ٣ ص ٢٢٠).

(٨) فى ف «وشيخو» والصيغة المثبتة هنا من (ب ٣٤٤ ا) ؛ وهى الأصح. انظر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد، ج ٣ ص ٢١٩ — ٢٢٠).

وفيها استقر سودون الجدار نائبا بحلب فى ربيع الأول ، (١٥٦ ا) وتمر الساقى المنصورى فى نيابة طرابلس فى ربيع الآخر .

[وفيها كتب][١] بطلب فضل أخى مهنا وولده أبى بكر ، وسير إليه تقليد الإمرة عوضا عن مهنا ، وأن مهنا لا يقيم بالبلاد ؛ وخرج بذلك الأمير بهاء الدين أرسلان[٢] الدوادار .

و [فيها] قبض أيضا فى رابع ربيع الأول على بيبرس العلمى بحمص ، وعلى الأمير بيبرس المجنون . والأمير علم الدين سنجر البروانى ، والأمير طوغان المنصورى ، وبيبرس التاجى ؛ وقيدوا وحملوا من دمشق إلى الكرك ، فسجنوا بها ميلهم مع قراسنقر .

وفيها استقر الأمير تنكز الناصرى فى نيابة دمشق ، عوضا عن الأمير جمال الدين نائب الكرك ، مستهل ربيع الآخر ؛ وسار على البريد يوم الجمعة سابعه ، فدخلها (٥٦ ب) يوم الخميس عشرى ربيع الآخر ؛ ورسم له ألا يستبد بشىء إلا بعد الاتفاق مع الأمير سيف الدين أرقطاى ، والأمير حسام الدين طرنطاى البشمقدار[٣] .

وفى سادس عشر ربيع الآخر أمّر السلطان فى يوم واحد ستة وأربعين أمير : منهم طبلخاناه تسعة وعشرون ، وعشراوات سبعة عشر ؛ وشقوا القاهرة بالشرابيش والخلع .

وفى يوم الاثنين أول جمادى الأولى استقر الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصرى نائب السلطنة ، عوضا عن بيبرس الدوادار المنصورى . ورسم بنيابة صفد لبلبان طرنا أمير جاندار ، عوضا عن بهادر آص . وأن يرجع بهادر إلى دمشق أميرا على عادته ، فسافر إليها .

وفيه ركب السلطان (٥٧ ا) إلى بر الجيزة ، وأمّر طقتمر الدمشقى ، وقطلوبغا الفخرى المعروف بالفول المقشر ، وطشتمر البدرى حمص أخضر .

وفيها هدم السلطان الرفرف الذى أنشأه أخوه الأشرف خليل على يد الشجاعى[٤] .

---

(١) ما بين الحاصرتين وجود فى ف ، ولكنه فى (٣٤٤ ا) .

(٢) فى ف «أبن رسلان» والرسم المثبت هنا من ب (٣٤٤ ا) ، وهو الأصح . انظر أيضا ابن حجر (الدور الكامنة ، ج ١ ص ٣٤٩) ، حيث ورد أن هذا الأمير كان ثقة لدى الملك الناصر ، بسبب أنه هو الذى أفضى له بمؤامرة الأمراء للفتك به إبان دخوله القاهرة من دمشق . انظر ص ٧٣) .

(٣) فى ف «الشمقدار» ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٤٤ ا) . انظر المقريزى (كتاب السلوك ج ١ ، ص ٤٠٢) .

(٤) انظر ص ٣٤ ، حاشية ٤ .

وفيها ورد الخبر فى أول رجب بحركة خربندا : وسبب ذلك رحيل مهنا إليه عند إخراج خبزه لأخيه ، وإقامته عنده ، وتقوية عزمه على أخذ الشام . وكان السلطان تحت الأهرام بالجيزة ، فقوى عزمه على تجريد العساكر ، ولم يزل هناك إلى عاشر شعبان ؛ فعاد إلى القلعة ، وكتب إلى نواب الشام بتجهيز الإقامات . وعرض السلطان العسكر ، وقطع جماعة من الشيوخ العاجزين عن الركوب ، (٥٧ ب) وأنفق فيهم الأموال . وابتدأ العرض من خامس ربيع[1] الآخر ، وكمل فى أول جمادى الأولى ؛ فكان [السلطان] يعرض فى كل يوم أميرين بنفسه من مقدمى الألوف ، ويخرجان بمن معهما من الأمراء ومقدمى الحلقة والأجناد ؛ وترحلوا شيئا بعد شىء . من أول رمضان إلى ثامن عشريه ، حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر .

وخرج السلطان فى ثانى شوال ، ونزل مسجد تبر خارج القاهرة ، ورحل فى يوم الثلاثاء ثالثه ، ورتب بالقلعة سيف الدين أيتمش المحمدى . فلما كان ثامنه قدم البريد برحيل التتار ليلة سادس عشرى رمضان من الرحبة ، وعودهم إلى بلادهم بعدما أقاموا عليها من أول رمضان ؛ ففرق السلطان العساكر فى قانون وعسقلان ، وعزم على الحج . ودخل [السلطان] دمشق (٥٨ ا) فى تاسع عشره ، وخرج منها ثانى ذى القعدة إلى الكرك ، و[كان قد] أقام بدمشق أرغون النائب [للنفقة على العساكر[2] وغير ذلك من الأعمال] ، و[كلف] الصاحب أمين الدين بن الغنام بجمع المال [اللازم] . ودخل[3] السلطان الكرك فى ثامن ذى القعدة ، وتوجه إلى الحجاز فى أربعين أميرا .

(١) يوجد بهامش الصفحة فى ف العبارة الآتية : «وجد كذا بخط المؤلف على الحاشية . يوم الخميس مستهل رجب عزل الصاحب ضياء الدين عبد الله النشائى من تدريس الرواية بجامع عمرو بمصر ، واستقر عوضه صدر الدين بن المرحل ، ودرس فى يوم الأربعاء سادسه . وفيها أحيط بدار الأمير قراسنقر بالقاهرة ، وأخذ منها مبلغ اثنين وثلاثين ألف دينار ذهباً ومائة ألف وخمسين ألف درهم ، وسروج ذهب وغير ذلك . تمت الحاشية» . ويلاحظ أن الجملة الأولى من هذا اللحق تدل دلالة واضحة على أن نسخة ف التى اعتمدت هنا أصلا للنشر مأخوذة من النسخة التى كتبها المقريزى بيده ، ومع هذا فليست هذه النسخة بنجوة من الأخطاء ، كما تدل عليه التصحيحات الواردة بالحواشى السابقة واللاحقة ، وفى هذا دليل — إن كانت ثمة حاجة إلى دليل — أن النشر من نسخة واحدة مهما كانت عملية غير مأمونة .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٢٧) ، وكذلك (Zetterstéen : Op.Cit. P.159) ، ويلاحظ أن الأمير سيف الدين أرغون هذا كان نائب السلطنة بالقاهرة ، وأن الصاحب أمين الدين كان الوزير ، وقد طلبه السلطان من القاهرة لمعاونة نائب السلطنة فى عمله كما هنا .

(٣) فى ف « ودخلها فى ثامنه » ، وقبالة ذلك بهامش الصفحة « يعنى الكرك » وقد عدلت العبارة للتوضيح

و [فيها] خرج الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرى شوال ، ودخل دمشق وأقام بها بعد توجّه السلطان ليحصل الأموال ؛ فأوقع الحوطة على الوزير والمباشرين ، وطالب محيي الدين بن فضل الله بمال كبير عمل به أوراقا[١] ، وأغلظ عليه وأحاط بموجوده ؛ وتتبع حواشية ؛ وصادر [أمين الدين] أكثر الناس .

وأما القاهرة فإن الأمير علم الدين سنجر الخازن نقل من ولاية البهنسا إلى ولاية القاهرة ؛ وأقام الأمير أيتمش المحمدى (٥٨ ب) نائب الغيبة الحرمة ، ومنع الأكابر من الهجرة[٢] وأنصف الضعفاء منهم . وحجّ بالركب المصرى الأمير مظفر الدين قَيْدان[٣] الرومى .

وفيها استقر فى نيابة قلعة دمشق عز الدين أيبك الجمالى ، عوضا عن بلبان البدرى ؛ ثم كُتب بأن يكون بلبان شريكا له ، فباشرا جميعاً .

وفيها قدمت هدية الأشكرى[٤] .

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر ضياء الدين أحمد بن عبد القوى بن عبد الرحمن القرشى الإسنائى ـ المعروف بابن الخطيب ـ الفقيه الشافعى ؛[٥] وكانت وفاته ببلدة أدفو فى شوال ، وهو الطريق إلى الحج ، فحمل إلى إسنا فدفن بها[٦] . و [مات] تاج الدين أحمد بن محمد بن أبى نصر الشيرازى ، محتسب دمشق وناظر الدواوين بها ، فى رجب عن

(١) الأوراق جمع ورقة ، ومعناها هنا ترجيحا ، وذلك بعد مراجعة (Dozy: Supp. Dict. Ar.)، ومايكتبه شخص على نفسه كدين أو حارس على مال أو عقار. (reconnaissance, acet par lequel on se reconnait redevable ou dépostaire) أوهو الإعلان الذى ينشر لإخبار العموم بأمر من الأمور (placard pour avertir le public)

(٢) فى ف «التهجوه» ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٤٥ ا)

(٣) فى ف «ميدان» ، وهو فى ب (٣٤٥ ا) «قيدار» ، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen Op. Cit. p. 226)

(٤) شرح ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٢٩) تفاصيل تلك الهدية ، وذكر أن رسل الأشكرى ـ أى إمبراطور الدولة البيزنطية أندرونيق الثانى (Andronicus II, Palaeologus) اجتمعوا بالسلطان فى عاشر شعبان من هذه السنة ، وأنهم «أحضروا ماوصل معهم من التقادم على اثنين وأربعين جمال (كذا) ، منها جوخ وأطلس وصقور وشواهين وغير ذلك » .

(٥ ، ٦) موضع مابين الرقمين فى ف «فى إثنا ليال من شوال » ، وقد عدّلت إلى الصيغة الواردة هنا بعد مراجعة ابن حجر (الدور الكامنة ، ج ١ ، ص ١٧٦) .

بضع وخمسين سنة . و [مات] عماد الدين أبو العباس ( ٥٩ ا ) أحمد بن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور المقدسى الفقيه الحنبلى ، فى جمادى الآخرة بمصر ؛ ومولده ببغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة . ومات زين الدين حسن بن عبد الكريم بن عبد السلام الغِماری [١] الفقيه أبو محمد المالكى ؛ سِبط زيادة بن عمران ؛ [وكانت وفاته] فى شوال بمصر ؛ قرأ القرآن ، وكان خيّرا فاضلا .
و [مات] نور الدين على بن نصر الله بن عمر القرشى - المعروف بابن الصوّاف - الخطيب الفقيه الشافعى ، فى رجب بمصر و[مات] أبو الحسن على بن محمد بن هارون ابن محمد بن هارون الثعلبى الدمشقى - قارئ المواعيد - الفاضل الصالح ، فى ربيع الآخر بمصر عن ست وثمانين سنة ، ومات نور الدين أحمد بن الشيخ (٥٩ب) شهاب الدين عبد الرحيم بن عز الدين بن عبد الله بن رواحة الأنصارى الحموى بحماة ؛ وكان فاضلا ديّنا ، ومات الملك المنصور [٢] نجم غازى بن المنصور ناصر الدين أرتق ابن إيلغازى بن ألبى بن تمرتاس بن إيلغازى بن أرتق الأرتق ، صاحب ماردين ، فى تاسع رجب ، وكانت إمرته نحو عشرين سنة ، وكان مهابا ؛ فقام بعده ابنه الملك العادل على ، وأقام سبعة عشر يوما ؛ ثم ملك أخوه الملك الصالح شمس الدين بن الملك المنصور. و [مات] الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الناصر صلاح الدين داود بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب ، يوم الاثنين ثانى عشر رجب بالقاهرة ، عن نيف وسبعين سنة ؛ ( ٦٠ ا ) وقد حدّث ؛ وماتت امرأته ابنة عمه الملك المغيث بعده ، فخرجت الجنازتان [٣] معاً ؛ وكان قد حج ، وقدم القاهرة من طريق القدس بعد ما زاره ؛ ومولده بالكرك فى عاشر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة ؛ وكان ديّناً متواضعاً فاضلا ، و [مات] الأمير علم الدين سنجر الصالحى أمير آخور بدمشق ، عن مال كبير جدا ، ومات شرف الدين

---

(١) كذا فى ف ، وفى ابن حجر ( الدور الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٩ ) ، ولعل النسبة إلى غمار ، وهو واد بنجد . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧١٠) .

(٢) فى ف «ومات الملك منصور نجم الدين غازى بن المنصور ناصر الدين ... بن غازى بن تمرتاش ابن غازى بن ارتق الأرتق صاحب ماردين» ، والصيغة المثبتة هنا من ابن حبيب (درة الأسلاك ، ج ١ ص ١٩٠ ) . انظر أيضا ( Zambaur : Op. p. 229 ) وكذلك ابن حجر ( الدور الكامنة ، ج ٣ ، ٢١٧ ) حيث توجد بترجمة هذا الملك تفاصيل هامة بصدد علاماته بدولة المماليك .

(٣) فى ف « الجنازتين » .

محمد بن موسى بن محمد بن خليل القدسى فى خامس عشر شعبان بالقاهرة ؛ وكان يباشر التوقيع فى الإنشاء ، ويكتب الخط المليح ، ويقول الشعر ، ويغلب عليه الهجاء ، مع تفننه فى علوم كثيرة . و [مات] تاج الدين عبد الرحيم بن تقى الدين عبد الوهاب بن الفضل بن يحيى السنهورى ، فى يوم الثلاثاء ، سابع عشر ربيع الآخر ؛ وباشر (٦٠ ب) نظر النظار بديار مصر ستين سنة ، وعرضت عليه الوزارة غير مرة فأباها ؛ وكان أميناً كثير الخير ، ولم يُنكب قط ؛ وعاش مائة وتسع سنين ، وعزل قبل موته . و [مات] قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن حازم الأذرعى الحنفى بدمشق ، وهو معزول . و [مات] الشيخ عمر بن الشيخ أبى عبدالله بن النعمان ، بمصر يوم الأربعاء خامس عشرى رمضان . و [ مات ] شهاب الدين غازى بن أحمد الواسطى بحلب ، فى ثامن عشر ربيع الآخر ؛ وولى نظر الدواوين بمصر مدة ، ثم نقل إلى نظر حلب ؛ وولى نظر دمشق ونظر الصحبة ، وكتب بديوان الإنشاء مدة . و [ مات ] الفقيه نجم الدين أبو عبد الله محمد بن الفقيه جمال الدين عبد العزيز ابن (٦١ ا) [ أحمد [1] بن ] عمر بن جعفر بن اللهيب ، فى خامس عشر جمادى الآخرة . ومات بطرابلس الأمير علاء الدين مغلطاى البهائى ؛ وقد رسم بالقبض عليه ، فمات قبل وصول البريد بيوم .

* * *

سنة ثلاث عشرة وسبعمائة : [ فى ] أول المحرم قدم الأمير سيف الدين قجليس من الحجاز إلى القاهرة مبشراً بعود السلطان .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرة قدم السلطان من الحجاز إلى دمشق ، بعد دخوله إلى المدينة النبوية ، وتوجهه[2] على الكرك وكان دخوله إلى دمشق يوماً مشهوداً ، بلغت فيه أجر البيوت مبلغاً زائدا ، حتى إن بيتاً أخذت أجرته للنظر إلى السلطان فى مدة من بكرة النهار إلى الظهر ستمائة درهم . وعبر [السلطان] وهو على ناقة . وعليه بشت[3] من ملابس

---

(١) ليس لما بين الحاصرتين وجود فى ف ، ولكنه فى ب ( ٣٤٥ ب ) .

(٢) فى ف « توجه » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٤٥ ب ) .

(٣) البشت ـــ والبُشت أيضا ، وجمعه بشوت ـــ العباءة من الصوف بلونه الطبيعى . (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

العرب بلثام ، وبيده (٦١ ب) حربة ؛ ولعب يوم السبت فى الميدان بالكرة . [ ثم أخذ فى الإنعام على بعض رجال دولته ] ، فولى شمس الدين عبد الله بن غبريال بن سعيد نظر دمشق على قاعدة الوزراء،وكان ناظر البيوت (١) ؛ ونقل الأمير بدرالدين بكتوت القرمانى من شد الدواوين بدمشق إلى نيابة الرحبة ، عوضاً عن بدر الدين موسى الأزكشى . وخلع السلطان على الأمراء الذين كانوا صحبته بالحجاز ، وعدتهم نحو الأربعين أميراً ؛ وأفرج عن المصادرين ، وأعاد الفخر إلى نظر الجيش بديار مصر ، وأعاد قطب الدين موسى بن شيخ السلامية إلى نظر الجيش بدمشق .

وصار [السلطان] إلى مصر فى سابع عشريه ، بعد أن أقام (٢) بدمشق خمسةعشر يوما، وصلى بالجامع الأموى [الجمعة](٣) مرتين . وقدم قلعة الجبل فى يوم الجمعة ثانى عشر صفر (٦٢ ا) ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيها نقل الأمير بدر الدين محمد بن فخرالدين عيسى التركمانى من ولاية الجيزة إلى شد الدواوين ؛ واستقر فخر الدين أياز الشمسى فى شد الدواوين بدمشق ، عوضاً عن القرمانى ؛ واستقر كريم الدين أكرم بن الخطيرى — كاتب الحميدى — المعروف بكريم الدين الصغير ، فى نظر الدواوين، رفيقاً لتقى الدين أسعد كاتب برلغى بن أمين الملك مستوفى (٤) الحاشية .

وفيها ابتدأ السلطان بعمارة الميدان تحت القلعة ، فاختطه (٥) من باب الإسطبل إلى نحو باب القرافة ؛ ووزّع عمله على الأمراء ، فنقلت جمالهم الطين إليه حتى امتلأ ؛ وغُرس فيه النخل والأشجار ، وحفرت فيه الآبار ، وركّبت عليها السواقى ، وأدير عليه سور(٦٢ ب) من حجر، وبنى خارجه حوض ماء للسبيل . فلما فرغت عمارته لعب [ السلطان ] فيه مع الأمراء بالكرة ، وخلع عليهم وشملهم الإنعام الكثير .

---

(١) انظر ص ١٠ ، حاشية ٦ .

(٢) فى ف «إقامته» ، وقد عدلت إلى الصيغة المثبتة هنا لتنسجم مع بقية الجملة .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٤٦ ا) .

(٤) ليس بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى وظيفة بهذا الاسم ، ولعل المقصود بها « مستوفى الصحبة » ، الواردة فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩) .

(٥) فى ف «فاخطه» ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٤٦ ا) .

وفيها اجتمع القضاة فى حادى عشر ربيع الآخر بالمدارس الصالحية بين القصرين للنظر فى الشهود، وأقيم منهم جماعة .

وفيها عمل [السلطان] أيضاً أربع سوافى على النيل تنقل الماء وترميمه على الماء الجارى من النيل إلى السور حتى يصل إلى القلعة، ورمّ السور وأزال شعثه، فكثر الماء بقلعة الجبل؛ وزاد البئر الظاهرى المجاور لزاوية تقى الدين رجب. بأن عمل عليه نقالة إلى بئر الإسطبل؛ واهتم بعمل مصالح الجسور التى بالنواحى والترع .

وفيها قبض على الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام فى يوم الخميس (١٦٣ ا) سابع عشرى جمادى الأولى، وألزم بحمل ثلاثمائة ألف درهم؛ وذلك بسعى كريم الدين الكبير وبدر الدين بن التركمانى. وأغرِق السلطان به، و[قيل له] إنه أخذ مالا كثيراً من المصادرين بمصر والشام.

[وفيها[1]] أبطلت الوزارة، فلم يَل أحد بعد أمين الدين؛ ونقل كريم الدين أكرم الصغير[2] من ديوان الجيش إلى نظر الدولة، شريكا للتقى [أسعد[3] بن أمين الملك] كاتب برلغى كما تقدم؛ واستقرّ شرف الدين الخيرى كاتب سلار، والتاج إسحاق، الموفق أخو الخيرى، مستوفى[4] الدولة. فانفرد كريم الدين الكبير بالتمكن من السلطان، وصارت الأمور كلها منوطة به، وركب بجنيبين[5]؛ وخلِعَ عليه أطلس بطرز زركش،

---

(١) موضع ما بين الحاصرتين بياض فى ف.

(٢) يلاحظ القارئ أن كريم الدين أكرم الصغير هذا ابن أخت لكريم الدين أكرم الكبير المتقدم هنا، وقد تسمى كل منهما باسم عبد الكريم بعد إسلامه. انظر ص ٨١، سطر ١٠، ص ١٠٦، حاشية ٣، وكذلك بن حجر (الدور الكامنة، ج ١، ص ٤٠٠ - ٤٠٤)، حيث توجد ترجمة وافية لكل من هذين الرجلين.

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين مما تقدم هنا، بالصفحة السابقة، وكان هذا الرجل اليد اليمنى للسلطان الناصر أثناء الروك الناصرى المشهور سنة ٧١٥ هـ (١٣١٤ م) انظر مايلى.

(٤) انظر ص ١٠٧، حاشية.

( ) مفرد هذا اللفظ «جنيب». والجمع «جنائب»، وهى الخيول المسرجية التى كان من اللازم قيادتها وراء السلاطين خاصة فى المواكب والحروب، لاحتمال الحاجة إليها، انظر المقريزى «كتاب السلوك، ج ١، ص ٤٣١، »، ويلاحظ أن هذا الوزير قد اتخذ لنفسه هذه الشعيرة وغيرها من الشعائر السلطانية، كما سيلى.

وأشهد على السلطان أنه ولاه جميع ما ولاه الله تعالى ( ٦٣ ب ) ، وكاتبه الملوك المجاورة مثل ما كاتبوا السلطان .

وفيها أخذ كريم الدين الكبير مع السلطان فى العمل على الوزير ، وأغراه بالأسعد غبريال كاتب نائب السلطنة ، وأنه كثير الظلم ، و [أنه] نقل إلى أستاذه أمورا تضرّ الدولة ، وأغراه بالعلم كُـبَيْـبه [1] كاتب منكلى بغا . [ وما زال كريم الدين الكبير بالسلطان ] حتى سُلم الأسعد إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن متولى القاهرة ، ليخلّص منه المال ، و سلم العلم كبيبه إليه أيضاً ، وضربا قدّام السلطان ، وضرب معهما أمين الدين بن الغنام بالعصى ، إلا غبريال فإنه ضرب بالمقارع . وأوقعت الحوطة على موجود [غبريال [2]] ، وسُلم هو وأمين الدين إلى شاد الدواوين ، ورسم لمجد الدين سالم أن يتولى بيع موجودهما وحمله إلى بيت المال ، (٦٤ ا) فأقام البيع نحو شهر . وحمل من أمين الدين نحو ثلاثمائة ألف درهم من ثمن المبيع ، ولم يوجد له نقد ألبتة ، ثم أفرج عنه . وأما غبريال فإن الخازن والى القاهرة عاقبه حتى هلك بعد أسبوع . وما زال امين الدين ملازما لداره إلى يوم السبت تاسع عشرى ذى الحجة ، فاستُدعى وأخلِع عليه ، واستقر ناظر النظار عوضا عن الصاحب ضياء الدين النشائى ، ونقل النشائى إلى نظر الخزانة ، عوضا عن سعد الدين الحسن بن عبد الرحمن الأقفهسى بعد وفاته .

ولما استقر أمين الدين فى نظر النظار ، ودخل عليه مجد الدين سالم لهينئه ، والمجلس غاص بالناس ، نظر [ أمين الدين ] إلى الحاضرين ، وقال : « هذا القاضى مجد الدين تفضّل فى حق . حيث كان يتولى أمرى فى بيع حواصلى ، (٦٤ ب) وباع حتى زبادى المطبخ » . فالتفت إليه المجد على الفور ، وكان مقداما جريئا ، وقال له : « يامولانا ! إنى والله تفضّلتُ عليك ، وأحسنتُ إليك غاية الإحسان ، وخدمتك أتم خدمة ، وبعت من زبادى ونحاس وفرش بمبلغ ثلاثمائة ألف درهم ، وما تحدّثنا فى ظهور درهم ولا دينار ، بل سكتنا ، ونحن سكوت إلى الآن » . فلم يجب أمين الدين سوى بقول « حسبنا الله » .

---

(١) مضبوط هكذا فى ف .

(٢) فى ف « موجوده » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح

وفيها ولى السلطان الأمير بدر الدين محمد بن كندغدى (١) بن الوزيرى نيابة دار العدل وشد الأوقاف ، بسبب قصة رفعت فى الأوقاف . وكان ابن الوزيرى أمينا حاد الخلق عارفا بالأمور . فباشر الأوقاف فى داره يوم الثامن من ربيع الأول .

وجلس [ابن الوزيرى] بدار العدل (١٦٥) فى يوم السبت خامس عشرى ربيع الأول ، وجلس القضاة الأربعة بين يديه بدار العدل ، ورفعت إليه القصص ، وصرّف الأمور ، وطلب سائر مباشرى الأوقاف وألزمهم بعمل الحساب مدة عشرين سنة بالأوقاف ، [وطلب] مو ادع (٢) الحكم وتشدد عليهم . فقلق القضاة من ذلك ، وسألوه الإغضاء عن ذلك ، فتمادى فى الطلب ، وأخرق بعدة من المباشرين ، وضربهم لفساد حسابهم . فقام قاضى بدر الدين محمد بن جماعة فى العمل عليه - وكان عارفا بالسعى ، وله فى ذلك أياد وتراتيب - ، ووافق رفاقه وصار إلى القاضى كريم الدين الكبير بنفسه ، وترامى عليه ، ثم اجتمع بالفخر ناظر الجيش ، وبعلاء الدين كاتب السر ، وبعدة (٦٥ ب) من الخاصكية ، وما زال بهم حتى خيّلوا السلطان من ابن الوزيرى أنه شرس الأخلاق ، وله أغراض فاسدة ، وقصدُه إهانة القضاة ، وأهل العلم وحطّ أقدارهم ، وقد كثر الدعاء على السلطان [بسببه] . فلما تكاثر ذكر ذلك [لدى السلطان] ، وبلغه عدة حكايات عنه ، ومنعه من التحدث فى الأوقاف ، ومن حينئذ بدت عداوة ابن جماعة لفتح الدين محمد بن سيد الناس ، واشتد الأمر بينهما إلى أن بلغ السلطان ذلك وتسلط الشهاب أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى الشاعر على ابن جماعة ، وهجاه بعدة قصائد بعثها إليه ، ورتّب هو وابن سيد الناس القصيدة التى أولها :

« ترى يسمع السلطان شكوى المدارس » (٦٦ ب) ، وعدتها ستون بيتا ، فحبسه [ابن جماعة] بسببها ، لأنه أقذع فيها ، وشهرها فى الناس إلى أن قرئت على السلطان ، فقام أيدغدى شقير فى حقه ، وأخرجه من السجن .

---

(١) فى ف « كيدغدى » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٤٧) ، ومن المقريزى (كتاب السلوك ج ١ ، ص ٦٤٥ ، سطر ١٣) . واسم هذا الأمير فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ص ١٨٠ ، وغيره من المراجع المتداولة فى هذه الحواشى ، خال من هذا الاسم الأعجمى .

(٢) مفرد هذا اللفظ مودع ، وقد تقدم شرحه فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٨٦٤ ، حاشية ٣) .

[ وفى ] يوم السبت ثانى جمادى الأولى استقر صدر الدين بن المرحل فى تدريس الزاوية (١) المجدية بالجامع العتيق ؛ عوضا عن جلالى الدين على بن عبد الله العُسْلوجى (٢) بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء رابعه أوفى النيل ، وهو آخر أيام النسىء قبل المُفْرَد (٣) . ثمّ قدم المفرد بعد الوفاء فى يوم الخميس سادسه .

وفيها عمل الروك بالبلاد الشامية ؛ ونُدِب له الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة ، وابن معبد ، ومعين الدين هبة الله بن حشيش ناظر الجيش بالشام ، مع مباشرى ديوان الجيوش بمصر . فتوجه الجاولى (٦٦ ب) إلى دمشق ، وأقام مع الأمير تنكز النائب إلى أن عُملت أوراق بعبرة البلاد ومتحصلها ، وما فيها من إقطاعٍ ووقفٍ ومِلك . وكمل ذلك فى ذى الحجة ، ونُقِلت (٤) سنة اثنتى عشرة إلى سنة ثلاث عشرة ، وجهزت الأوراق إلى السلطان فقرئت عليه ؛ فكتبَ [ السلطان ] مثالات [ جديدة ] لأمراء دمشق وأجنادها ، ووَفّر عدة إقطاعات وبلاد أدخلها فى ديوان الخاص ، وزاد إقطاع النيا ؛ وكتب بذلك مناشير سار بها على البريد الأمير سيف الدين قجليس حتى فرقها على أربابها وعاد .

(١) لم يذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ٤٣٠ ــ ٤٣٦) زاوية بهذا الاسم فى باب الزوايا ، غير أنه (نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٠٠) ذكر مدرسة اسمها المجدية الخليلية ، نسبة إلى منشئها الشيخ مجد الدين الخليلى الدارى ، والد الوزير فخر الدين عمر بن الخليلى ، وربما كانت تلك المدرسة هى المقصودة هنا .

(٢) فى ف ، وفى ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٧٥) ، برسم « العصلوجى » ، غير أنه لا يوجد فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ص ٦٧٧) سوى بلدة عسلج ، وهى قرية ذات نخل وزرع ، ببلاد العرب ترجيحا ، وأصل تسميتها من لفظ عسلوج ، وهو ما لان واخضر من قضبان الشجر ؛ هذا ويوجد فى المحيط لفظ عصلج ، وهو الرجل المعوج الساق .

(٣) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص٧٣ ، حاشية ٢ ) ؛ حيث فسر لفظ المفرد بمعنى «غاية ارتفاع النيل» ؛ غير أن مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ٩ ص ٣٥) شرحه شرحا مخالفاً ، ونصه : «ويطلق المفرد على الجندى أو المملوك ، يقال وصل مفرد من الصعيد» .

(٤) جرت الإدارة المالية فى دولة المماليك وغيرها من الدول فى مصر فى العصور الوسطى على التوفيق بين السنة الخراجية القمرية والسنة الميلادية الشمسية بتقديم السنة القمرية سنة كلما انقضت منها ثلاث وثلاثون سنة . وذلك لتنظيم الخراج ، ولهذا الموضوع حاشية وافية بالمقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٤٥ ، حاشية ١ ) وتوجد بالنويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ؛ ص ٨١ ) بصدد الروك الشامى عبارة تشرح مسألة نقل السنين تماما ، ونصها : « فلما انتهى العمل حولت سنة ثنتى عشرة وسبعمائة الخراجية إلى سنة ثلاث عشرة بحكم دوران السنين » .

وفيها توجهت تجريدة إلى مكة صحبة الأمير سيف الدين طُقُصبا الناصرى والى قوص، وسيف الدين بيدوا، وعلاء الدين أيدغدى الخوارزمى، وصَاروجا الحسامى؛ و[توجّه] (من ٦٧ ا) دمشق سيف الدين بلبان البدرى مع الركب، وأضيف إليهم عدة من الأجناد؛ (وذلك) بسبب حميضة بن أبى نمى، فإنه كثر ظلمه.

وفيها قبض على الأميرين عز الدين أيبك الرومى (١) المنصورى، وركن الدين بيبرس الأحمدى أمير جاندار، فى رابع عشرى رمضان. وسبب ذلك مفاوضة جرت بين الأمير علاء الدين أيدغدى شقير وبين أيبك الرومى بحضرة الأمراء على باب القلة، فى انتقال [إقطاعات(٢)] بينهما خرجا فيها عن الحد. فخرج الأمير طغاى وهما فى ذلك — وكان يعنى بأيدغدى حتى قرّبه من السلطان —، فشقّ عليه استطالة أيبك من أجل أنه من أمراء البرجية وشجعانهم، وممن عرف بالعفة. فلما كانت خدمة العصر (٣) بلغ السلطان ما كان بينهما، فرسم بحملهما إلى ديوان (٦٧ ب) السلطان، ومن تعين عليه شىء قام به، وأسرّ ما أغراه به طغاى فى نفسه. ثم قبض [السلطان] عليه(٤) وعلى الأحمدى، وبعث إلى الأحمدى مع قجليس «بأنك وخشداشك اتفقتما على أنه يتسلطن»، فبكى وسأل الله إن كان ما نُقل عنهما حقا أن يقسى قلب السلطان عليهما، وإن كان كذبا أن يحننه عليهما. فلما أعاد قجليس هذا على السلطان رقّ له، وأمر به ففك قيده، وأحضر وأعطى سيفه، وخُلع عليه من ساعته، وذلك فى رابع عشرى شوال.

وفيها أرسل السلطان صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل على البريد إلى الأمير مهنا ليردّه إلى الطاعة، فإنه حصل منه حيف على التجار، وقَطَع أولاده وعربانه الطرقات. فاجتمع به [ابن المرحل] قريبا من العراق، وما زال به يعده بردّ إقطاعه (٦٨ ا) ويرغبه إلى أن أذعن، وبعث معه بابنه موسى، وجهز القود على العادة صحبة ولده سليم. فقدم ابن المرحل بموسى بن مهنا فى ربيع الآخر، وأنزل موسى فى القاعة الأشرفية بالقلعة وأكرم

(١) فى ف «المروى»، وهو خطأ يصححه ما يلى بهذه الصفحة، وكذلك ب «٣٤٧ ب».
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٤٧ ب).
(٣) كذا فى ف، وهو فى (٣٤٨ ا) يرسم «القصر».
(٤) الضمير عائد على الأمير عز الدين أيبك الرومى.

[ إ ]كراما زائدا ؛ ثم قدم القود ، [ و ] أعيدت الإمرة لمهنا ، وزيد إقطاعه مبلغ مائتى ألف درهم ؛ وأعيد إقطاع فضلٍ إليه على عاداته قبل الإمرة .

وفيها توجه السلطان إلى الصعيد فى ثامن عشرى رجب ، ونزل تحت الأهرام بالجيزة ، وأظهر أنه يريد الصيد والقصدُ أخذُ العربان ؛ فإنه كثر قطعهم الطريق ، وكسروا الخراج . وبعث [ السلطان ] عدة من الأمراء حتى أمسكوا طريق السويس وطريق الواحات ، فضبط البرين على العربان ؛ ثم رحل من منزلة الأهرام بالجيزة ، وسار إلى فِرْجَوّط[1] . وعاد [السلطان ] ( ٦٨ ب ) إلى القلعـــة فى يوم السبت عاشر رمضان ، وقد أخذ كثيراً من العربان ؛ وبعثهم مقيدين فى المراكب إلى القاهرة ، فسجنوا واستعملوا فى الجسور ؛ وقَبض على مقداد بن شماس — وكان قد عظم ماله حتى بلـغ عدد جواريه أربعمائة جارية ، وعدة أولاده ثمانون ولداً — ، وقتل عدة كثيرة من العربان ، وعاد . فحبس ( السلطان ) مقدادا مدة ثم أفرج عنه ؛ وأنعم عليه بمال وغلال ، وكتب بردّ أهله وأولاده وعبيده إليه ، وأنزله بالناصرية التى أنشأها خليج الإسكندرية ، فأقام [ مقداد ] هناك ، وأنشأ للبيوت والسواقى والدواليب ، وعمّر تلك الجهات ، وبقى عقبه من بعده بها .

وفيها ابتدئ بعمل القصر الأبلق على الإسطبل السلطانى فى أول السنة ، فكمل فى سابع عشر رجب . وقصد [ السلطان ] أن يحاكى به ( ٦٩ ا ) قصر الملك الظاهر بيبرس بظاهر دمشق ، واستدعى له الصناع من دمشق ، وجمع صناع مصر ، فكمل ؛ وأنشأ بجانبه جنينة . وعمل [ السلطان ] عند فراغه سماطاً للأمراء ، وخلع عليهم ، وحمل إلى كل أمير مائة ألف دينار ، وإلى كل أمير طبلخاناه عشرة آلاف درهم ، ولكل مقدّم حلقة خمسمائة درهم فكان جملة ما فرق فى هذا المهم خمسمائة ألف[2] ألف وخمسمائة ألف درهم . وصار [السلطان] يجلس فيه سائر الأيام ، ما عدا يومى الاثنين والخميس فإنه يجلس فيهما بالإيوان .

---

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ( ٣٤٨ ا ) ، والراجح أنها بلدة فرشوط ـ أو برشوط ـ التابعة لمركز نجع حمادى بمديرية قنا الحالية ، وأن الصفة المثبتة هنا بالمتن لهجة فى نطق هذا الاسم ، انظر ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٨٦) ، ومبارك ( الخطط التوفيقية ، ج ١٤ ، ص ٦٨ ) ، وكذلك ( فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٢٨٨ ) .

(٢) كذا فى ف ، وفى ب (٣٤٨ ب) .

وفيها أخرب السلطان مناظر اللوق بالميدان الظاهرى، وعملها بستاناً، وأحضر إليه سائر أصناف الزراعات، واستدعى حولة الشام والمطعّمين؛ فجاء من أبدع البساتين، وعرّف أهل جزيرة الفيل منه صناعة تطعيم (٦٩ب) الشجر، واغتنوا بها.

وفيها ركب السلطان إلى الجيزة، وندب الأمير بدر الدين [ بن ] التركمانى لعمل جسورها وقناطرها، واستدعى المهندسين. فأنشأ [ ابن التركمانى (١) ] لكل بلد جسراً متقنا (٢)، وعمل جسراً من البحر إلى أم (٣) دنيار؛ وخرج العسكر جميعه والأمراء بمضافيهم للعمل فى ذلك، فكان مُهماً عظيما؛ وصار السلطان يركب إليه كل قليل حتى كمل، وعمرت القناطر من حجارة الهرم الصغير، ومن حجارة القناطر الظاهرة (٤) التى تعرف بالأربعين قنطرة.

وأكثر [السلطان] من العمائر، وولى آقسنقر أميرآخور رشاد العمائر؛ وأحضر العتالين من سائر البلاد الشامية، وأفرد للعمائر ديواناً بلغ مصروفه فى كل يوم اثنى عشر ألف درهم إلى ثمانية آلاف، وهى أقل ما كان يصرف فى (٧٠ ا) اليوم الواحد. وأنشأ [السلطان] دار (٥) البقر التى كانت برسم بقر السواقى السلطانية، بباب القلعة بجوار إسطبل الطويل؛ وندب لذلك كريم الدين الكبير، فأنفق عليها ما ينيف على ألف ألف درهم (٦)

---

(١) أضيف مابين الحاصرتين من ب (٣٤٨ ب)، والنويرى (نهاية الأرب، ج ٣٠ ص، ٨٠).

(٢) فى ف، « مقتنا »، وهو فى ب (٤٨ ب) بصيغة « معينا ». وربما كان الصحيح ما هنا.

(٣) تتبع هذه البلدة مركز إمبابة بمديرية الجيزة الحالية، (فهرس مواقع الأمكنة، ص ٤١)، وقد ذكر مبارك (الخطط التوفيقية، ج ٨، ص ٨٥) أنها عند منتهى جسر يعرف بالجسر الاسود.

(٤) كذا فى ف، ولعل المقصود بذلك قناطر الجيزة التى عمرها قراقوش أيام صلاح الدين، إذ كانت عدتها نفيا وأربعين قنطرة؛ أو لعل المراد بها قناطر السباع التى يحتمل أن كان اسمها القناطر الظاهرية، نسبة إلى بانيها السلطان الظاهر بيبرس، وكان من المعروف أن الناصر يتأذى من رؤية السباع الحجرية المنصوبة عليها رمزاً إلى بيبرس ورنكه، وقد أمر بهدمها وتوسيعها سنة ٧٣٥ هـ. (المقريزى: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٤٦ – ١٤٧، ١٥١ – ١٥٢).

(٥) انظر الحاشية التالية.

(٦) عبارة المقريزى (المواعظ والاعتبار، ج ٢؛ ص ٦٨) بصدد هذه المنشئات مخالفة قليلا لما هنا، وهى تعين موضع دار البقر أيضاً، ونصها: « هذه الدار خارج القاهرة، فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل، بالخط الذى يقال له اليوم حارة البقرة، كانت دارا للأبقار التى برسم السواقى السلطانية، ومنشراً للزبل، وفيه ساقية ثم إن الملك الناصر محمد بن قلاون أنشأها دار وإصطبلا، وغرس به عدة أشجار؛ وتولى عمارتها القاضى كريم الدين عبد الكريم الكبير، فبلغ المصروف على عمارتها ألف ألف درهم؛ وعرفت بالأمير طقتمر الدمشقى، ثم عرفت بدار الأمير طاش تمر حمص أخضر؛ وهذه الدار باقية إلى وقتنا هذا؛ ينزلها أمراء الدولة»

وأنشأ دارا للأمير سيف الدين طاش تمر « حمّص أخضر » بحدرة البقر ، واشترى له بستان ابن المغربى بجزيرة الفيل بتسعين ألف درهم ؛ فامتدت أيدى الناس إلى العمارة ، وكأنما نودى فى الناس ألا يبقى أحد حتى يعمر ، وذلك أن [(١)] الناس على دين ملكهم . وأنعم [ السلطان ] على الأمير سيف الدين طغاى بدار الملك المنصور قلاون بالقاهرة .

وفيها ابتدأ الناس بعمارة ناحية اللوق [ خارج المقس [(٢)] ، وعمارة أراضى بستان الخشاب فيما بين اللوق ] ومنشاة المهرانى على النيل .

وفيها قدم البريد بإجراء الأمير علم الدين سنجر الجاولى ( ٧٠ ب ) عين ماء إلى الخليل ، و [ أنه ] عمر بمسجد إبراهيم الخليل عليه السلام عمائر حسنة وجعل عليها أوقافاً .

وفيها تسحب علاء الدين على بن الأمير بدر الدين بن المحسنى إلى بلاد الغرب فى نحو المائتين ، وخرج الطلب خلفهم خمسة أيام فلم يدركوا .

وفيها قدم البريد من حلب بقلة الماء بها ، وقد عين أهلها مواضع يساق فيها الماء حتى يرمى إلى نهر الساجور فيصير نهراً يجرى فى المدينة ، وأن قياسه من نهر قويق إلى الساجور أربعة وأربعون ألف ذراع طولا فى عمق ذراعين ، وأنه كتب تقدير المصروف على ذلك ثلاثمائة ألف درهم ؛ فأنعم من مال السلطان الخاص بمبلغ مائة وخمسين ألف درهم ، ورُسم لنائب حلب [ سيف [(٣)] الدين سودى ] أن يقوم من ماله بمبلغ مائة وخمسين ألف درهم ؛ فوقع ( ٧١ ا ) العمل فى ذلك .

و[ فيها ] قدم البريد أيضاً بامتناع مهنا من الحضور . وذلك أن السلطان لما حضر ولداه سليمان وموسى أنعم عليهما إنعاماً كثيراً ، وبعث إليه بعد مجىء القود بهدية ، واستدعاه وحلّفه . وضمن سليمان وموسى إحضار أبيهما إلى مصر ، وسافرا ؛ ثم خرج بعدهما الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار بكتاب ليحلّفه ويعده ويتلطف به

(١) فى ف « ذلك وان » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٤٩ ا ) .

(٢) أضيف مابين الحاصرتين من ب ( ٣٤٩ ا ) ، وهذا مثل آخر للدلالة على قيمة هذه المخطوطة ، رغم تأخرها الزمنى عن نسخة ف .

(٣) أضيف مابين الحاصرتين من ابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ ) .

ليحضر ، فأوصله الكتاب ورغّبه فى الحضور ، فامتنع من اليمين والحضور . فاشتد حَنَق السلطان منه ، ورسم أن يخرج من عسكر مصر ألفا فارس مع الأمير قجليس ، ومن عسكر دمشق ألف فارس مع الأمير سيف الدين أرقطاى . واستدعى [السلطان] فضل بن عيسى ، وأعاد إليه الإمرة عوضاً عن مهنا ؛ وكتب إلى عرب بنى كلاب وآل مرى وآل ( ٧١ ب ) فضل وآل على بالركوب مع العساكر ، وأخْذِ مهنا وأولاده وإخراجهم[١] من البلاد ؛ فوقع الشروع فى التجهز للسفر .

وفيها سَمّل السلطان عينى علاء الدين على بن سعد الدين الفارقى الموقّع ، وكحلا بسبب التزوير فى المراسيم وأخذِه على ذلك جملة من المال .

وفى سادس عشرى ذى القعدة قدمت رسل الملك أُزْبَك[٢] صاحب سراى ، ورسل الأشكرى[٣] ، فأنزلوا بمناظر الكبش .

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر أبو بكر بن محمد - وقيل عمر - [بن[٤]] تقى الدين المشيع[٥] المقَصّاتى الجزرى ؛ ولد بجزيرة ابن عمر ، وعمل صناعة المقصّات ، ثم ولى وظائف بدمشق ؛ ومات بدمشق عن بضع وثمانين سنة ، فى ليلة السبت حادى عشرى جمادى الآخرة ؛ وقرأ الناس القراآت ( ٧٢ ا ) بمصر والشام نحو خمسين سنة ، وقرأ على الشيخ عبد الصمد وغيره ، وروى عن ابن الكواشى تفسيره ، وكان عارفاً بالقراآت ديناً . و[مات] الأمير ركن الدين بيبرس المحمدى العديمى ، فى ذى القعدة بحلب ؛ حدّث عن[٦] جماعة . و[مات] عز الدين عبد العزيز بن منصور التاجر الكولمى ، بالإسكندرية فى رمضان ؛ كان أبوه يهوديا من حلب يعرف بالحموى ،

---

(١) فى ف « فى اخراجهم » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٥٩ ب ) .

(٢) مضبوط هكذا فى ف ، انظر أيضاً (Zambaur : Op. Cit. p. 224) . وقد تولى أزبك خان هذا سنة ٧١٢ هـ ( ١٣١٢ م )، وامتد عهده إلى سنة ٧٤١ هـ ( ١٣٤٠ م ) ، وقد ذكر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ ) أن عدة رسله كانت نحو مائة وأربعة وسبعين نفراً .

(٣) كان الأشكرى — أى إمبراطور الدولة البيزنطية — تلك السنة أندرنيق الثانى باليولوج (Andronicus II, Palaeologus)

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٤٩ ب) ، وابن العماد ( شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٣٢ ) .

(٥) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ( ٣٤٩ ب ) ، وابن العماد ( شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٣٢ ) .

(٦) هذا الأمير من الأمثلة الدالة على اشتغال بعض أمراء المماليك بالعلم .

فأسلم وسافر ابنه عبد العزيز هذا بماله وهو نحو خمسمائة (١) ألف ألف درهم إلى بغداد، وعبر الهند، وقدم مصر سنة أربع وسبعمائة ببضاعة قيمتها أربعمائة ألف دينار؛ وكان فيه خير وبرّ. وله صدقات (٢). و[مات] فخر الدين أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان التوْزَرى الحافظ، بمكة فى ربيع الآخر؛ وكان إماما فى الحديث والقراآت، (٧٢ ب) وجاوز عدة سنين. و[مات] عماد الدين أبو الحسن على بن فخر الدين عبد العزيز بن قاضى القضاة عماد الدين عبد الرحمن بن السكرى الشافعى، خطيب الجامع الحاكمى بالقاهرة، ومدرس المشهد الحسينى بها، فى سادس عشرى صفر يوم الجمعة؛ ومولده فى خامس عشرى المحرم سنة ثمان وثلاثين وستمائة؛ وهو الذى توجّه فى الرسالة إلى غازان؛ فولى خطابة الجامع الحاكمى وتدريس منازل العز بعده القاضى تاج الدين المناوى الشافعى؛ وولى تدريس المشهد [الحسينى] صدر الدين محمد بن عمر ابن المرحل. ومات مجد الدين محمد بن حمزة بن مَعَدّ الفرجوطى بمدينة فرجوط، وله شعر. و[مات] قطب الدين يوسف بن أصيل الدين محمد بن إبراهيم بن عمر الصُّوفى الأسعردى، (١٧٣) خطيب جامع الصالح خارج باب زويلة، فجأة ليلة السبت عشرى رجب؛ واستقر عوضه الشيخ زين الدين عمر بن يونس الكتانى (٣).

(١) كذا فى ف، وهذا المبلغ فى ب (٣٤٩ ب) «خمسين ألف ردهم»، فى النويرى (نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٨٢) «خمسة عشر ألف درهم أو دونها».

(٢) ترجمة هذا التاجر فى النويرى (نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٨٢) أطول مما هنا، وهى تلقى ضوءاً كثيراً على سعة التجارة المصرية وطرقها فى عصر المماليك، وتدل على أن الرحالة ابن بطوطة - وقد سبقه هذا التاجر بخمسين سنة تقريباً - لم يكن الوحيد فى الترحل البعيد، ونصها: «وتوفى عز الدين عبد العزيز بن منصور الكولمى التاجر الكارمى، بثغر الإسكندرية فى شهر رمضان. وكان والده من يهود حلب يعرف بالحموى، وأسلم والده فى أول الدولة الظاهرية [بيبرس] هو وأخواه، وتوفى فى أول الدولة المنصورية [قلاون]. فجمع عز الدين هذا مايملكه وتوجه إلى بغداد، فيقال إن جملة ماسافر (؟) به خمسة عشر ألف درهم أو دونها؛ وانحدر من بغداد إلى البصرة، ثم توجه إلى كيش، وركب منها، وركب من هرمز (؟) إلى بلاد الصين، فدخل وخرج منه خمس مرات، ودخل إلى الهند. كان يحكى عجائب كثيرة يذكر أنه شاهدها، لايقبل بعضها العقل والقدرة صالحة (؟)، أغضينا عن ذكرها، وما كان يتهم بكذب. ثم عاد من الهند إلى عدن من بلاد اليمن فى البرد (؟) الهندى، وأخذ صاحب اليمن جملة من ماله وما أحضر من تحف الصين والصينى، زيادة على ماجرت عادتهم بأخذه. ثم وصل إلى الديار المصرية فى سنة أربع وسبعمائة (يلاحظ أن ابن بطوطة ولد سنة ٧٠٣ هـ بطنجة) ونفذ معه ما قيمته أربعمائة ألف دينار عينا. ولما مات خلف تركة جليلة؛ وكان كثير الصدقة والمعروف والبر، رحمه الله تعالى».

(٣) بغير نقط فى ف، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٥٠). انظر أيضاً ابن العماد (شذرات الذهب، ج ٦، ١١٧).

ومات الشيخ تاج الدين محمد بن على بن همام العسقلانى ، إمام جامع الصالح ، ليلة السبت حادى عشرى شعبان ؛ ومولده فى رابع عشرى ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وستمائة ؛ واستقر عوضه ابنه تقى الدين محمد . و [ مات ] الأمير جمال الدين آقوش الكنجى متولى قلاع الإسماعيلية بقلعة مصياب ؛ وكان قد وليها من الأيام الظاهرية ، وعزل فى الأيام المنصورية ، ثم أعيد (١) وعزل فى الأيام الأشرفية ، ثم أعيد ؛ وكان مطاعا فيهم بحيث إنه إذا أمر أحدا بقتل نفسه يبادر لذلك . ومات صدر الدين محمد ابن البارَنْبارى (٢) ، ( ٧٣ ب ) يوم الاثنين عشرى شعبان . ومات الشيخ نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عماد الدين يحيى بن الرفعة ، مُرْتَفَع يوم الاثنين ثامن عشرى ربيع الآخر . ومات جمال الدين بن المجد مستوفى ديوان المماليك فى حادى عشر ذى الحجة ، واستقر عوضه أمين الدين بن الخطاب . و [مات] الشيخ أمين الدين بن الصعبى ، يوم الأحد عشرى ذى الحجة . و [مات] الفقيه زكى الدين البهنسى ، فى شهر رمضان . و [مات] الشيخ الرشيد ، فى سلخ رجب برباط الأفرم ، وكان يلى مشيخته .

* * *

سنة أربع عشرة وسبعمائة . مستهل المحرم وافقه حادى عشرى برمودة .

فيه اخضر ماء النيل ، وتغير لونه تغيرا زائدا عن العادة ، وتغير طعمه وريحه أيضاً ؛ وجرت العادة أن يكون فى ( ١٧٤ ) هذه الأيام ( فى ) غاية الصفاء (٣) .

---

(١) فى ف « ثم عزل وأعيد » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٣٥٠ ) .

(٢) فى ف « البايارى » وفى ب ( ١٣٥٠ ) « البازنياى » ، والراجح أن النسبة إلى بلدة بارنبار ، وهى حسبما ورد فى ياقوت ( معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٦٥ ) بليدة على بحر أشموم ، أى بمديرية الدقهلية الحالية ، وصحة إسمها بيورنبارة ، انظر أيضاً ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤١٥ ) . هذا ويوجد بالمقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٧١ ) بلدة اسمها بارنبار أيضاً ، وهى إحدى بلاد الواردة به فى صدد خليج الإسكندرية . ومن هذه التعريفات كلها يتبين أن المقصود هنا هو بلدة برمبال الحالية بمركز دكرنس بمديرية الدقهلية ، أو برنبال بمركز فوة بمديرية الغربية .

(٣) عبارة المقريزى هنا مشابهة لما يقابلها فى النويرى ( نهاية الأرب ج ٣٠ ، ص ٨٣ ) ، ويظهر أن المقريزى نقلها فى تصرف واختصار من ذلك المرجع ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، وهذا نص عبارة النويرى : « فى أول هذه السنة فى يوم الأربعاء مستهل محرم الموافق الحادى والعشرين من برمودة من شهور القبط ، تغير نهر النيل بمصر تغيراً ظاهراً مائلا إلى الخضرة ، وتغير طعمه وريحه حتى شرب كثير من الناس من الآبار المعدنية والصهاريج التى يخزن بها الماء ، والعادة أن يكون ماء النيل فى هذا الفصل فى غاية الصفاء ، وما علم سبب تغيره ، ثم عاد إلى صفوه بعد ذلك » :

وفى نصف المحرم اتفق أنه كان للنصارى مجتمع بالكنيسة المعلقة بمصر، واستعاروا من قناديل الجامع العتيق جملة. فقام فى إنكار ذلك الشيخ نور الدين على بن عبد الوارث البكرى، وجمع من البكرية وغيرهم خلائق، وتوجه إلى المعلقة وهجم على النصارى وهم فى مجتمعهم وقناديلهم وشموعهم تزهر، فأخرق بهم وأطفأ الشموع وأنزل القناديل. وعاد [البكرى] إلى الجامع، وقصد ضرب القومة؛ فاحتجوا أن الخطيب القسطلانى هو الذى أمر بإرسال القناديل إلى الكنيسة، فأنكر على الخطيب [فعله]. وجمع [البكرى] الناس معه على ذلك، [وقصد الإخراق بالخطيب]، فاختفى منه وتوجه إلى الفخر ناظر الجيش وعرّفه بما وقع، وأن كريم الدين أكرم (٧٤ ب) هو الذى أشار بعارية القناديل فلم يسعه إلا موافقته. فلما كان الغد عرّف الفخرُ السلطان بما كان؛ وعلم البكرى أن ذلك قد كان بإشارة كريم الدين، فسار بجمعه إلى القلعة واجتمع بالنائب وأكابر الأمراء، وشنع فى القول وبالغ فى الإنكار؛ وطلب الاجتماع بالسلطان. فأحضر [السلطان] القضاة والفقهاء وطلبَ البكرى؛ فذكر [البكرى] من الآيات والأحاديث التى تتضمن معاداة النصارى، وأخذ يحطّ عليهم، ثم أشار إلى السلطان بكلام فيه جفاء وغلظة حتى غضب منه عند قوله: «أفضل المعروف كلمة حق عند سلطان جائر. وأنت ولّيت القبط المسالمة، وحكّمتهم فى دولتك وفى المسلمين، وأضعت أموال المسلمين فى العمائر والإطلاقات التى لا تجوز»، إلى غير (٧٥ ا) ذلك. فقال [السلطان] له: «ويلك! أنا جائر؟». فقال: «نعم! أنت سلطت الأقباط على المسلمين، وقوّيت دينهم». فلم يتمالك [السلطان] نفسه عند ذلك، وأخذ السيف وهمّ بضربه. فأمسك الأمير طغاى يده؛ فالتفت [السلطان] إلى قاضى القضاة زين الدين بن مخلوف، وقال: «هكذا يا قاضى يتجرأ علىّ؟ أيش يجب أفعل به؟ قل لى!»، وصاح به. فقال له [ابن مخلوف]: «ما قال شيئاً ينكر عليه فيه، ولا يجب عليه شىء، فإنه نقل حديثاً صحيحاً». فصرخ [السلطان] فيه وقال: «قم عنى!»، فقام من فوره وخرج. فقال صدر الدين بن المرحل — وكان حاضراً — لقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى: «يا مولانا! هذا الرجل تجرّأ على السلطان، وقد قال الله تعالى أمراً لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون، فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى». (٧٥ ب) فقال ابن جماعة للسلطان: «قد تجرأ ولم تبق إلا مراحم مولانا

السلطان » . فانزعج [السلطان] انزعاجاً عظيما ، ونهض عن الكرسى ، وقصد
البكرى بالسيف ؛ فتقدم إليه طغاى وأرغون فى بقية الأمراء ، وما زالوا ب
أمسك عنه ، وأمر بقطع لسانه . فأخرجَ ( البكرى ) إلى الرحبة ، وطُرِ
الأرض ، والأمير طغاى يشير إليه أن يستغيث ؛ فصرخ [ البكرى ] وقال : «
جيرة رسول الله » ، وكررها مراراً حتى رقّ له الأمراء ، فأشار إليهم طغاى بالش
فيه ، فنهضوا بأجمعهم وما زالوا بالسلطان حتى رسم بإطلاقه وخروجه من م
وأنكر الأمير أيدمر الخطيرى كون البكرى قوّى نفسه أولا فى مخاطبة السلطا
إنه ذلّ بعد ذلك ، ونُسِب إلى أنه لم يكن قيامه خالصاً[١] لله .

وفيه قدم الركب ( ١٧٦ ) من الحجاز ، وقد كثرت الشكوى من الأمير
الشمسى أمير الركب ، وأنه كثير الطمع مفرط فى أمر الحاج سيء السيرة ؛ فقبض
وفيه أفرج عن الأمير برلغى صهر المظفر بيبرس .

وفيه قدم البريد من دمشق بأنه قد اجتمع على الناس بواقٍ[٢] كثيرة من ضم
ومقرراتٍ على أهل البلاد ، وقد تضرّروا منها . فكتب مثال[٣] بمسامحة أهل
بالبواقى لاستقبال سنة ثمان وتسعين وستمائة وإلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبع
وسُيِّر إلى دمشق فقرىء بها على منبر الجامع فى يوم الجمعة عاشر المحرم ؛ وتلا
آخر بإبطال المقرر على[٤] السجون ، وإعفاء الفلاحين من السخر وإبطال ، مقر

(١) كان الشيخ نور الدين ، حسبما وصفه النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٣ ) من ال
للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حسبه من غير ولاية سلطانية ولا إذن حكمي ، ورأى أن ما قام
الاحتجاج قد تعين عليه .

(٢) انظر المقريزى كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٦٥ ، حاشية ٣ ) .

(٣) استعمال لفظ « مثال » هنا خطأ ، والصحيح فى مصطلح دولة المماليك لفظ مرسوم ، إ
ما يكتب من الأوراق الرسمية إيذاناً بإعطاء المملوك إقطاعاً من الإقطاعات الخالية ( المقريزى : كتاب
ج ١ ، ص ٤٩٠ ، حاشية ٣ ) ، والمرسوم ماجرت العادة بكتابته للمسامحة من المقررات واللوازم السا
( القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٣ ) .

(٤) أفاض المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٨٨ ، وما بعدها ) فى شرح المقررات والم
الخاصة بمصر ، وهى واردة مشروعة فيماهنا ص ١٥١ .

(٥) فى ف « تقرر » والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٣٥١ ) انظر شرح هذا المقرر فيما يلى

الأقصاب ، ومقرر ضمان [١] القواسين ، ( ٧٦ ب ) ورسوم الشدّ [٢] والولاية . فأبطل ذلك كله من جميع ممالك البلاد الشامية بأسرها .

وفيه كتب لنواب [٣] حلب وحماة وحمص وطرابلس وصفد بأن أحدا منهم لا يكاتب السلطان ، وإنما يُكاتب الأمير تنكز نائب الشام ، ويكون هو المكاتِب فى أمرهم [٤] للسلطان . فشقّ ذلك على النواب ، وأخذ الأمير سيف الدين بلبان طرنا نائب صفد ينكر ذلك ؛ فكاتب فيه تنكز [ السلطانَ ] حتى عُزل فى صفر ، واستقر عوضه الأمير بلبان البدرى ؛ وحمل طرنا فى القيد إلى مصر ، وسجن بالقلعة .

وفيها استقرّ الأمير علاء الدين ألطنبغا الحاجب فى نيابة حلب ، بعد وفاة الأمير سيف الدين سودى فى نصف رجب . وقدم زين الدين ( ١٧٧ ) قراجا الخزندارى والخاص ترك من بلاد طقطاى ، وأخبرا بموته ؛ وهو طقطاى بن منكوتمر بن طُغان بن باطو [٥] [ابن جوجى] بن جنكزخان ملك التتار ببلاد الشمال ، أقام فى الملك مدة ثلاث وعشرين سنة ، وهلك عن ثلاثين سنة ، وكان يعبد الأصنام على دين البخشية [٦] ؛ وملك بعده أزبك خان بن طغرل بن منكوتمر بن طغان .

وفيها اهتم السلطان بعمارة جسور نواحى أرض مصر وترعها [٧] : وندب الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى إلى الشرقية ، والأمير علاء الدين أيدعدى شقير إلى البهنساوية ، والأمير شرف الدين حسين بن حيدر إلى أسيوط ومنفلوط والأمير سيف الدين آقول [٨]

---

(١) لايوجد بالمقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٨٨ ، وما بعدها ) مقرر بهذا الاسم .

(٢) هذا المكس مكان فيما يتعلق بمصر ، إذ كان هناك ما يسمى شد الزعماء ، وما يعرف باسم رسوم الولاية . انظر ما يلى .

(٣) فى ف « نايب » .

(٤) يلاحظ أن هنا تقليد غريب فى نظام الحكم والإدارة فى عهد المماليك ، وأن السلطان الناصر قد سمح به لعلاقته الشخصية بالأمير تنكز ، مع أنه كان معنيا بتركيز السلطات كلها فى يده .

(٥) صححت هذه الأسماء ، والتى تليها بسائرهذه الفقرة ، بعدمراجعة ( Ooworth : Op. Cit. II. I. p. 148) ، وكذلك (Zambaur : Op. Cit. P. 244) .

(٦) البخشية لفظ مغولى من أصل سانسكريتى ، ومعناه الكهنة البوذيون ، والمقصود به هنا طائفة تدين بالرهبانية والفقر والسحر . انظر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ ، حاشية ٢ من الترجمة الفرنسية ) ، وكذلك ( Ency. Isl. Art. Bakhshi )

(٧) فى ف « تراعها » .

(٨) بغير ضبط أو نقط فى ف . انظر ( Zetterstéen : Op. Cit. p. 147,183 )

الحاجب إلى الغربية ، والأمير ( ٧٧ ب ) سيف الدين قُتُلى أمير سلاح إلى الطحاوية (١) وبلاد الأشمونين ، والأمير بدر الدين جنكلى بن البابا إلى القليوبية ، والأمير علاء الدين التليلي إلى البحيرة ، والأمير بدر الدين بكتوت الشمسى إلى الفيوم ، والأمير سيف الدين بهادُر المعزّى (١) إلى إخميم ، والأمير بهاء الدين أصلم إلى قوص .

وفيها قدم الأمراء المجردون إلى الحجاز : وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا صحبة الحاج من السنة الماضية فرّ الشريف حميضة نحو اليمن ، وأقام بحلى بنى يعقوب ؛ فلما انقضى الموسم وخرج الحاج أقام الأمير طُقُصبا(٢) [ المغربى ] بالمعسكر حتى رتّب الشريف أبا الغيث فى إمارة مكة ، ولم يزل مقيما معه مدة شهرين بعد انقضاء الحج . ولم تمطر [ تلك السنة بمكة ] ، وَقَلّ (١٧٨) الجلب ؛ فكثرت كلف العسكر ، واحتاج [ طقصبا ] إلى السفر ، فأشهد عليه (٤) أبو الغيث أنه أذن له فى السفر ، وكتب بذلك إلى السلطان . فلم يكن بعد توجه العسكر من مكة غير قليل حتى جمع حميضة وقدم ، ففرّ منه أبو الغيث إلى [ هذيل(٥) بوادى ] نخلة ، وملك ( حميضة ) منه مكة . وبعث(٦) [ حميضة إلى السلطان ] القود اثنى عشر فرسا وكتابا ، وهو يترفّق ويبذل الطاعة ويعتذر ؛ فلم يُقبل منه العذر ، وحبس رسوله .

وفيها توجّه الأمير قجلس لقبض مال سودى نائب حلب وكشف أخبار مهنا ، فأشار تنكز نائب الشام بإخراج مهنا من البلاد وأن عسكر الشام يكفيه ، فبطل أمر التجريدة

(١) الطحاوية والأشمونين اسمان يطلقان على العمل الخامس من أعمال الصعيد فى زمن القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٩٤ — ٣٩٥ ) ، وهو مديرية المنيا الحالية تقريباً .

(٢) فى ف « المغربى » والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٥١ ب ) . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. p. 157)

(٣) فى ف « طقصباى » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٥١ ب ) ، وقد ضبط هذا الاسم وأضيف ما بين الحاصرتين من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨١ ) ، وكذلك (Zetterstéen : Op.Cit.p. 160)

(٤) فى ف « عليهم » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٥١ ب ) وهى الأصح ، إذ المعروف نقلا عن النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨١ ) أن الأمير أبا الغيث كان قد قصر فى حق العسكر وضاق منهم ، وأنه كتب للسلطان باستغنائه عنهم .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨١ ) .

(٦) فى ف « وبعث إلى القود اثنى عشر فرسا ... » ، وقد عدلت العبارة بالإضافة بين الحاصرتين من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ص ٨١ ) .

من مصر . وجُرِّد من الشام الحاج أرقطاى وكجكن(١) ، ومن حماة ألف فارس مع عسكر طرابلس وحلب ؛ وخرج طُلُب قجليس من القاهرة ليكون (٧٨ ب) مقدم العساكر ، فاجتمت عنده العساكر والعربان بحلب . وبلغ ذلك مهنا فأجمع على الرحيل ، وسارت إليه العساكر ، فلما قاربته رحل وهى فى إثره إلى عانة والحديثة من العراق ، فجفلت أهل البلاد . وبلغ ذلك جوبان [ نائب خربندا (٢) ملك التتار ] ، فظنّ أن السلطان قد نقض الصلح ويريد أخذ العراق ، فانزعج لذلك إلى أن بلغه مجىء العسكر بسبب العرب ، وأنه لم يتعدّ عانة [ ولا تعرض(٣) لزرع البلاد ولا كرومها ، فسكن ما به . ورجع العسكر عن عانة ] إلى ضيعة تعرف بالعنقاء من ضياع مهنا ، وأخذ ما كان بها من المَغَل ، وسار كذلك إلى ضياع مهنا حتى وصل الرحبة ، وقد حمل الغلال إليها . فبعث السلطان إلى قجليس بعود العساكر إلى بلادها ، وإقامته على سَلمية إلى أن يخزن مغلّها بقلعة حلب ، فاعتمد ذلك وأقام حتى استغلّ سلمية ؛ وعاد [ قجليس ] إلى القاهرة (٧٩ ا) فأخلع عليه .

وفيها خرج عسكر من القاهرة فى أول ذى القعدة : فيه من الأمراء سيف الدين بَكتَمُر البُوبكرى السلاح دار - وإليه تقدمة العسكر - ، وقُلى السلاح دار ، وعلم الدين سنجر الجمقدار ، وركن الدين بيبرس الحاجب ، وبَكتمر(٤) [ البوبكرى ] الجمدار ، وبدر الدين محمد بن الوزيرى ، وأيتمش المحمدى ، بمضافيهم من الأمراء ومقدمى الحلقة والأجناد . وكُتِب لنائب الشام الأمير تنكز بالمسير معهم بعسكر دمشق ، وأن يكون المقدم على جميع العساكر ؛ وكتب بخروج عساكر حماة وحلب وطرابلس ؛ وأشيع أن ذلك لغزو سيس . فوصل عسكر مصر إلى دمشق فى عشريه ، وأقام بها حتى انقضت السنة .

واتفقت حادثة غريبة بالقاهرة : وهو أن رجلا من سكان الحسينية يقال له على

---

(١) فى ف « كجكى » والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٥١ ب ) ، وابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ ) . انظر أيضاً ( Zetterstéen : Op. Cit. p. 190 )، حيث ورد من اسمه « سيف الدين كجلى » .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٧ ) .

(٣) ليس لما بين الحاصرتين وجود فى ف ، ولكنه فى ب (٣٥٢ ا) .

(٤) فى ف «بنكتمر» ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٥٢ ا) ، وقد ضبط وأضيف ما بين الحاصرتين من ( Zetterstéen : Op.Cit. p. 162 )

(٧٩ ب) بن الساق ركب فى يوم الجمعة فرساً وبيده سيفه ، وشقّ القاهرة فما وجدبها يهوديا ولا نصرانياً إلا ضربه ؛ فجرح جماعة ، وقطع أيدى جماعة ، وشجّ جماعة ؛ ثم أُمسِك خارج باب زويلة ، وضُرب عنقه [١] .

ومات فيها ممن له ذكر رشيد الدين إسماعيل بن عثمان الدمشقى الحنفى ، بمصر فى رجب عن إحدى وتسعين سنة ؛ أخذ القراآت عن السخاوى ، وأفتى ودرس ؛ وقدم القاهرة من سنة سبع مائة فى الجفْل [٢] . ومات بدمشق العدل نجم الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد — عُرف جده بالقابونى — السعدى الأنصارى الدمشقى ، فى ليلة الجمعة أول محرم ؛ ومولده سنة ستين وستمائة ؛ وسمع من أبى اليسر فى آخرين ، وحدّث [٣] (٨٠ ا) عن أبى عبد الله بن أمين الدين [٤] سليمان الموصلى ؛ [ و ] روى عنه شيخنا العماد [٥] بن كثير ، وقال كان رجلا جيدا يشهد على القضاة ، وباشر استيفاء الأوقاف . ومات الشريف أمين الدين أبو الفضل جعفر بن محمد بن عدلان بن الحسن الحسينى ، نقيب الأشراف بدمشق ، فى ليلة الخميس ثالث رجب ؛ ومولده أول رجب سنة خمس وخمسين وستمائة ؛ وكان حسن السيرة عفيفاً ، وولى نظر الدواوين بدمشق أيضا . ومات الأمير سودى [٦] نائب حلب فى نصف رجب ، ووُجد له من الذهب العين مبلغ أربعين ألف دينار ؛ واشتملت تركته على ألف ألف درهم ، حُملت إلى القاهرة ؛ وكان كريماً

---

(١) ليس لهذه الفقرة كلها وجود فى ب ( ١٣٥٢ ) ؛ وهذا دليل على أن هذه النسخة ، مع مالهـا من أهمية فى تصحيـح المتن هنا ، تقصر أحياناً عن نسخة ف التى اعتمدت أصلا للنشر .

(٢) يشير المؤلف هنا إلى جفول أهل دمشق من جيوش إيلخان غازان تلك السنة والتى قبلها . انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٨٩ ، وما بعدها ) .

(٣) يلى هذا فى ف ، وفى ب ( ١٣٥٢ ) أيضا العبارة الآتية : « بحر والى السكن البلدى » ، وقد حذفت لعدم استطاعة الناشر تحقيقها أو تصحيحها .

(٤) فى ف « أبى عبد الله بن البرما سليمان الموصلى » ، وما هنا من ب ( ١٣٥٢ )

(٥) فى ف « العماد فى كثير » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٥٥٢ ) ، وابن كثير المقصود هنا هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن الخطيب القرشى البصراوى ، المؤرخ المشهور ، صاحب كتاب « البداية والنهاية » ، ويلاحظ أن المقريزى قد أشار إلى أن ابن كثير كان من مشايخه ، وهذه أول مرة يتحدث المقريزى فيها عن نفسه .

(٦) فى ف « سودون » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٥٢ ) ، انظر ب ص ١٣١ .

حشما مشكور السيرة . ومات الشيخ علاء الدين على بن محمد بن ( ٨٠ ب ) خطاب الباجى [١] ، بمصر ليلة الجمعة سادس ذى القعدة ، عن ثلاث وثمانين سنة ، وكان من أئمة الفقهاء الشافعية ، درّس وصنف وأفتى . ومات جمال الدين عطية بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن محمد بن عطية اللخمى الإسكندرانى ، عن ثمانين سنة بالإسكندرية ، ومات شرف الدين يعقوب بن فخر الدين مظفر بن أحمد مزهر الحلبى ، ناظر حلب ودمشق ، فى ثامن عشرى شعبان ، عن ست وثمانين سنة بحلب ؛ ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة ، ولم تبق مملكة بالشام إلا باشرها ، وكانت له مروءة . ومات الأمير سيف الدين كُهُرْداش [٢] المنصورى بدمشق . و [مات] عماد الدين إسماعيل بن الملك المغيث شهاب الدين عبد (٨١ ا) العزيز بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب ، بحماة فى ثامن عشرى [٣] ربيع الآخر . ومات الأمير سيف الدين مَلِكْتَمُر [ الناصرى [٤] المعروف ] بالدم الأسود بدمشق ؛ وكان ظالما . ومات الأمير فخر الدين أقجبا الظاهرى بدمشق ؛ وكان خيرا ، ومات الشيخ تقى الدين رجب بن أشترك [٥] العجمى ، صاحب زاوية تقى الدين تحت قلعة الجبل ، فى ثامن رجب ؛ وكان له أتباع ومريدون ، وله حرمة ووجاهة عند أهل الدولة ، ومات الشيخ شرف الدين أبو الهدَى أحمد بن قطب الدين محمد بن أحمد بن القسطلانى بالقاهرة ؛ ومولده بمكة فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة ؛ وكان ورعاً ديناً ، و [مات] الشيخ المعمّر محمد ابن محمود بن الحسين بن الحسن المعروف ( ٨١ ب ) بحياكِ الله الموصلى ، فى يوم الخميس تاسع ربيع الأول ، بزاويته من سويقة الريش خارج القاهرة ، عن مائة وستين

(١) فى ف « التاجى » ، والرسم المثبت هنا من ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ص ٣٤)، حيث ورد أن النسبة إلى مدينة باجة بالاندلس .

(٢) بغير ضبط فى ف ، انظر (Zettersteen : Op. Cit. p. 108) حيث ورد هذا الاسم برسم « كهركاش ». وكان هذا الأمير قائداً للحملة المملوكية التى استولت على جزيرة أرواد (Rhodes) ، سنة ٧٠٢ ﻫ (١٣٠٢ م) .

(٣) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٥ — ٨٦) أن هذا الأمير الأيوبى كان منصرفاً لعلم الحديث .

(٤) فى ف « ملكتمر الدم الأسود » ، وقد أضيف مابين الحاصرتين من النويرى ( نهاية الأرب ج ٣٠ ، ص ٨٦ ) .

(٥) فى ف (اشيرك) ، وما هنا من ابن حجر ( الدور الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٠٧ ) .

سنة ؛ و [كان قد سئل [1] عن مولده ، فقال إنه] قدم إلى القاهرة فى أيام المعز أيبك، وعمره (يومئذ) خمس وثمانون سنة ؛ ومات سليم الحواس جيد القوة ، ومات صدر الدين أحمد بن مجد الدين عيسى بن الخشاب ، وكيل بيت المال ، يوم الاثنين تاسع شعبان ، وولى عوضه مجد الدين حرمى [2] ، ومات القاضى سعد الدين محمد بن فخر الدين عبدالمجيد بن صفى الدين عبدالله الأقفهسى ، ناظر الخزانة ، يوم الجمعة ثامن عشرى ذى الحجة فجأة ، واستقر عوضه الصاحب ضياء الدين النشائى ، ومات القاضى شمس الدين عبد الله بن الفخر ناظر الجيش ، يوم السبت ثالث عشر شعبان ، (٨٢ ا) ، وكان ناظر ديوان المماليك وأبوه غائب بالقدس ، فقدم بعد موته ليلة رابع عشريه ، فقررت جامكيته باسم ابنه ، واستنيب عنه ، ومات القاضى تقى الدين بن الفائزى ، ليلة الجمعة ثانى عشرى صفر ، ومات الشيخ عمر الدمامينى ، فى ثانى عشرى ذى القعدة وقُتِل بدمشق فى يوم الجمعة تاسع عشرى رجب [ موسى بن [3] سمعان النصرانى ، كاتبُ الأمير قطلوبك الجاشنكير بحرّان ، وذلك أنه نصر مسلماً ، وكواه على يده مثال صليب ، فحكم قاضى القضاة جمال الدين المالكى بقتله ، فقُتِل ] .

* * *

سنة خمس عشرة وسبعمائة . فى أول المحرم سار العسكر من دمشق إلى حلب ، وعليه الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام ، [وقد استصحب] معه [قاضى] القضاة [4] [نجم الدين بن صصرى ، وشرف الدين بن فضل الله ، وجماعة من الموقعين ] ؛ و[كان تنكز] بزىّ الملوك من العصائب والكوسات ، ولم تجر عادة نائب قبله بذلك ، وتبعه عسكر صفد وحمص وحماة وطرابلس . فلما مرّ الأمير (٨٢ ب) تنكز بحماة أعرض عن صاحبها لكونه لم يتلقه من بُعد ، ولم يأكل ما أعدّه له من الطعام ؛ وسار (تنكز) إلى حلب فجرّد منها الأمير قرطاى والأمير مَلِكتمر الجدار إلى ملطية ، وكان فى الظن أن المسير إلى سيس .

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٥) .

(٢) كذا فى ف ، وهو فى ب (١٣٥٣) « محمد بن المرحوى » . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٨) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٥٣) ، والنويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٥) .

(٤) فى ف «ومعه القاضى وهو بزى الملوك ...» ، وقد عدلت العبارة كلها إلى آخر هذه الفقرة بالإضافة بين الحاصرتين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٧) .

وسبب غزو ملطية أن السلطان بعث فداوية من أهل مصياب لقتل قراسنقر ، فصار هناك رجل من الأكراد يقالُ له مندوه يدلّ على قصاد السلطان أخذ منهم جماعة ؛ فشقّ ذلك على السلطان ، وأخذ فى العمل عليه . فبلغه أنه صار يجبى خراج ملطية ، وكان نائبها من جهة جوبان يقال له بدر الدين ميزامير [١] بن نور الدين ، فخاف من مندوه أن يأخذ منه نيابة ملطية ، فما زال السلطان يتحيل حتى كاتبه ميزامير ، وقرر معه أن يسلم البلد (٨٣ ا) لعساكره . فجهز [السلطان] العساكر ، وورّى أنها تقصد سيس حتى نزلت بحلب ؛ وسارت [العساكر] منها مع الأمير تنكز على عينتاب إلى أن وصل الدربند ، فألبس الجميع السلاح وسلك الدرَبند إلى أن نزل على [٢] ملطية يوم الثلاثاء ثالث عشريه ، وحاصرها ثلاثة [٣] أيام . فاتفق الأمير ميزامير مع أعيان ملطية على تسليمها ، وخرج فى عدة من الأعيان إلى الأمير تنكز ، فأمّنهم وألبسهم التشاريف السلطانية المجهزة من القاهرة ، وأعطى الأمير ميزامير سنجقا سلطانيا ، ونودى فى العسكر ألا يدخل أحد إلى المدينة . وسار الأمير ميزامير ومعه الأمير بيبرس الحاجب والأمير أرُكتَمُر حتى نزل بداره ؛ وقبض على مندوه الكردى وسُلم إلى الأمير قلى ؛ وتكاثر (٨٣ ب) العسكر ودخلوا إلى المدينة ونهبوها ، وقتلوا عدة من أهلها . فشقّ ذلك على الأمير تنكز ، وركب ومعه الأمراء ، ووقف على الأبواب وأخذ النهوب من العسكر ، ورحل من الغد وهو رابع عشرى المحرم بالعسكر ، وترك نائب حلب مقيما عليها لهدم أسوارها . ففرّ مندوه قبل الدخول إلى الدربند . وفات أمره . فلما قطعوا الدربند أحضرت الأموال التى نهبت والأسرى ، فسلم من فيهم من المسلمين إلى أهله ، وأفرِد الأرمن .

[فلما فُتحت ملطية] سار [٤] الأمير قجليس إلى مصر بالبشارة ، فقدم يوم الخميس ثالث صفر ، ودقت البشائر بذلك . وتبعه [٥] الأمير تنكز بالعساكر ـ ومعه الأمير ميزامير

---

(١) كذا فى ف .

(٢) فى ف «وصل على ملطية» ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٥٣ ا) .

(٣) فى ف «مندوا» . انظر ما سبق بالصفحة هنا .

(٤) فى ف «فسار الامير» ، وقد حذفت الفاء وأضيف ما بين الحاصرتين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٧) ، حيث توجد تفاصيل كثيرة بصدد هذا الفتح .

(٥) فى ف «ومعه» ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٥٣ ب) .

وولده - حتى نزل عينتاب ثم دابق ؛ فوجد (٨٤ ا) بها تسعة عشر ألف نول تعمل الصوف ، وتُجلب كلها إلى حلب . ثم سار [ تنكز ] ، فقدم دمشق فى سادس عشر ربيع الأول ، وسُير مِزامير وابنه فى ثلاثين رجلا مع العسكر المصرى إلى القاهرة فقدموا فى خامس ربيع الآخر .

وفيها قبض على الأميرين علاء الدين أيدغدى شقير ، وجمال الدين بكتمر الحسامى الحاجب ، فى أول ربيع الآخر ، فقتل شقير من يومه لأنه اتهم بأنه يريد الفتك بالسلطان ، وأخذ لبكتمر الحاجب مائة ألف دينار ، وسجن . وكان قد قبض على الأمير بهادر المَعزى فى عاشر المحرم ، وقبض أيضا بعد القبض على شقير على الأمير طغاى ، وقبض على تمر الساقى نائب طرابلس وحمل إلى قلعة ( ٨٤ ب ) الجبل ، وقبض على الأمير بهادر آص وحمل إلى الكرك . واستقر الأمير سيف الدين كستاى[١] الناصرى فى نيابة طرابلس .

وأفرج فى مستهل ربيع الآخر عن داود وجُبا أخوى الأمير سلار ، وأفرج عن الأمير سيف الدين قجماس المنصورى أحد البرجية . وأخرج الأمير بدر الدين محمد الوزيرى من مصر ليقيم بدمشق ، فى يوم السبت سلخ ربيع الآخر ، وأنعم عليه بما َخصّ السلطان من خمس ملطية ، وهو نحو الخمسين ألف درهم .

وفى ثامن عشرى رجب أفرج عن الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك ، وخُلع عليه ، وأمّر فى ثامن عشرى شهر رجب ، ثم أنعم عليه فى ثالث عشر شعبان بإقطاع الأمير حسام الدين ( ٨٥ ا ) لاجين أستادار بعد موته .

و [فيه] قدم محمد بن عيسى أخو الأمير مهنا ، واعتذر عن أخيه مهنا ، وقدّم فرسا أصيلا للسلطان ؛ فقدّمت [الفرس للسلطان] فى شعبان ، وعرفف ببنت الكرتا[٢] ، بلغ ثمنها وكلفتها ستمائة ألف درهم . فكتب [السلطان] إلى مهنا بالرجوع إلى البلاد ، وخلع على محمد بن عيسى ؛ ثم بعث إلى مهنا باثنى عشر ألف دينار ؛ وأنعم عليه بمائتى ألف درهم ؛ وكتب له بضيعة من الخاص على سبيل الملك[٣] .

---

(١) فى ف « كستا » ؛ والرسم المثبت هنا من ب ( ١٣٥٤ ) . انظر أيضاً (Zettersteen : op. Cit. pp. 163,164)

(٢) كذا فى ف .

(٣) هنا إشارة إلى مثل من أمثلة إقطاع التمليك ( dominium eminens ) الذى تقدم شرحه فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٠٩ ، حاشية ٢) .

وفى يوم الجمعة عشرى جمادى الأولى — وتاسع عشرى مسرى — كان وفاء النيل ، وفتح الخليج على العادة .

وفى ثانى عشريه عزل علاء الدين القطزى[١] من ولاية مصر ؛ وولى بعده ابن أمير حاجب ، نقل إليها من ولاية الشرقية .

وفى ثالث ( ٨٥ ب ) جمادى الآخرة حضر الشريف أسد الدين أبو غرارة[٢] رميثة [ ابن أبى نمى ] ، من مكة فارًّا من أخيه حميضة ؛ وأخبر أنه قطع اسم السلطان من الخطبة بمكة ، وخطب لصاحب اليمن . فجرد [ السلطان ] معه الأمير سيف الدين طيْدَمُر[٣] ، والأمير نجم الدين دَمُرْخان[٤] بن قرمان ، وثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة وأجناد الأمراء .

و[ فيها ] قدم الأمير سيف الدين الخاص تركى وزين الدين قراجا الخازندار من بلاد طقطاى ، ومعهم رسل الملك أزبك القائم بعد طقطاى ، وأخبروا بإسلامه ومعهم هدية . فأكرم السلطان الرسل ، وكتب جوابه ، وسفرهم ؛ وبعث معهم الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى بهدية .

و[ فيها ] قدم البريد من حلب بقدوم والدة صاحب ماردين تريد الحج ، ( ١٨٦ ) فرسم للنواب بخدمتها والقيام بما يليق بها .

و[ فيها ] قدم البريد بخروج سليمان بن مهنا عن الطاعة ، ونهبه القريتين ، وتوجهه نحو العراق من أجل خروج إقطاعه عنه . فكتب إلى مهنا فى ذلك ، فأجاب بأنه خارج عن طاعته .

و[فيها] قدمت رسل صاحب اليمن ، وهما بدر الدين حسن بن أبى المنجا ، والطواشى جمال الدين فيروز ؛ وقد خرج عليهما عرب صحراء عيذاب ، وأخذوا منهما الهدية . فجرد [السلطان] من الأمراء علاء الدين ملغطاى بن أمير مجلس ، وسيف الدين ساطى[٥]

(١) فى ف « القطرى » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٣٥٤ ) .

(٢) فى ف «غرادة» ، وفى ب ( ٣٥٤ ا ) « عرارة » ، والرسم المثبت هنا من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٩ ) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح .

( ٣ ، ٤ ) ضبط هذان الاسمان بعد مراجعة (Zettersteen : Op.Cit.p. 163) .

(٥) فى ف « شاطى » ، انظر ما تقدم هنا ( ص ٤٧ ، حاشية ١ ؛ ص ٤٨ ، حاشية ١ ؛ ص ٧٢ ) .

السلاح دار، وصارم الدين أزبك الجرمكى، وعز الدين أيدمر الدوادار، وعلاء الدين على بن قراسنقر، وعلم الدين سنجر الدنيسرى، فى عدة من الأجناد ومقدمى الحلقة (٨٦ ب)؛ وأمروا بالتوجه إلى دمقلة بالنوبة، فساروا فى أول شوال.

وفى العشر الأخير من شعبان وقع الشروع فى رَوْك (١) أرض مصر (٢) وسبب ذلك أن السلطان استكثر أخباز المماليك أصحاب بيبرس الجاشنكير وسلار النائب وبقية البرجية، وكان الخبز الواحد ما بين ألف مثقال فى السنة إلى ثمانمائة مثقال، وخشى [السلطان] من وقوع الفتنة بأخذ أخبازهم. فقرر [السلطان] مع الفخر [محمد بن فضل الله] ناظر الجيش روك البلاد وإخراج الأمراء (٣) إلى الأعمال: فتعين الأمير بدر الدين جنكلى بن

(١) الروك لفظ جرى فى مصطلح الإدارة المالية فى مصر والشام فى العصور الوسطى، للدلالة على عملية قياس الأراضى ومسحها وتقويم المقارات وغيرها من الأملاك الثابتة ومتعلقاتها مرة كل ثلاثين سنة تقريباً، وهو المعروف فى مصطلح الدواوين المصرية فى العصر الحاضر باسم «فك الزمام وتعديله». انظر: (De Sacy: Droit de Propriété Territoriale en Egypte. II. p. 200, III. p. 229, Quatremère: Op. Cit. II. 1. p. 132, II. 2. p. 25)، وكذلك (Dozy: Supp. Dict. Ar).
وهذا اللفظ مأخوذ من الكلمة القبطية «روش» ومعناها قياس الأرض بالحبل، وقد وردت هذه الكلمة بالنسخة القبطية لكتاب العهد القديم (Old Testament) أكثر من مرة (سفر عاموس، إصحاح ٧، آية ١٧؛ وسفر ميخا، إصحاح ٢، آية ٤)، وهى بدورها مشتقة من اللفظ الديمقراطى «روخ»، ومعناه تقسيم الأرض. (Crum: Coptic Dictionary). والمعروف حتى الآن من حوادث الروك بمصر فى العصور الوسطى سبع: أولها حوالى سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م)، على يد ابن رفاعة والى مصر فى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموى، وثانيها سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣ م)، على يد ابن الحبحاب عامل الخراج فى مصر، زمن الخليفة هشام بن عبد الملك؛ وثالثها حوالى سنة ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م)، وقد تم فى أيام ابن المدبر عامل الخراج بمصر، فى خلافة المعتز بالله العباسى؛ ورابعها الروك الأفضلى سنة ٥٠١ هـ، نسبة إلى الأفضل ابن أمير الجيوش، فى عهد الخليفة الآمر الفاطمى، وخامسها الروك الصلاحى، نسبة إلى السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبى وقد تم سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م)، وسادسها الروك الحسامى سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م)، وقد قام على عمله السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المملوكى، فنسب إليه؛ وسابعها الروك الناصرى المذكور هنا بالمتن، وقد كتب ابن الجيعان مؤلفه المعروف باسم التحفة السنية عن هذا الروك الأخير إذ كان مستوفى ديوان الجيش فى وقت من الأوقات فى عهد السلطان الناصر. انظر عمر طوسن (مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن، ص ٢١٤ — ٢٦٨)، وكذلك (De Caey: Op. Cit. III p. 213)، والشيال (صفحة من الحياة الاقتصادية فى مصر الإسلامية، مجلة الثقافة، عدد ٩٧، ٩٩).

(٢) أفرد المقريزى (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٨٧، وما بعدها) فصلا خاصا بهذا الروك، وهو موجود بنشرة فييت (Wiet) لنفس المرجع (ج ٢، ص ٢٣، ومابعدها)، وسيعتمد الناشر على هذه الطبعة الأخرى فيما يلزم للمتن هنا بصدد الروك الناصرى من إضافة بغير إشارة إلى الطبعة مرة ثانية. انظر أيضا عمر طوسن (مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن، ص ٢٥١ وما بعدها).

(٣) فى ف «الأموال» والرسم المثبت هنا من ب (٣٥٤ ب).

البابا للغربية ، ومعه آقول (١) الحاجب ومكين الدين إبراهيم بن قروينة ؛ وللشرقية الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى ، ومعه أيتمش المحمدى وأمين الدين قرموط ؛ وللمنوفية والبحيرة بلبان الصرخدى والقلنجى وابن طرنطاى (٨٧ ا) وبيبرس الجدار ، والصعيد التليلى والمرتينى (٢) .

وفيها توجّه السلطان فى شعبان إلى بلاد الصعيد (٣) ، وقدم فى يوم الخميس ثامن عشر شوّال

وفيها توجّه من حلب ستمائة فارس عليهم الأمير شهاب الدين [ قرطاى (٤) ] للغارة على بلاد ماردين ودُنَيْسِر لقلة مراعاة صاحب ماردين لما يُرسَم به . فشنّ [قرطاى] الغارة على بلاد ماردين يومين ، فصادف قراوول (٥) التتار (٦) قد قدم إلى ماردين على عادته كل سنة لجباية القطيعة (٧) ، وهم فى ألفى فارس ؛ فحاربهم [ قرطاى ] وقتل منهم ستمائة رجل ، وأسر مائتين وستين ، وقدم بالرءوس والأسرى إلى حلب ، ومعهم عدة خيول . فلما قدم البريد بذلك سُرّ السلطان سروراً زائداً ، وبعث بالتشريف لنائب حلب ولقرطاى .

وقدم الخبر من مكة (٨٧ ب) بقتل أبى الغيث فى حرب مع أخيه حميضة ، وأن العسكر المجرّد إلى مكة واقع حميضة وقتل عدة من أصحابه ، فانهزم [حميضة] وسار يريد بلاد خربندا ؛ فتلقاه خربندا وأكرمه ، وأقام [حميضة] عنده شهراً ، وحسّن (٨) له إرسال طائفة

(١) فى ف « اقول » ، انظر : (Zettersléen : Op. Cit. p. 147) .

(٢) بغير نقط فى ف ما عدا النون ، والرسم المثبت هنا من المقريزى ( المواعظ والاعتبار — Wiet — ، ج ٢ ، ص ٢٣ ، حاشية ٥ ) .

(٣) كان ذهاب السلطان إلى الصعيد تلك السنة بسبب الروك ، فقد ذكر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١ ) أن الناصر توجه إلى الصعيد الأعلى لذلك الغرض ، « ورتب الأمراء والكتاب فى أعمال الوجه القبلى فى مسيره ، وأظهر الاحتفال بذلك والاهتمام به » .

(٤) فى ف « شمس الدين » فقط ، والاسم المثبت هنا من ب ( ٣٥٤ ب ) . أنظر أيضاً : (Zettersléen : Op. Cit. p. 164) .

(٥) تقدم هذا اللفظ برسم « قراغول » بالمقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٥ ، ٤٧٩ ، ٩٨٢ ) ، وقد شرح هناك .

(٦) فى ف « النار » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٥٤ ب ) .

(٧) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥١ ، سطر ١٢ ؛ ص ٣٨٨ ، حاشية ١ ) .

(٨) فى ف « وحصل » والصيغة المثبتة هنا من ( ب ٣٥٥ ) .

من المغل إلى بلاد الحجاز ليملكها ، ويخطب له على منابرها . وقدم العسكر المجرد إلى الحجاز فى ثامن عشرى رجب ، وكان السلطان قد أنعم على محمد بن مانع بإمرة مهنا ، فشنّ الغارات وأخذ جمال مهنا وطرده . فسار [مهنا] أيضاً إلى خربندا ، فسرّ به وأنعم عليه . وجرّد [خربندا] مع الشريف حميضة من عسكر خراسان أربعة آلاف فارس ، وسار [حميضة] بهم فى رجب يريد مكة . وأخذ خربندا فى جمع العساكر لعبور بلاد الشام ، فقدّر الله موته ، فخاف مهنا من الإقامة بالعراق . (٨٨ ا) فسار من بغداد وبلغ محمدَ بن عيسى أخا (١) مهنا سير الشريف حميضة بعسكر المغل إلى مكة ، فشقّ عليه استيلاؤهم على الحجاز ، فلما علم بموت خربندا ، وخروج أخيه مهنا من بغداد ، سار فى عربانه وكبس عسكر حميضة ليلا ووضع (٢) فيهم السيف ، وهو يصيح باسم الملك الناصر ، فقتل أكثرهم . ونجا حميضة ، ووقع فى الأسر من المغل أربعمائه رجل . وغنم العرب منهم مالا كثيراً وخيولا وجمالا . وكتب بذلك إلى السلطان فسرّ به ، وأعاد الإمرة إلى مهنا ، واستُدْعى محمد بن عيسى ، فقدم إلى مصر وشمله من إنعام السلطان شىء كثير .

وفيها وصل إلى السلطان مُهرة تعرف ببنت الكرتا (٣) ، كان قد بذل فيها نحو مائتى ألف وتسعين ألف درهم ، وضيعة من بلاد حماة ، ويقال إنها بلغت كلفها ( ٨٨ ب ) على السلطان ستمائة ألف درهم .

وفيها وعك السلطان أياماً ، فلما عوفى ودخل الحمام حلق رأسه كله ، فلم يبق أحد من الأمراء والمماليك الناصرية حتى حلق رأسه . ومن يومئذ بطل إرخاء العسكر ذوائب الشعر ، واستمرّ إلى اليوم (٤) وجلس السلطان يوم عيد النحر بعد عافيته ، وأفرج عن أهل السجون ، وطلع الناس للهناء ، ونودى بزينة القاهرة ومصر ، فكان يوماً مشهوداً .

وفيه فرغ العمل من بناء الإيوان ، وذلك أن السلطان هدم الإيوان الذى بناه أبوه

(١) فى ف «اخو» .

(٢) فى ف « ووقع » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٥٥ ا )

(٣) تقدّمت الإشارة إلى هذه المهرة فى ص ١٤٤ باسم « بنت كرتا » ؛ وهى فى النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ٩٠ ) باسم « بنت الكركا » ، ولعلها « بنت الكرواء » ، أى ذات السيقان الدقيقة. انظر المحيط وابن أبى الفضائل ( كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٥ ، حاشية ٤ من الترجمة الفرنسية ) .

(٤) هنا إشارة إلى تغيير جديد فى أزياء الناس بدولة المماليك فى مصر فى العصور الوسطى .

الملك المنصور ، وجدّده أخوه الملك الأشرف ، ثم أنشأ إيواناً جليلا ، وعمل به قبة عالية متسعة ورخّمه رخاماً عظيما ، وجعل قدّامه دركاة (١) فسيحة (٢) ، فجاء من أجلّ المبانى الملوكية وأعظمها .

وأما (٨٩ ا) الأمراء الذين توجهوا إلى رَوْك أعمال مصر ، فإن كلا منهم لما نزل بأول عمله استدعى مشايخ البلاد ودُلّالاءها (٣) وقياسيها وعدولها (٤) وسجلات كل بلد ، وعرف متحصلها ومقدار فدْنها ومبلغ عبرتها وما يتحصل للجندى من العين والغلة والدجاج والخراف [ والبرسيم ] (٥) ، والكشك والعدس والكعك ، ثم قاس تلك الناحية ، وكتب بذلك عدة نسخ ، ولا يزال يعمل ذلك حتى انتهى أمر عمله . وعادوا بعد خمسة وسبعين يوماً بالأوراق ، فتسلمها الفخر ناظر الجيش ؛ ثم (٦) طلب السلطانُ الفخر ناظر الجيش والتقىّ الأسعد بن

(١) الدركاة - وجمعه دركاوات - لفظ فارسى معناه الفضاء أو الممر المؤدى لمدخل بناء من الأبنية الكبرى (conr devant un palais, vestibule, portique, porte).انظر (Dozy: Supp.Dict. Ar.)

(٢) فى ف « فسحة » ، ولا يوجد بالمحيط صفة بهذه الصيغة .

(٣) مفرد هذا اللفظ دليل ، وقد عرفه (De Sacy : Op. Cit. I. p.13) بأنه الشخص من أهل الناحية يقوم بتعيين أسماء المزارعين للأراضى المزروعة ، التى يمسحها موظفو السلطان من الماسحين والقياسين وغيرهم ، (homme du pays, charger de leur indiquer le nom du cultivateur qui exploitait chaque portion de terre mesurée). هذا ويوجد فى ابن مماتى ( قوانين الدواوين ص ٧ - ١٠ ) ، فى باب أسماء المستخدمين من حملة الأقلام ، تعريف أدق مما سبق لوظيفة الدليل ، ونصه : « ( ص ١٠ ) الدليل يلزمه أن يعمل القناديق والقوانين والسجلات ، ويفصّل الأرض بقباعها وأصناف مزروعاتها وقطايعها ، وأسماء المزارعين ، ويكتب خطه أو يكتب عنه بالتزام الدرك فى ذلك » .

(٤) تقدمت الإشارة ( ص ٦ ، حاشية ٤ ) إلى مدلول هذا اللفظ فى مصطلح الدولة الملوكية ، وقد وجد الناشر فى عرنوس ( تاريخ القضاء فى الإسلام ، ص ١٣١ - ١٣٥ ) شرحا مكملا لما سبق ، وخلاصته أن وظيفة العدول كانت وظيفة دينية تابعة للقضاء ، وعملها أولا تزكية الشهود الذين يشهدون لدى القاضى فى الخصومات ، لأن القاضى إنما يحكم بالبينة المزكاة ، وليس له أن يلزم المشهود له بإحضار من يزكى ، وثانيا كتابة العقود بين الناس فى معاملاتهم ، مستوفاة شروطها الشرعية . هذا وليس من الميسور تعيين أول قاض أوجد هذه الوظيفة بالدولة الإسلامية إطلاقا . غير أنه عرف أن أول قاض بمصر اتخذ العدول ودوّن أسماءهم فى ديوانه هو مالك أبو نعيم إسحاق بن الفرات ، قاضى مصر من قبل الخليفة هارون الرشيد ، سنة بضع وثمانين ومائة .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٣٥٥ ب ) .

(٦) عبارة المقريزى هنا غير مستقيمة ، ونصها : « وطلب التقى كاتب برلغى وساير مستوفيين ( كذا ) الدولة ليفردوا لخاص السلطان بلادا ، ويقرروا لكل أمير اقطاعات ويضاف عليه ما كان يخصه من الفلاحين من الضيافة المقررة » ، وقد أبدلت بما بين الرقين من المقريزى ( المواعظ والاعتبار - Wiet ، ج ٢ ، ص ٢٤ ) .

أمين الملك — المعروف بكاتب برلغى — وسائر مستوفى الدولة ؛ وألزمهم بعمل أوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطانى التى عيَّنها لهم ، وعلى إقطاعات الأمراء ؛ وأضاف على عبرة كل بلد ما كان فلاحيها من الضيافة (١) المقررة ، وما فى كل بلد من الجوالى — وكانت الجوالى قبل ذلك إلى وقت (٨٩ ب) الروك ديواناً مفرداً يختص بالسلطان ، فأضيف جوالى كل بلد إلى متحصل خراجها .

وأبطلت عدة جهات من المكوس(٢) : منها ساحل الغلة ، وكانت هذه الجهة مقطعة لأربع مائة من أجناد الحلقة سوى الأمراء ، ومتحصلها فى السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، وإقطاع الجندى منها من عشرة آلاف درهم فى السنة إلى ثلاثة آلاف ، وللأمراء من أربعين ألف إلى عشرة آلاف ؛ واقتنى منها المباشرون أموالا عظيمة ، فإنها أعظم الجهات الديوانية ، وأجل معاملات مصر ؛ وكان الناس منها فى أنواع من الشدائد لكثرة المغارم والتعب والظلم ، فإن أمرها كان يدور ما بين ظلم نواتية (٣) المراكب والكيّالين والمشدين والكتاب ؛ وكان المقرر على كل أردب مبلغ درهمين [ للسلطان ] ، ويلحقه ( ٩٠ ا ) نصف درهم آخر سوى ماينهب وكان له ديوان فى بولاق خارج المقس ، وقبله كان خصّ يعرف بخص الكيالة ، فلما ولى ابن الشيخى شدّ (٤) هذه الجهة - قبل أن يلى الوزارة - عَمَّر مكان الخص(٥) مقعداً وجلس فيه ؛ وكان فى هذه الجهة نحو الستين رجلا ، ما بين نظار ومستوفين وكتاب وثلاثين جنديا ؛ وكانت غلال الأقاليم لا تباع إلا فيه .

ومن(٦) [المكوس التى أبطلها السلطان الناصر أيضاً] نصف السمسرة الذى أحدثه

---

(١) انظر ما يلى .

(٢) أفرد المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ٨٨ — ٩٠ ) لهذه المكوس وإبطالها فصلا طويلا أيضاً ، وهو وارد فى طبعة فيت (Wiet) لهذا الكتاب بالجزء الثانى ( ص ٢٤ — ٢٨ ) ، وسيعتمد الناشر هنا على هذه الطبعة الأخرى لإضافة ما يتطلب الإضافة بين الحاصرتين بغير إشارة أو تعليق ، اجتناباً لتكرار اسم المرجع فى غير ضرورة ، إلا إذا تطلبت الحاشية ذلك .

(٣) النواتية البحارة ، والواضح أن هذه الكلمة مأخوذة من اللفظ اللاتينى(nauta) ، وهو البحار

(٤) فى ف « سد » ، والمراد أنه قام على وظيفة الشد بتلك الجهة .

(٥) فى ف « عمر فكانت الخص مقعد » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٣٥٦ ا ) .

(٦) فى ف « ومنها » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح ، وكذلك أضيف ما بين الحاصرتين .

ابن الشيخى فى وزارته ؛ وهو أن من باع شيئاً فإن دلالته على كل مائة درهم درهمين ، يؤخذ منهما درهم (١) للسلطان ؛ فصار الدلال يحسب حسابه ، ويخلّص درهمه قبل درهم السلطان . ومنها رسوم الولايات والمقدّمين والنواب والشرطية ، [ وكانت جهة تتعلق بالولاة والمقدمين] ، فيجبيها(٢) المذكورون من عرفاء الأسواق وبيوت الفواحش ، وعليها ( ٩٠ ب ) جند مستقطعة وأمراء ؛ وكان فيها من الظلم والعسف والفساد وهتك الحرم وهجم البيوت ما لا يوصف . ومنها مقرر الحوائص والبغال ، وهى تجبى من المدينة و [ سائر معاملات مصر كلها ] من الوجهين القبلى والبحرى ؛ [فكان على كل من الولاة والمقدمين مقرر ] يحمل(٣) فى كل قسط من أقساط السنة إلى بيت المال عن ثمن حياصة (٤) ثلاثمائة درهم ، وعن ثمن بغل (٥) خمسمائة درهم ؛ و [ كان] عليها عدة مقطعين سوى ما يحمل ، وكان فيها من الظلم بلاء عظيم . ومنها مقرر السجون ، وهو على كل من يسجن ولو لحظة واحدة مبلغ ستة دراهم سوى ما يغرمه ، وعلى هذه الجهة عدة من المقطعين ولها ضُمّان ، وكانت تجبى من سائر السجون(٦) . ومنها مقر طرح الفراريج ، ولها ضمّان فى سائر نواحى الإقليم ، فتطرح على الناس فى النواحى الفراريج ( ٩١ ا ) وكان فيها من الظلم والعسف وأخذ الأموال من الأرامل والفقراء والأيتام ما لا يمكن شرحه ، وعليها عدة مقطعين ومرتبات ، ولكل إقليم ضامن مفرد ، ولا يقدر أحد أن يشترى فروجاً فما فوقه إلا من الضامن . ومنها مقرر الفرسان ، وهى شىء يستهديه الولاة والمقدمون من سائر الأقاليم ، فيجىء من ذلك مال عظيم ، ويؤخذ فيه الدرهم ثلاثة دراهم لكثرة الظلم . ومنها مقرر الأقصاب والمعاصر ، وهو ما يجبى من مزارعى الأقصاب وأرباب المعاصر ورجال المعصرة . ومنها

(١) فى ف « درهما » .

(٢) فى ف « وهى تجبى من عرفا الاسواق » ، وقد عدلت وأضيف ما بين الحاصرتين من المقريزى ( المواعظ والاعتبار — Wiet — ، ج ٢ ، ص ٢٥ ) .

(٣) فى ف ( وتحمل ) ، وقد حذفت الواو ليستقيم الفعل مع الإضافة السابقة له ، وهى وغيرها بهذه الفقرة من المقريزى ( المواعظ والاعتبار( Wiet ) ؛ ج ٢ ، ص ٢٥) .

(٤) فى ف « الحياصة » .

(٥) فى ف « البغل » .

(٦) عبارة المقريزى ( المواعظ والاعتبار — Wiet — ، ج ٢ ، ٢٦ ) بصدد هذا المقرر أوضح مما هنا .

رسوم الأفراح ، [هى] تجبى من سائر البلاد ، وهى جهة بذاتها لا يعرف لها أصل . ومنها حماية المراكب ، وهى تجبى من سائر المراكب الى فى النيل بتقرير معين على كل مركب يقال له مقرر الحماية ، ويجبى من المسافرين فى (٩١ ب) المراكب سواء إن كانوا أغنياء أو فقراء . ومنها [حقوق القينات ، وهى] ما كان يأخذه مهتار الطشتخاناه من البغايا ويجمعه من المنكرات والفواحش من أوباش مصر وضمان تجيب[(١)] بمصر . و[منها] شد الزعماء وحقوق السودان وكشف مراكب النوبة ، فيؤخذ من كل عبد وجارية مقرر معلوم عند نزولهم فى الخانات ؛ وكانت جهة قبيحة شنيعة . ومنها متوفر الجراريف ، [و] تجبى من المهندسين والولاة بسائر الأقاليم ، وعليها عدة من الأجناد . ومنها مقرر المشاعلية ، [ وهى ما يؤخذ] عن[(٢)] تنظيف أسربة البيوت والحامات والمسامط وغيرها ، [وحمل مايخرج منها من الوسخ إلى الكيمان ، فإذا امتلأ سَرْب[(٣)] مدرسة أو مسجد أو بيت لا يمكن شيله حتى يحضر الضامن ويقرر أجرته بما يختار ، فمتى لم يوافقه صاحب البيت تركه حتى يحتاج إليه ويبذل له ماطلب.(١٩٢) ومنها ثمن العبى[(٤)] [التى كانت تستأدى من البلاد] . و[منها] مقرر الأتبان [ التى كانت تؤخذ لمعاصر[(٥)] الأقصاب بغير ثمن ] . ومنها زكاة الرجالة [بالديار المصرية[(٦)]] .

---

(١) المقصود بهذا اللفظ خطة من خطط الفسطاط ، كانت تسكنها سلالة قبيلة تجيب الواردة فى المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٩٧ ) ، وربما كان هذا الخط قد تحول سكنا لأهل المنكرات .

(٢) فى ف « فى » ، وقد غيرت لتستقيم العبارة بالإضافة اللازمة بين الحاصرتين .

(٣) فى ف « سراب » ، وهو خطأ . أنظر المحيط .

(٤) العبى جمع عامى للفظ عباءة ــ أو عباية ــ والصحيح عباءات . ( محيط المحيط ) . هذا ولا يوجد بالمقريزى ( المواعظ والاعتبار ــ Wiet ــ ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، وما بعدها ) مقرر بهذا الاسم ، وربما كان ذلك شبيهاً بمقرر الحوائص المتقدم هنا ؛ وقد أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١ ) .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١ ) للتعريف بمقرر الأتبان هذا ؛ غير أنه يوجد بالمقريزى ( المواعظ والاعتبار ــ Wiet ــ ، ج ٢ ، ص ٩٤ ، ١٠٨ ) ما يسمى باسم « موظف الأتبان » ، وهو بلا شك أحد تلك المقررات ، وشرحه كالآتى : « وأما موظف الأتبان فكان جميع تبن أرض مصر على ثلاثة أقسام ، قسم للديوان ، وقسم للمقطع ، وقسم للفلاح ، فيجبى التبن على هذا الحكم من سائر الأقاليم ، ويؤخذ فى التبن عن كل مائة حمل أربعة دنانير وسدس دينار ، فيحصل من ذلك مال كثير ؛ وقد بطل هذا أيضاً من الديوان » .

(٦) لم يذكر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ــ Wiet ــ ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، وما بعدها ) ، مقرراً بهذا الاسم ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١ ) .

وأبطل [ السلطان ] أيضاً وظيفتى النظر والاستيفاء من سائر الأعمال — فى كل بلد ناظر ومستوف وعدة مباشرين — ، فرسم ألا يُستَخدَم أحد فى إقليم لا يكون للسلطان فيه مال ، وما كان للسلطان فيه مال يكون فى كل إقليم ناظر وأمين [حكم][1] لا غير . ورَفعَ [ السلطان ] سائر المباشرين . ورَسَمَ بالمسامحة بالبواقى الديوانية والإقطاعية[2] من سائر النواحى إلى آخر سنة أربع وسبعمائة . وجُعِل المال [3] الهلالى لاستقبال صفر سنة ست عشرة ، والمال [4] الخراجى لاستقبال ثُلث مَغَلّ سنة خمس عشرة وسبعمائة .

وأفرد [ السلطان ] لخاصته الجيزية وأعمالها و [ بلاد ] [5] هُو والكوم الأحمر ومنفلوط والمرج والخصوص [6] ( ٩٢ ب ) وعدة بلاد . وأخرجت الجوالى من الخاص ، [و] فُرّقت فى البلاد . وأفردت جهات المكس كلها ، وأضيف للوزارة . وأفردت للحاشية بلاد ، ولجوامك المباشرين بلاد ، ولأرباب الرواتب جهات . وارتُجِعت عدة بلاد كانت اشتريت ، وأدخلت فى الإقطاعات . واعتُدّ فى سائر البلاد بما كان يهديه الفلاح ، وحُسب من جملة الإقطاع [7] .

---

(١) ليس لما بين الحاصرتين وجود فى ف ، ولكنه فى ب ( ١٣٥٦ ) ، وقد عرف ابن مماتى ( قوانين الدواوين ، ص ٩ ) أمين الحكم — أو الأمين فقط — بما نصه : « الأمين هو جار مجرى النائب فيما شرح من حاله ، وفى بعض الخدم يكون حاله حال الشاهد » . انظر نفس المرجع والصفحة لتعريف النائب والشاهد .

(٢) فى ف « الاقطاعات » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٦٣ ب ) . انظر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١ ) .

(٣،٤) فى ف « الروك » .

(٥) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٤٣ ، حاشية ٤ ) ، وكذلك ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٤ ، ص٥٤٩ ، ٩٩٦ ) .

(٦) المقصود بالخصوص هنا قرية من قرى مديرية القليوبية الحالية ، وهى شمالى بلدة منية السيرج ، على مسافة ميل تقريبا منها . هذا ويوجد أيضا قرية بهذا الاسم بالصعيد الأوسط قبالة أسيوط ، بالبر الشرقى للنيل ( مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٠ ، ص ١٠٠ ) .

(٧) أورد النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١ ) بصدد هذا الموضوع كله ملاحظات كثيرة ، وهى تنم عن كثير مما كان فى ذلك العصر بين موظفى الدولة ، فضلا عن أنها تخبر بأن ما أحدثه الناصر من تعديل فى النظام الإقطاعى لم يخل من النقد والتجريح ، ونصه : « فعند ذلك جلس السلطان لتفرقة الأمثلة بين يديه ، وجعل لكل أمير بلاداً معينة ، وأضاف إليه جميع ما فى البلاد من الجيوش السلطانية والجوالى وغير ذلك ، فصارت البلاد يقطعها [ السلطان ] دربستا ، ( انظر معنى هذا اللفظ فى المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٨٤٤ ) ، وكذلك جهات الحلقة . وأفرد [ السلطان ] لخاصه بلاداً ولحاشيته بلاداً =

فلما فرغ العمل من ذلك نودى فى الناس بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال بإبطال ما أبطل من الجهات ، وكتبت المراسيم إلى النواحى به ؛ فسر الناس سروراً كبيراً .

وجلس السلطان بالإيوان الذى أنشأه لتفرقة المثالات فى يوم الخميس ثانى عشرى ذى الحجة ، بعد ما دارت النقباء على جميع الأجناد وحضروا ( ١٩٣ ) ، ورُسم أن يُفرّق كل يوم على أميرين من المقدّمين بمضافيهما . فكان المقدّم يقف بمضافيه ؛ ويَستدعى [السلطان] المقدمين[1] كل أحد باسمه ، فإذا تقدم المطلوب سأله السلطان : « من أين أنت ؟ وبملوك من ؟ » ؛ حتى لا يخفى عليه شيء من أمره ؛ ثم يعطيه مثالا على ما قُسم له من غير تأمل ؛ وأنبأ[2] [ السلطان ] فى العرض عن معرفة تامة بأحوال الأجناد وأمراء[3] الجيش .

وكان الأمراء عند العرض قد جلس أكابرهم بخدمته على العادة ، وإذا أخذوا فى شكر جندى عاكسهم وأعطاه دون ما كان فى أملهم له ، وأراد بذلك ألا يتكلم أحد فى

= مقررة مرصدة لجامكياتهم ، ولجامكيات نظار الدولة ومباشرى الباب جهات مقررة لهم ، وكذلك أرباب الرواتب . وجعلت سائر المعاملات بمصر والقاهرة فى جملة الخاص . وكان هذا برأى تقى الدين ناظر النظار — المعروف بكاتب برلغى — وترتيبه ، فأخرج عن الخاص الجوالى التى ما زال الملوك يجعلونها مرصدة لمأكلهم لتحقق حلها وجعلها فى الإقطاع ، وأرصد لراتب السماط السلطانى ونفقات البيوتات ودار الطرز ومشترى الخزانة جهات المكس ، التى ما زال الملوك يحذرونها وأكثر المقطعين يتنزهون عنها ويستعفون من أخذها ، والذى تحققته من أمره وغرضه فى هذا الترتيب أنه من مسالمة القبط ممن أكره على الإسلام ، فأظهره وجرت عليه أحكامه ؛ وكان ميله ورغبته واحتفاله بالنصارى ، فأراد تخفيف الجالية عنهم ؛ فجعلها فى جملة الإقطاع ، فانتقل كثير من النصارى من بلد إلى أخرى ، فتعذر على مقطع بلده الذى انتقل منها طلبه من البلد الذى انتقل إليها ، وإذا طالبه مباشرو البلد التى انتقل إليها اعتذر أنه ليس من أهل بلدهم ، وأنه ناقله إليها ؛ فضاعت الجوالى بسبب ذلك ، واحتاج مقطعو كل جهة إلى مصالحة من بها من النصارى النواقل على بعض الجوالى ، فأخبرنى بعض العدول الثقات شهود الدواوين أنهم ينادون الجالية من النصارى أربعة دراهم ونحوها ، وكانت قبل ذلك ستة وخمسين درهما ، ولما كانت الجوالى جارية فى الخاص السلطانى كانت الحشار ( انظر ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ١٠ ) تسافر إلى سائر البلاد ويستأدونها منسوبة إلى جهاتها ، وإذا وجد نصرانى فى ثغر دمياط وهو من أهل أسوان أو من أهل حلب أو عكس ذلك أخذت منه الجزية فى البلد الذى يوجد به ، ويكتب المباشرون بها له وصولا ، فيعتد له ببلده ، ويأخذ من كل بلد منسوبة إلى جهتها ، فانفرط ذلك النظام ، وهى الآن على تقريره ؛ ولعمرى لو ملك هذا التقى المسلمانى البلاد ، وعليه جريان اسم الإسلام ؛ ما تمكن أن يحسن إلى النصارى ويخفف عنهم بأكثر من هذا » .

(١) فى ف « تقدمته » ، وفى ب (١٣٥٧) « مقدميه »

(٢) فى ف « واما » ، وكذلك فى ب ( ٣٥٧ ب )

(٣) فى ف « الأجناد ومعرفة الجيش » .

المجلس . فلما فطنوا لذلك أمسكوا عن الكلام والشكر ، بحيث لم يتكلم أحد بعدها إلا جواباً له عما يسأل [السلطان] عنه منهم . وفعل فى عرض المماليك مثل عرض الأجناد ، فكان (٩٣ ب) المملوك[١] إذا تقدم إليه سأله عن اسم تاجره وعن أصله وفرعه ، وكم حضر [من] مصاف [٢] ، وكم رأى [بيكاراً [٣] ] ، وأى قطعة حاصر ؛ فإن أجابه بصدق أنصفه . و [كان السلطان] يخير الشيخ المسنّ بين الإقطاع والرواتب ، فيعطيه ما يختار ، ولم يقطع فى العرض العاجز عن الحركة ، [بل كان] يرتّب [٤] له ما يقوم به عوضاً عن إقطاعه .

واتفق له فى العرض أشياء : منها أنه تقدّم إليه شاب تام الخلقة فى وجهه أثر شبه ضربة سيف ، فأعجبه وناوله مثالا بإقطاع جيد ، وقال له : « فى أى مصف [٥] وقع فى وجهك هذا السيف ؟ » . فقال لقلة سعادته : « يا خوند ! هذا ما هو أثر سيف ، وإنما وقعتُ من سُلّم . فصار فى وجهى هذا الأثر » ، فتبسم وتركه . فقال الفخر ناظر الجيش : « يا خُوند ! ما بقى يصلح ( ٩٤ ا ) له هذا الخبز ! » . فقال [السلطان] « لا ! قد صدقنى وقال الحق ، وأخذ رزقه ، فلو قال أُصبتُ فى المصف [٦] الفلانى من الذى يكذبه ؟ » ، فدعت الأمراء له ، وانصرف الشاب بالمثال . وتقدم إليه رجل ذميم الشكل ، وله إقطاع ثقيل عبرَة ثمانمائة دينار . فأعطاه مثالا وانصرف . فإذا به عبرة نصف ما كان معه . فعاد وقبل الأرض . فسأله السلطان عن حاجته . فقال : « الله يحفظ السلطان ! فإنه غلطَ فى حقى ، فإن إقطاعى كانت عبرته ثمان مائة دينار ، وهذا أربعمائة » . فقال [السلطان] : « بل الغلط كان فى إقطاعك الأول » ؛ فمضى بما قُسم له . فلما انتهت تفرقة المثالات فى آخر المحرم سنة ست عشرة توفر منها نحو مائتى مثال .

(١) فى ف «الجندى» ، وما هنا من ب (٣٥٧ ب) .

(٢) فى ف « مصافا » ، وقد عدّلت العبارة كما بالمتن للتوضيح ؛ والمصاف جمع مصف ، وهو الموقف فى الحرب وموضع الصف فى القتال . (المحيط) .

(٣) ليس لما بين الحاصرتين وجود فى ف ، ولكنه فى ب ( ٣٥٧ ب ) . انظر معنى هذا اللفظ فى المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٠٥ ، حاشية ١ ؛ ص٥٣٦ ؛ ص ٦١٦ ، حاشية ١ ) .

(٤) فى ف « ولم يقطع فى العرض أحدا إلا العاجز عن الحركة فرتب له ... » ، وقد عدلت الجملة وأضيف ما بين الحاصرتين ليستقيم المعنى .

(٥ ، ٦) فى ف «مصاف» . انظر حاشية ٢ بهذه الصفحة .

ثم أخذ (١) [ السلطان ] فى عرض طباق (٢) المماليك ، ووفر جوامك ( ٩٤ ب ) عدة منهم ورواتبهم ، وأعطاهم الإقطاعات . وأفرد جهة قطيا للعاجزين من الأجناد ، وقرر لكل ثلاثة آلاف درهم فى السنة . وارتجع [ السلطان ] ما كانت البرجية قد اشترته (٣) من أراضى الجيزة وغيرها ؛ وارتجع ما كان لبيبرس وبرلغى والجوكندار وغيرهم من المتاجر ، وأضاف ذلك للخاص .

وبالغ [ السلطان ] فى إقامة الحرمة أيام العرض . وعرّف النائب وأكابر الأمراء أنه « منْ ردّ مثالا أو تضرّر أو شكا ضُرب وحُبس وقطع خبزه ؛ وأن أحداً من الأمراء لا يتكلم مع السلطان فى أمر جندى ولا مملوك » ، فلم يجسر أحد [ أن ] يخالف ما رُسِم به .

وغُبن فى [ هذا العرض ] (٤) أكثر الأجناد : فإنهم أخذوا إقطاعات دون التى كانت معهم ؛ وقصد الأمراء التحدث ( ٩٥ ا ) فى ذلك مع السلطان ، والنائب أرغون ينهاهم عنه . فقدّر الله أن السلطان نزل إلى البركة لصيد الكركى ، وجلس فى البستان المنصورى ليستريح ، فدخل بعض المرقدارية — وكان يقال له عزيز — ومن عاداته الهزل قدام السلطان والمزح معه ، فأخذ يهزل على عادته قدام السلطان والأمراء جلوس ، وهناك ساقية والسلطان ينظر إليها . فتمادى [ عزيز ] لشؤم بخته فى الهزل إلى أن قال : « وجدتُ جندى من جند الروك الناصرى وهو راكب إكديش ، وخُرْجُه وبخلاة فرسه ورمحه على كتفه » ، وأراد [ أن ] يتم الكلام . فاشتد غضب السلطان ، وصاح فى المماليك : « عرّوه ثيابه » ؛ فللحال خُلعت عنه الثياب ، وربُط مع قواديس الساقية ، وضربت ( ٩٥ ب ) الأبقار حتى أسرعت (٥) فى الدوران ، وعزيز تارة ينغمر فى الماء وتارة يظهر ، وهو يستغيث وقد عاين

(١) فى ف « فاخذ » .

(٢) الطباق جمع طبقة ، وهى ثكنات الجيش المملوكى بالقلعة ، حيث كانت كل طبقة تضم أبناء الجنس الواحد من المماليك ؛ وقد وصف المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٣ - ٢١٤ ) تنظيم تلك الطباق وأدوار تربية المماليك بها وصفا ضافيا ، كما أنه ذكر أن السلطان الناصر جدّد تلك الطباق الكائنة بساحة الإيوان من القلعة .

(٣) فى ف « اشرته » .

(٤) فى ف « فيه » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٥) فى ف « حتى لسرعة الدوران » . انظر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٩١ ) ، حيث وردت هذه القصة بحذافيرها .

الموت ، والسلطان يزداد غضباً . فلم تجسر الأمراء على الشفاعة فيه حتى مضى نحو ساعتين ، وانقطع حسه ؛ فتقدم إليه الأمير طغاى والأمير قطلوبغا الفخرى وقالا: «ياخوند ! هذا المسكين لم يُرد إلا [أن] يضحك السلطان ، ويطيّب خاطره ، ولم يرد غير ذلك» ، وما زالا به حتى اخرج الرجل وقد أشفى على الموت ، ورُسم بنفيه من أرض مصر ، فحمد الله سبحانه وتعالى الأمراء على سكوتهم وتركهم الشفاعة فى تغيير مثالات الأجناد .

وفى هذه السنة ظهر ببلاد الصعيد فأرعظيم يخرج عن الإحصاء ، بحيث إن مباشرى ناحية أم القصور (١٩٦) من بلاد منفلوط قتلوا فى أيام قلائل من الفأر مبلغ ثلاثمائة وسبعة عشر أردبا ينقص ثلث أردب ، واعتبروا أردبا فجاء عدة ثمانية آلاف وأربع مائة فأر ، وكل ويبة ألف وأربع مائة فأر .

وفيها وقعت نار فى البرج المنصورى من قلعة الجبل وطباق الجدارية ، فأحرقت شيئاً كثيراً ، وذلك فى تاسع عشرى شعبان .

وفيها غُلِّقت كنائس اليهود والنصارى بأجمعها فى مصر والقاهرة ، فى يوم السبت سابع عشرى شوال فلما كان يوم الثلاثاء العشرين من ذى الحجة فتحت الكنيسة المعلقة وخلع على بطرك النصارى .

وفيها حج الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، مع الركب ؛ وكان أمير الركب عز الدين (٩٦ ب) أيدمر الكوكندى .

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر شهاب الدين أحمد بن حسين بن عبد الرحمن الأرمنتى المعروف بابن الأسعد ، يوم الجمعة رابع عشرى رمضان ؛ وكان فقيهاً شافعيا مشكور السيرة . و[مات] جلال الدين اسماعيل [1] بن أحمد بن إسماعيل بن بريق ابن برعس أبو الطاهر القوصى الفقيه الحنفى ، كان متصدراً بجامع [أحمد] بن طولون ، وله فضيلة فى الفقه والقراآت والعربية ، وصنف وحدّث ، وله شعر منه :

أقول له ودمعى ليس يرقا    ولى من عبرتى إحدى الوسائل
حُرِمت الطيف منك ففاض دمعى    وطرفى فيك محروم وسائل

---

(١) فى ف «اسماعيل بن نون بن برعس ...» ، والصيغة المثبتة هنا من الأدفوى (الطالع السعيد ، ص ٨٠) . انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٦٤) .

ومات تقى الدين سليمان (١) بن حمزة بن عمر بن أبى عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى الحنبلى ، قاضى الحنابلة ، بدمشق (٩٧ ا) فى حادى عشرى ذى القعدة ، ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة ؛ وكان فاضلا واسع الرواية ، له معجم فى مجلدين ؛ وتخرّج به جماعة من الفقهاء ، مع الدين والتواضع . ومات شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم بن عبدالسلام بن جميل التونسى المالكى ، بالقاهرة ليلة الحادى والعشرين من صفر ؛ عن ست وتسعين سنة ؛ ودفن بالقرافة ؛ ومولده سنة تسع وثلاثين وستمائة ؛ وناب فى الحكم بالحسينية خارج القاهرة ، ثم ولى قضاء الإسكندرية ، وهو أول من درّس بالمدرسة المنكوتمرية بالقاهرة . ومات السيد الإمام العلامة ركن الدين أبو محمد الحسن بن شرف الدين شاه الحسينى العلوى الأسترابادى ، عالم الموصل ومدرس الشافعية (٩٧ ب) ، وشارح المختصر لابن الحاجب ومقدمتى ابن الحاجب والحاوى فى المذهب ؛ وله سبعون سنة ؛ وأخذ عن النصير الطوسى (٢) ، وتقدم عند التتار وتوفرت حرمته ، وبرع فى علوم المعقولات ، و [ كان ] يجيد الفقه وغيره . ومات شرف الدين محمد بن نصر الله القلانسى التميمى الدمشقى ، فى ثانى عشر المحرم بدمشق ومولده بها سنة ست وأربعين وستمائة ؛ وكان أحد الأعيان الأخيار . ومات الشيخ صفى الدين محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموى — المعروف بالهندى الأرموى — الفقيه الشافعى ، فى تاسع عشرى صفر بدمشق ؛ ومولده ثالث ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة ، وله تصانيف مفيدة ؛ وقدم من الهند إلى مصر بعد حجه ، وسار إلى الروم فأقام (٩٨ ا) بها إحدى عشرة سنة ؛ وسكن دمشق من سنة خمس وثمانين وستمائة وسمع بها ودرّس ، وكان إماماً عالما ديناً . ومات شرف الدين محمد بن تميم الإسكندرانى كاتب الملك المؤيد هزبر الدين صاحب اليمن بها ، وكان إماما فى الإنشاء ، وله نظم (٣) . ومات عز الدين موسى بن على بن أبى طالب الشريف أبو الفتح الموسوى (٤)

(١) فى ف « سليمان بن حمزة عمر بن أحمد بن قدامه ... » . انظر ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ) .

(٢) فى ف « الطواشى » . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٦ ) .

(٣) فى ف «وله نثر» ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٥٨ ب) ، فإنه لا معنى أن يقال إن له نثراً بعد العبارة السابقة . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٤١٢ ) .

(٤) فى ف «المرسوى» ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٥٨ ب ) . انظر ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٧٩ ) ، وكذلك ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٣٨) .

الحنفى العدل ، فى سابع ذى الحجة بمصر ؛ وانفرد بالرواية عن ابن الصلاح والسخاوى ، ورحل الناس إليه . ومات الأمير عز الدين حسين بن عمر بن محمد بن صبرة ، فى تاسع عشر رجب بطرابلس ؛ وولى حاجباً بدمشق مدة ، وكان مشكوراً . ومات الشريف أبو الغيث بن أبى نمى . و [مات] الأمير علاء الدين أيدغدى شقير الحسامى ، أحد مماليك الملك (٩٨ ب) المنصور حسام الدين لاجين ؛ وكان شجاعاً مقداما عجولا ، أحمق متكبراً واسطة سوء ، قُتل فى أول ربيع الأول . ومات حسام الدين قرا لاجين المنصورى الأستادار ، ليلة الأربعاء ثالث عشر شعبان ؛ وكان جواداً خيراً سليم الباطن ، وأنعم بإقطاعه على الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى ، وتوفرت الأستادارية ومات الأمير سيف الدين جيرجين [١] الخازن تحت العقوبة ؛ يوم السبت عاشر ربيع الآخر . ومات الأمير بدر الدين موسى بن الأمير سيف الدين أبى بكر محمد الأزكشى ، بدمشق فى ثامن شعبان ، وكان شجاعا شهماً . و [مات][٢] الملك خربندا بن أبغا بن أرغون فى سادس شوال، وتسمى بمحمد ، وكان رافضيا ، (١٩٩) قتل أهل السنة ، [وكان] منهمكا فى شرب الخمر متشاغلا باللهو ، وقام بعده ابنه أبو سعيد بعهده إليه ، وكان مُحْوَلاً [٣] بإحدى عينيه ، عادلا فى رعيته ، ملك ثلاث عشرة سنة وأشهراً . ومات الأمير سيف الدين كستاى الناصرى نائب طرابلس بها ، وكان جسوراً قوى النفس معجباً بنفسه شديد الكبر ، إلا أنه باشر طرابلس بعفة وحرمة مدة شهرين ، ثم طلب من الناس التقادم وأخذها . ومات الأمير بدر الدين بن الملك المغيث ، فى ثانى شعبان . و [مات] بهاء الدين بن المحلى، فى خامس شعبان . ومات الشيخ جمال الدين محمد بن المهدوى المالكى بمصر . ومات الفقيه شرف الدين بن محيى الدين بن الفقيه نجيب الدين ، فى تاسع رجب . و [مات] الشيخ ناصر الدين (٩٩ ب) أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل يوسف بن محمد بن عبد الله بن المهتار الكاتب ، بدمشق فى سادس عشرى ذى الحجة ، انفرد برواية علوم الحديث بسماعه [٤]

---

(١) فى ف « جرخين » ، وفى ب (٣٥٨ ب) بالجاء بدل الخاء ، والصيغة المثبتة هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٥٣٣) .

(٢) موضع ما بين الحاصرتين بياض فى ف .

(٣) فى ف « مخلا » .

(٤) فى ف « سماعه » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٣٥٩ )

من مؤلفه ابن الصلاح ، وبرواية الزهد لأحمد بن حنبل ، وشيوخه كثيرة[1] ، ومولده في رجب سنة سبع وثلاثين وستمائة . ومات الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الشيخ مرهف ، إمام الجامع الجديد الناصري خارج مصر ، ليلة الأربعاء خامس عشر رجب . ومات الشيخ المقرئ أمين الدين بن الصواف ، المتصدر بجامع عمرو ، بمصر ليلة الجمعة ثاني عشري شعبان . ومات الشيخ ابن أبي مفصلة[2] ، ليلة الأحد سادس عشر رمضان . ومات الشيخ زين الدين المهدوي ، (١٠٠ ا) يوم الخميس تاسع رجب . ومات الطواشي شبل الدولة كافور الأقطواني الصالحي ، شاد الخزانة السلطانية ، ليلة الاثنين رابع عشر ذي القعدة . و[ مات] فتح الدين بن زين الدين بن وجيه الدين بن عبد السلام ، في سابع عشري ذي القعدة .

* * *

سنة ست عشرة وسبعمائة . في المحرم قدم البريد من حلب بموت خربندا ، وجلوس ولده أبي سعيد بعده .

وفي يوم السبت ثالث عشريه سمع بالقاهرة هدة عظيمة شبه الصاعقة ، وتبعها رعد ومطر كثير وبرد ، وغرقت بلبيس لكثرة المطر[3] .

وفي ثامن صفر استقر شمس الدين محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع في قضاء الحنابلة بدمشق ، وجهز له توقيعه من القاهرة ، فلم (١٠٠ ب) يغير زيه ، واستمر يحمل ما يشتريه من السوق بنفسه ، ويجلس على ثوب يبسطه بيده في مجلس الحكم ، ويحمل نعله بيده .

وفي أول ربيع الأول فوضت إمرة العرب بالشام إلى الأمير شجاع الدين فضل ابن عيسى بن مهنا .

و[فيه] قدم البريد بوقوع المطر في قارا وحمص وبعلبك ، وفي بلاد حلب وإعزاز وحارم ، بخلاف المعهود ، وعقبه برد قدر النارنج ، فيها مازنته ثلاث أواق دمشقية ، هلك بها من الناس والأغنام والدواب شيء كثير . وخربت عدة ضياع ، وتلف من التركمان

(١) في ف « كثير » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٥٩) .

(٢) كذا في ف ، وهو في ب (١٣٥٩) ، « ابن أبي عنصله » .

(٣) عبارة المقريزي هنا مشابهة لما جاء بصدد هذا الحادث بالنويري (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ٩٣) .

وأهل الضياع خلق كثير . وغقبَ هذا المطر نزولُ سمك كثير ما بين صغار وكبار بالحياة ، تناوله أهل الضياع واشتووه وأكلوه . وسقط بالمعرة وسرمين عقيب هذا المطر ضفادع كثيرة فى (١٠١ ا) غاية الكبر ، منها ميت ومنها بالحياة ثم نزل ثلج عظيم طمّ القرى وسدّ الطرقات والأودية ، وامتنع السفر حتى بعث النواب الرجال من البلاد والجبال مع الولاة بالمساحى[١]، وعملوا فيها حتى فتحت الطرقات .

وفى سادس عشرى جمادى الأولى استقر قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن صصرى فى مشيخة الشيوخ بدمشق ، عوضاً عن شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله الكاشغرى .

[ وفيها ][٢] رأى السلطان أن يقدم[٣] برشنبو[٤] النوبى ، وهو ابن أخت داود ملك النوبة ؛ فجهز صحبته الأمير عز الدين أيبك على عسكر . فلما بلغ ذلك كرنبس ملك النوبة بعث ابن أخته كنز الدولة بن شجاع الدين نصر[٥] بن فخر الدين مالك ابن الكنز يسأل السلطان فى أمره ، فاعتُقلَ كنز الدولة . ووصل العسكر إلى (١٠١ب) دمقلة ، وقد فرّ كرنبس وأخوه أبرام ، فقبض عليهما وحملا إلى القاهرة ، فاعتقلا . وملك عبد الله برشنبو دمقلة ، ورجع العسكر فى جمادى الأولى سنة سبع عشرة . وأفرج عن كنز الدولة ، فسار إلى دمقلة وجمع الناس وحارب برشنبو ، فخذله جماعته حتى قُتل ، وملك كنز الدولة . فلما بلغ السلطان ذلك أطلق أبرام وبعثه إلى النوبة ، ووعده إن بعث إليه بكنز الدوله مقيداً أفرج عن أخيه كرنبس . فلما

(١) مفرد هذا اللفظ « مسحاة » وهى آلة تستعمل فى سحى الطين وجرفه وإزالته من الطرق . انظر القاموس المحيط .

(٢) موضع مابين الحاصرتين بياض فى ف ، ولكنه فى ب ( ٣٥٩ ب )

(٣) فى ف « يعدم » والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٥٩ ب ) .

(٤) فى ف « برشنبوا » ، وهو فى ب ( ٣٥٩ ب ) « ابن سنبوا » ، والرسم المثبت هنا من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩٥ ) ، حيث ورد أن اسم هذا الأمير النوبى سيف الدين عبد الله برشنبو ، وأنه كان مسلماً ، وقد ربى فى البيت السلطانى من جملة المماليك السلطانية ، فرأى السلطان أن يقدمه فى ذلك الوقت على أهل بلاده ويملكه عليهم .

(٥) ذكر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩٥ ) أن هذا الأمير النوبى كان مسلماً أيضاً .

وصل أبرام خرج إليه كنز الدولة طائعاً ، فقبض عليه ليرسله ، فمات أبرام بعد ثلاثة أيام من قبضه ، فاجتمع[1] أهل النوبة على كنز الدولة وملّكوه البلاد .

[ وفيها أخذ عرب برّية عَيذاب رُسل صاحب اليمن وعدة من التجار وجميع ما معهم ] ، فبعث[2] السلطان العسكر وهم خمسمائة فارس ، عليهم الأمير علاء الدين مغلطاى بن أمير مجلس ، فى العشرين من شوال ؛ (١٠٢ا) فساروا إلى قوص ، ومضوا منها فى أوائل المحرم سنة سبع عشرة إلى صحراء عيذاب ، ومضوا إلى سواكن حتى التقوا بطائفة يقال لها حى الحلبكسة[3] ، وهم نحو الألفى راكب على الهجن بحراب ومزاريق ، فى خلق من المشاة عرايا الأبدان ؛ فلم يثبتوا لدق الطبول ورمى النشاب ، وانهزموا بعد ما قُتل منهم عدد كبير . وسار العسكر إلى ناحية الأبواب ، ثم مضوا إلى دمقلة ، وعادوا إلى القاهرة تاسع جمادى الآخرة سنة سبع عشرة ، وكانت غيبتهم[4] ثمانية أشهر . وكثرة الشكاية من الأمير علاء الدين مغلطاى بن أمير مجلس مقدم عسكرهم ، فأخرج إلى دمشق .

وفيها أغار من الططر نحو ألف فارس على أطراف بلاد حلب ، ونهبوا إلى قرب قلعة كَختْنا[5] ، (١٠٢ب) فقاتلهم التركمان وقتلوا كثيراً منهم ، وأسروا ستة وخمسين من أعيانهم ، وغنموا ما كان معهم ؛ فقدمت الأسرى إلى القاهرة فى صفر سنة سبع عشرة .

وفيها هبت ريح سوداء مظلمة بأرض أسوان وسود وأسنا وأرمنت ، وقدحت لشدة حرها نار عظيمة أحرقت عدة أجران من الغلال . ثم أمطرت السماء ، فعقب ذلك وباء هلك فيه بأسوان وغيرها عالم كبير ؛ ودبّ الوباء إلى الأشمونين .

وفيها أفرج عن الأمير بكتمر الحسامى الحاجب ، وخُلع عليه فى يوم الخميس

---

(١) فى ف « فاجتمعوا » ، وقد حذفت واو الجماعة وأثبت الاسم للتوضيح ، وذلك بعد مراجعة النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص٩٦ ) . ويلاحظ أن ما أورده النويرى بصدد هذه الحوادث أكثر تفصيلا مما هنا .

(٢) فى ف « وبعث » ، وقد عدلت وأضيف مابين الحاصرتين من ب ( ٢٦٠ ا ) .

(٣) كذا فى ف ، وهو فى ب ( ٢٦٠ ا ) الكيكية من الجبشة .

(٤) عبارة النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩٦ — ٩٨ ) بصدد ماوقع لهذه الحملة أكثر شرحا وتفصيلا مما هنا .

(٥) فى ف « كحتا » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٢٦٠ ا ) . انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٧٩ ، حاشية ٥ ) .

ثالث عشر شوال بنيابة صفد ، وأنعم عليه بمائتى ألف درهم ؛ فسار على البريد ودخلها فى آخر ذى الحجة . وكان [بكتمر] فى مدة اعتقاله مكرّما لم يفقد غير ركوب الخيل ، وبعث إليه السلطان (١٠٣ا) بجارية حبلت منه فى الاعتقال ، وولدت ولداً سماه ناصر الدين محمداً ؛ فكانت مدة سجنه سنة وسبعة أشهر وأياما .

وفيها ولى الأمير سيف الدين أرقطاى نيابة حمص فى تاسع رجب ، عوضاً عن شهاب الدين قرطاى بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس فى جمادى الآخرة .

وفيها أخرجت قطيا عن الأجناد ، وأضيفت إلى الخاص ، وخرج إليها ناظر وشاد . وعُوِّض الأجناد بجهات فى القاهرة بعد عرضهم على السلطان ، وأعطى كل منهم نظير ما كان له .

وفيها توجه الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار إلى الأمير مهنا وعاد . وفيها أفرج عن الأمير كراى المنصورى والأمير سنقر الكمالى من سجن الكرك ، وقدما إلى القاهرة فسجنا بالقلعة (١٠٣ب) ومعهما نساؤهما .

وفيها قدمت رسل أزبك ، ورسل ملك الكرج ، ورسل طغاى قريب(١) أزبك بهدايا ؛ فأجيبوا وسيرت إليهم الهدايا . فاجتمع فى هذه السنة ثمانية رسل (٢) : وهم

---

(١) فى ف « فرتب » وقدصححت إلى الرسم المثبت هنا بعد مراجعة ( Howorth: Op. Cit. II. pp . 200,201,1072) حيث ورد أن طغاى كان أميرا على إقليم بشدشه ـ أو بشتاو ـ من بلاد القفجاق ، على أنه لم يذكر قرابة هذا الأمير لأزبك خان .

(٢) تدل القائمة التالية على ما وصلت إليه دولة المماليك من مكانة رئيسية بين الدول بالشرق الأدنى والأوسط فى هذا العصر ، كما تدل على ما كان لها من علاقات بالدول المجاورة ، فإن رسل جوبان جاءوا فى الغالب لمفاوضة السلطان فى أمر ملطية وغيرها من بلاد الأطراف التى أغارت عليها جيوش الدولة المملوكية حديثاً ( انظر ماسبق ، ص ١٤٣ ؛ وكذلك ( Howorth: Op. Cit. III. p . 570 )؛ وقد جاءت رسل إيلخان أبى سعيد تخبر فيما يظهر بتوليته على دولة المغول بفارس ، بعد وفاة أبيه خربندا سنة ٧١٦ هـ ( ١٣١٦ م ) ؛ ولمثل ذلك الغرض أو مايشبهه كان مجىء رسل أزبك وطغاى كما تقدم . أما صاحب برشلونة ، والمقصود بذلك جايم الثانى ( Jayme II,1291-1327 ) ملك أرجونة ، فقد حرص هذا الملك على تنمية العلاقات الاقتصادية والسياسية بينه وبين سلطنة المماليك ، ابتغاء خدمة المصلحة الصليبية العامة ومصلحته الاقتصادية الخاصة فى آن واحد ، وقد تبودلت بينه وبين السلطان الناصر فى ذلك الصدد خطابات محفوظة أصولها العربية والإسبانية .( Atiya : Egypt And Aragon ) ، وكذلك .Heyd:Op.Cit. II.pp. 30.32 ) . وأما رسل صاحب إسطنبول ، والمراد بذلك أندرونيق الثانى (Androntcus II, =

رسل جوبان ، وأبى سعيد ، وأزبك ، وطغاى ، وصاحب برشلونة ، وصاحب إسطنبول ، وصاحب النوبة ، وملك الكرج ؛ وكلهم يبذل الطاعة ، ولم يتفق فى الدولة التركية مثل ذلك ، وأكثر ما اجتمع فى الأيام الظاهرية خمسة رسل .

وفيها سافر فى الرسلية إلى بلاد أزبك الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى مملوك يازى[١]، ومعه حسين بن صاروا[٢] أحد مقدمى الحلقة ، بالهدية فى آخر المحرم : وهى مائتا عدة كاملة ، مابين جوشن[٣] وخوذة (١٠٤ ا) وبركستوان[٤] ، وخلعة كاملة التحتانى أطلس أحمر مزركش ، وشاش كافورى[٥] وبغلطاق[٦] فوقانى مفرّج[٧] مقصّب محقّق[٨] بطرز ذهب ، وكلفتاه ذهب ، وحياصة ذهب ، وفرس مسرجة ملجمة بذهب مرصع ، وجتر ، وسيف بحلية ذهب ؛ وسار معهم بطرك الملكية .

وفيها قدمت أم الأمير بكتمر الساقى . وفيها تغير السلطان على الأمير سيف الدين طغاى ، وضربه بيده بالمقرعة على رأسه ، ثم رضى عنه وخلع عليه .

---

= Palaeologus ) ، فقد تقدمت الإشارة إلى سفاراته السابقة إلى القاهرة (ص١٧ ، ١٢٠ ) ، وربما كان غرض سفارته هذه السنة لا يخرج عما تقدم من أشباهها . وكان ملك النوبة تلك السنة كنز الدولة الذى دانت له البلاد كما تقدم ( ص ١٦١ ) ، والراجح أن رسوله جاء إلى القاهرة ليحصل من السلطان على الاعتراف بتملكه النوبة . وأما ملك الكرج تلك السنة فهو جورجى السادس (Giorgi VI,1310-1318) أو منافسه جورجى الخامس . انظر (Allen: History of the Georgian People ,pp.120.121) ، وكذلك ( Howorth : Op.Cit . III . P . 587 )

(١) بغير نقط فى ف ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٦٠ ب ) . انظر (Zettersteen: Op. it. Cit. P. 156. etc.)

(٢) كذا فى ف ، انظر ( Zettersteen : Op. Cit. p. 166 ) .

(٣) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٦٣ ، حاشية ٤ ؛ ص ٨٩٧ ، حاشية ١ ) .

(٤) انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج١ ، ص ١٧٧ ، حاشية ٥ ) .

(٥) المقصود بالكافورى كل مايشبه فى بياضه خشب الكافور . (Dozy : Supp.Dict. Ar.) .

(٦) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨٤ ، حاشية ١ ) .

(٧) فى ف « مقترح » ، والصيغة المثبتة من القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٥٣ ) ، حيث ورد « خلعة من المفرج المذهب » . وقد شرح ( Dozy: Supp Dict. Ar. ) المفرج من الخلع ما كان مفتوحا ( ouvert ) ؛ أما إذا كان هذا اللفظ وصفاً لغطاء الرأس ، كالبغلطاق الوارد هنا بالمتن ، فمعناه مايكون مكويا فى أعلاه (dont le carrè et comprimé au milieu).

(٨) الراجح أن المحقق هنا القماش المزدحم التحلية من خيوط الذهب أو الفضة ، وقد ترجم (Dozy: Supp. Dict. Ar.) هذا اللفظ إلى ( Compacte, serrè . fermè ) .

و [ فيها ] صُرف بهادر الإبراهيمى من نقابة[١] المماليك ، وبقى على إمرته ؛ وولى عوضه دقاق نقابة المماليك .

وفيها مرضت زوجة الأمير طغاى ، فعادها السلطان مراراً ؛ فلما ماتت نزل الأمراء كلهم للصلاة عليها ، وعمل كريم (١٠٤ب) الدين لها مهما عظيما .

وفيها سار السلطان إلى الصيد فى يوم الجمعة سابع شعبان ، وتوجه إلى بلاد الصعيد . وعاد إلى قلعة الجبل يوم الاثنين تاسع عشر رمضان ، وأعطى الأمراء دستوراً ، ونزل تحت الأهرام .

وفيها توجه كريم الدين إلى الإسكندرية وعاد وهو متوعك ، فخلع السلطان عليه فرجية أطلس أبيض بطراز ، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم .

وكان وفاء النيل يوم الأربعاء حادى عشرى جمادى الأولى - فى ثامن عشر مسرى - بعد أن بلغ فى يوم الثلاثاء أربع عشرة إصبعا من ستة عشر ذراعا . فانقطع الجسر المجاور للقناطر الأربعين[٢] بالجيزة ، فنقص عدة أصابع ؛ وجُمع لسدّه خلق كثير ، غرق منهم نحو ثلاثين رجلا فى ساعة (١٠٥ا) واحدة انطبق عليهم الجسر . ثم جُمع من مصر رجال كثيرة ، وكُتِّفوا وأنزلوا فى مركب وعدتهم سبعون رجلا ، فانقلبت بهم المركب فغرقوا بأجمعهم فى يوم السبت سابع عشره . ثم زاد [ النيل ] حتى أوفى .

وفيها قطعت أرزاق المرتزقة من أرباب الرواتب لاستقبال المحرم ، وعُوّضوا[٣] على جهات أجودها نَستراوَة ، فصارت[٤] سنتهم ثمانية أشهر . وتولى ذلك الصاحب سعد الدين محمد بن عطايا ، والسعيد مستوفى الرواتب . ومنع شهر المحرم ، وصُولح

(١) ليس بالمراجع المتداولة فى هذه الحواشى تعريف أو شرح لهذه الوظيفة ، وربما كان المقصود بها تقدمة المماليك الواردة بالقلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١ ) ، فيكون موضوعها « التحدث على المماليك السلطانية والحكم فيهم ، ولا يكون صاحبها إلا من الخدام ، والعادة أن تكون إمرة طبلخاناه ، وله نائب أمير عشرة » .

(٢) تقدمت الإشارة إلى هذه القناطر فى ص ١٣٠ هنا .

(٣) فى ف « وعرضوا » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٢٦١ ا ) .

(٤) فى ف « فصارت سنتهم ثمانية اشهر اجودها نستراوة » ، وليس بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى ما يساعد على توضيح العبارة ، وقد عدلت إلى الصيغة المثبتة هنا لتكون أقرب للفهم . انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٣٩ ، حاشية ١ ) للتعريف بموقع نستراوة .

من له راتب بثلث المدة — وهى شهران[١] وثلثا شهر — ؛ وأحيلوا على المطابخ ، وثُمِّنت عليهم قُطارَة[٢]، فحُصِّل من كل دينار سدسه . ونزل بالناس من ذلك شدّة ، وحَصَلت ذلة للحرم والأيتام ؛ وسمّاهما[٣] الناس سَعد الذابح وسعد[٤] بُلَع ، (١٠٥ب) وشافهوهما بكل مكروه .

وفيها قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة فى تاسع عشر جمادى الأولى ، ونزل بمناظر الكبش ، وحَمل تقدمته فى غده ، وسار فى تاسع عشر جمادى الآخرة .

وفيها لعب السلطان بالميدان الجديد تحت القلعة فى يوم السبت ثامن جمادى الآخرة ، وخلع على الأمراء وعلى الملك المؤيد [ صاحب حماة ]

وفيها استقر الصاحب أمين الدين بن الغنام ناظر الدواوين بمفرده فى خامس عشر رجب ، بعد موت التقى أسعد كاتب برلغى .

وفيها سافر الفخر ناظر الجيش وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى القدس ، وقدم ابن جماعة فى تاسع عشرى رمضان .

وفيه استقرّ العلم أبو شاكر بن سعيد الدولة فى (١٠٦ا) نظر البيوت[٥] ، واستقرّ كريم الدين أكرم الصغير فى نظر الدواوين ، شريكا لأمين الدين ، فى يوم الأحد أول ذى القعدة . وفيه توجه الأمير أرغون النائب إلى الحجاز .

---

(١) فى ف « شهرين » .

(٢) كذا بضبطه فى ف ، وكذا فى ب (٣٦١ ا) بغير ضبط ، وربما كان صوابه قطاره — بكسر القاف — بمعنى متتابعة ، إذ يقال مرة قطارة جمال ، أى جمال متتابعة فى نسق واحد . ( أحمد أمين ) .

(٣) فى ف « وسماها » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٦١ ب ) ، والضمير عائد على الصاحب ابن عطايا والسعيد مستوفى الرواتب .

(٤) سعد الذابح (Capricorni) اسم لكوكبين متقاربين غير نيرين ، وهما من منازل القمر فى برجى الجدى والدلو ، وقد سمى أحدهما ذابحاً لأن معه كوكباً صغيرا غامضاً يكاد يلزق به ، فكأنه مكب عليه ليذبحه . أما بلع (Aquarii) فهما نجمان نحو من سعد الذابح ، وهما من منازل القمر أيضاً ، أحدهما خفى جدا وهو ما سمى بلع لأنه كان لقرب صاحبه منه يكاد أن يسترطه أو يبلعه . ابن منظور ( نثار الأزهار فى الليل والنهار ، ص ١٣٨ ، ١٧٩ ) ؛ وشرح القاموس مادة سعد ، و: Samaha ( Arabic Names of Stars, pp. 6,10).

(٥) وصف القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ٢٠ ، ٣١ ) صاحب الوظيفة — واسمها نظر البيوت والحاشية — بأنه كان يشارك الأستادار فى عمله ، أى أنه كان يعاونه فى أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشرابخاناه والحاشية والغلمان ، وغير ذلك من الأعمال المنوطة رسميا بالأستادار .

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر عز الدين أحمد بن جمال الدين محمد بن أحمد بن ميسر المصرى ، بدمشق فى ليلة الاثنين أول رجب ؛ ومولده بمصر فى حادى عشرى رمضان سنة تسع وثلاثين وستمائة ؛ وكان فاضلا جليل القدر ولى نظر الدواوين بمصر ، وولى نظر الشام وطرابلس وإسكندرية ؛ ثم تغيرت حالته وانحطت رتبته ، واستقر فى نظر أوقاف دمشق مع الحسبة ؛ وكان عاقلا خبيراً بالولايات ، وفيه لين وسكون (١٠٦ ب) ومروءة وسماح لمن تحت يده من المباشرين . ومات صدر الدين أبو الفداء إسماعيل بن يوسف بن أبى اليسر مكتوم بن أحمد القيسى السويدى الدمشقى ، فى ليلة السبت ثالث عشرى شوال بدمشق ؛ كان فقيهاً مقرئاً محدثاً ، درّس وانفرد بالرواية عن جماعة . ومات الأمير جمال الدين أقوش الأفرم أحد مماليك المنصور قلاون — و [ كان ] نائب دمشق ، فى ثالث عشرى المحرم بهمذان . ومات الشيخ نجم الدين سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفى[(١)] البغدادى الحنبلى ، فى رجب ببلد الخليل عليه السلام ؛ أقام بالقاهرة مدة ، وامتحن بها . ومات شمس الدين عبد القادر بن يوسف ابن مظفر الخطيرى الدمشقى ، فى جمادى الأولى عن إحدى وثمانين سنة ؛ حدّث (١٠٧ ا) ، وولى نظر الخزانة بدمشق و [ كذلك ] نظر الجامع الأموى والمارستان النورى [بها] ؛ وكان ديناً صيّناً . و [مات] الكاتب علاء الدين على بن مظفر بن إبراهيم الكندى — عرف بكاتب ابن وداعة — الأديب البارع المقرئ . [ ومات ] الشيخ صدر الدين محمد بن عمر بن مكى — المعروف بابن المرحل[(٢)]، وبابن الوكيل — فى يوم الأربعاء رابع عشرى ذى الحجة بالقاهرة ؛ ومولده بدمياط فى شوال سنة خمس وستين وستمائة ؛ واستقرّ بعده فى تدريس الزاوية بجامع عمرو[(٣)] شهاب الدين

(١) كذا فى ف ، والنسبة إلى قرية طوف — أوطوفا — القريبة من بغداد . انظر ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ١٥٤ ) ، حيث توجد ترجمة طويلة لهذا الشيخ الذى اتهم بالرفض فى أيامه . انظر أيضاً ابن العماد ( شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٣٩ ) .

(٢) فى ف « الموصلى » والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٦١ ب ) . انظر أيضاً ابن العماد ( شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٤٠ – ٤١ ) .

(٣) فى ف « عمر » والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٦١ ب ) ؛ غير أنه لا يوجد فى ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ١١٥–١٢٣ ) أن هذا الشيخ تولى تلك الوظيفة بمصر ، بل جاء فى ترجمته الطويلة الوافية أنه تولى بها التدريس بالمشهد النفيسى وبالمدرسة الخشابية وبالناصرية الجديدة التى بين القصرين . هذا ومما يوجب الالتفات بصدد هذا الشيخ أيضاً ، أنه كان ممن اتهم فى دينه كالباجربقى والطوفى اللذين تقدمت الإشارة إليهما هنا ( ص ٤ ، ١٦٧ ) ، وأن آراءه فى بعض المسائل كانت =

[ ابن ] الأنصارى ، وفى تدريس المجدية شمس الدين محمد بن اللبان . وقُتل بالكرك من الأمراء سيف الدين أسندمر كرجى ، وسيف الدين بينجار[١] المنصورى ، وبكتوت الشجاعى ، وبيبرس العلمى ، وبيبرس المجنون ، وقطلوبك (١٠٧ ب ) الكبير ، وبكتمر الجوكندار نائب السلطنة ، وبلبان طرنا ؛ خُنقوا فى ليلة واحدة . ومات بطرابلس نائبها الأمير سيف الدين كستاى الناصرى ، فى تاسع جمادى الآخرة ؛ واستقرّ عوضه الأمير شهاب الدين قرطاى الصالحى نائب حمص ؛ وولى حمص أرقطاى الجدار . و [مات] الأمير سيف[٢] الدين طقتمر الدمشقى طنبغا الشمسى ، أحد أمراء مصر ؛ وكان حشما عاقلا . و [ مات ] الصاحب ضياء الدين أبوبكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن أحمد بن شهاب النشائى ، وزير مصر ، فى يوم الاثنين تاسع عشرى رمضان ؛ وكان قد ولى التدريس [٣] [ بالمدرسة التى بجوار ] الشافعى بالقرافة ، ومشيخة الميعاد بالجامع الطولونى ، ونظر ( ١٠٨ ا ) الأحباس و نظر الخزانة ؛ وكان مشكور السيرة ، فقيهاً فاضلا إماماً فى الفرائض مشاركا فى علم الحديث ، كثير الصدقة ؛ وقال [ بعض الشعراء ] يرثيه :

إن بكى الناس بالمدامع حمرا ... فهو شيء يقال من حناء[٤]

فاختم الدست بالنشائى فإنى ... لأرّى الختم دائماً بالنشاء

وكان فى وزارته غير نافذ الأمر ؛ [ و] قال فيه أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى من أبيات :

مزّقوا منصب الوزارة حتى ... لزقوها فى وقتنا بالنشاء

---

= مضادة لما نسب لابن تيمية ، ومع هذا فقد قال فيه ابن تيمية عند سماعه بوفاته « أحسن الله عزاء المسلمين فيك ياصدر الدين ! » . والحاصل أن هذه الشخصيات تنبىء بكثير عن الحياة العقلية فى مصر فى ذلك العصر ، ولمن شاء أن يكتب فى هذا الموضوع البكر أن يتنبه لمرامى تلك الشخصيات كل الانتباه . انظر أيضاً ابن كثير ( البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٨٠ – ٨١ ) ، وابن العماد ( شذرات الذهب ، ٦ ، ص ٤٠ – ٤١ ) .

(١) فى ف « سحا » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٦١ ب ) . انظر أيضاً ص ٦٠ ، حاشية ٤ .

(٢) فى ف « شهاب الدين » ، وما هنا من ب (٣٦٢ ا ). انظر أيضاً (Zettersteen : Op. Cit. P. 164)

(٣) فى ف « ولى تدريس الشافعى » ، وقد عدلت العبارة وأضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٤٤ ) .

(٤) فى ف « حناى » ، وفى ب ( ٣٦٢ ا ) « حسناى » .

وولى بعده نظر الخزانة تقى الدين أحمد بن قاضى القضاة عز الدين عمر بن عبد الله الحنبلى . ومات تقى الدين أسعد الأحول بن أمين الملك - المعروف بكاتب برلغى - ناظر الدواوين ، فى ليلة الاثنين ثامن شهر رجب ؛ فاستقر بعده الصاحب أمين الدين (١٠٨ ب) بن الغنام ؛ والتقى هذا هو الذى كان سبب الروك ، بتحسينه عمل ذلك للسلطان ، و [هو الذى] أدخل جهات المكوس فى ديوان الوزارة وجعلها برسم المطبخ ، وفرّق جوالى الذمة فى الإقطاعات بعدما كانت قلما مفردا ؛ فما زال(١) [رجال الدولة] بالسلطان حتى تنكر عليه وسبّه ولعنه وهدّده بالقتل ، فأثّر فيه الخوف ولزم فراشه حتى مات ؛ وكان من الظلمة اللئام ، واستسلمه(٢) الأمير برلغى ؛ ولم يوجد له بعد موته ، شيء سوى دواة وأثاث لم تبلغ قيمته مائتى درهم . ومات ناصر الدين أبوبكر بن عمر بن السلار(٣) - بتشديد اللام بعد السين المهملة - ، فى ليلة الثلاثاء ثانى عشر المحرم ؛ ومولده ليلة الاثنين تاسع عشر رمضان سنة اثنتين وخمسين وستمائة بدمشق ؛ وكان أديباً بارعا بديع (١٠٩ ا) الكتابة ، وتفنن فى عدة فضائل ؛ وهو من بيت إمارة ، ومن شعره :

لعمرك ما مصرٌ بمصر وإنما هى الجنـــة الدنيا لمن يتبصرُ
فأولادها الولدان من نسل آدم وروضتها الفردوس والنيل كوثرُ

ومات الطواشى ظهير الدين مختـــار المنصورى - المعروف بالبلبيسى - الخازندار ، بدمشق فى عاشر شعبان ؛ وكان يقرأ القرآن ، وفيه شجاعة وشهامة ؛ وفرّق ماله على عتقائه قبل موته ، ووقف أملاكه على تربته . و [مات] الأمير بدر الدين محمد بن كيدغدى بن الوزيرى ، بدمشق فى سادس عشر شعبان . و [ماتت] المسندة المعمرة ست الوزراء أم محمـــد ، [وتدعى(٤)] وزيرة ، ابنة عمر بن أسعد

(١) فى « فما زالوا » ، وقد عدلت بالإضافة بين الحاصرتين للتوضيح .

(٢) استسلم فلان لفلان انقاد (المحيط) ، ولعل المقصود بهذا الفعل هنا أن الأمير برلغى هو الذى طلب إلى الأسعد تقى الدين أن يعتنق الإسلام ، غير أنه يوجد فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) أن المستسلم رئيس كتاب الحسابات الخاصة بمسجد من المساجد (Le chef des câtibs ou écrivains qui règlent les comptes de la mosquée) ، فربما قصد المقريزى أن يقول تجوزا إن الأمير برلغى اتخذ تقى الدين هذا كاتبا .

(٣) هذا ضبط نهائى لا لبس فيه للفظ « سلار » ، وهو اسم الأمير صاحب الحوادث الكبرى فى الأيام الأولى للسلطان الناصر محمد .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنه ، ج ٢ ، ص ١٢٩) .

ابن المنجا التنوخية ، بدمشق فى ثامن عشر شعبان ؛ ومولدها فى سنة أربع وعشرين وستمائة ؛ وحدّثت (١٠٩ب) بصحيح البخارى فى القاهرة ومصر وقلعة الجبل ، سنة خمس وسبعمائة . و [ مات ] القاضى فخر الدين على بن قاضى القضاة تقى الدين محمد ابن دقيق العيد ، فى يوم الثلاثاء عشرى رمضان ؛ ومولده بقوص سنة تسع وخمسين وستمائة ؛ وانقطع بعد أبيه للاشتغال ، ودرّس بالكهارية[1] من القاهرة . ومات الكاتب المجود نجم الدين موسى بن على بن محمد بن البصير الدمشقى ، بها فى عاشر ذى القعدة ؛ وولد سنة إحدى وخمسين وستمائة ؛ وكان شيخ الكتابة بدمشق . ومات نجاد بن أحمد بن حجى أمير آل مرا ؛ وحَضر[2] ثابت بن عساف[3] بن أحمد بن حجى إلى القاهرة ، واستقرّ عوضه . وقُتل سيف الدين خاص بك ، فى يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى ، ضُربت عنقه ؛ وكان ( ١١٠ ا ) ممن فرّ إلى بلاد المغرب وقُبض عليه . ومات الشيخ نور الدين الكنانى المقرئ ، ليلة الأربعاء عشرى جمادى الأولى بروضة مصر . [مات] سراج الدين عمر الأسعردى ، فى يوم الأربعاء ثالث رجب . و [مات] الطواشى شبل الدولة كافور الطيبرسى — الشهير بالعاجى — يوم الخميس ثامن عشر رجب . و [مات] جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، يو الثلاثاء رابع عشرى رجب . و [ مات ] شهاب الدين أحمد بن العسقلانى ، إمام جامع المنشاة[4] ، يوم الأربعاء سلخ رجب . و [مات] شرف الدين محمد بن عبد الحميد — المتصدّر بجامع عمرو — بمصر يوم الأحد تاسع عشر شعبان ؛ ومولده سنة أربع وعشرين وستمائة ، وكان معتقدا .

* * *

(١) فى ف « الهكارية » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٦٢ ب ) . انظر أيضاً المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤١ ) ، حيث ورد أن هذه المدرسة الكهارية كانت بالدرب المعروف بذلك الاسم ، وأن موقع ذلك الدرب بجوار حارة الجودرية والقماحين .

(٢) فى ف « خضر » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٦٢ ب ) .

(٣) كذا فى ف وهو فى ب ( ٣٦٢ ب ) « غسان » .

(٤) فى ف « المشاه » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٦٢ ب ) ، إذ الواضح أن الجامع المقصود هنا جامع منشاة المهرانى الذى بناه الأمير سيف الدين بلبان المهرانى ، فى عصر السلطان الظاهر بيبرس . ( المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦ ؛ ج ٢ ، ص ٢٩٨ ) .

سنة سبع عشرة وسبعمائة . ( ١١٠ ب ) أول المحرم قدم طيبغا الحموى مبشراً بسلامة الحاج ؛ ووصل القاضى كريم الدين ناظر الخاص من القدس يوم الاثنين سادسه . وقدم الأمير سيف الدين أرغون النائب من الحجاز يوم الثلاثاء سابعه .

وفيه مرضت امرأة الأمير سيف الدين طغاى ، وماتت (١) ، فأكثر زوجها من الصدقة ، وفرّق بداره التى كانت للملك المنصور قلاون بالقاهرة مالا على الفقراء ، [ و ] هلك فى الزحام اثنا عشر شخصاً وبهيمة كانت تحت أحدهم .

وفى حادى عشرى صفر شنع الناس بموت القاضى كريم الدين ، فركب فى سادس عشريه وصعد إلى مصر ، فزُينت له وأوقدت الشموع .

و [ فيه ] قدم البريد بمحضر ثابت على قاضى بعلبك بنزول مطر فى يوم الثلاثاء سابع ( ١١١ ا ) صفر ببعلبك ، عَقِبَه سيل عظيم أتلف شيئاً كثيراً ، وهدم قطعة من السور ، وغرّق المدينة ، وتلف بها شىء كثير ، ومات ألف وخمسمائة إنسان سوى من مات تحت الردم ؛ وانهدم منه(٢) بستاناً ، وثلاثة عشر جامعاً ومدرسة ومسجداً ، وسبعة عشر فرناً ، وأحد عشر طاحوناً ، وهدّم برجا من السور ارتفاعه ثمانية وثلاثون(٤) ذراعاً ودوره من أسفله ثلاثة عشر ذراعاً ، ذَهَبَ جميعه .

وفى ثالث عشر جمادى الأولى — وهو يوم السبت تاسع عشرى أبيب — قدم المفرد إلى مصر وعلّق الستر ، فنقص النيل فى ليلة الأحد ثلاثة أصابع ؛ فخُلّق المقياس يوم ( ١١١ ب ) الأحد ، وفُتح الخليج مع النقص ؛ ثم رَدّ [ النيل ] وزاد إصبعين نودى بهما يوم الأربعاء ثالث مسرى . واستمرت الزيادة ، فكان ينادى فى اليوم بتسعة أصابع وما دونها حتى بلغت الزيادة فى يوم الأحد رابع عشرى توت — وهو ثالث رجب — ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع ، وفسد من ذلك عدة مواضع لقلة الاعتناء بالجسور .

---

(١) ذكرت هذه الوفاة ضمن أخبار السنة الماضية فيما سبق .

(٢) الضمير عائد على المطر .

(٣) فى ف « واربعين » .

(٤) فى ف « وثلاثين » .

وفى(١) بكرة يوم الخميس رابع جمادى الأولى سار السلطان ومعه خمسون أميراً، وكريم الدين الكبير ناظر الخاص ، والفخر ناظر الجيش ، وعلاء الدين بن الأثير كاتب السرّ ، بعد ما فرّق فى كل واحـــد فرساً مسرجا وهجينين ، وبعضهم ثلاثة هجن . وكتب [ السلطان ] إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يلقاه بالإقامات لزيارة ( ١١٢ ا ) القدس ؛ فتوجه إلى القدس ، ودخل إلى الكرك ، وعاد فى رابع جمادى الآخرة ، فكانت غيبته أربعين يوماً .

وفى ثامن عشره قدم الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى ومعه الأمير سيف الدين بهادر آص ، والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار ، من سجن الكرك ؛ فخلع [ السلطان ] عليهما ، وأنعم على بهادر بإمرة فى دمشق ؛ ولزم بيبرس داره ، ثم أنعم عليه بتقدمه ألف على عادته .

و [ فيه ] صرف أمين الدين عبد الله بن الغنام من نظر الدواوين ، ونزل بتربته من القرافة ؛ واستقر التاج إسحاق بن القماط(٢) والموفق هبة الله مستوفى الأمير سلار فى نظر الدواوين عوضه ، نقلاً من استيفاء الدولة ؛ واستقرّ كريم الدين أكرم الصغير فى نظر الكارم(٣) ودار(٤) القند فى ( ١١٢ ب ) ثالث عشريه ؛ وخلع على الثلاثة فى يوم السبت خامس عشريه .

(١) هذه الفقرة واردة فى ب ( ٣٦٤ أ ) قبل الفقرة السابقة ، ولقد كان من الضرورى اتباع ترتيب نسخة ب محافظة على التتابع الزمنى ، لولا أنه يؤدى إلى اضطراب فى تصفيح نسخة ف التى هى أصل للنشر هنا .

(٢) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ( ٣٦٤ ا ) ، واسمه فى ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٥٣ ) إسحاق بن عبد الكريم القبطى .

(٣) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٣٩ ، ٨٩٩ ، حاشيه ٢ ) لشرح لفظ الكارم ؛ أما وظيفة نظر الكارم ، وهى الوظيفة الثالثة عشرة فى باب الوظائف الديوانية الكبرى فى الدولة المملوكية ، واسمها « نظر البهار والكارمى » ، فقد عرفها القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٢ ، بالآتى : « وموضوعها التحدث على واصل التجار الكارمية من اليمن من أصناف البهار وأنواع المتجر ، وهى وظيفة جليلة ، ، تارة تضاف إلى الوزارة وتجعل تبعاً لها ، وتارة تضاف إلى الخاص وتجعل تبعاً له ، وتارة تنفرد عنهما بحسب مايراه السلطان » .

(٤) القند عسل قصب السكر ( محيط المحيط ) ، وهو المعروف فى الإنجليزية بلفظ ( treacle ) أو ( molasses ) ، وفى الفرنسية بلفظ ( mélasse ) . وكان القند يرد من مصانع السكر ببلاد الصعيد مثل بلدة ملوى إلى دار خاصة به بالفسطاط ، وموقعها حسبما ورد فى ابن دقاق ( الانتصار ، ج ٤ ، ص ٦ ) خطة خارجة ابن حزامة الصحابى ، غربى دار البركة ؛ هذا وقد ذكر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ٢٠٤ ) أنه كان لهذه الدار مكس اسمه رسوم دار القند ، وقد ألغاه صلاح الدين الأيوبى ضمن ما ألغاه من المكوس فى أوائل سلطنته .

وفى رابع رجب تقطّعت جسور منية الشيرج وقليوب ، وغرقت ليلة خامسه ؛ وفرّ أهلها وتلفت أموالهم وغلالهم . فركب متولى القاهرة وغلّق سائر الحوانيت والأسواق ، وأخذ الناس والعسكر والأمراء لتدارك ما بقى من الجسور .

و [فيه] قدم الأمير محمد بن عيسى ومعه ابن أخيه موسى بن مهنا ، فأنعم عليهما .

وفى يوم الإثنين ثامن عشره صُرف قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى عن قضاء مصر خاصة ، واستقرّ عوضه سراج الدين عمر بن محمود بن أبى بكر الحنفى قاضى الحسينية ؛ فجلس [ سراج الدين ] للحكم فى يوم الثلاثاء تاسع عشره ، ومات ليلة الثانى والعشرين (١١٣ ا) من رمضان ، وعاد ابن الحريرى إلى قضاء مصر . وكان سبب عزله أنه بالغ فى الحط على الكتاب من النصارى والمسالمة ، [وأخرق[1] ] بجماعة منهم وضربهم ؛ و [ كان ] إذا رأى نصرانيا راكبا أنزله وأهانه ، وإذا رأى عليه ثياباً سرية [2] نكل به ؛ فضاق ذرعهم به ، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين الكبير . فلما أخذ السلطان دار الأمير سلار ودورَ أخوته وقطعة من الميدان ، وأنشأ الأمير سيف الدين بكتمر الساقى المظفرى قصرا فى موضع ذلك على بركة الفيل ، أراد [ السلطان ] أن يدخل فيه قطعة من أرض بركة الفيل ، وهى فى أوقاف الملك الظاهر بيبرس على أولاده ، فأراد استبدال ما يحتاج إليه منها بموضع آخر ، وأراد من ابن الحريرى الحكم ( ١١٣ ب ) بذلك كما هو مذهبه فأبى ، وجرت بينه وبين السلطان مفاوضة قال فيها : « لا سبيل إلى هذا ، ولا يجوز الاستبدال فى مذهبى » ، ونهض قائما ، وقد اشتد حنق السلطان منه . فسعى السراج عند كريم الدين الكبير فى قضاء مصر ، ووعد بأنه يحكم بذلك ، فأجيب وحَكم بالاستبدال وصار ابن

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٣٦٤ ب ) .

(٢) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ( ٣١٣ ب ) ، وليس بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى ما يدل على وصف هذه الثياب ، ماعدا المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٨١ ؛ ج ٢ ، ص ٤٩٩ ) فإنه ذكر أن الثياب السرية كانت تصنع ببلدة تنيس . انظر أيضا نفس المرجع ــ Wiet ــ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ٢١٣ ؛ ج ٤ ، ص ٣٢٠ ) . غير أنه يلاحظ أن السرى بن الحكم ، والى مصر من قبل الخليفة المأمون ، وكذلك ولديه محمد وعبيد الله من بعده ، كانوا يعتصمون أحيانا ببلدة تنيس أثناء الفتن الداخلية التى وقعت بمصر مدة ولاياتهم ، وربما نسب تلك الثياب المصنوعة بتنيس إلى السرى بن الحكم أو أحد ولديه ، لكثرة ما أقاموا بها واعتمدوا على أهلها فى أزماتهم . انظر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٧٨ ـ ١٨١ ) .

الحريرى على قضاء الحنفية بالقاهرة فقط ، فرض السراج عقيبها إلى أن مات فى ثالث عشرى رمضان ؛ فعدّ ذلك من بركة الحريرى ، وأعيد إليه قضاء مصر .

وفى أواخر شعبان عدى جماعة من الططر الفرات ، وقدم دمشق فى سادس رمضان منهم أمير كبير اسمه طاطاى فى مائة فارس بنسائهم وأولادهم ، ( ١١٤ ا ) ودخلوا القاهرة فى شوال .

وفى رمضان عادت الرسل من عند أزبك ، وهم أيدغدى الخوارزمى ومن معه ، وصحبته رسل إزبك [١] .

وفيه قدم البريد بأنه ظهر فى سابع عشر ذى القعدة رجل من أهل قرية قرطياوس[٢] من أعمال جبلة زعم أنه محمد بن [ الحسن [٣] ] المهدى ، وأنه بينما هو قائم يحرث إذ جاءه طائر أبيض فنقب جنبه وأخرج روحه وأدخل فى جسده روح محمد بن الحسن ؛ فاجتمع عليه من النصيرية القائلين بإلهية على بن أبى طالب نحو الخمسة آلاف ، وأمرهم بالسجود له فسجدوا ، وأباح لهم الخمر وترك الصلوات ، وصرّح بأن لا إله إلا على ولا حجاب إلا محمد ، ورفع الرايات الحمر ، وشمعة كبيرة ( ١١٤ ب ) تقد بالنهار ويحملها شاب أمرد زعم أنه إبراهيم بن أدهم ، وأنه أحياه [٤] ، وسمى أخاه المقداد بن الأسود الكندى ، وسمى آخر جبريل ، وصار يقول له : « اطلع إليه وقل كذا وكذا » ، يشير إلى البارى سبحانه وتعالى ، وهو بزعمه على بن أبى طالب ، فيخرج المسمى جبريل ويغيب قليلا ، ثم يأتى ويقول : « افعل رأيك » . ثم [ جمع هذا الدعى أصحابه و ] هجم على جبلة يوم الجمعة العشرين منه ، فقتل وسَبى وأعلن

---

(١) كانت هذه السفارة ، حسبما ذكر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٠٥ ) بسبب طلب السلطان الناصر إلى الملك أزبك أن يزوجه من إحدى بنات ملوك البيت الجنكزخانى ، وقد جاءت رسل أزبك تخبر بشروط الخطبة ، وهى « مائة طمان من الذهب ـ والطمان عشرة آلاف دينار ، فيكون جملة ذلك ألف ألف دينار ـ ، وألف ألف فرس ، وألف عدة كاملة للحرب ، وغير ذلك ؛ واشترطوا أن تحضر لتسلمها جماعة من الأمراء ونسائهم وغير ذلك من الشروط التى لا تمكن الإجابة إليها . فنزل السلطان عن هذه الخطبة ، وعدل عنها إلى ماجرت به العادة من المكاتبات بينه وبين الملك أزبك . ثم كان من خبر إرسال المخطوبة من غير استدعاء من السلطان » . انظر ما يلى .

(٢) كذا فى ف بغير ضبط . انظر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١١٣ ــ ١١٤ ) ، حيث توجد قصة هذا الرجل بتفصيل ، ومنه أضيف مابين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها للتوضيح .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلى ، وهو بهذه الصيغة فى ب ( ١٣٦٤ ) .

(٤) عبارة النويرى ( نهايه الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١١٤ ) هنا « وانه اخاه .

بكفره ، وسبّ أبا بكر وعمر رضى الله عنهما . فجرّد إليه نائب طرابلس [ الأميرُ شهابُ الدين قرطاى ] الأميرَ بدرَ الدين بيليك العثمانى [المنصورى] على ألف فارس فقاتلهم إلى أن قُتل [ الدعى ] ؛ وكانت مدة خروجه إلى قتله خمسة أيام (١) .

و [فيه] قدم كتاب المجد إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلامى (١١٥ ا) بإذعان الملك أبى سعيد بن خربندا ، ووزيره خواجا على شاه ، والأمير جوبان ، والأمراء أكابر المغل للصلح ، ومعه هدية من جهة خواجا رشيد الدين . فجهزت إلى أبى سعيد هدية جليلة من جملتها فرس وسيف وقَرْقَل (٢) .

و [فيه] أفرج عن الشريف منصور بن جماز أمير المدينة النبوية ، وكان قد قُبض عليه وحضر مع أمير الركب ، وأعيد إلى ولايته عوضاً عن [أخيه] ودِىّ (٣) [بن جماز ] ؛ وسار [منصور إلى المدينة] ومعه عز الدين أيدمر الكوندكى .

و [فيه] قدم البريد من حلب بخروج ريح فى يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الأول وقت العصر سوداء مظلمة تمادت تلك الليلة ، ومن الغد عقبها برق ورعد عظيم ومطر غزير وبُرُدٌ كبار ؛ وجاء سيل لم يعهد مثله ، فأخذ كل ما مرّ به من شجر وغيره ؛ (١١٥ ب ) وتكوّن عمود من نار متصل بالسماء اقتلع كنيسة كبيرة من عهد الروم ، ومشى بها رمية سهم ، ثم فرّقها الريح حجراً حجراً .

و [فيه] قدم الخبر بعود حميضة من العراق إلى مكة ، ومعه نحو الخمسين من المغل ، فمنعه أخوه رميثة من الدخول إلا بإذن السلطان ، فكتب بمنعه من ذلك ما لم يقدم إلى مصر .

---

(١) كان من أسباب تلك الثائرة روك نيابة طرابلس ، الواقعة بها جبلة وغيرها من بلاد النصيرية ( انظر ما يلى لتعريف النصيرية ) ، إذ أعقب ذلك الروك توزيع جديد للإقطاعات ، وتعديل فى الضرائب والمكوس ، مما أدى إلى كثير من القلق والسخط فى النفوس بين الناس . وسيلاحظ القارىء أن المقريزى قد أورد أخبار ذلك الروك فيما يلى هنا ( ص ١٧٦ ) ، أى فى غير ترتيبه الزمنى ، كما أنه كرر خبر تلك الثائرة وشيئاً من أسبابها فى ص ١٧٧ ؛ على أن المسألة كلها واردة بالنويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٠٥ ، وما بعدها ) ، وهى منقولة منه فى ملحق رقم ١ بآخر هذا الجزء من كتاب السلوك .

(٢) القرقل — والجمع قرقلات — نوع من الدروع المزردة (espèce de cuirasse) . انظر ( Dozy : Supp. Dict. Ar. ) ، وكذلك المقريزى (كتاب السلوك ، ١ ، ص ٧٤٧ ، حاشية ٤ ) .

(٣) ضبط هذا الاسم من القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٠١ ) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح .

و[فيه] قبض على الأمير أقبغا الحسنى، وضرب وأخرج إلى دمشق على إمرة، من أجل أنه شرب الخمر؛ ووُسِّط خازن داره، وقُطعت ألسنة جماعة من أصحابه، وكُحل جماعة منهم.

وفيه قدم الشريف رميثة أمير مكة فاراً من أخيه حميضة، وأنه ملك مكة وخطب لأبى سعيد بن خربندا وأخذ أموال التجار؛ فرُسم بتجريد الأمير (١١٦ ا) صارم الدين أزبك الجرمكى، والأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمى، فى ثلاثمائة فارس من أجناد الأمراء، مع الركب إلى مكة.

وفيه عزل الأمير ركن الدين بيبرس أمير آخور من الحجوبية، واستقر عوضه الأمير سيف الدين ألماس، وكان [ألماس] تركيا غتميا لا يعرف باللسان العربى.

وفيها أخرج إلى الشام الأمير عز الدين أيدمر الدوادار، وعلاء الدين على الساقى، وعلاء الدين مغلطاى السنجرى، وطغاى الطباخى، وشرف الدين قيران الحسامى أمير علم، وأنعم عليهم بإمريات وإقطاعات بها.

وفيه قدم مندوه الكردى الفارّ من أسره بملطية بعدما أمّن، فأنعم عليه بإمرة فى دمشق.

وفيه حاصر الأمير سنجر (١١٦ ب) الجاولى نائب غزة قلعة سلع[١] — ومعه نحو العشرة آلاف فارس – مدة عشرين يوما إلى أن أخذها، وقتل من أهلها ستين رجلا من العرب المفسدين، وغنم العسكر منها شيئاً كثيراً؛ ورتب [الجاولى] بها رجالا وعاد إلى غزة.

وفى جمادى الأول استقر فخر الدين أحمد بن تاج الدين سلامة السكندرى المالكى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن جمال الدين محمد بن سليمان بن سومر[٢] الزواوى بعد موته، فسار [فخر الدين] إليها من القاهرة، وقدمها فى عشريه.

وفيه كان روك المملكة الطرابلسية على يد شرف الدين يعقوب ناظر حلب، فاستقر أمرها لاستقبال رمضان سنة عشر وسبعمائة الهلالى، ومن الخراجى لاستقبال مغل سنة

---

(١) عرف ياقوت (معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٧) هذا الموضع بأنه حصن بوادى موسى عليه السلام، قرب بيت المقدس. انظر أيضا (Le Strange : Palest. Under Moslems P. 528).

(٢) فى ف «سويد»، وكذلك فى ب (١٣٦ ا)، والرسم المثبت هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٤٨)، وابن العماد (شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٥).

سبع (١١٧ ا) عشرة . وتوفّر بهذا الروك إقطاعات ستة أمراء طبلخاناه ، وثلاثة إقطاعات أمراء عشروات ، وأبطل منها رسوم الأفراح ، ورسوم السجون[١] ، وغير ذلك من المكوس التى كان مبلغها فى كل سنة مائة ألف درهم وعشرة آلاف درهم ؛ وقدم شرف الدين بأوراق الروك إلى القاهرة .

وفيه قدم الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى وحسين بن صارُوَا وبطرك الملكية من بلاد أزبك ، ومعهم عدة [من] رسـل أزبك : وهم شرنك وبغرطاى وقرطقا وعمر القرمى ، ورسل الأشكرى صاحب قسطنطينية ، وهم خادمه وكبير بيته ميخائيل وكاشمانوس وتادروس ، ومعهم[٢] الهدايا : فهدية أزبك (١١٧ ب) ثلاث سناقر وستة مماليك وزردية وخوذة فولاذ وسيف ؛ فأكرموا وأعيدوا مع الأمير سيف الدين أطرجى[٣] والأمير سيف الدين بيرم خجا ، بهدية قيمتها عشرة آلاف دينار .

وفيه سافر السلطان إلى الصيد بالبحيرة ، وأقام أياما وعاد . وفيه أعطى السلطان زين الدين قراجا التركمانى النازل بالبركة إمرة .

وفيه استقر الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبى فى كتابة السر بدمشق ، بعد موت شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى . واستقر الأمير سيف الدين ألجاى[٤] دَوَادَاراً ، بعد موت بهاء الدين أرسلان .

وفيه طلّق السلطان زوجته خوندا أردكين[٥] ابنة الأمير سيف الدين (١١٨ ا) نوكاى . وفيه أنعم على الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا بإقطاع الأمير سيف الدين قُلى السلاح دار ، بعد موته . وحجّ بالركب الأمير سيف الدين قجليس ، ومعه من الأمراء شرف الدين أمير حسين بن جندر وغُرْلُوا[٦] الجوكندار ، وسيف الدين

(١) تقدم شرح هذه الرسوم وغيرها من أنواع المكوس ، فيما يخص مصر ، فى ص ١٥٠ وما بعدها .
(٢) فى ف « وهم حادمه » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٣٦٥ ) .
(٣) فى ف « اطوحي » ، والرسم المثبت هنا من (Zettersléen : Op. Cit. p. 169) .
(٤) مضبوط هكذا فى ف . انظر (Zettersléen : Op. Cit. p. 182) .
(٥) فى ف « اردوبكين » ، وفى ب ( ١٣٦٥ ) « اردوتكين » . انظر ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٤٧ ) ، والمقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧١٧ ، ٩١٧ ، ٩٥٢ ) ، حيث ورد هذا الاسم بغير واو .
(٦) فى ف « عزلوا » . انظر ما سبق هنا ، ص ٦٩ .

ألجاى الساقى ، وسيف الدين طقصُبا الظاهرى ، وشمس الدين سنقر المرزوقى ، وحجّ أيضاً الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأخوه محمد ، فى عدّة من عرب آل فضل بلغت عدتهم نحو اثنى عشر ألف راحلة .

وفيه تمزّقت جماعة الثائر(١) بجبلة ، وكان قد قام فى النصيرية (٢) وادعى أنه المهدى ، وأن دين النصيرية حق ، وأن الملائكة(٣) تنصره . فركب العسكر وقاتلوه فقُتل ، ورُسم أن يُبنى بقرى النصيرية فى كل قرية مسجد ، وتُعمل (١١٨ ا) له أرض لعمل مصالحه ، وأن يمنع النصيرية من الخطاب — وهو أن الصبى إذا بلغ الحلم عملت له وليمه ، فإذا اجتمع الناس وأكلوا وشربوا حلفوا الصبى أربعين يميناً على كتمان مايودع من المذهب ، ثم يعلمونه(٤) مذهبهم وهو إلهية على بن أبى طالب ، وأن الخمر حلال ، وأن تناسخ(٥) الأرواح حق ، وأن العالم قديم ، والبعث بعد الموت باطل ، وإنكار الجنة والنار ، وأن الصلوات خمس(٦) وهى إسماعيل وحسن وحسين ومحسن وفاطمة ، ولا غُسْل من جنابة ، بل ذِكر هذه الخمسة يغنى عن الغسل وعن الوضوء ، وأن الصيام عبارة عن ثلاثين رجلا وثلاثين امرأة ذكروهم فى كتبهم ، وأن إلههم على بن أبى طالب خَلَق السموات والأرض ( ١١٩ ا ) ؛ وهو الربّ ؛ وأن محمداً هو الحجاب وسلمان هو الباب .

ومات فى هذه السنة من له ذكر شمس الدين أبو العباس أحمد بن يعقوب بن ابراهيم الأسدى الطّيّبى (٧) ؛ بطرابلس فى سادس عشرى رمضان ، عن تسع وستين سنة ؛ كان أديباً فاضلا ، باشر الإنشاء مدة ، ونقل إلى طرابلس فى توقيعها إلى أن مات ، ومن شعره :

هجرتُ الخمر لما صحّ عندى  بأن الخمر آفة كل طاعة

---

(١) فى ف « التايز » ، وفى ب « الثاير » .

(٢) النصيرية فرقة من غلاة الشيعة ، وقد انتشر مذهبها فى أوقات مختلفة بشمالى الشام ومصر والأراضى الفراتية ، وتنسب إلى مؤسسها محمد بن نصر النميرى العبدى ، وقد عرفت أيضا باسم النميرية . (Ency Isl. Art. Nusairia)

(٣) فى ف « الملكية » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٦٥ب) .

(٤) فى ف « يعلموه » .

(٥) فى ف « مانخ الأدواح » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٦٥ ب ) .

(٦) فى ف « الخس » والرسم المثبت هنا من ب (٣٦٥ ب ) .

(٧) بغير ضبط فى ف ، ولعل النسبة إلى بلدة الطيب الواقعة بين واسط وخوزستان . ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٦٦ ) . انظر أيضا ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٣٦ ، ٣٤١ ـ ٣٤٤ ) .

ولم ترَ مقلتى فى الخمر شيئاً سوى أن تجمع الأحباب ساعة

و[مات] الأمير بهاء الدين أرســـلان الدوادار الناصرى ، يوم الثلاثاء ثالث عشرى رمضان ، فوجد له مال جزيل : منه أربعون حياصة ذهباً ، وأربعون كلفتاه زركش ، ومبلغ ثلاثين ألف دينار ، وإليه(١) تنسب خانكاه بهاء الدين بمنشاة المهرانى . و [مات] شرف الدين عبد الوهاب (١١٩ب) بن فضل الله العمرى كاتب السر ، يوم الثلاثاء ثالث رمضان بدمشق ، ومولده سابع ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، حدّث عن ابن عبد السلام ، وبرع فى الأدب ، وكان ديّناً عاقلا وقوراً ، ناهضاً ثقة أميناً مشكورا ، مليح الخط جيد الإنشاء ، فولى بعده شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبي أحد كتاب الدرج بديار مصر ، نقل إليها من القاهرة ، فقدم دمشق ثامن عشــــرى شوال . و[مات] فخر الدين عثمان بن بلبان بن مقاتل ، معيد(٢) المدرسة المنصورية بين القصرين ، وكان فاضلا ، حدّث وروى وحصّل وكتب وخرّج ، ومات عن اثنتين وخمسين سنة . و [مات] علاء الدين على بن فتح الدين محمد بن محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر السعدى ، أحد (١٢٠ ا) أعيان كتاب الإنشاء ، يوم الخميس رابع رمضان ، وكان عالى الهمة صاحب مكارم ، وتمكن من الأمير سلاّر أيام نيابته ، فإنه كان موقّعه . و [مات] زين الدين محمد بن سليمان ابن أحمد بن يوسف الصنهاجي المراكشي الإسكندارنى ، فى أول يوم من ذى الحجة . و [مات] جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الربيع سليمان بن سومر(٣) الزواوى المالكي قاضى دمشق ، فى تاسع جمادى الأولى بها ، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة ، وقدم الإسكندرية وهو شاب ، وتفقه بها حتى برع فى مذهب مالك ، وأكثر من سماع الحديث ، فسمع من ابن رواج والسبط وأبى عبد الله المرينى وأبى العباس

(١) فى ف « وانه » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٦٦ ا) .

(٢) عرّف القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٤ ) المعيد تعريفا دقيقا بالآتى : «وهو ثانى رتبة المدرس ... ، وأصل موضوعه أنه إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف ، أعاد [المعيد] للطلبة ما ألقاه ليفهموه ويحسنوه » . ويلاحظ أن وظيفة المدرس كانت أرقى وظائف التعليم فى مصطلح العصور الوسطى فى مصر ، وشبيهها وظيفة الأستاذ ذى الكرسى فى المصطلح الجامعى الحديث ، وكان التعيين لوظيفة المدرس ومن قبل السلطان مباشرة • انظر القلقشندى ( نفس المرجع ، ج ٤ ، ص ٣٩ ) . وراجع أيضا المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ٧٠٠ ، حاشية ٣ ) .

(٣) فى ف ، وكذلك ب (١٣٦٦ ا) برسم « سويد » .

القرطبي وابن عبد السلام وأبي محمد بن برطلة ؛ وولى قضاء المالكية بدمشق (١٢٠ب) ثلاثين سنة ، بصرامة وقوة فى الأحكام وشدة فى إراقة دماء الملحدين والزنادقة والمخالفين ، إلى أن اعتلّ بالرعشة نحو عشرين سنة ؛ [ ومازال بعلّته ] إلى أن عجز عن الكلام ، فصُرف ومات بعد عزله بعشرين يوما ، وبعد أن علم بالعزل بسبعة أيام . ومات الصدر شرف الدين محمد بن الجمال إبراهيم بن الشرف عبد الرحمن بن صصرى الدمشقى ، يوم الجمعة سابع ذى الحجة بمكة ، وعمره خمس وثلاثون سنة ، فدفن بالمعلاة ، وكان حسن الأخلاق . ومات بطرابلس عماد (١) الدين محمد بن صفى الدين محمدبن شرف الدين يعقوب النويرى، صاحب ديوان طرابلس . و[مات] الأمير سيف الدين قُلْـثى السلاح دار . و[ مات ] الأمير شمس الدين الذُّكْر السلاح دار — صهر ( ١٢١ ا ) علم الدين سنجر الشجاعى — ، وهو فى الحبس . و [ مات] الأميرسيف الدين الكُنْتمر ـ صهر الجوكندار ـ بالحبس أيضاً . و [مات] الخطيب عماد الدين ابن بنت المخاص ، فى حادى عشرى المحرم . و[ ومات ] أقضى القضاة نجم الدين الحنفى الملطى ، يوم الإثنين رابع ربيع الأول .

وفيه خلع نفسه الأمير أبو يحيى زكريا اللحيانى بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد ابن أبى حفص ملك تونس ، وولّى ابنَه أبا عبد الله محمد المعروف بأبى ضَرْبة(٢) فى آخر ربيع الآخر ، وكانت مدته ست سنين .

* * *

سنة ثمان عشرة وسبعمائة : [فى] المحرم قدم الركب من الحجاز على العادة ، وصحبته المجردون ؛ فشكى الصارم أزبك الجرمكى من بهادر الإبراهيمى ، وأنه منعه من أخذ الشريف ( ١٢١ب ) حميضة ، و[ أنه ] تعاطى الخمور ؛ فقُبض عليه وعلى رمضان المقدم وأقجبا وجماعة ، وسجنوا بالاسكندرية ؛ وأنعم على الأمير مغلطاى الجمالى بخبز الإبراهيمى .

و [فيه] قدم البريد من حلب بغلاء الأسعار بديار بكر والموصل وبغداد وتوريز ، وكثرة الوباء والموت بها ، وأن جزيرة ابن عُمر خلَت من الساكن ؛ وميافارقين لم يوجد من يخطب بها فى جامعها .

(١) فى ف « علا الدين » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٦٦ ا) . انظر أيضا النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١١٤ ، حيث ورد أن عماد الدين هذا كان ابن خال أبى النويرى المؤرخ .

(٢) بغير ضبط فى ف . انظر ( Zambaur: Op. Cit.P. 75 ).

وفى أول صفر توجه القاضى كريم الدين الكبير إلى دمشق ، فدخلها فى سابعه ؛ وتلقاه الأمير تنكز النائب وأنزله بدار السعادة ، وقدم إليه هدية سنية فلم يقبل منها غير فرس واحد وردّ البقية ، وأمر بإنشاء جامع خارج ميدان الحصا ، وعاد إلى القاهرة بعد أربعة أيام .

(١٢٣ ا) وفى سابعه استقرّ كريم الدين أكرم الصغير فى نظر الدواوين . وفى سادس عشره وصل الأمير جمال الدين بكتمر الحسامى نائب صفد ، وأنعم عليه بتقدمة ألف فى سادس عشره .

وفى سابع عشره سافر الصاحب أمين الدين بن الغنام على البريد إلى طرابلس ناظراً وسبب ذلك أنه لما طالت عطلته اجتمع بالأمير سيف الدين البوبكرى وحطّ على كريم الكبير ، وأنه قد استولى على الأموال وأنفقها [1] على مماليك السلطان ليصانع بها عن نفسه . فعرّف البوبكرى السلطان عنه ماقال ، فأعلم به كريم الدين فقال : « هو ياخوند معذور ، فإنه قد بطل ، ولابد له من شغل يأكل فيه صدقة السلطان ! » ، وعينه لنظر طرابلس . فبعث [ السلطان ] إليه فى الحال (١٢٢ ب) بخلعة وبريدى ، وخرج لوقته .

وفى حادى عشريه عزل الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من شد الدواوين ، ونزل إلى داره . وفيه عوفى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، وركب إلى القلعة ، وَتَرَكَ مَعلوم القضاه تنزهاً عنه ، فخُلِع عليه وباشر بغير معلوم .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشريه خلع على الأمير سيف الدين طغاى الحسامى الكبير ، وسُفِّر على خيل البريد لنيابة صفد عوضاً عن بكتمر الحاجب . وسبب ذلك كثرة دالّته على السلطان ، وتحكمه فى الأمراء والمماليك ، وقوة حرمته ، وتعرّضه على السلطان فيما يفعله من ملاذه . وخرج معه مغلطاى الجمالى ، فوصل صفد فى تاسع عشر ربيع الأول ؛ وقدم الأمير بكتمر (١٢٣ ا) الحاجب إلى القاهرة .

و[ فيه ] قدم البريد بأنه فى يوم الأربعاء ثانى صفر هبت ريح شديدة بأرض طرابلس ، ومرّت على أبيات مقدم التركمان بالجون فكسرتها ، وصارت عموداً أغبر هيئة تنين متّصل بالسحاب ، ومرّ [ ذلك العمود ] على أبيات عــلاء الدين

(١) فى ف « وينفقها » .

طوالى[١] بن اليكى مقدم التركمان ، وتلوّى يميناً وشمالا ، فلم يترك هناك شيئاً حتى أهلكه ، وطوالى[٢] يصيح : « يارب قد أخذت الرزق ، وتركت العيال بغير رزق ، فايش أطعمهم ؟ » ، فعاد ذلك التنين إليه بعد ما كان خرج عنه ، وأهلكه وامرأته وأولاده وثلاثة عشر نفساً . وحملت الريح جملين حتى ارتفعا فى السماء قدر عشرة أرماح ، وأتلفت القدور الحديد ؛ ومرّت على عربان هناك فاحتملت لهم أربعة جمال ( ١٢٣ ب ) حتى غابت عنهم فى الجو ، ثم نزلت مقطعة . وعقب هذا الريح مطر وبرد زنة البردة الواحدة منه ثلاث أواق دمشقية .

وفيه أجلس السلطان جماعة من مقدمى الحلقة الشيوخ فى أوقات المشورة مع الأمراء ، وسمع كلامهم[٣] .

وفيه سأل النصارى[٤] فى رمّ جدران كنيسة بربارة بحارة الروم ، فأذن لهم السلطان فى رمها . فاجتمع لعمارتها جماعة كثيرة من النصارى ، وأحضر الأقباط لهم الآلات ، وأقاموا على عملها عدة من المسلمين شادين ومستحثين ، فجاءت كأحسن المبانى . فشقّ ذلك على جيران الكنيسة من المسلمين ، وشكوا أمرها إلى الأمير أرغون النائب والفخر ناظر الجيش ، وأن ذلك وقع بجاه كريم الدين الكبير ( ١٢٤ ا ) وكريم الدين الصغير ، ورفعوا عدة قصص إلى السلطان بدار العدل . فساعد النائب والفخر عند قراءة القصص فى الإنكار على بناء الكنيسة ، إلى أن رُسم لمتولى القاهرة علم الدين سنجر الخازن بخراب ماجُدّد فيها من البناء ؛ فنزل إليها [ علم الدين ] ، واجتمع إليه[٥] من الناس عدد لا يحصيه إلا الله ، وهدم ماجدّد فيها ، ومضى لسبيله . فقامت طائفة من المسلمين وبنوا الجانب الذى هُدِم محرابا ، وأذّنوا فيه أوقات الصلوات ، وصلوا وقرأوا هناك القرآن ، ولزموا الإقامة فيه . فحنق النصارى من ذلك ، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين ؛ فرفعَ [ كريم الدين ] ذلك للسلطان ، وأغراه بمن فعل ذلك ، وأنه يريد نهب النصارى وأخذ أموالهم ، وشنع القول . فرسم ( السلطان ) للخازن بهدم المحراب ( ١٢٤ ب ) وإعادة البناء ، وقبض أهل

(١) فى ف « طرالى بن البك » ، والرسم المثبت هنا من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١١٩) .
(٢) فى ف « طرالى » . انظر الحاشية السابقة .
(٣) هنا إشارة عابرة لبعض ما أحدثه السلطان الناصر محمد من تعديل فى نظم الحكم بمصر .
(٤) فى ف « سيل السلطان فى رم » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٣٦٧ ) ، وهى أحسن .
(٥) فى ف « اليها » .

حارة الروم وعملهم فى الحديد ؛ فلما توجه (الخازن) لذلك اجتمع الناس وصاحوا به ، فساس الأمير وتركهم ، وأهمل ذلك الموضع حتى صار كوم تراب .

وفيه تجهز السلطان لركوب الميدان ، وفرّق الخيول على جميع الأمراء واستجدّ ركوب الأوشاقية[١] بكوافى زركش على صفة الطاسات[٢] ، وهم [ الذين عُرفوا باسم ] الجفتاوات[٣] . واستجدّ النداء فى البحر على أرباب المراكب ألا يركبوا أحداً من مماليك السلطان فى مركبٍ يوم الميدان ، وشُدّد الإنكار على الطواشى المقدم فى غفلته عن المماليك .

وفيه شدّد على الأمراء المسجونين ببرج السباع من قلعة الجبل ، وهم : طوغان نائب البيرة ، وعلم الدين سنجر البروانى ، وبيبرس المجنون ، (١٢٥ ا) وفخر الدين أياز نائب قلعة الروم ، والحاج بيليك ، وسيف الدين طاجا ، والشيخ على مملوك سلار ، ومُنع حريمهم من الإقامة عندهم .

وفيه خرج الأمير مغلطاى الجمالى على البريد إلى صفد بتقليد الأمير طغاى نيابة حلب ، وكُتب إلى الأمير سيف الدين أرقطاى نائب حمص بنيابة صفد عوضاً عن طغاى ، واستقرار الأمير بدر الدين بكتوت القرمانى فى نيابة حمص ؛ وأسرّ [السلطان] إلى[٤] [ الأمير مغلطاى] القبض على طغاى . فتوجه [ مغلطاى ] إلى صفد

(١) الأشاوقية ـ والأوجاقية أيضاً ، والمفرد أوشاق وأوجاق ـ فرقة من خدم السلطان عملها ركوب الخيل للتسيير والرياضة . ( القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ ) . وقد ذكر (Quatremère : Op. Cit. I. 1 P. 180. N. 139) أن أوشاق لفظ فارسى معناه الغلام (page) .

(٢) الطاسات جمع طاس وطاسة ، وقد شرح ( Dozy : Supp. Dict. Ar. ) هذا اللفظ بالآتى (Petite calotte qui ne couvre que le sommet de la tête) ، أى طاقية صغيرة تغطى قة الرأس .

(٣) الجفتاوات جمع جفتاه ، وقد عرف (Dozy : Supp . Dcit. Ar.) هذا اللفظ تعريفاً طويلا ، ومنه (On donnait le nom de الجفتاه à deux pages roux, vêtus d'une robe de soie jaune, avec une bordure d'étoffe d'or, et un bonnet du même étoffe. Ils étaient montés sur des chevaux blancs, qui portaient un ornement de cou semblable à celui qui parait le cheval du prince, et précédaient le sultan dans ses marches sollennelles . . . . . . . . . . . . . . . . ) أى أن لفظ الجفتاه كان يطلق على أزواج من الأوجاقية الشقر ، يلبس الواحد منهم قباء من الحرير الأصفر بأطراف زركش وغطاء للرأس من القماش نفسه ، وكانوا يركبون خيولا بيضاء مزينة رقابها بغواشى مشابهة لغاشية فرس السلطان ، ويمشون قدام السلطان فى المواكب والركبات . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 1. P. 135 ) انظر أيضا القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٦ ) .

(٤) فى ف « اليه » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

بعد اجتماعه بالأمير تنكز نائب الشام ، وقبض على طغاى ، وأحضر [ ه ] إلى قبة النصر خارج القاهرة ؛ فخرج إليه الأمير قجليس ، وصعد به إلى القلعة وهو مقيد فى خامس عشر جمادى الأولى ، وأخرج به فى ليلة الأربعاء تاسع عشر ( ١٢٥ ب ) جمادى الأولى إلى الإسكندرية ، فكان آخر العهد به . وأخرج بهادر المعزى أيضاً إلى سجن الإسكندرية ؛ ووقعت الحوطة فى يوم الخميس عشريه على موجوده ، وفرّقت مماليكه على الأمراء . وفيه توجّه الأمير قجليس إلى الشام .

وفيه ابتدئ فى صفر بهدم المطبخ وهدم الحوائج خاناه والطشت خاناه والفرش خاناه وجامع القلعة ؛ وبنى الجميع جامعاً ، فجاء على ماهو عليه الآن من أحسن المبانى . ولما تم بناؤه ورخامه جلس فيه السلطان ، واستدعى سائر مؤذنى القاهرة ومصر وقراءهما وخطباءهما وعرضوا عليه ، فاختار عشرين مؤذناً رتّبهم فيه ، وقرّر به درساً وقارئ مصحف ، وأوقف عليه الأوقاف الكثيرة .

وفيه تجدّد بدمشق ثلاثة جوامع بظاهرها : وهى ( ١٢٦ ا ) جامع الأمير تنكز ، وجامع كريم الدين ، وجامع شمس الدين غبريال بن سعد .

وفيه غرقت مركب فى بحر الملح وهى متوجه إلى اليمن ، و [ كان ] فيها لكريم الدين متجر بمبلغ مائة ألف دينار سوى ما لغيره ؛ فلم يسلم منها سبعة أنفس ، وغرق الجميع .

وفيه وقعت الفتنة بين المغل ، فقتل فيها نحو الثلاثين أميراً سوى الأجناد والأتباع ، وقتل من الخواتين سبع نسوة مع عالم عظيم ؛ وانتصر أبو[1] سعيد . فسرّ السلطان بذلك ، لما فيه من وقوع الوهن فى المغل .

وفيها قبض على الأمير بدر الدين ميزامير بن الأمير نور الدين صاحب ملطية ؛ من أجل أنه كتب إلى جوبان القائم بدولة أبى سعيد بن خربندا بالأردو أن يطلبه من السلطان ، ( ١٢٦ ب ) وقبض أيضاً على مندوه الكردى بغزة .

---

(١) يشير المقريزى هنا إلى المؤامرة التى دبرها رجال الجيش المغولى فى فارس ضد جوبان أمير الأمراء فى بلاط أبى سعيد ، وقد هدم جوبان تلك المؤامرة ورجالها بالقتل ، وكان ممن ذهبوا فيها الأميرة كجك حفيدة أبغا ، وقد اتخذ أبو سعيد لنفسه من بعد تغلبه على تلك الفتنة اسم بهادر خان ، أى الملك الشجاع . انظر ( Browne : Lit. Hist of Persia. III. pp. 52-53 )

وفيه حُبس شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية ، بسبب مسألة الطلاق ؛ [وكان ذلك] بسعى قاضى القضاة شمس الدين بن الجريرى الحنفى عليه ، وإغرائه السلطان به .

وفيه أنعم على الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى بإقطاع مغلطاى بن أمير مجلس ، بإمرة ثمانين فارساً ؛ وخُلع عليه وجلس رأس الميسرة ؛ ونُقل مغلطاى إلى الشام .

وفيه قدم صاحب خَرْتَـبِرْت(١) ، فأنعم بإمرة .

وفيه استقرّ فى نيابة الكرك [الأمير] عز الدين أيبك الجمالى نائب قلعة دمشق ، واستقرّ عوضه فى نيابة قلعة دمشق الأمير عز الدين أيبك الدُّمَيْترى(٢) .

وفيه خرج الأمير بدر الدين محمد بن عيسى التركمانى بطائفة من العسكر مجرّدين إلى (٢٧ ا) الحجاز ، فى طلب الشريفين حميضة ورميثة .

وفيه أفرج عن الأمير سيف الدين أقبغا الحسنى ، وأنعم عليه بإمرة فى دمشق .

وفى شعبان قدم حمل سيس على العادة . وفيه ولى قضاء القضاة المالكية بالقاهرة ومصر تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأخنائى ، بعد موت زين الدين على بن مخلوف فى ثانى عشر جمادى الآخرة .

[وفيه(٣)] حجّ بالركب المصرى الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى ، وقُبض على الشريف رميثة ، وفرّ حميضة ؛ وقدم رميثة مقيداً إلى قلعة الجبل ، فسجن بها .

وفيه قدمت(٤) رسل ابن قرمان(٥) بدراهم ضُربت باسم السلطان ، وأنه خُطب(٦)

(١) ليس بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى مايدل على اسم صاحب هذه المدينة وقت ذاك ، غير أن الراجح بعد مراجعة (Zambaur : Op. Cit. pp. 158,228,230) ، وكذلك (Ency. Isl Ar. Kharput) ، أن صاحبها كان من بنى أرتق أصحاب حصن كيفا ، أو أنه كان زين الدين عبدالرشيد قراجا بك بن دلغارد الساساتى ، مؤسس الدولة الدلغادرية .

(٢) مضبوط هكذا فى ف .

(٣) موضع مابين الحاصرتين بياض فى ف .

(٤) فى ف « قدم » .

( ) تقدمت الإشارة إلى تأسيس دولة بنى قرمان بآسيا الصغرى فى أواسط القرن السابع الهجرى ( المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٣٠ ، حاشية ٥ ) ، وكان مالكها هذه السنة بدر الدين محمود ابن قرمان ؛ ويلاحظ أن دولة بنى قرمان هذه كانت واحدة من كثير من الدول التى نشأت على أنقاض دولة السلاجقة الروم بآسيا الصغرى . انظر (Zambaur : Op. Cit. P. 158) ، وكذلك (Ency. Isl. Art. Karaman-Oghlu) .

(٦) فى ف « خطب له » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٦٨ ب ) .

هناك للسلطان ، وهى أطراف بلاد الروم ؛ فكُتب له تقليد ، وسيّرت إليه هدية ( ١٢٧ ب ) جليلة .

وفيه خُلع أبو عبد الله محمد — المعروف بأبى ضربة — بن الأمير أبى يحيى زكريا اللحيانى بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبى حفص ، فى آخر شهر ربيع الآخر ؛ وكانت مدته سنة واحدة . وقام بعده بتونس الأمير أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى عبد الواحد بن أبى حفص .

وفى هذه السنة انقرضت دولة بنى قطلمش (١) ملوك قونية . وذلك أن عز الدين كيكاوس بن كيخسرو (٢) لما مات سنة سبع وسبعين وستمائة ترك ابنه مسعوداً ، فولاه أبغا بن هولاكو سيواس وغيرها . واستبد معين الدين سليمان برواناه على ركن الدين قلج أرسلان بن كيخسرو (٣) بقيصرية ثم قتله ، ونصب ابنه غياث الدين كيخسرو (٤) ، فعزله أرغون بن أبغا ، وولى ابن عمه مسعود بن كيكاوس ؛ ( ١٢٨ ا ) فأقام [ مسعود ] حتى انحل أمره وافتقر ؛ وبقى الملك بالروم للططر إلا ملك بنى أرتنا (٥) ، فإنه بقى بسيواس .

(١) يقصد المقريزى هنا دولة السلاجقة بآسيا الصغرى ( دولة السلاجقة الروم ) ، ومؤسسها سليمان ابن قطلمش بن أرسلان — أو إسرائيل — بن سلجوق ، سنة ٤٧٠ هـ ( ١٠٧٧ م ) . وهذه الدولة هى أول ما اصطدم بالحملة الصليبية الأولى من القوى الإسلامية ، وقد نقلت عاصمتها من نيقية إلى قونية بعد أن استولى الصليبيون منها على نيقية سنة ٤٩١ هـ ( ١٠٩٧ م ) ، وظلت مع هذا تلعب دوراً هاما فى مصائر الصليبيين عامة ، بل أفادت مما كان بين الصليبيين والدولة البيزنطية من كره متبادل ، فحافظت على معظم كيانها وقوتها حتى أواسط القرن السابع الهجرى . ثم انتاب هذه الدولة خطر المغول من ناحية دولة إيلخانات فارس ، فضاع استقلالها تدريجيا ، وقنع سلاطينها فى غالب الأحيان بما تبقى لهم من مظاهر السلطنة الخاوية ، وتدخل السلطان الظاهر بيبرس فى شؤونهم طمعاً فى امتداد السلطة المملوكية إلى تلك البلاد ، كما ظهر بينهم أمثال الوزير معين الدين سليمان برواناه الذى استبد بأمور السلطنة والسلاطين فترة طويلة ، مما تقدم بتفصيل فى الجزء الأول من السلوك . ومازالت أمور تلك الدولة على هذه الحال حتى جعلها إيلخانات فارس جزءاً من دولتهم نهائياً فى أوائل القرن الثامن الهجرى ، وعينوا عليها منذ سنة ٧٠٧ هـ ولاة من قبلهم ، مثل الأمير دمرداش بن جوبان وعلاء الدين أرتنا ؛ ممن تلى أخبارهم بالمتن هنا . انظر (Howorth : Op. Cit.,و(Eucy Isl. Art. Seldjuks),و(Camb. Med. IV.pp. 304,315 III. P. 429) ولقد بقى من سلاطين هذه الدولة بقايا من بعد ٧٠٧ م ، ومنهم مسعود بن كيكاوس الوارد بالمتن ، واسمه غياث الدين مسعود الثالث ، وقد ظل على قيد الحياة حتى سنة ٧١٨ هـ . ومنهم أيضا غازى شلبى أمير سينوب على البحر الأسود ، وقلج ارسلان بن لطفى بك الذى فر إلى مصر من قبضة العثمانيين فى أواخر القرن التاسع الهجرى . انظر (Zambaur : Op. Cit. pp 143-144, 153, n. 15, 148) وكذلك القرمانى ( أخبار الدول ، ص ٢٩٤ — ٢٩٥ ) .

( ٢ ، ٣ ، ٤ ) فى ف « كنجنسر » . انظر (Zambaur : Op. Cit. p. 143,144) .

(٥) فى ف « ارتا » ، والمقصود بذلك بيت الأمير علاء الدين أرتنا بن جعفر ، غير أن المقريزى =

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر كمال الدين أحمد بن جمال الدين أبى بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان [١] البكرى الوائلى الشَّرِيشِى [٢] الفقيه الشافعى ؛ قدم مصر وسمع بها وبالإسكندرية ، وبرع فى الأصول والنحو ؛ وناب بدمشق فى الحكم عن البدر محمد بن جماعة ، وولى وكالة بيت المال مرتين ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق ؛ وعلّق تعاليق [٣] ، وقال الشعر ؛ ومولده فى رمضان سنة ثلاث وخمسين وستمائة بسنجار ؛ وتوفى بمنزلة الحسا [٤] من طريق الحجاز عن ست وستين سنة ، فى سلخ شوال . و[مات] جمال الدين أبو بكر بن إبراهيم بن حيدرة بن (١٢٨ ب) على بن عقيل الفقيه الشافعى المعروف بابن القماح ، فى سابع عشر ذى الحجة ؛ وهو عم القاضى شمس الدين محمد بن أحمد ابن القماح . و[مات] شرف الدين أبو الفتح أحمد بن أحمد بن أبى بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله السيرجى الأنصارى الدمشقى ، فى سابع عشرى ربيع الأول ؛ (وهو) من بيت جليل ، وولى عدة مناصب ؛ وكان ديناً صاحب مروءة وسعة ، مات يوم الاثنين سابع عشرى ربيع الأول . و[مات] فخر الدين بن تاج الدين بن أبى الخير سلامة بن أبى العباس أحمد بن سلامة السكندرى المالكى ، قاضى القضاة المالكية بدمشق ؛ وُلد سنة إحدى وأربعين وستمائة ، ومات مستهل ذى الحجة ؛ وكان مشكور السيرة ، بصيرا بالعلم ماهراً فى (١٢٩ ا) الأصول حشما و[مات] أحمد بن المغربى الإشبيلى ؛ كان يهوديا يقال له سليمان . فأسلم فى أيام الملك الأشرف خليل بن قلاون ، سنة تسعين

= قد سبق الحوادث هنا كثيراً ، إذ المعروف أن هذا الأمير كان واليا من قبل إيلخانات فارس على بلاد السلاجقة الروم من سنة ٧٢٨ هـ ، وأنه استقل بإمارة سيواس وما تبعها من البلاد المجاورة سنة ٧٣٦ هـ ، وظلت سلالته تتداولها من بعده حتى أواخر القرن التاسع الهجرى (Zambaur : Op. Cit. pp. 143,155) على أن تلك الإمارة الصغيرة لم تكن كل ما تولد بآسيا الصغرى من دول على حساب السلاجقة الروم ، فقد نشأت الدولة العثمانية والدولة القرمانية وغيرهما من دول مبعثرة فى أنحاء آسيا الصغرى ، منذ أواسط القرن السابع الهجرى فصاعدا . انظر (Zambaur : Op· Cit. pp, 145.161)

(١) فى ف « سمحان » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٦٨ب) . انظر أيضاً ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٩١) .

(٢) بغير ضبط فى ف ، والنسبة إلى بلدة شريش ، وهى حسبما ورد فى ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٨٥ ) قاعدة كورة شذونة بالأندلس ، وتسمى أيضا شرش .

(٣) التعاليق جمع تعليق ، والمقصود به هنا ما يوضح من الحواشى والتفسيرات على المسائل الغامضة فى مختلف العلوم . ( أحمد أمين ) .

(٤) فى ف « الحسنا » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٣٦٩ ) ، وهو الصحيح .

وستمائة ، وتسمى أحمد ؛ مات فى ليلة العشرين من صفر ؛ وكان بارعاً فى عدة علوم ، إماما فى الفلسفة والنجامة (١) ، وولى رياسة الأطباء بديار مصر . و[مات] مجد الدين أبو بكر بن محمد بن قاسم التونسى المقرى المالكى النحوى ؛ قدم فى صباه إلى القاهرة ، وأخذ بها القراآت والنحو حتى برع فيهما ، وسكن دمشق وأقرأ بها ، واشتغل فى عدة علوم من أصول وفقه وغير ذلك ، وكان ديّناً صيّناً مفرط الذكاء ، فيه تودّد ويحب الانفراد ، وتخرّج به الفضلاء ؛ مات يوم السبت سادس عشرى ذى القعدة بدمشق ، عن اثنتين وستين سنة . و[مات] مسند (١٢٩ ب) الوقت زين الدين أبو بكر أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسى الصالحى ، وسمع سنة ثلاثين وستمائة على الفخر الإربلى ، وسمع الصحيح كله على ابن الزبيدى ، وسمع من الناصح ابن الحنبلى وسالم ابن صصرى وجعفر الهمذانى وجماعة ، وأضرّ قبل موته بثلاثة أعوام ، وثقل سمعه وكان له همة وجلادة وفهم ، وحدّث وعاش ثلاثاً وتسعين سنة ، ومات ليلة الجمعة تاسع عشرى رمضان ؛ ومولده فى سنة خمس ــ أوست ــ وستمائة . و[مات] زين الدين أبو الحسن على بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويرى (الجزولى) (٢) المالكى ، قاضى القضاة المالكية بالقاهرة ومصر ، فى ليلة الأربعاء ثانى عشر جمادى الآخرة ، وأقام قاضياً نحواً من أربع وثلاثين سنة ؛ ومولده سنة عشرين (١٣٠ ا) وستمائة ، وكان مشكور السيرة ، خبيراً بتدبير أموره الدنيوية ، كثير المدارة سيوساً ، محباً لقضاء الحوائج ، وولى بعده نائبه تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عتيق

(١) فى ف « النحامة » ، ولعل الصحيح ما هنا ، فيكون المقصود بذلك التنجيم .

(٢) أضيف مابين الحاصرتين من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٢٠ ــ ١٢١ ) حيث وردت هذه الوفاة فى شىء من التفصيل ، ومنه أن الوزارة عرضت على هذا القاضى فى عهد السلطان الملك المنصور قلاون فأباها ، « وتنصل منها كل التنصل ، وبالغ فى ردها كل المبالغة ، وانتهى حاله فى التنصل منها إلى أن حضر إلى الدركاه بباب القلعة ، وخلع طيلسانه وقلع عمامته وفوقانيته ، وبقى بقبع ودلق ، وهو قائم، فقام الأمراء لقيامه ، وصاروا حوله حلقة ، وهم لا يعرفون موجب فعله لذلك . ثم جاء نائب السلطنة الأمير حسام الدين طرنطاى وهو على هذه الصورة ، فتألم وسأله عن خبره ، فقال له : أنا إنما وصلت من بلدى بمثل الملبوس الذى علىّ ، وانا اكتسبت بصحبتكم وخدمة السلطان زيادة على ما جئت به هذا الطيلسان وهذه الجبة والعمامة ، فإن ضمنت الى عند السلطان إعفائى من هذا الأمر الذى طلبنى بسببه ، وإبقائى على ما أنا عليه ، وإلا فلا أرجع إلى لباسى هذا أبدا ، وارجع إلى بلدى بهذه الحالة . فبكى الأمراء وعظموه ، وألبسه نائب السلطنة قمّشه ، وضمن له صرف الوزارة عنه ... »

[الأخنائى](١) . و [مات] محمد بن قاضى الجماعة أبى القاسم — وقيل أبى عمر — أحمد ابن القاضى أبى الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن الحاج — وقيل أحمد بن محمد بن عبدالله ابن القاضى أبى جعفر بن الحاج — أبو الوليد التُّجيبى الأندلسى القرطبى الإشبيلى ؛ وُلد سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، ومات أبوه وجده فى سنة إحدى وأربعين وستمائة ؛ وورث مالا كثيراً ، فصادره ابن الأحمر (٢) ، وأخذ منه عشرين ألف دينار ؛ ونشأ يتيما فى حجر أمه ، ونقلته إلى شَريش (٣) ثم إلى غرناطة ، فلما شبَّ قدم تونس ، ثم رحل منها بابنيه إلى القاهرة ، وسكن دمشق ( ١٣٠ ب ) حتى مات بها فى رجب ، وكان فاضلا ديّناً ، أمّ بمحراب الجامع ، وامتنع من ولاية الحكم . ومات الأمير شمس الدين سنقر الكمالى الحاجب ، بمحبسه من القلعة ، فى ربيع الآخر ، وكان فى ولايته مشكوراً حشِما صيّن اللسان . و [مات] الأمير علاء الدين أقطوان الظاهرى ، بدمشق فى عاشر رمضان ، وقد تجاوز الثمانين سنة . و [مات] الأمير سيف الدين طغاى ، بمحبسه بالإسكندرية أول شعبان . و [مات] الأمير شمس الدين الدكز الأشرفى ، أحد المماليك المنصورية قلاون ، بمحبسه بالقلعة . و [مات] الأمير سيف الدين منكوتمر الطباخى . و [مات] أركتمر بالجبّ من القلعة . وأشيع بموت الأمير موسى ابن الملك الصالح على بن قلاون بقوص . و [مات] الأمير عز الدين طقطاى نائب الكرك . و [مات] ركن الدين بيبرس ( ١٣١ ا ) نائب عجلون .

و [فيه] قدم [الخبر بموت الوزير] رشيد الدولة أبو الفضل فضل الله بن أبى الخير بن عالى الهمذانى الطبيب ، فى تاسع عشر رمضان . وكان قد علت منزلته عند غازان ، وقدم معه الشام ، وتقدّم فى أيام خربندا . فلما مات خربندا عُزل عن وظائفه ، فصانع عن نفسه بمال كبير ، فلم يغنه شيئاً ، واتهم أنه قتل خربندا [بالسم] ، وشهد عليه الأطباخى ،

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٢١) .

(٢) المقصود بذلك ملك غرناطة من بنى نصر ، واسمه أبو الوليد إسماعيل بن فرج ، غير أن المراجع المتداولة بهذه الحواشى لا تذكر سبب مصادرة هذا الملك لمال ذلك الصبى . هذا وقد عرف بنو نصر ملوك غرناطة باسم بنى الأحمر ، نسبة — فيما يظهر — إلى قلعة الحمراء التى بنى عليها ملوك بنى نصر قصر الحمراء الشهير . (Zambaur : Op. Cit P. 58) ، وكذلك (Ency. Isl. Arts. Nasrids, Alhambar) ، و (Lane. Poole : Moors In Spain, P. 218)

(٣) انظر ما سبق ، ١٨٧ ، حاشية ٢ .

[و] قُتل(١) وحمل رأسه إلى تبريز ، ثم قُطِّعت أعضاؤه وحمل إلى كل بلد عضو .

و [مات] الأمير سيف الدين بهادر الشمسى ، بقلعة دمشق فى ذى الحجة .

وفيه قدم من العراق محمل إلى مكة وكسوة للكعبة ، فلم يُمَكَّنوا من الكسوة ؛ وكان القان أبو سعيد قد جهّز الركب ، وقدّم عليهم رجلا شجاعا ، فلم يمكن العربان أن تأخذ شيئاً (١٣١ ب) من الحجاج . فلما كان العام القابل خرجت العيون على الركب ونهبوه ، وأخذوا من الحاج شيئاً ؛ فسأل أبو سعيد كم قدر ما أخذوا من الركب ، فقيل له نحو الثلاثين ألف دينار ، فرتّب لهم ستين ألف دينار ، فمات من سنته .

* * *

سنة تسع عشرة وسبعمائة . [فى] خامس المحرم قدم مبشر الحاج بسلامة الحاج والقبض على الشريف رميثة بن أبى نمى ، و [أنه] استقر عوضه فى إمرة مكة أخوه الشريف عطيفة . وقدم الحاج مع مغلطاى الجمالى ، وصحبته الشريف رميثة ، فسجن من سابع عشره إلى أن دخل المحمل فى ثانى عشريه . فشقّ الجمالى على الناس بكثرة عجلته فى السير — وكانت العادة أولا بقدوم (١٣٢ ا) المحمل فى ثامن عشرى المحرم ، ثم استقرّ دخوله فى الأيام الناصرية يوم الخامس أو(٢) الرابع والعشرين [منه] — ، فأنكر عليه السلطان ما فعله ، وجهز محمد بن الردينى بمائتى جمل عليها الزاد والماء برسم تَحمّل من انقطع من الحاج ، فسافر من يومه .

و [فيه] قدم كتاب الأمير بدر محمد بن عيسى بن التركمانى من مكة بأنه منع العبيد من حمل السلاح بمكة ، و [أنه] أخرج المفسدين ونادى بالعدل ، وأنه مقيم لأخذ الشريف حميضة .

وفيه جُهز الأمير أيتمش المحمدى على عسكر إلى برقة ، ومعه فايد وسليمان أمراء العربان لجباية زكاة الأغنام على العادة ؛ فسار فى ثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة — ومعه من

(١) فى ف « قيل » ، وقد عدّلت وأضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٢٢ — ١٢٣ ) ، حيث وردت أخبار مقتل هذا الوزير اليهودى الأصل بتفصيل وافٍ . انظر أيضاً (Browne : Op. Cit III. P. 52) .

(٢) فى ف يوم « الخميس الرابع والعشرين » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٢٧٠ أ) .

الأمراء بلبان الخاص تركى ، وبلبان الحسنى ، وسنقر (١٣٢ ب) المرزوقى ، وصمغار ابن سنقر الأشقر ، ومنكلى الجدار ، وغُرلوا الجوكندار ، وناغاى — ، آخر يوم من المحرم ؛ ونزل بالإسكندرية .

ثم سار [أيتمش] يريد بلاد جعفر بن عمر من برقة ، ومسافتها من الإسكندرية على الجادّة نحو شهرين . فدله بعض العرب على طريق مسافتها ثلاثة عشر يوماً يفضى به إلى القوم من غير أن يعلموا به ، وطلب فى نظير دلالته على هذه الطريق مائة دينار وإقطاعا من السلطان بعد عود العسكر إلى القاهرة ؛ فعجّل [١] له أيتمش المائة ، والتزم له بالإقطاع من السلطان ، وكتب له بعشرة أرادب قمحاً لعياله ، وأركبه ناقة ؛ وكتم ذلك كله عن العسكر من الأمراء والأجناد والعربان ، وسار بمسيره . فأنكر سليمان وفايد على أيتمش مسيره فى (١٣٣ ا) غير الجادّة ، وخوّفوه العطش وهلاك العسكر ، فلم يعبأ بكلامهما ؛ فمضيا إلى الأمراء وشنعا القول وأكثرا [٢] من الإرجاف ، فاجتمعوا بأيتمش ليردّوه إلى الجادّة فلم يفعل ومضى ، فلم يجدوا بدا من اتباعه حتى [إذا] مضت ثلاث عشرة ليلة أشرف على منازل جعفر بن عمر وعربانه ؛ فدهشوا لرؤية العسكر . وأرسل إليهم أيتمش بسليمان [٣] وفايد يدعوهم إلى الطاعة ، فأجابوا مع رسلهم : « إنا على الطاعة ! ولكن ما سبب قدوم هذا العسكر على غفلة من غير أن يتقدم لنا به علم ؟ » . فقال لهم أيتمش : « حتى يحضر الأمير جعفر ويسمع مرسوم السلطان » ، وأعادهم . وتقدم [أيتمش] إلى جميع من معه ألا ينزل أحد عن فرسه طول ليلته ، فباتوا على ظهور الخيل .

فلما كان الصباح حضر أخو (١٣٣ب) جعفر ليسمع المرسوم ؛ فنهره [أيتمش] وقال له ولمن معه : « ارجعوا إلى جعفر فإن كان طائعاً فليحضر ؛ وإلا فليعرفنى ! » ، وبعث معه ثلاثة من مقدمى الحلقة ؛ فامتنع جعفر من الحضور . فللحال لبس العسكر السلاح وترتب ، وأفرد سليمان وفايد بمن معهما من العسكر ناحية ؛ واستعدّ جعفر أيضاً وجمع قومه وحمل بهم على العسكر . فرموهم بالنشاب فلم يبالوا به ، ودقوا العسكر برماحهم ، [و] صرعوا

(١) فى ف « لجعل » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٢٧٠ ا ) .

(٢) فى ف « اكثروا » .

(٣) فى ف « بسليم » ، انظر ما سبق بهذه الصفحة .

الأمير شجاع الدين غرلوا الجوكندار بعد ما جرحوه ثلاث جراحات ، فتداركه أصحابه وأركبوه . وحملوا على العرب فكانت بين الفريقين تسع عشرة وقعة آخرها انهزم العرب(١) إلى بيوتهم ، فقاتلهم العسكر عند البيوت ساعة وهزموهم إليها ، — وكانت [تلك البيوت] فى غابة قصب . فكفّ العسكر (١٣٤ ا) عن الدخول إليهم ، ومنعهم أيتمش عن التعرض إلى البيوت وحَمَاها ، وأباح لهم ما عداها ؛ فامتدت الأيدى ؛ وأخذت من الجمال والأغنام ما لا ينحصر عدده. وبات العسكر محترسين ، وقد أسروا نحو الستمائة رجل سوى من قُتل .

فلما أصبح [ الصبح ] مَنَّ [ أيتمش ] على الأسرى وأطلقهم ، وتفقّد العسكر فوجد فيه اثنى عشر جريحاً ، ولم يقتل غير جندى واحد ؛ فرحل عائداً عن البيوت بأنعام تسدّ الفضاء ، وأبيع معهم فيما بينهم الرأس الغنم بدرهم ، والجمل مابين عشرين إلى ثلاثين درهما ، وسار [ أيتمش ] ستة أيام فى الطريق التى سلكها والعسكر بالسلاح ، خشية من عود العرب إليهم .

وبعث [ أيتمش ] بالبشارة إلى السلطان ، فبعث الأمير سيف الدين ألجاى الساقى لتلقّى العسكر بالإسكندرية (١٣٤ ب) وإخراج الخُمس مما معهم للسلطان ، وتفرقة مابقى فيهم ؛ فخصّ الجندى ما بين أربعة (٢) جمال وخمسة ، ومن الغنم ما بين العشرين إلى الثلاثين . وحضروا إلى القاهرة ، فخلع السلطان على أيتمش ؛ وبعد حضورهم بأسبوع قدم جعفر بن عمر [إلى القاهرة] ، ونزل عند الأمير بكتمر الساقى مستجيراً ، فأكرمه ودخل به على السلطان ، فاعترف بالخطأ ، وسأل العفو ، وأن يُقرّر عليه مايقوم به ؛ فقبل السلطان قوله وعفا عنه ، وخلع عليه ومضى ؛ وصار يحمل القَوَد فى كل سنة .

وفى ليلة أول المحرم هبَّت ريح بدمشق شديدة رمت عدة منازل وخرجت كثيراً من البيوت ، فهلك تحت الردم خلق كثير ، وقُلِعت أشجار كثيرة ، من أصولها . ثم سكنت [ الريح] ، ثم ثارت ليلة التاسع عشر ( ١٣٥ ا ) منه ، ولم تبلغ شدّة الأولى .

وفى صفر استقرّ الأمير سيف الدين بهادر البدرى نائب السلطنة بحمص، عوضاً عن بدر الدين بكتوت القرمانى؛ فتوجه إليها فى رابع ربيع الأول ؛ واستقرّ القرمانى من جملة

(١) فى ف « العسكر » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٢٧٠ ب ) .

(٢) فى ف « اربع » .

أمراء دمشق . واستقرّ شرف الدين محمد بن معين الدين أبى بكر ظافر بن عبد الوهاب الهمذانى المالكى بن خطيب الفيوم فى قضاء المالكية بدمشق ، عوضاً عن فخر الدين أحمد بن سلامة ، فى تاسع عشرى ربيع الأول . واستقرّ تاج الدين أحمد بن القلانسى فى وكالة بيت المال بدمشق ؛ وكُتب بمنع ابن تيمية من الفتوى بالكفارة فى اليمين بالطلاق .

وفيه قلّ المطر ببلاد الشام حتى أيس الناس ، واستسقوا بدمشق فسُقوا ، ومرّ(١) بدمشق سيل ( ١٣٥ ب ) عظيم قلّ ماعهد مثله .

و [ فيه ] استجدّ السلطان القيام فوق الكرسى للأميرين(٢) جمال الدين آقوش نائب الكرك [ وسيف الدين(٣) بكتمر البوبكرى السلاح دار ، إذا دخلا عليه . وكان نائب الكرك ] يتقدّم على البوبكرى عند تقبيل يد السلطان ، فعتب الأمراء على البوبكرى . وسئل السلطان عن تقديمه نائب الكرك وتأخيره البوبكرى ، فإن العادة جرت أن يتأخر الكبير فى تقبيل اليد ويتقدّم الصغير(٤) قبله ، فقال لأنه أكبر . فكشف عن ذلك ، فوُجد [أن] نائب الكرك قد (٥) أمّره الملك المنصور قلاون إمرة عشرة ، وجعله أستادار ابنه الملك الأشرف فى سنة خمس وثمانين وستمائة ؛ ووُجد [ أن ] البوبكرى تأمّر بعد مَسك سنقر الطويل ، عند ما طُلب من مماليك البرج هو والخطيرى وسنجر الجنداو وطشتمر الجقدار ، فى سنة تسعين وستمائة .

( ١٣٦ ا ) وفى يوم الخميس عاشر ربيع الآخر قـــدم شمس الدين غبريال على البريد من دمشق باستدعاء ، وخُلع عليه بنظر الشام .

وفى يوم الاثنين رابع عشر ربيع الآخر فرّ الشريف رميثة آخر النهار ، فبعث

(١) فى ف « مد » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٣٧١ ) .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ( ١٣٧١ ) « للامير بن جمال الدين ... »

(٣) أضيف مابين الحاصرتين من ب ( ١٣٧١ ) . والجديد فيما أحدثه السلطان هنا ، كما يفهم من المتن ، أنه كان يقوم لهذين الأميرين إذا دخلا عليه ؛ غير أنه ليس من المفهوم إذا كان ذلك لمقامهما الشخصى عنده ، أو أن السلطان كان يقوم لبعض الأمراء فقط ، وأنه قد استجد القيام لنائب الكرك والسلاح دار .

(٤) هنا إشارة إلى بعض دقائق الخدمة السلطانية ( court levee ) فى العهد المملوكى .

(٥) فى ف « فوجد نائب الكرك تامر فى ايام الملك المنصور قلاون » ، وقد عدلت إلى الصيغة الواردة هنا لتستقيم مع بقية العبارة .

السلطان فى طلبه الأمير قطلوبغا المغربى(١) والأمير أقبغا آص الجاشنكير على الهجن السلطانية ، فى ليلة الخميس سابع عشره ؛ فقبض عليه بمنزلة حقل(٢) فى يوم الاثنين حادى عشريه ، وقدم فى خامس عشريه ، فسجن فى الجب من القلعة .

وفى يوم الخميس سابع عشرى رجب قدم الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من مكة بكتاب الشريف عطيفة ، [ وأخبر ] بأن(٣) القواد فى طاعته ، وأن حميضة نزح إلى اليمن ، و [ ذلك بعد أن ] فارقه بنو شعبة وغيرهم .

و [ فيه ] قدم الخبر بإفساد العرب بثغر عيذاب ( ١٣٦ب ) وقتلهم الشاد المقيم بها . فجرد إليهم السلطان من الأمراء الآقوش [ المنصورى(٤) — وهو المقدم ] ، ومحمد بن الشمسى ، وعلى بن قراسنقر ، وطقصباى الحسامى ، وبيبرس الكريمى ، وآقوش العتريس ؛ وأنعم على(٥) آقوش المنصورى بإمرة طبلخاناه ، وأقطع ثغر أسوان ليقيم بعيذاب .

وفى جمادى الآخرة قدم سليمان بن مهنا طائعاً ، بعد دخوله إلى الأردو [ ملتجئاً إلى(٦) المغل ] ؛ فأكرمه السلطان ، وأنعم عليه بمائتى ألف درهم من دمشق ، وأعطاه قماشاً بثلاثين ألف درهم ، وعاد .

و [ فيه ] استقر فى نقابة الجيوش أحمد بن آقوش العزيزى المهمندار ، بعد وفاة الأمير طيبرس الخزندارى .

و [ فيه ] قدم كتاب أبى يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحيانى الزاهد بن عبد الواحد بن أبى حفص المعروف باللحيانى ، يسأل الإسعاف ( ١٣٧ ا ) بتجريد طائفة من العسكر إليه ليحضر معهم إلى مصر . فخرج إليه الأمير طقصباى الحسامى والأمير بدر الدين بيليك المحسنى فى طائفة من الأجناد ، وأحضراه بحرمه .

---

(١) فى ف « المعزى » ، انظر ( Zetterstéen : Op. Cit. P. 169, etc ) .

(٢) تقع هذه المنزلة ، حسبما جاء فى ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ ) ، والنويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٢٤ ) ، على مسافة ستة عشر ميلا جنوبى أيلة ، فى الطريق إلى الحجاز .

(٣) فى ف « ان » .

(٤) أضيف مابين الحاصرتين من ( Zetterstéen : Op. Cit. P. 169 ) .

(٥) فى ف « عليه » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم المرجع هنا للتوضيح .

(٦) أضيف مابين الحاصرتين من ب ( ٣٧١ ب ) .

وفيه أنزلت خوند أردوكين بنت[1] نوكاى من القلعة إلى القاهرة ، بعدما أخذ [ السلطان ] منها كثيراً من الجواهر ، ورتّب لها عدة رواتب .

وفيه عمل إبرنجى[2] خال القان أبى سعيد على قتل جوبان ، وواعد قرمشى [ ودقاق ] وغيرهما[3] من المقدمين على ذلك . فنُقل الخبر لجوبان[4] ، ففرّ ونهبت أثقاله ، وقُتل له نحو ثلاثمائة رجل . ولحق جوبان بتبريز ، وقدم ومعه على[5] شاه إلى بوسعيد[6] ، فتبرأ مما جرى عليه . وجهز له [ بوسعيد ] عسكراً وركب معه حتى لقوا إبرنجى ومن معه ، فقاتلوهم وأخذوا إبرنجى وقرمشى ودقاق ( ١٢٧ ب ) ، فقُتلوا وأمسك أمراؤهم . وتمكن جوبان من أعدائه ، وقتل خلائق من المغل ، واتّهم القانُ بوسعيد بأنه كان أمر إبرنجى بقتل جوبان لكثرة تحكمه عليه .

وفيه اهتم السلطان بالحركة إلى الحجاز ليحج ، وتقدّم إلى كريم الدين الكبير بتجهيزه والسفر إلى الإسكندرية لعمل ثياب أطلس برسم كسوة الكعبة . فطلب كريمُ الدين أكرمَ الصغير وغيره من المباشرين ، وأمرهم بتجهيز الإقامات والعُلوفات والحوائج خاناه ، وكتب لنائب الشام ونائب غزة بتجهيز مايحتاج إليه . فتوالت تقادم الأمراء والنواب من سائر البلاد الشامية : وكانت أول تقدمة وصلت

---

(١) انظر ماسبق ، ص ١٧٧ ، سطر ١٦ .

(٢) بغير نقط فى ف ، وسيصحح الناشر هذا الاسم بهذه الصيغة فيما يلى بغير تعليق ، انظر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٢٥ ، وما بعدها ) ، حيث وردت أخبار هذا الأمير بتفصيل . راجع أيضا (Howorth : Op. Cit. III, pp. 471, 587, 593, etc) ، حيث ورد هذا الاسم بصيغتى (Irenchin) و (Ibrinjin) .

(٣) فى ف « وغيره » ، وقد عدلت بضمير المثنى ، وأضيف اسم الأمير دقاق من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ٣٠ ، ص ١٢٥ ) لتستقيم العبارة مع ما يليها بالمتن .

(٤) فى ف « فنقل له الخبر » ، وقد عدلت الجملة إلى ما بالمتن للتوضيح .

(٥) كان على شاه المذكور هنا قد انفرد بمنصب الوزارة بعد مقتل الوزير رشيد الدولة . انظر (Browne : Op. Cit. III. PP. 51-52) ، وكذلك ما سبق ص ١٨٩ .

(٦) كذا فى ف ، والمقصود به أبو سعيد إيلخان فارس ، وسيحافظ الناشر على هذا الرسم حيثما يرد بهذه الصيغة ، باعتباره تسمية اصطلح عليها المعاصرون لهذا الملك ، فقد ذكر ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٥٠١ ) نقلا عن الصفدى ما نصه : « الناس يقولون أبو سعيد بلفظ الكنية ، لكن الذى ظهر لى أنه عَلَم ليس فى أوله ألف ، فإنى رأيته كذلك فى المكاتبات التى كانت ترد منه إلى الناصر ، هكذا بو سعيد ... » .

من الأمير تنكز نائب الشام ، وفيها الخيل والهجن بأكوار(١) ذهب ، وسلاسل ذهب وفضة ، ومقاود (١٣٨ ا) حرير ؛ ثم تقدمة الملك المؤيد صاحب حماة . وتولى كريم الدين بنفسه تجهيز ما يُحتاج إليه ، وعمل عده قدور من ذهب وفضة ونحاس تحمل على البخاتى ويطبخ فيها ؛ وأحضر الخولة لعمل مباقل(٢) ورياحين فى أحواض من خشب تحمل على الجمال ، فتصير مزروعة وتسقى ويحصد منها ماتدعوالحاجة إليه ، فيها من البقل والكرات والكزبرة والنعناع والريحان وأنواع المشمومات شىء كثير ؛ ورتّب لها الخولة لتعهدها(٣) ؛ وجُهِّزت الأفران وصُنّاع الكماج(٤) والجبن المقلى وغيره . ودَفَعَ [ كريم الدين ] إلى العربان أجرة الأحمال من الشعير والدقيق والبقسماط ، وجهّز فى بحر الملح مركبين إلى ينبع ومركبين إلى جدّة ، وكتب أوراق العليق للسلطان والأمراء وعدتهم اثنان وخمسون أميرا ، لكل أمير (١٣٨ ب) مابين مائة عليقة فى كل يوم إلى خمسين عليقة إلى عشرين عليقة ، فكانت جملة العليق فى مدة الغيبة مائة ألف وثلاثين ألف أردب من الشعير . وحُمل من دمشق خمسمائة حمل على الجمال ، مابين حلوى وسُكَّرْدانات(٥) وفواكه ، ومائة وثمانون حمل حب رمان ولوز ومايحتاج إليه من أصناف المطبخ . وجهّز كريم الدين من الأوز ألف طائر ، ومن الدجاج ثلاثة آلاف طائر .

وعيّن السلطان(٦) الأمير أرغون النائب بديار مصر [ للإقامة بقلعة الجبل ] ، ومعه الأمير أيتمش وغيره ؛ [ ورسم لمن تأخر من الأمراء أن يتوجهوا إلى نواحى

(١) الأكوار جمع كور ، وهو الرحل يوضع على ظهر الخيل أو الإبل . (المحيط) .

(٢) المباقل جمع مبقلة ، وهى هنا أنواع البقول . أنظر محيط المحيط ، وكذلك ( Dozy : Supp. Dict. Ar. )

(٣) فى ف « لتعاهدها » .

(٤) الكماج جمع كماجة ، وهى كلمة فارسية الأصل ، ومعناها الخبز الشديد البياض ، أو - على حد قول محيط المحيط - الفطير من الخبز ، يعجن بغير خميرة ويخبز على الرماد ( nee espèce de pain très blanc, sans levain, ou cuit dans les cendres) انظر ( Dozy : Supp. dict. Ar. ) .

(٥) السكردانات جمع سكردان ، وهى حسبما شرح ( Dozy : Supp. dict. Ar. ) لفظ فارسى مركب ، ومعناه الوعاء المستعمل لحفظ الحلوى المحفوظة ، أو هو الوعاء عامة .

(٦) فى ف « وعين السلطان باقامة الامير ارغون النايب بديار مصر » ، وقد عدلت الجملة ، وأضيف مابين الحاصرتين هنا وبسائر هذه الفقرة من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ) .

إقطاعهم فيكون كل منهم ببلاد إقطاعه إلى حين عود السلطان ، ولا يجتمع أمير بأمير فى غيبته ، وكَتَبَ إلى النواب بالشام أن يستقرّ كل نائب بمقرّ مملكته ، ولا يتوجه إلى صيد إلى حين عوده ، فامتثلت أوامره ].

و [ فيه ] قدم الملك المؤيد من حماة .

فتوجه المحمل على العادة فى يوم الأحد ثامن عشر شوال ، مع الأمير سيف الدين طرجى[1] أمير مجلس . وركب السلطان من القلعة فى أول ذى القعدة ، وسار ( ١٣٩ ا ) من بركة الحاج فى سادسه ، ومعه صاحب حماة والأمراء وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وأهل الدولة .

وقدم [ السلطان ] مكة بتواضع وذلة ، بحيث قال للأمير بدر الدين جنكلى بن البابا : « لازلتُ أعظّم نفسى إلى أن رأيت الكعبة ، وذكرت بَوْس الناس الأرض لى ، فدخلتْ فى قلبى مهـــابة عظيمة مازالت حتى سجدتُ لله تعالى » . وحسَّن له بدر الدين محمد بن جماعة أن يطوف راكباً ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « ومن أنا حتى أتشبَّه بالنبى صلى الله عليه وسلم ! ! والله لا طفتُ إلا كما يطوف الناس » . ومَنَعَ [السلطان] الحجاب من مَنْعِ الناس أن يطوفوا معه ، وصاروا يزاحمونه وهو يزاحمهم كواحد من الناس ، فى مدة طوافه وفى تقبيله الحجر . وبلغه أن جماعة ( ١٣٩ ب ) من المغل ممن حجّ قد اختفى خوفا منه ، فأحضرهم وأنعم عليهم وبالغ فى إكرامهم . وغسل الكعبة بيده ، وأخذ أزُر إحرام الحجاج وغسلها لهم بنفسه . وأبطل سائر المكوس من الحرمين ، وعوّض أميرى مكة والمدينة عنها إقطاعات بمصر والشام . وأحسن إلى أهل الحرمين ، وأكثر من الصدقات .

وفى يوم الثلاثاء ثالث ذى الحجـــة ظهر بعد الظهر القمر فى السماء مُقارِنا لكوكبٍ ، وأقاما ظاهرين إلى بعد العصر .

---

(١) فى ف ، وفى ب ( ١٣٧٢ ) « طرشى » ، والرسم المثبت هنا من ( Zettersteen : Op. Cit. p. 169 ) ، واسم هذا الأمير أيضا بنفس المرجع « اطرجى » .

وفيه مهّد السلطان ما كان فى عقبة أيلة من الصخور، ووسّع طريقها حتى أمكن سلوكها بغير مشقة.

وفيه اتفقت موعظة: وهى أن السلطان بالغ فى تواضعه بمكة، فلما أخرجت الكسوة لتعملَ على البيت صعد كريم الدين الكبير إلى أعلا (١٤٠ ا) الكعبة بعدما صلّى بجوفها، ثم جلس على العتبة ينظر إلى الخياطين ؛ فأنكر الناس استعلاءه على الطائفين، فبعث الله عليه نحاساً سقط منه على أم رأسه من علو البيت، فلو لم يتداركوه من تحته لهلك. وصرخ الناس فى الطواف تعجباً من ظهور قدرة الله فى إذلال المتكبرين، وانقطع ظُفُر كريم الدين، وعلم بذنبه فتصدّق بمال جزيل.

وفى هذه السنة حشدَ الفرنج، وأقبلوا يريدون استئصال(١) المسلمين من الأندلس فى عدد لا يحصى(٢)، فيه خمسة وعشرون(٣) ملكاً، فقاق المسلمون

---

(١) فى ف « استيعال »، والرسم المثبت هنا من ب (٢٧٢ ب).

(٢) يشير المقريزى هنا إلى حلقة متأخرة من حلقات النضال المتواصل بين القوى الإسلامية والمسيحية بإسبانيا، حيث كانت زعيمة الدول المسيحية وقت ذاك مملكة قشتالة ( Castile )، وملكها ألفونسو الحادى عشر( Alphonso xi 1312-1344 A. D ) أما القوى الإسلامية فكانت قاصرة على مملكة غرناطة فى أقصى الجنوب الشرقى من شبه الجزيرة، وسلطانها يومئذ الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل ابن فرج بن نصر ( ٧١٣ — ٧٢٥ هـ، ١٣١٤ — ١٣٢٥ م )، وهو خامس سلاطين بنى الأحمر. انظر ماسبق، ص ١٨٩، حاشية ٢، و ( Camb Med. Hist. VII P 574 )، وكذلك ( Zambaur : Op. Cit. pp. 58-59 ) و (Lane - Poole : Moors in Spain. P. 217) وقد استطاعت دولة بنى الأحمر هذه أن تقاوم مملكتى قشتالة وأرجونة مدة طويلة، بل أمكنها أن تلحق بجيوشهم الهزائم أحياناً كما بالمتن هنا، وذلك لأسباب منها ما كانت تضطرم به هاتان المملكتان من فتن داخلية كثيرة، ولأن مملكة غرناطة قد جمعت فى إقليمها الصغير جميع العناصر الإسلامية التى أخرجت من ديارها الإسبانية، ولأنها كانت تجد من بنى مرين بمراكش منجداً ومغيثاً فى كثير من حروبها الدفاعية ضد الدول المسيحية. (Camb. Med. Hist. VII P. 567 et seq). غير أن السلطان الغالب بالله لم يجد من أبى سعيد عثمان بن يعقوب ملك بنى مرين نجدة أو مساعدة تلك السنة، كما بالمتن، على أنه تعوّض عن ذلك بما قام به أمير جيشه شيخ الغزاة أبو سعيد عثمان بن أبى العلاء المرينى من أعمال حربية جريئة. انظر ( Ency. Isl. Art. Nasrids )، وكذلك النويرى ( نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ١٣٠ — ١٣٤ )، حيث وردت أخبار هذه الحرب بتفصيل واف، ومنه أن الجيوش المسيحية وصلت إلى قرب غرناطة وهددتها. انظر ملحق رقم ٢ بآخر هذا الجزء.

(٣) ذكر النويرى ( نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ١٣١ ) بعض أولئك « الملوك »، ونصه : « وقدموا فى جيوش عظيمة اشتملت على خمسة وعشرين ملكاً، منهم ملك اشقونة (كذا ولعلها أشبونة Lisbon )، وقشتالة (Castile)، والفرنتير (كذا ولعلها ألبيرة Elvira )، وأرغون (Aragon) وطليرة ( Talavera )، ووصلت إليهم الأثقال والمجانيق وآلات الحصار »،

بغرناطة ، واستنجدوا بالمرينى ملك فاس[(١)] فلم ينجدهم ، فلجـّوا إلى الله وحاربوهم وهم نحو ألف وخمسمائة فارس وأربعة آلاف راجل ، فقتلوا الفرنج بأجمعهم . وأقل ماقيل (١٤٠ ب) إنه قتل منهم خمسون ألفاً ، وأكثر ماقيل ثمانون ألفاً ؛ ولم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر فارساً ؛ وغنم المسلمون ما لا يدخل تحت حصر ، وسُلخ الملكُ دون بترو[(٢)] وحُشى قطناً ، وعُـلّق على باب غرناطة (٣) ؛ فطلب الفرنج الهدنة فعقدت ، وبقى دون بترو معلقاً عدة سنين .

ومات فى هذه السنة من الأعيان الأمير سيف الدين كراى المنصورى ، فى سادس عشر المحرم بسجن القلعة ؛ وكان مقداماً قليل السياسة . ومات الأمير شجاع الدين أغرلوا العادلى ، أحد مماليك العادل كتبغا ، بدمشق سلخ جمادى الأولى ؛ وكان شجاعاً كريماً . و [ مات ] الأمير علاء الدين طيبرس الخزندارى ، نقيب الجيش [ و ] أحد أمراء الطبلخاناه ، فى عشرى ربيع الآخر ؛ ودفن بمدرسته (١٤١ ا) المجاورة للجامع الأزهر ؛ و [ كان قد ] أقام فى نقابة الجيش نحو أربع وعشرين سنة ، لم يقبل فيها لأحد هدية ؛ وكان ديّنا صاحب مال كبير ، وهو أول من عمّر فى أرض مصر بستان الخشاب [و] الجامع والخانكاه على النيل ، وبنى المدرسة المجاورة للجامع الأزهر ، وعمل لذلك أوقافاً كثيرة ، ولما كملت وجاءه مباشره بحساب مصروفها لم ينظر فيه وغسله بالماء ، وقال : « شيء خرجنا عنه لله لانحاسب عليه » . ومات الأمير ملكتمر السليمانى الجمدار ، فجأه . ومات الشيخ أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المنبجى[(٤)] ، ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة ؛ ومولده فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة ؛ وكان معتقداً عارفاً بالقراآت ، محدّثاً فقيهاً حنفياً ؛ [و] أقام عدة سنين لا يأكل اللحم ؛ (١٤١ ب) وحل له حظ وافر فى الدولة المظفرية بيبرس .

---

(١) فى ف « فارس » .

(٢) كذا فى ف ، وهو فى ب (١٧٣ ا) « دون بطرق » . والمقصود بذلك (Don pedro) أحد أوصياء ألفونسو الحادى عشر ملك قشتاله ، وقد قتل معه وصى ثان اسمه دون جوان (Don juan). انظر (Ency Isl. Art. Nasrids) هذا وقد ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٣١) أن الوقعة النهائية فى تلك الحرب كانت يوم عيد ، وهو عيد القديس حنا (Sit John's Day, 1319A.D.) انظر أيضاً (Yonge : Christians And Moors Of Spain, p. 215) .

(٣) فى ف « قرناطة » وما هنا من ب (٢٧٣ ا) .

(٤) فى ف « المسجى » والرسم المثبت هنا من ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٥٢) . انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٩٢) .

و [ مات ] القاضى فخر الدين أبو عمرو عثمان بن على بن يحيى بن هبة الله الأنصارى الشافعى — عُرف بابن بنت أبى سعد — ، فى ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ؛ ومولده فى حادى عشرى رجب سنة تسع وعشرين وستمائة بداريا ظاهر دمشق ؛ واستقرّ عوضه فى تدريس الجامع الطولونى عز الدين [ عبد العزيز(١) ] بن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة . ومات الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن القاهر محمد بن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى ، بالقاهرة فى ثانى ذى القعدة ؛ وقد حضر من دمشق فى طلب إمرة ، فأنعم عليه بإمره ( ١٤٢ ا ) طبلخاناه بدمشق ، فمات قبل عوده إليها ؛ ومولده بدمشق فى سنة خمس وخمسين وستمائة . ومات بدمشق شهاب الدين أحمد ابن صلاح الدين محمد بن الملك الأمجد مجد الدين حسن بن الناصر دواد بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب ، فى رجب يوم الاثنين لستّ بقين منه . ومات الصدر بدر الدين محمد بن ناصر الدين منصور بن الجوهرى الحلبى ، بدمشق فى سادس عشر جمادى الآخرة ؛ ومولده بحلب فى ثالث عشر صفر سنة اثنين وخمسين وستمائه ؛ وكان من رؤساء الدولة العادلية كتبغا ، وعُرضت عليه وزارة دمشق فأبى .

* * *

سنة عشرين وسبعمائة . [ فيها ] عاد السلطان من الحجاز بعدما مرّ بخلَيص(٢) ، وقد ( ١٤٢ ) جرى الماء إليها . وكان قد ذُكر له وهو بمكة أن العادة كانت جارية بحمل مال إلى خُلَيص ، ليجرى الماء من عين بها إلى بركة يردُها الحاج ، وقد انقطع ذلك منذ سنين ، وصار الحاج يجد شدة من قلة الماء بخليص ؛ فرَسَم بمبلغ خمسة آلاف درهم لإجراء الماء من العين إلى البركة ، وجعلها مقررة فى كل سنة لصاحب خليص . فأجرى

(١) ليس لما بين الحاصرتين وجود فى ف ، ولكنه فى ب ( ١٣٧٣ ) . انظر أيضاً ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ ) .

(٢) بغير ضبط فى ف ، وهو حسبما ورد فى ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ ) حصن بين مكة والمدينة .

صاحب خليص الماء قبل وصول السلطان إليها (١) ، واستمرّ حمل المال إليه فى كل سنة ، ووُجد الماء فى البركة دائماً .

ولقى السلطان فى هذه السفرة جميع العربان : من بنى مهدى وأمرائها ، وشطى وأخيه عساف وأولاده ، وأشراف مكة من الأمراء وغيرهم ، وأشرف المدينة (١٤٣ ا) والينبع وخليص ، وبنى لام وعربان حوران ، وأولاد مهنا موسى وسليمان وفياض ، وأحمد وجبار ، بعربهم ؛ ولم يتفق اجتماع هؤلاء لملك قبله . وأكثروا من الدالّة على السلطان ، وجَرَوا على عوائدكم العربية (٢) من غير مراعاة الآداب (٣) الملوكية وهو يحتملهم ، بحيث أن موسى بن مهنا كان له ولد صغير ، فقام فى بعض الأيام ومدّ يده إلى لحية (٤) السلطان وقال له : « يا أبا على ! بحياة هذى ! » ، ومسك منها شعرات ، « إلا ما أعطيتنى الضيعة الفلانية إنعاماً علىّ ؟ » . فصرخ فيه الفخر ناظر الجيش وقال له : « شلْ يدك ! قطع الله يدك ! والك ! تمدّ يدك إلى السلطان ؟ » ؛ فتبسم له السلطان وقال : « يا قاضى ! هذه عادة العرب . إذا قصدوا (١٤٣ ب) كبيراً فى شىء فيكون عظمته عندهم مسك لحيته ، يريدون أنهم قد استجاروا بذلك الشىء ، فهو سُنة عندهم » . فغضب الفخر ، وقام وهو يقول : « والله إن هؤلاء مناحيس ، وسُنتهم أنحس » .

وفيها قدم الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب مبشراً إلى القاهرة ، ومعه الأمير قطلوبغا المغربى (٥) . وقدم الأمير بدر الدين بدرجك (٦) إلى دمشق مبشراً .

وقدم السلطان فى يوم السبت ثانى عشر المحرم ، فخرج الأمراء إلى لقائه ببركة الحاج ، وركب بعد انقضاء أمر السماط فى موكب جليل ، وقد خرج سائر الناس لرؤيته ، وسار إلى القلعة ، فكان يوماً مشهوداً ، وزُينت القاهرة ومصر زينة عظيمة .

وفى يوم [١٤٤ ا] الخميس خامس عشره جلس [السلطان] ، وخلع على سائر الأمراء

---

(١) فى ف « فاجرى الماقبل وصول السلطان إلى خليص » ، وقد عدلت لتستقيم الجملة مع بقية العبارة .
(٢) فى ف « الغريبة » ، والرسم المثبت هنا من ب (٢٧٣ ب) . انظر ما يلى .
(٣) فى ف « الادب » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٢٧٣ ب) .
(٤) يلاحظ من هذه العبارة أنه كان للسلطان الناصر لحية .
(٥) فى ف « المعزى » . انظر ما سبق ، ص ١٩٤ ، حاشية ١ .
(٦) كذا فى ف . انظر أيضاً ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٧٢ ) .

والقضاة وأرباب الدولة ، وعلى الأمير شطى [ بن عبية (١) ] وحسن بن دُرَيْنى ؛ وألبس كريم الدين الكبير أطلسين ، ولم يتفق ذلك لمتعمم قبله .

و [فيه] بعث [السلطان] بالجمال والزاد لتلقى المنقطعين من الحاج ، فتواصَلَ قدوم الحاج إلى أن وصل المحمل يوم الأحد سابع عشريه ، وصحبته قاضى القضاة بدر الدين وغيره ؛ فاتفق فيه مطر عظيم قلّ ما عهد مثله بمصر . وكانت الأسعار قد تزايدت ، فانحطّت منذ قدم السلطان .

وفيه خلع على الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة ، وركب بشعار السلطنة من المدرسة المنصورية بين القصرين ، وَحمل وراءه الأميرُ قجليس السلاح ، والأمير ألجاى الدواة ( ١٤٤ ب ) ، ورُتب معه الأمير بيبرس الأَحمدى أمير جندار وأمير طبر ، وسار بالغاشية والعصائب وسائر دست السلطنة - وهُمْ بالخلع معه - إلى أن صعد القلعة ، فكانت عدة التشاريف مائة وثلاثين تشريفاً : فيها ثلاثة عشر أطلس ، والبقية كنجى (٢) وعمل (٣) الدار وطرد (٤) وحش . وجلس [ صاحب حماة ] رأس الميمنة ، ولقّبه [السلطان] بالملك المؤيد ، وسافر من يومه بعد ما جهزه السلطان بسائر ما يحتاج إليه .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر أفرج عن الأمير علم الدين سنجر البروانى ، والأمير علاء الدين أيتغلى الشيخى ، وصارم الدين العينتابى ، وعز الدين أيدمر الشيخى ، وعلاء الدين مغلطاى السيواسى ، والحاج بدر الدين بيليك ، وشمس الدين ( ١٤٥ ا ) سنقر الكمالى الصغير ، والشيخ على التبريزى ، وسيف الدين منكجار ، وسيف الدين طوغان ، نائب البيرة ، وناصر الدين منكلى ، وطاشار ، وموسى وغازى أخوى حمدان بن صلغاى ، وعن الشريف رميثة بن أبى نمى .

وفيه هرب من سجن الإسكندرية الأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمى النقيب ، - ويقال له زيرامو - ، وبهادر التقوى الزرّاق ؛ فأدركهما الطلب ، وأخذا وحملا إلى

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ) .

(٢) فى ف « كنجى » . انظر المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٤٧ ، حاشية ٩ ) .

(٣ ، ٤) انظر ما سبق ، ص ٩٨ ، حاشية ٣ ، ٤ .

القلعة ، بعد ما خرج الأمير أيتمش المحمدى والأمير أصلم [ للقبض عليهما ] . فلما أحضر كُتب بعود الأميرين [أيتمش المحمدى وأصلم] ، فرجعا ثالث يوم سفرهما ، وأنزل بالأميرين الهاربين ليُوَسطا (١) تحت القلعة ، فشفع فيهما الأمراء ، فعفى السلطان عنهما من القتل ، وكحلهما بالحديد المحمّى مرتين (١٤٥ ب) حتى فقدا البصر .

وفيه رُسم بالإفراج عَمَّن فى سجن الإسكندرية ، فقدموا القاهرة وأنعم عليهم بالإقطاعات ، من أجل أنهم لم يوافقوا على الهروب .

و [ فيه ] كتب بإعفاء الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من نظر طرابلس ، وأن يقيم بالقدس ، ورُتّب له فى كل شهر ألف درهم ، وبَعث إليه كريم الدين الكبير هدية حسنة .

وفى يوم الأربعاء سادس ربيع الأول سار الأمير بيبرس الحاجب بطائفة من الأجناد إلى مكة ، ليقيم بها بدل الأمير آقسنقر شاد العمائر (٢) الذى استخلفه السلطان بمكة ، ومعه عدة أجناد تخوفا من هجوم الشريف حميضة على مكة .

و [فيه] كتب بخروج عساكر الشام إلى غزو [بلاد (٣) متملك] سيس ، لمنعه الحمل .

وفيه أبطل مكس الملح (١٤٦ ا) بديار مصر ، فأبيع الأردب الملح بثلاثة دراهم بعد ما كان بعشرة ؛ فإنه كُتب إلى الأعمال ألا يمنع أحد من شيل الملح من الملاحات ، وأبيحت لكل أحد ، فبذل الناس إليها وجلبوا الملح .

[وفيه (٤) وصلت] الستر الرفيع الخاتون طلنباى . ويقال دُلَنبية (٥) ، ويقال طولونية

(١) التوسيط إحدى العقوبات الكبرى بمصر فى العصور الوسطى ، وقد مر شرحه فى المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٠٤ ، حاشية ١ ) .

(٢) شرح القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٢ ) هذه الوظيفة بالآتى : « شد العمائر ، وموضوعها أن يكون صاحبها متكلما فى العمائر السلطانية ، مما يختار السلطان إحداثه أو تجديده من القصور والمنازل والأسوار ... » .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٣٧٤ ب ) .

(٤) موضع ما بين الحاصرتين بياض فى ف ولكن فى ب ( ٣٧٤ ب ) .

(٥) فى ف « ويقال دلسه ويقال طولونية بنت طغاجى بنت هندو بن برتكوب دوشى خان ... » ، وقد صححت هذه الأسماء وضبطت بعد مراجعة ( Zambaur : Op. Cit. pp. 241-250,270.271 ) ، والنويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٣٧ ) ، والمقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٦٦ ) ، و ( Zetterstéen : Op. Cit. p. 216 ) .

بنت طغاى بن هندو بن باطو بن دوشى خان بن جنكز خان . وسبب ذلك أن السلطان كان قد بعث إلى أزبك يخطب بعض الجهات الجنكزية ، فاشتطّ [ به أزبك ] فى طلب المهر وطول المدة وكثرة الشروط . فأعرض [السلطان] عن الخطبة وسير إليه الهدية كما تقدّم (١) . وكان أزبك قد عيّن المذكورة (٢) ، فاستدعى التجار واقترض منهم ثلاثين ألف دينار بمعاملتهم، صَرْفُ كل (١٤٦ ا) دينار ستة دراهم ، وجزها مع بعض أمرائه فى مائة وخمسين رجلا وستين جارية وقاضى سراى ، ومعهم هدية سنية ؛ فقدموا فى البحر إلى الإسكندرية فى عشرى ربيع الأول . وخرج الأمير أقبغا عبد الواحد فى عدة من الأمراء ومعه الحراريق إلى لقائها ؛ وخرج كريم الدين الكبير ومعه عربان وبخاتى وبغال ، وضرب الخيام (٣) الحرير الأطلس بالميدان . فحملت [ الخاتون ] فى الحراريق إلى ساحل مصر ، وركبت فى العربة إلى الميدان ؛ والحجاب تمشى قدام العربة ؛ فأقامت بالخيام (٤) ثلاثة أيام . ثم حملت إلى القلعة ليلة السبت سلخه فى عربة تجرّها العجل ، وهى كالقبة مغطاة بالديباج ؛ وفى خدمتها الأمير أرغون النائب ، والأمير ( ١٤٧ ا ) بكتمر الساقى ، والقاضى كريم الدين الكبير .

وفى يوم الاثنين ثانى ربيع الآخر جلس السلطان للرسل ، وحضر كبيرهم باينار (٥) وكان مقعداً لا يقدر على القيام ولا المشى وإنما يحمل ؛ ودخل معه إيتغلى (٦) وطقبغا (٧) ، ومنغوش ، وطرجى ، وعثمان خجا ، والشيخ برهان الدين إمام القان ، ورُسل الأشكرى . فأجْلِس باينحار ، وأخذ منه كتاب أزبك ، فبلّغ السلام وقال : « أخوك أزبك ، أنت سيّرت طلبت من عِظم القان بنتاً ، فلما لم يسيرها لم يطب خاطرك ؛ وقد سيرنا لك من بيت كبير ، فإن أعجبتك خذها بحيث لا تخلى عندك أكبر منها ، وإن لم تعجبك فاعمل بقول الله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا (١٤٧ ب) الأمانات إلى أهلها » . فقال السلطان : « نحن ما نريد الحُسن ، وإنما نريد كبر البيت والقرب من أخى ، ونكون نحن وإياه

(١) انظر ما سبق ، ص ١٧٤ ، حاشية ١ .

(٢) فى ف « المذكور » ، وما هنا من ب ( ٣٧٤ ب ) .

(٣ ، ٤ ) فى ف « الخام » .

(٥) بغير نقط فى ف ، انظر ما سبق ، ص ٦٠ ، حاشية ١ ، ص ٨٧ ، سطر ٤ .

(٦ ، ٧) بغير نقط فى ف ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٢٧٥ ) .

شيئاً واحداً »، وبلّغه أيضاً [برهان الدين[١]] مشافهة [من قِبل أزبك]. فتولى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة العقد على ثلاثين ألف دينار ، الحالّ منها عشرون ألفاً ، والمؤجل عشرة آلاف ؛ وقبله السلطان بنفسه . وكتب علاء الدين على بن الأثير كاتب السر العقد بخطه ، وصورته بعد البسملة : « هذا ما أصدق مولانا السلطان الأجل الملك الناصر على الخاتون الجليلة بنت أخى السلطان أزبك خان طولو ابنة طغاى بن بكر بن دوشى خان بن جنكز خان » . وخلع [السلطان] يومئذ خمسمائة خلعة ، وكان يوما مشهوداً (١٤٨ ا) . وبنى عليها من ليلتها ، فلم تَلق بخاطره[٢] . وأصبح [السلطان] فتقدم إلى كريم الدين أكرم [الصغير [٣]] بالتوجه إلى الصعيد وتعبية الإقامات إلى قوص ، وجهز الرسل بالهدايا والإنعامات وسفّرهم ، وركب للصيد.

وفيها توقف حال الناس بسبب الفلوس وما كثُر فيها من الزّغل[٤] ، وكانت المعاملة بها عددا عن كل درهم فضة عدة ثمانية وأربعين فلساً من ضرب السلطان ، فعملها الزّغَلية ، وخففوا وزنها حتى صار الفلس زنته سدس درهم . وكانت معاملة دمشق بالفلوس التى يقال لها القراطيس[٥] ، والقرطاس[٦] ستة فلوس ، ويعدّ فى الدرهم الفضة أربعة وعشرون قرطاساً ؛ فأبطل السلطان القراطيس من دمشق ، وضُرِب بها كل فلس (١٤٨ب) زنته درهم ، وصار الدرهم بثمانية وأربعين فلساً مثل معاملة مصر ؛ فنقلت [هذه] الفلوسُ الخفافُ القراطيسُ إلى مصر، وخلطت بفلوس المعاملة[٧] حتى كثرت ، وقلّت الجياد[٨] . فتعبت الناس فيها ، وزادت الأسعار

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٧٥ ب) .

(٢) قصة هذه الزيجة واردة فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ص ١٢٧ ؛ وما بعدها) ، وهى فى أولها أكثر تفصيلا مما هنا ؛ غير أن المقريزى قد أورد تفصيلات أوفى بصدد الأدوار الختامية لذلك الزواج .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٧٥ ب) .

(٤) الزغل النقود المزيفة عامة ، ويسمى مزيفوها باسم الزغلية . (Dozy: Supp. Dict. Ar.)

(٥) هنا إشارة واضحة إلى أن القراطيس نوع من الفلوس النحاسية ، وهى فى (Dozy Supp. Dict. Ar.) دراهم ملفوفة على شكل إصبع (rouleau d'argent). انظر أيضاً : (Habeiche : Dictionnaire Françaic- Arabe) .

(٦) فى ف « القراطيس » .

(٧) الفلوس المعاملة هى المضروبة حسب قوانين الدولة القائمة ، وتكون متداولة بين الناس مقبولة لديهم بقيمتها الرسمية . انظر المقريزى (إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ١٤ ، حاشية ٣) .

(٨) المقصود بذلك « الجيدة » ، وهو جمع صحيح للفظ جيد . (المحيط) .

كلها ، حتى غلّقت الباعة الحوانيت عند ما نودى أن تكون الفلوس بالميزان ، على أن كل رطل منها بثلاثة دراهم فضة . فركب والى القاهرة ، وضرب كثيراً من ارباب المعايش بالمقارع ، وشهّرهم ولم يرجعوا ؛ فنودى أن الفلس الذى عليه بقجة[1] من ضرب دار الضرب يؤخذ ، والفلس الخفيف يردّ ، فلم يفد ذلك شيئاً . وعمل الزغلية فلوساً خفافا عليها بقجة ، فنودى أن يؤخذ (١٤٩ ا) الجميع بحساب درهمين ونصف الرطل ؛ فمشى الحال قليلا ، واستمرّ عَنتُ العامة ، وكثر تعطيلهم الحوانيت وغلقها .

وكان السلطان غائباً ، فلما نزل بالجيزة وخرج كريم الدين إلى لقائه صاحت به العامة وفاجأوه[2] بما لا يليق ، وتكاثروا عليه من كل جهة . وشكوا ما بهم من أمر الفلوس وردّ الباعة لها وقلة الخبز وغيره ، فوعدهم بخير ، وعرّف [ كريمُ الدين ] السلطانَ ذلك . فاستدعى [السلطانُ] الأمراء ، وأنكر عليهم ردّ مباشريهم[3] الفلوس وعدم بيعهم القمح من الشون للطحانين [والموانة[4]] ، وقرّر ضرب فلوس جدد زنة الفلس منها درهم . وعلى أحد وجهيه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعلى الآخر اسم السلطان ؛ فضرب منها نحو ثمانين ألف رطل : (١٤٩ ب) واستقرّت الفلوس العتق[5] كل رطل بثلاثة دراهم إلى أن تخرج الفلوس الجدد من دار الضرب . فاستمرّ ذلك ، ومشت الأحوال ؛ إلا أنه صار فيها غبن زائد ، وذلك أن الرطل من العتق يبلغ سبعة دراهم بالعدد .

(١) البقجة مفرد بقج ، والواضح من المتن أن معناها هنا علامة سلطانية خاصة بدار الضرب ، كالسكة مثلا ، وهذا يضيف إلى المعانى الكثيرة التى أوردها (Mayer : Saracenic Heraldry. PP. 14-15) لهذا اللفظ . وقد وصف النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٢ ) هذه الفلوس التى ضربها الناصر محمد وصفا دقيقا بالآتى : « وخرجت الفلوس الجدد من دار الضرب ، وعلى أحد وجهيها اسم السلطان ؛ وعلى الوجه الآخر مثال بقجة مربعة ، وزنة كل فلس منها نصف وربع وثمن درهم » .

(٢) الضمير عائد على كريم الدين . انظر ما يلى .

(٣) فى ف « مباشرتهم » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٧٥ ب ) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٣٧٥ ب ) ، والموانة هنا ـ والمفرد موّان ـ المشتغلون بتموين الناس بما يحتاجون من غلال أو دقيق (fournisseur, munitionnaire, pourvoyeur) انظر ( Dozy : Supp. Dict. Ar. )

(٥) الفلوس العتق هى التى تكون أقدم من غيرها من الفلوس فى التداول بين الناس ؛ وليس معناها الفلوس القديمة التى ترجع إلى ما قبل النقود الإسلامية ، كالطبرية مثلا . انظر المقريزى (إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٤٨ ، حاشية ٢ ، ص ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ) ، والكرملى ( النقود العربية ، ص ١١٥ ) .

وفيها قدمت رسل متملك اليمن بالهدية ، وأحضروا بالقلعة يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة . وفى ليلته خسف القمر .

وفيها بعث السلطان ثلاثين فداويا من أهل قلعة مصياب(١) للفتك بالأمير قراسنقر فعند ما وصلوا إلى تبريز نمّ بعضهم لقراسنقر عليهم ، فتتبّعهم وقبض على جماعة منهم ، [ وقتلهم ](٢) . وانفرد به بعضهم وقد ركب من الأردو ، فقفز عليه فلم يتمكن منه (١٥٠ ا) وقُتل . واشتهر فى الأردو خبر الفداوية ، وأنهم حضروا لقتل السلطان أبى سعيد وجوبان والوزير على شاه وقراسنقر وأمراء المغل ؛ فاحترسوا على أنفسهم ، وقبضوا عدة فداوية . فتحيّل بعضهم وعمل حمّالا ، وتبع قراسنقر ليقفز(٣) عليه فلم يلحقه ، ووقع على كفل الفرس فقُتل ؛ فاحتجب أبو سعيد بالخركاه(٤) أحد عشر يوما خوفا على نفسه . وطُلب(٥) المجد(٦) إسماعيل ، وأنكر عليه جوبان وأخرق به ، وقال [ له ] : « والك ! أنت كل قليل تحضر إلينا هدية ، وتريد منا أن نكون متفقين مع صاحب مصر ، لتمكر بنا حتى تقتلنا الفداوية والإسماعيلية ، وهدّده أنه يقتله شرّ قتلة ، ورسّم عليه ؛ فقام معه الوزير على شاه حتى أفرج (١٥٠ب) عنه ثم قدم(٧) الخبر من بغداد بأن بعض الإسماعيلية قفز على النائب بها ومعه سكين فلم يتمكن منه ، ووقعت الضربة فى أحد أمراء المغل ، وأن الإسماعيلى فرّ ، فلما

(١) فى ف « مصاب » ، ويلاحظ أن هذه القلعة تسمى باسم مصياف أيضاً . راجع ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٦٦ ) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٢٧٦ ا ) .

(٣) فى ف « تقز » .

(٤) تقدم شرح هذا اللفظ شرحا مختصراً فى المقريزى ( كتاب السلوك ؛ ج ١ ، ص ٥ ) ، وهو لفظ فارسى معناه الخيمة الكبيرة ، كالتى يستعملها الملوك والأمراء فى الأسفار ، غير أنه يوجد بالقلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ) وصف أدق للخركاه ، ونصه : « الخركاه بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ، ويغشى بالجوخ ونحوه ، تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء لوقاية البرد » .

(٥) فى ف « فطلب » .

(٦) اسم هذا الرجل مجد الدين إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلامى ، وقد عرف باسم خواجا مجدالدين السلامى ، وكان يلى وظيفة تاجر الخاص فى دولة السلطان الناصر محمد ، فيدخل بلاد التتر ويعود بالرقيق . غير أنه كان أيضاً سفيراً للسلطان الناصر ، وهو الذى تم على يديه وبحسن تدبيره أمر الصلح بين السلطان الناصر وأبى سعيد . انظر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٣ ) .

(٧) فى ف « فقدم عليه » ، وقد عدلت الجملة لتستقيم مع سائر العبارة .

أدركه الطلب فقتل نفسه . فتنكر جوبان لذلك ، وجهز الجد السلامى إلى مصر ليكشف الخبر ، و بعثوا فى أثره رسولا بهدية .

وفيها عادت العساكر من غارة سيس إلى أبيات مهنا ، وطردوه من مكانه ، وفرّقوا جمعه فى نواحى العراق .

وفيها كثرت كتابة الأوراق للسلطان فى أمرائه وأهل دولته ، وإلقائها من غير أن يعلم من أين هى ، أو ربطها بجناح طائر [ حمام ] وحذفه [١] خارج حائط الميدان تحت القلعة إلى داخله ؛ فتأذّى بذلك جماعة كثيرة . ( ١٦١ ا ) فاتفق أن السلطان ركب إلى مطعم [٢] الطيور بالمسطبة التى أنشأها قريباً من بركة الحبش ، فوجد ورقة مختومة فقرأها ولم يُعلم أحداً بما فيها ، وعاد إلى القلعة وقد اشتد حنقه [٣] ، ووقف عند دار النيابة وأمر بهدم المساطب والرفرف وغَلْق الشباك . ثم بعث [٤] [السلطان] أمير جاندار إلى الأمير سيف الدين البوبكرى أن يتحوّل من داره بالقلعة ويسكن بالقاهرة ، فنزل من يومه وسكن بدار كراى المنصورى ، وهدمت الدار التى كان البوبكرى يسكنها ، وعمرت قاعات وطباق للخاصكية . وامتنع [ السلطان ] من ركوبه إلى المطعم المذكور ، وصار يركب إلى ميدان القبق . وكانت الورقة تتضمن سبَّ ( ١٥١ ب ) السلطان وسوءَ تصرفه ، وتسليطه الكتاب النصارى على المسلمين ، وصُلْحَه مع المغل .

واتفق [٥] أن بعض العامة أخبر [٦] عن شخص غريب ، فأفضى الأمر إلى تحملهما [٧]

---

(١) فى ف « ودفعه تحت حايط الميدان » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٧٦ ا ) ، ومنه أضيف مابين الحاصرتين أيضاً .

(٢) عين ابن تغرى بردى ( حوادث الدهور ، ص ٢٨٠ ) هذا المكان بأنه كان « بقبة النصر خارج القاهرة » ، وحدده ابن إياس ( بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ) بأنه كان « بالريدانية » ، ويستفاد من ذلك مضافا إلى الوارد بالمتن أن مطعم الطيور هذا كان واقعا فى المنطقة التى بها اليوم جبانة الغفير بالعباسية بالقاهرة ، وأنه كان مخصصا لتربية طيور الصيد وحفظها ، فيأتى السلطان إليه لذلك النوع من الرياضة ، ويطلق البازدارية تلك الطيور ووراءها الطيور الجارحة لاصطيادها . انظر أيضاً ابن شاهين ( زبدة كشف الممالك ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ) .

(٣) فى ف « وقد اشتد حنق السلطان » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٧٦ ا ) .

(٤) فى ف « وبعث » .

(٥) فى ف « فاتفق » .

(٦) فى ف ، وكذلك فى ب ( ٣٧٦ ب ) « انكر على » .

(٧) فى ف « تحاملهما » .

إلى الخازن والى القاهرة ، فقال العامى : « هذا الغريب قاصد ومعه فداوية » ، فقرّره الوالى فاعترف أن معه أربعة من جهة قراسنقر بَعَثَهم لقتل السلطان ؛ فقُبض منهم على رجلين ، وفرّ الآخران . وحَمَل الوالى الرجلين (١) إلى السلطان ، فأقرّا بأنهما من جهة قراسنقر ؛ فأمر بهما فقُتلا . وأخذ [ السلطان ] يحترس على نفسه ، ومنع عند ركوبه إلى الميدان المتفرجين من الجلوس فى الطرقات ، وألزم [ الناس ] بغلق طاقات البيوت .

وفيها قُبض على الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة ، وسُجن بالإسكندرية ؛ (١٥٢ ا) ووقعت الحوطة على موجوده يوم الجمعة ثامن عشرى رمضان . [ وكان ذلك ] لقلة اكتراثه بالأمير تنكز نائب الشام ، وموافقة بعض مماليكه [ على ماقيل ] فيه أنه يريد التوجه إلى اليمن .

و [ فيها ] قدم الخبر من الأمير بيبرس الحاجب بقتل الشريف حميضة بن أبى نمى ؛ ثم قدِم (٢) الأمير بيبرس من الحجاز ومعه المماليك الذين اتفقوا على قتل الشريف حميضة ، فقَتَل السلطان قاتله .

وفيها قدم المجد السلامى على البريد من عند الملك أبى سعيد بن خربندا فى طلب الصلح ، فخرج القاضى كريم الدين الكبير إلى لقائه ، وصعد به إلى القلعة ؛ فأخبر [ المجد السلامى ] برغبة جُوبان وأعيان دولة أبى سعيد فى الصلح ، وأن الهدية تصل مع الرسل ؛ فكُتب إلى نائبى حلب ودمشق ( ١٥٢ ب) بتلقى الرسل وإكرامهم . بقدم البريد بأن سليمان ابن مهنا عارض الرسل ، وأخذ جميع ما معهم من الهدية ، وقد خرج عن الطاعة لإخراج أبيه مهنا من البلاد وإقامة غيره فى إمرة العرب . ثم قدمت الرسل بعد ذلك بالكتب ، وفيها طلب الصلح بشروط : منها ألا تدخل الفداوية إليهم ، وأنّ مَنْ حضر من مصر إليهم لا يُطلب ، ومَنْ حضر منهم إلى مصر لا يعود إليهم إلا برضاه ، وألا يُبعث إليهم بغارة من عرب ولا تركمان ، وأن تكون الطريق بين المملكتين مفسوحة تسير تجارة كل مملكة إلى الأخرى ، وأن يسير الركب من العراق إلى الحجاز فى كل عام

(١) فى ف « وحملهما » ، وقد عدلت الجملة للتوضيح .
(٢) فى ف « وقدم » .

بحمل ومعه سنجق فيه اسم صاحب مصر مع سنجق أبى سعيد ليتجمّل بالسنجق (١٥٣ ا) السلطانى ، وألا يُطْلب الأمير قراسنقر . فجمع السلطان الأمراء ، واستشارهم فى ذلك ، بعد ما قرأ عليهم الكتاب ؛ فاتفق الرأى على إمضاء الصلح بهذه الشروط ؛ وجُهّزت الهدايا لأبى سعيد : وفيها خلعة أطلس بداير باولى [١] رزكش ، وقباء تترى وقرقلات وغير ذلك ، مما بلغت قيمته أربعين ألف دينار . وأعيد الرسل بالجواب ، وفيه ألا يُمَكّن عرب آل عيسى من الدخول إلى العراق ، فإن العسكر واصل لقتالهم ؛ وسافر [٢] السلامى على البريد يبشر بعود الرسل بالهدية .

وفيها أنشأ السلطان ميدان المِهار [٣] بجوار قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر ، ونقل إليه الطين ، وزرع فيه النخل ، ولعب فيه (١٥٣ ب) بالكرة مع الأمراء ، ورتّب فيه الحُجُورَة [٤] للنتاج ؛ فاستمرّ ذلك ، وصار يتردّد إليه . ثم أنشأ [ السلطان ] بجوار جامع الأمير علاء الدين طيبرس النقيب زَربية [٥] على النيل ، ليبرز بمناظر الميدان الكبير إلى قريب شاطىء النيل ؛ و [ كان قد ] أخّر عمل ذلك [ بسبب قرب سفره [٦] إلى الصعيد ] .

وفيها مرض كريم الكبير نحو أسبوعين ؛ فكان يحضر إليه فى كل يوم جمدار

---

(١) كذا فى ف بغير نقط ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٣٧٧ ) .

(٢) فى ف « قدم » .

(٣) فى ف « المهارا » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٣٧٧ ) ، والمهار ـ والأمهار والمهارة أيضا ـ جمع مهر ، وهو ولد الفرس . وقد أنشأ السلطان الناصر محمد هذا الميدان ليكون به جميع خيوله ، فإنه كان شغفا بالخيل ونتاجها ، ويحتفظ لكل مما عنده منها سجل به اسم صاحبه الأصلى وتاريخ مولده وشرائه وإذا حملت فرس ترقب الوقت الذى تلد فيه ، فرأى أن ينشىء هذا الميدان برسم نتاج خيوله. ويلاحظ أن المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ) قد سمى هذا الميدان باسم ميدان المهارى وهو خطأ ، فإن المهارى ـ ويقال مهار ومهارى أيضاً ـ هى الأبل المهرية ، نسبة إلى بلدة مهر بعمان ، أو نسبة إلى مهرة ابن حيدان ، وهو حى من قضاعة من عرب اليمن . ( قاموس المحيط ، ومحيط المحيط ) .

(٤) الحجورة ـ والحجور ، والأحجار أيضاً ـ جمع حجر ، وهى الأنثى من الخيل . ( المحيط ) .

(٥) الزربية حظيرة الغنم ، وتكون عادة من خشب . ( المحيط ، ومحيط المحيط ) ، والمقصود بالزربية هنا ، حسماورد فى ( Dozy : Supp. Dict. Ar. ) ، كوخ يصنع حيطانه من الجرائد النخل ( Cabane de branches de palmier ) ، يبتنيه السلطان أو الأمير ليأوى إليه طلباً للراحة ، انظر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٦٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٥١٢ ) .

(٦) أضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ) .

فيخلع عليه بكرة النهار ، ويعود فيأتيه آخر العصر فيخلع عليه ، وكلما أتاه مملوك من جهة أحد الأمراء للسلام عليه خلع عليه . فلما عُوفى وركب زُينت القاهرة ، وأوقدت فيها الشموع ، وجلست المغانى ، واجتمع الناس لرؤيته ، فكان يوما مشهوداً . ولما(١) قدم إلى المدرسة (١٥٤ ا) المنصورية بين القصرين تصدّق بمال ، فمات فى الازدحام ستة أنفس . وصعد [كريم الدين] إلى القلعة ؛ ثم ركب من الغد إلى مدينة مصر ، فزُيّنت لركوبه أيضاً ، وزُيّنت الحراريق ولعبت فى النيل ؛ فخلع على رؤساء الحراريق ، وفرّق فى رجالها مالا ، وعمل لهم مائة خروف شواء . وكانت عدة الشموع التى اشتعلت له فى مصر ألفاً وستمائة شمعة ، ونثر الناس على رأسه الذهب والدراهم ، وعمل [له] الفخر ناظر الجيش ضيافة عظيمة ؛ فكانت [تلك الأيام] من الأيام المشهودة .

وفيها قدم الخبر بأن أبا سعيد أراق الخمور فى سائر مملكته ، وأبطل منها بيوت الفواحش ، وأبعد أرباب الملاهى ، وأغلق الخانات ، وأبطل المكوس التى تُجبَى [من] التجارة الواردة (١٥٤ ب) إليهم من البلاد ، وهدم كنائس بالقرب من توريز ، ورفع شهادة الإسلام ، ونشر العدل ، وعمّر المساجد والجوامع ، وقتل(٢) من وُجِد عنده الخمرُ بعد إراقته . فكتب [السلطان] لسائر نواب الشام بإبطال ضمان الخمارات وإراقة الخمور ، وغلق الخانات واستتابة أهل الفواحش ؛ فعُمل ذلك فى سائر مدن البلاد الشامية وضياعها وجبالها ، واجتهد النواب فى إزالة المناكير حتى طهر الله منها ومن أهلها البلاد .

وفيها قدم مملوك المجد السلامى ورسول أبى سعيد وجوبان ، وأخبروا بوصول الهدية السلطانية ، وسألوا تجهيز السنجق السلطانى ليسير مع الركب إلى الحجاز ؛ فسُيِّر ؛ سنجق حرير أصفر بطلعة (٣) ذهب ، وكتب لصاحب مكة (١٥٥ ا) بإكرام حاج العراق .

و (فيها) قدم البريد من حلب بأن أبا سعيد قد نادى فى مملكته بالحج ، فتجهّز عالم عظيم ؛ وأن فياضاً وسليمان ابنى مهنا قد كثر فسادهما وقطعهما الطريق على التجارة ،

(١) فى ف « فلما » .

(٢) فى ف « قتل » ، والرسم المثبت هنا من ب (٢٧٧ ب) .

(٣) كذا فى ف ، وربما كان المقصود لفظ « الطالع » وهو الهلال . انظر محيط المحيط .

ويُخاف على الركب العراقى من عرب مهنا . فاقتضى رأى السلطان أن استدعى سيف ابن فضل أخى مهنا من البلاد ، وقرّر معه أن أباه فضلا يمتنع مهنا وأولاده من التعرّض لركب العراق ؛ فقام فى ذلك فضل وخدع أخاه مهنا حتى كفّ عنهم ، ولم يتعرّض لأحد منهم ؛ وبعث مهنا بابنه موسى إلى السلطان بأنه لم يتعرّض للركب ، فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى من معه .

وفيها أخرج الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى (١٥٥ ب) إلى الشام على إمرةٍ ، لتغيّر كريم الدين الكبير منه .

وفى ثانى عشرى رجب عُقد بدار السعادة بدمشق مجلس لابن تيمية ، ومنع من الإفتاء بمسألة الطلاق ؛ ثم اعتُقل بالقلعة إلى يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين ، فأفرج عنه.

ومات فى هذه السنة من الأعيان قاضى القضاه شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى بن أبى إسحاق السروجى [ الحنفى (١) ] ، فى يوم الخميس ثانى عشرى رجب ، بعد عزْله فى رابع ربيع الآخر بشمس الدين محمد بن عثمان الحريرى ؛ ومولده سنة سبع وثمانين وستمائة ؛ وكان من أئمة الحنفية ولم يسمع عنه مايشينه ، ولا راعى [ صاحب ] جاه قط ، مع السماح والجود . و[مات] الشيخ أبو العباس (١٥٦ ا) أحمد بن أبى بكر بن عرام [ بن إبراهيم ] بن ياسين بن أبى القاسم بن محمد بن إسماعيل الشيخ بهاء الدين أبى العباس بن أبى الفضائل بن أبى المجد بن أبى إسحاق الربعى الشافعى ، سبط أبى الحسن على الشاذلى ، فى ليلة سابع شوال ؛ ومولده سنة أربع وستين وستمائة ؛ سمع الحديث وقرأ النحو وتصوّف ، وتصدّر بالإسكندرية لإقراء العربية ، وولى نظر الأحباس بها ، وصنّف فى الفقه وغيره . ومات الصاحب قوام الدين الحسن بن محمد ابن جعفر بن عبد الكريم بن أبى سعيد — المعرف بابن الطراح — ، فى أول المحرم ببغداد ؛ ومولده فى ربيع الأول سنة خمسين وستمائة ؛ وهو من بيت علم ورياسة ، وكان يعرف النحو واللغة والحساب والنجوم والأدب . (١٥٦ ب) ومات الصدر فخر الدين أبو الهدى أحمد بن إسماعيل بن على بن الحباب الكاتب ، يوم الخميس تاسع رمضان ، عن سبع وتسعين سنة . وقُتل إسماعيل بن سعيد الكردى على الزندقة ، يوم الاثنين سادس عشرى صفر ؛ وكان عارفا بالقراآت والفقه والنحو والتصريف ، ويحفظ كثيراً من التوراة والإنجيل ، ويحلّ الحاوى فى الفقه ، ويحفظ العمدة فى الحديث ؛

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٧٧ ب) .

غير أنه حُفظت عنه عظائم فى حقّ الأنبياء ، وكان يتجاهر بالمعاصى ؛ فاجتمع القضاة وضربوا عنقه بين القصرين . ومات الحسن بن عمر بن عيسى بن خليل الكردى الدمشقى ، بناحية الجيزة تجاه مصر فى ثالث ربيع الآخر ، وقد أناف على التسعين ؛ قرأ على السخاوى ، (١٥٧ ا) وسمع الحديث . و [ مات ] كمال الدين عبد الرحيم بن عبد المحسن بن حسن بن ضرغام الكنانى الحنبلى ، خطيب جامع المنشاة فيما بين القاهرة ومصر ، فى ربيع الآخر عن ثلاث وتسعين سنة . و [ مات ] كمال الدين أبو حفص عمر بن عز الدين أبى البركات عبد العزيز بن محيى الدين أبى عبد الله بن محمد بن نجم الدين أبى الحسن أحمد بن جمال الدين هبة الله أبى الفضل بن مجد الدين أبى غانم محمد ابن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبى جرادة العقيلى الحلبى الحنفى ، قاضى القضاة الحنفية [ بحلب (١) ] ؛ وكان مشكوراً . [ ومات (٢) ] زين الدين أبو القسم محمد بن العلم محمد ابن الحسين بن عتيق بن رشيق الإسكندرى الفقيه المعمَّر المالكى ، بمصر فى ليلة الجمعة حادى عشر (١٥٧ ب) المحرم ، عن اثنتين وتسعين سنة ؛ ولى قضاء الإسكندرية مدة اثنتى عشرة سنة ، وعُرِض عليه قضاء دمشق فامتنع ؛ وله نظم . و [ مات ] شرف الدين يعقوب بن أحمد بن الصابونى الحلبى ، بالقاهرة فى يوم الخميس تاسع عشرى رجب ؛ كان محدّثاً عدلا ، ودرَّس بالمنكوتمرية من القاهرة ، وتميّز فى كتابة السجلات . ومات القاضى زين الدين أبو بكر بن نصر بن حسين بن حسن بن حسين الأسعردى ، محتسب القاهرة ووكيل بيت المال ، فى يوم الاثنين سادس عشرى رمضان ؛ واستقرّ فى الوكالة بعده قطب الدين محمد بن على بن عبد الصمد السنباطى ، وفى حسبة القاهرة ابن عمه نجم الدين محمد بن الحسين . و [ مات ] على بن عبد الصمد ( ١٥٨ ا ) الأسعردى ، فى سابع شوال . و [ مات ] الشيخ نجم الدين أبو الحسن على بن الأسيوطى المقرىء الواعظ ، فى يوم الجمعة سادس عشرى ذى الحجة . وقُتل أقجبا مملوك ركن الدين بيبرس التاجى بدمشق ، لدعواه النبوة ، فى خامس عشرى ربيع الأول . ومات بهاء الدين الشنجارى محتسب مصر ، يوم الثلاثاء حادى عشرى ذى العقدة ؛ فولى بعد نجم الدين

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ١٣٧٨ ) .

(٢) موضع ما بين الحاصرتين بياض فى ف ، وهو وارد فى ب ( ١٣٧٨ ا ) .

أحمد بن محمد بن أبي الحزم القمولى خليفة الحكم(١) ، فى ثامن ذى الحجة . ومات صاحب غرناطة من بلاد الأندلس الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل ابن يوسف بن نصر ، فى ذى العقدة ؛ وأقيم بعده ابنه أبو عبد الله محمد ، فكانت مدته ثلاث عشر سنة .

سنة إحدى وعشرين وسبعمائة . (١٥٨ ب) فى يوم الاثنين ثالث المحرم قدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز ؛ وكان [قد] سافر إلى مكة فى مدة اثنى عشر يوماً ، وغاب — حتى قدم — نحو شهر ، وتصدّق فى الحرمين باثنى عشر ألف دينار .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره قدم الأمير أرغون النائب [ من الحجاز(٢) ] ، وكان قد سافر أول ذى القعدة ، ومشى من مكة إلى عرفات [على قدميه(٣) ] بهيئة الفقراء . ثم قدم الأمير بهاء الدين أصلم أمير الركب بالحاج ، ولم يرَ فيما تقدّم مثل كثرة الحاجّ فى موسم الخالية . وكانت الوقفة يوم الجمعة . وكان حاجّ مصر سبعة ركوب : ركبٌ فى شهر رجب ، وأربعةٌ فى شوال أولها (٤) رَحل فى يوم الاثنين سادس عشره ، ورَحل آخرها (٥) يوم الجمعة تاسع عشره . وسار (١٥٩ ا) الأمير أرغون النائب أول ذى القعدة فى جماعة ، ثم توّجه الفخر فى جماعة ؛ وركب البحر خلائق ، واجتمع بعرفة ما يزيد على ثلاثين ركبا . ووقف محمل العراق خلف محمل مصر ، ومِنْ خَلْفه محمل اليمن .

واعتنى أبو سعيد بأمر حاجّ العراق عناية تامة ، وغشّى المحمل بالحرير ورصّعه باللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر ، وجعل له جتراً يُنْصَبُ عليه إذا وُضع . فلما مرّ ركب العراق بعرب البحرين خرج عليهم ألف فارس يريدون أخذهم ، فتوسّط الناس بينهم على أن يأخذوا من أمير الركب ثلاثة آلاف دينار ؛ فلما قيل لهم إنما جئنا من العراق بأمر الملك الناصر صاحب مصر وكتابه إلينا بالمسير إلى الحجاز أعادوا المال ، وقالوا : « لأجل الملك (١٥٩ ب) الناصر نخفركم بغير شىء » ، ومكنوهم من المسير .

---

(١) لم يستطع الناشر أن يجد لهذه الوظيفة تعريفا بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى .
(٢،٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٢٧٨ ب ) .
(٤) فى ف « اولهم » .
(٥) فى ف « اخرهم » .

فبلغ ذلك السلطان فسرّ به ، وبالغ فى الإنعام على العربان . وكان السلطان قد بعث إلى أمراء المغل وأعيانهم الخلع ، فلما انقضى الحجّ خلع عليهم الأمير أرغون النائب ، ودُعى لأبى سعيد بعد الدعاء للسلطان بمكة .

وفيه قدم كتاب نائب الشام فى الشفاعة فى ابن تيمية ، وكان قد سُجن فى السنة الماضية ؛ فأفرج عنه بعد ماسُجن خمسة أشهر ، وشُرط عليه ألا يفتى بمسألة الطلاق.

وفيه استقرّ كريم الدين الكبير فى نظر الجامع الطولونى ، فنمت أوقافه .

و[ فيه ] قدم البريد من دمشق بهدم كنيسة لليهود بدمشق ، على يد العامة .

وفيها أخرج ( ١٦٠ ا ) الأمير شرف الدين أمير حسين بن جَنْدَر[1] إلى دمشق. وسببه أنه لما أنشأ جامعه المعروف بجامع أمير حسين بجوار داره فى برّ الخليج الغربى، وعمل القنطرة ، أراد أن يفتح فى سور القاهرة خوخه[2] تنتهى إلى حارة الوزيرية؛ فأذن له السلطان فى فتحها ، فخرق باباً كبيراً وعمل عليه رَنْكه ، فسعى به علم الدين سنجر الخياط متولى القاهرة أنه فتح باباً قدر باب زويلة وعمل عليه رَنْكَه ؛ فشقّ عليه ذلك وأخرجه من يومه على إقطاع الأمير جوبان ، ونقل جوبان إلى الإمرة بديار مصر

و[ فيه ] قدم الأمير سيف الدين طقصباى[3] من بلاد أزبك . وقدم من الأردُو الأمير باورر بن براجوا[4] أحد أعيان المغل ؛ فأنعم ( ١٦٠ ب ) عليه بإمرة طبلخاناه بمصر .

و[ فيه ] قدم أبو يحيى اللحيانى من الغرب ، ولم يُمَكَّن من البلاد ؛ فرُتِّب له

---

(١) تقدم هذا الاسم ( ص ١٧٧ ) برسم « حيدر » والصحيح ما هنا ، فقد كان أبو الأمير حسين هذا أمير جاندار عند سلطان من سلاطين السلاجقة الروم ، حيث عرف باسم جندر بك . انظر ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٥٠ ــ ٥١ ) ؛ وكذلك المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٧ ، ١٤٧ ، ٣٠٦ ) .

(٢) الخوخة باب صغير فى بوابة كبرى لسور أو حصن أو فندق ، وكانت العادة فى العصور الوسطى فى مصر وغيرها أن يجعل هذا الباب الصغير للاستعمال اليومى ، فلا تكون حاجة إلى فتح البوابة الكبرى إلا عند الاقتضاء أو الضرورة . ويقابل الخوخة فى الإنجليزية لفظ (wicket) وفى الفرنسية (guichet) . غير أن الجديد هنا أن هذا اللفظ قد أطلق على باب فى سور القاهرة نفسه ، من غير أن تكون هناك بوابة كبرى .

(٣) فى ف « طقصاى » .

(٤) فى ف « باور بن براجر » ؛ وقد ذكر (Zetterstéen : Op. cit. P. 171) وسولا اسمه « شبوجى » من عند أبى سعيد تلك السنة .

بالإسكندرية ما يكفيه ، وأقام بها . و[فيه] أخرج الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى حاجباً بالشام .

وفى يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر ثارت العامة يداً واحدة ، وهدموا كنيستين متقابلتين بالزهرى [(١)] ، وكنيسة بستان السكرى — وتعرف بالكنيسة الحمراء — ، وبعض كنيستين بمصر . وكان ذلك من غرائب الاتفاق ونوادر الحوادث . والخبر عنه أن السلطان لما عزم على إنشاء الزربية بجوار جامع الطيبرسى على النيل احتاج إلى طين كثير ، فنزل بنفسه وعيّن مكاناً من أرض بستان الزهرى قريبا من ميدان المهارة [(٢)] ليأخذ منه الطين ، [ وليُنشىء فى هذا المكان بركة ] [(٣)] ، وعوّض ( ١٦١ ا ) مستحقى وقفه بدله ؛ وكتب أوراقاً بأسماء الأمراء ، وأفرز [(٤)] لكل منهم قياساً معلوماً ، فتولى قياس ذلك عدة من المهندسين مع الأمير بيبرس الحاجب . وابتدأ الأمراء [(٥)] فى الحفر يوم الثلاثاء تاسع عشرى ربيع الأول ، ورفعوا الطين على بغالهم ودوابهم إلى شاطىء النيل حيث تعيّن عمل الزربية . فلم يزل الحفر مستمرا إلى [ أن ] قرب من كنيسة الزهرى ، وأحاط بها الحفر من دايرها وصارت فى الوسط ، بحيث تمنع من اتساع البركة . فعرّف الأميرُ آقسنقر شاد العماثر السلطانَ بذلك ، فأمره أن يبالغ فى الحفر حولها حتى تتعلق ، وإذا دخل الليل فيدع الأمراء [(٦)] تهدمها ، ويشيع أنها سقطت على غفلة منهم ؛ فاعتمد الحفر فيما حولها ، وكتم ما ( ١٦١ ب ) يريده ؛ وصارت غلمان الأمراء تصرخ وتريد هدّ الكنيسة ، وآقسنقر يمنعهم من ذلك .

فلما [(٧)] كان يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر بطل العمل وقت الصلاة لاشتغال الأمراء

---

(١) عين المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١٠ ، وما بعدها ) موضع هاتين الكنيستين وغيرهما من الكنائس الواردة هنا فيما يلى بالمتن .

(٢) انظر ص ٢١٠ ، حاشية ٣ .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٦٥ ، ٥١٢ ) ، وهذه البركة هى البركة الناصرية التى جعل السلطان الناصر مساحتها سبعة أفدنة ، وصار ما حولها من أكثر أخطاط القاهرة عمارة فى عصر المماليك ، حتى سنة ٨٠٦ هـ .

(٤) المقصود بذلك أن السلطان عين لكل أمير مساحة محدودة ليقوم بالعمل فيها ، ففى محيط المحيط « فرز الشىء من غير عزله ونحاه ومازه ... وأفرز الشىء من غيره بمعنى فرزه » . ( انظر أيضاً المحيط ) .

(٥) فى ف « الامر » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٧٩ ب ) .

(٦) فى ف « الاسرا » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٧٩ ب ) .

(٧) فى ف « الى ان كان » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٧٩ ب ) .

بالصلاة ، فاجتمع من الغلمان والعامة طائفة كبيرة ، وصرخوا صوتا واحداً الله أكبر ، ووقعوا فى أركان الكنيسة بالمساحى والفوس [حتى] صارت كوما ؛ ووقع مَنْ فيها مِنَ النصارى ، وانتهب العامة ما كان بها . والتفتوا إلى كنيسة الحمراء المجاورة لها ، وكانت من أعظم كنائس النصارى ، وفيها مال كبير ، وعدة من النصارى ما بين رجال ونساء مترهبات ؛ فصعدت العامة فوقها ، وفتحوا أبوابها ونهبوا أموالها وخمروها . وانتقلوا إلى كنيسة بومنا[1] بجوار السبع سقايات ، (١٦٢ ا) وكانت معبداً جليلا من معابد النصارى ، فكسروا بابها ونهبوا ما فيها ، وقتلوا منها جماعة ، وسبوا بنات كانوا بها تزيد عدّتهن على ستين بكرا . فما انقضت الصلاة حتى ماجت الأرض ؛ فلما خرج الناس من الجامع رَأوْا غباراً ودخان الحريق قد ارتفعا إلى السماء ، وما فى العامة إلاّ من بيده بلت قدسباها أو جرة خمر أو ثوب أو شىء من النهب ، فدهشوا وظنوا أنها الساعة قد قامت .

وانتشر الخبر من السبع سقايات إلى تحت القلعة ، فأنكر السلطان ارتفاع الأصوات بالضجيج ، وأمر الأميرَ أيدغمش بكشف الخبر . فلما بلغه ما وقع انزعج لذلك انزعاجاً زائداً ، وتقدم إلى أيدغمش أمير آخور ، فركب بالوشاقية ليقبض على العامة ويشهرهم . (١٦٢ ب) فما هو إلا أن ركب أيدغمش إذا بمملوك الأمير علم الدين سنجر الخازن متولى القاهرة حضر [وأخبر] بأن العامة ثارت بالقاهرة ، وأخربوا كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة ، وأنه ركب خوفاً على القاهرة من النهب . وقدم مملوك والى مصر [وأخبر] بأن عامتها قد تجمّعت لهدم كنيسة المعلقة حيث[2] مسكن البترك وأموال النصارى ، ويطلب نجدة . فلشدة ما نزل بالسلطان من الغضب همّ أن يركب بنفسه ، ثم أردف أيدغمش بأربعة أمَراء ساروا إلى مصر ؛ وبعثَ بيبرسَ الحاجب ، وألماس الحاجب إلى موضع الحفر ، وبعث طينال إلى القاهرة ، ليضعوا السيف فيمن وجدوه . فقامت القاهرة ومصر على ساق ، وفرّت النهّابة ، فلم تدرك الأمراء منهم إلا من غُلب (١٦٣ ا) على نفسه بالسكر من الخمر . وأدركَ الأمير أيدغمش والى مصر وقد

---

(١) فى ف « بولمنا » ، والرسم المثبت هنا من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١٣) ، وقد سماها المقريزى فيما يلى هنا ( ص ٢١٧ ) كنيسة أبى المنا .

(٢) فى ف « المعلقة سكن البترك » ، وما هنا من ب ( ٣٧٩ ب ) .

هزمته العامة من زقاق المعلقة ، وأنكوا مماليكه بالرمى عليهم ، ولم يبق إلا أن يحرقوا أبواب الكنيسة ، فتجرّد هو ومن معه السيوف ليفتك بهم ، فرأى عالماً عظيماً لا يحصيهم إلا خالقهم . فكفّ عنهم خوف اتساع الخرق ، ونادى من وقف فدمه حلال ، فخافت العامة أيضاً وتفرّقوا . ووقف أيدغمش يحرس المعلقة إلى أن أذّن العصر ، فصلى بجامع عمرو ، وعيّن خمسين أوشاقيا للبيت مع الوالى على باب الكنيسة ، وعاد .

وكان كأنما نودى فى إقليم مصر بهدم الكنائس . وأول ما وقع الصوت بجامع قلعة الجبل : وذلك أنه لما انقضت صلاة الجمعة صرخ رجل موله(١) (١٦٣ ب) فى وسط الجامع : « اهدموا الكنيسة التى فى القلعة » ، وخرج فى صراخه عن الحدّ واضطرب . فتعجّب السلطان والأمراء منه ، ونُدب نقيب الجيش والحاجب لتفتيش سائر بيوت القلعة ، فوجدوا كنيسة فى خرائب (٢) التتر قد أخفيت . فهدموها . وما هو إلا أن فرغوا من هدمها والسلطان يتعجّب إذ وقع الصراخ تحت القلعة ، وبلغه هدم العامة للكنائس كما تقدم ؛ وطُلب الرجل الموله فلم يوجد .

وعندما خرج الناس من صلاة الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة رأوا العامة (٣) فى هرج عظيم ، ومعهم الأخشاب والصلبان والثياب وغيرها ، وهم يقولون : « السلطان نادى بخراب الكنائس » ، فظنّوا الأمر كذلك . و [ كان قد ] خرب من [ كنائس ] القاهرة سوى كنيستى ( ١٦٤ ا ) حارة الروم وحارة زويلة وكنيسة بالبندقانيين [ كنائس (٤) كثيرة ] ، ثم تبين أن ذلك كان من العامة بغير أمر السلطان .

فلما كان يوم الأحد حادى عشره سقط الطائر من الإسكندرية بأنه لما كان الناس

---

(١) كذا فى ف ، والمقصود الموله الذى ذهب عقله ، غير أن الصحيح لغة لهذا المعنى ، وذلك حسبما ورد فى المحيط ومحيط المحيط ، انظر وله .

(٢) ذكر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ ، ٥١٣ ) ، أن خرائب التتر هذه كانت مسا ن بالقلعة ، وقد خُرّبت فى عهد السلطان برسباى ، سنة ٨٢٨ هـ ، ويلاحظ أنه كان بالقاهرة خط يعرف باسم خرائب تتر ، وسيرد التعريف به فيما يلى .

(٣) فى ف « الناس » .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة بعد مراجعة ما يلى بالمتن بهذه الصفحة .

فى صلاة الجمعة تجمّع العامة [١] وصاحوا هُدِمت الكنائس ، فركب الأمير بدر الدين المحسنى متولى الثغر بعد الصلاة ليدرك الكنائس ، فإذا بها قد صارت كوماً ، وكانت عدتها أربع كنائس . ووقعت طاقة من والى البحيرة بأن العامة هدمت كنيستين فى مدينة دمنهور ، والناس فى صلاة الجمعة . ثم ورد علوك والى قوص فى يوم الجمعة سابع عشره ، [ وأخبر ] بأنه لما كان يوم الجمعة هدم العامة ست كنائس بقوص فى نحو نصف ساعة . وتواترت الأخبار من الوجه القبلى ( ١٦٤ ب ) والوجه البحرى بهدم الكنائس وقت صلاة الجمعة . فكثر التعجب من قوع هذا الاتفاق فى ساعة واحدة بسائر الأقاليم .

وصار السلطان يشتدّ غضبه من العامة ، والأمراء تسكّن غضبه وتقول : « يا مولانا ! هذا إنما هو من فعل الله وإلا فمن يقدر من الناس على هدم كنائس الإسكندرية ودمياط والقاهرة ومصر وبلاد الصعيد فى ساعة واحدة ؟ » ؛ وهو يشتدّ على العامة ويزيد البطش بهم ، فهرب كثير منهم .

وكان الذى هُدم فى هذه الساعة من الكنائس ستون كنيسة : وهى كنيسة بقلعة [٢] الجبل ، وكنيسة بأرض الزهرى موضع البركة الناصرية ، وكنيسة بالحمراء ، وكنيسة بجوار السبع سقايات ، وكنيسة أبى المنا [٣] بجوارها ، وكنيسة الفهّادين (١٦٥ ا) بحارة الحكر ، وكنيسة بحارة الروم من القاهرة ، وكنيسة البندقانيين منها ، وكنيسة بحارة زويلة ، وكنيسة بخزانة البنود ، وكنيسة بالخندق خارج القاهرة ، وأربع كنائس بالإسكندرية ، وكنيستان بدمنهور الوحش . وأربع كنائس بالغربية ، وثلاث كنائس بالشرقية ، وست كنائس بالبهنساوية ، وبسيوط ومنفلوط ومنية ابن خصيب ثمانى كنائس ، وقوص وأسوان إحدى عشرة كنيسة ، والإطفيحية كنيستان ، وبمدينة مصر بخط المصاصة [٤]

---

(١) فى ف « الناس » .

(٢) المقصود بذلك الكنيسة التى كانت بخرائب التتر بالقلعة . انظر ما سبق ، ص ٢٠٨ .

(٣) انظر ما سبق ص ٢١٧ ، حاشية ١ .

(٤) كان هذا الخط حسبما أورد ابن دقاق ( الانتصار ، ج ٤ ، ص ١٤ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٤٩ ، ٨٠ ) من أكبر خطط الفسطاط ـ أى مصر ، وموقعه بجوار خط تجيب ( انظر ص ١٥٢ ، حاشية ١) وقصر الشمع الشهير ؛ وكان بخط المصاصة هذا بخمسة عشر مسجداً ، كما أنه كان مركزاً لليهود ومقراً لرئيسهم الدينى وموضعاً للسويقة الخاصة بهم ، وهذا فضلا عن أنه كان سكنا لبعض كبار القبط .

وسوق وردان (١) وقصر (٢) الشمع ثمانى كنائس ، ومن الأديرة شىء كثيرة (٣) .

وكان عقيب هدم الكنائس وقوع الحريق القاهرة ومصر ، فابتدأ يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى ، وتواتر إلى سلخه . (١٦٥ب) وكان من خبره أن الميدان الكبير المطل على النيل لما فرغ [ العمل فيه ] ركب السلطان إليه فى يوم السبت المذكور، وكان أول لعبه فيه بالأكرة ؛ فبلغه الخبر بعد عوده إلى القلعة بأن الحريق وقع فى ربع من أوقاف المارستان المنصورى، بخط الشوايين (٤) من القاهرة . واشتد الأمر ، والأمراء تطفئه إلى عصر يوم الأحد ؛ فوقع الصوت قبل المغرب بالحريق فى حارة الديلم بزقاق العريسة ، قريب من دار كريم الدين الكبير ودخل الليل واشتد هبوب الرياح ، فسرت النار فى عدة أماكن ، وبعث كريم الدين بولده علم الدين عبدالله إلى السلطان

(١) ذكر ابن دقماق ( الانتصار ، ج ٤ ، ص ٥ ، ١١ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ج ٥ ، ص ٤١ ) هذا السوق فى مواضع كثيرة من مؤلفه ، ويستفاد منه أنه كان من أقدم أسواق الفسطاط ، إذا عرف بذلك الاسم نسبة إلى وردان الرومى مولى عمرو بن العاص . وقد كا. هذا السوق من أكثر الأسواق عمارة وحركة ، بدليل ما كان به من تربيعة وقياسر وسقائف ومساجد وغيرها ؛ غير أنه مما يدعو إلى الالتفات أن ابن دقماق لم يذكر اسم كنيسة واحدة بهذا السوق ، أو بخط المصاصة الذى تقدم التعريف به ، مما يدل على ان الحريق قد امتد إلى غير الكنائس ؛ وربما كان معنى ذلك انه امتد إلى بعض بيوت كبار القبط فى ذلك العهد .

(٢) كان بهذا الخط ، حسبما أورد ابن دقماق ( الانتصار ، ج ٤ ؛ ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٤٩ ، ٨١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ج ٥ ، ص ٣٨ ) عدا كنائس النصارى واليهود وأديرتهم ، ثمانية عشر مسجدا أيضا .

(٣) أورد المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١٢ ــ ٥١٧ ) أخبار هذه الكنائس ، وما تبعها من أخبار الحرائق الكبرى بالقاهرة ، فى عبارة مشابهة لما هنا ، والواضح من وقوع حرائق الكنائس فى وقت واحد بالمدن المختلفة بالوجهين القبلى والبحرى أن الأمر كان مبيتاً مدبراً أدق تدبير، غير أن المراجع المتداولة بهذه الحواشى لا تخبر بشىء عن سبب تلك الحركة الواسعة . انظر : ( Butcher : The Story of The Church of Egypt. II. pp. 187, et seq ).

(٤) لم يذكر المقريزى فى باب الخطط ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٣ ، وما بعدها ) خطا بهذا الاسم ، غير أنه ذكر سوق الشوايين ( نفس المرجع والجزء ، ص ١٠٠ ) ، وقرر أنه أول سوق أنشىء بالقاهرة ، وقد عرف باسم سوق الشراييين أولا . وكان ذلك فى عهد الخليفة المعز الفاطمى .

يعرّفه ، فبعث عدة من الأمراء والمماليك لإطفائه خوفاً على الحواصل [(١)] السلطانية. ثم تفاقم [(٢)] الأمر ، واحتاج (١٦٦ ا) آقسنقر شاد العمائر إلى جمع سائر السقائين والأمراء ، ونزلت الحجاب وغيرهم ، والنار تعظم طول نهار الأحد ؛ وخرجت النساء مسبيات من دورهن . وباتوا على ذلك ، وأصبحوا يوم الاثنين [والنار] تتلف ما تمرّ به ، والهدّ واقع فى الدور التى تجاور الحريق خشية من تعلّق النار فيها وسريانها فى جميع دور القاهرة .

فلما كانت ليلة الثلاثاء خرج أمر [(٣)] الحريق عن القدرة البشرية ، وخرجت ريح عاصفة ألقت النخيل وغرّقت المراكب ، ونشرت النار ؛ فما شكّ الناس فى أن القيامة قد قامت . وعظم شرر النيران ، وصارت تسقط فى عدة مواضع بعيدة ؛ فخرج الناس وتعلقوا بالمآذن [(٤)] ، واجتمعوا فى الجوامع والزوايا ، وضجوا بالدعاء والتضرّع (١٦٦ ب) إلى الله تعالى ؛ وصعد السلطان إلى أعلا القصر ، فهاله ما شاهد .

وأصبح الناس يوم الثلاثاء فى أسوإ حال ، فنزل النائب بسائر الأمراء وجمع من فى القلعة وجمع أهل القاهرة ، ونَقَل الماء على جمال الأمراء ؛ ولحقه الأمير بكتمر الساقى . وأخرجت جمال القرى السلطانية ، ومُنعت أبواب القاهرة أن يخرج منها سقاء ، ونُقلت المياه من المدارس والحمامات والآبار . وجُمعت سائر البنائين والنجارين ، فهُدّت الدور من أسفلها والنار تحرق فى سقوفها . وعمل الأمراء الألوف — وعدتهم أربعة وعشرون أميراً — بأنفسهم [(٥)] فى طفى الحريق ، ومعهم سائر أمراء الطبلخاناه والعشراوات ؛ وتناولوا الماء بالقِرَب من السقائين ، بحيث صار من باب زويلة إلى حارة الروم بحراً ؛ وحضر كريم الدين أكرم الصغير بمائتى رجل . فكان يوماً لم ير

(١) كانت الحواصل السلطانية ثمانية ، وهى الشراب خاناه والفراش خاناه والسلاح خاناه والركاب خاناه والحوائج خاناه والمطبخ والطبلخاناه ؛ وكان لكل منها موظفون يقومون بالعمل فيها وتدبيرها ، ما عدا الحوائج خاناه فلم تكن مشتملة على حاصل كسائر الحواصل ، وإنما لها جهة تحت يد الوزير مباشرة للصرف على حوائج خاص السلطان ؛ وقد صارت الحوائج خاناه تحت يد ناظر الخاص فيما يظهر ، وذلك منذ ألغى السلطان الناصر منصب الوزارة وصار ناظر الخاص كالوزير فى تصرفه . القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٩ - ١٣ ، ٣٠ ) .

(٢) فى ف « فتفاقم » .

(٣) فى ف « أثر » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٣٨١ ) .

(٤) فى ف « موادن » .

(٥) فى ف « بانفسها » .

أشنع منه ، بحيث لم يبق أحد إلا وهو فى شغل . ورُؤى سائر الأمراء وهى تأخذ القرب من مماليكها . وتطفىء النار بأنفسها ، وتدوس الوحل بأخفافها. ووقف الأمير بكتمر الساقى والأمير أرغون النائب حتى نُقلت الحواصل (١) السلطانية من بيت كريم الدين إلى بيت ولده علم الدين عبد الله بدرب الرصاصى ، وهُدم لأجل نقل الحواصل ستة عشر داراً . وخمدت النار وعاد الأمراء .

فوقع الصياح فى ليلة الأربعاء بربع الملك الظاهر خارج باب زويلة وبقسارية الفقراء ، وهبّت الرياح مع ذلك . فركب الحجاب (١٦٧ب) والوالى وعملوا فى طفيها إلى بعد الظهر من يوم الأربعاء ، وهدموا دوراً كثيرة مما حوله . فما كاد أن يفرغ العمل من إطفاء النار حتى وقعت النار فى بيت الأمير سلار بخط بين القصرين ، فأقبلوا إليه وإذا بالنار ابتدأت من أعلا البادَهَنْج (٢) — وكان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل — ورأوا فيه نفطاً قد عمل فيه فتيلة كبيرة ؛ فما زالوا بالنار حتى أطفئت ، من [غير] أن يكون لها أثر كبير . ونودى بأن يعمل بجانب كل حانوت بالقاهرة ومصر زِير ملآن ودِنّ ملآن ماء ، وكذلك بسائر الحارات والأزقة ؛ فبلغ ثمن كل دنّ من ثلاثة دراهم إلى خمسة . وكل زِير إلى ثمانية دراهم ، لكثرة طلبها .

ولما كانت ليلة الخميس (١٦٨ ا) وقع الحريق بحارة الروم وبخارج القاهرة ؛ وتمادى الحال كذلك. [و] لا تخلو ساعة من وقوع الحريق بموضع من القاهرة ومصر ؛ وامتنع والى القاهرة والأمير بيبرس الحاجب من النوم . فشاع بين الناس أن الحريق من جهة النصارى لمّا أنكاهم هدمُ الكنائس ونهبُها ، وصارت النيران توجد تارة فى منابر الجوامع وتارة فى حيطان المدارس والمساجد . ووُجدت [النار] بالمدرسة المنصورية،

(١) الواضح أن المقصود بالحواصل السلطانية هنا الحوائج خاناه . ( انظر ماسبق ، ص ٣٢١)، غير انه مما يوجب الالتفات أنها كانت فى بيت كريم الدين الكبير ناظر الخاص ، إذ يستنتج من هذا أن موظفى الدولة كانوا يحفظون الأشياء الخاصة بوظائفهم فى بيوتهم ، أو أنهم كانوا يسكنون البيوت التى توجد فيها تلك الأشياء .

(٢) البادهنج — أو البادنج — منفذ للتهوية فى البيوت ( tuyau semblable à celui d'une cheminée oervant de ventilateur) انظر (Dozy: Supp.Dict. Ar.) ، وربما كان مرادفه لفظ « منور » فى العمارة الحالية بمصر .

فزاد قلق الناس وكثر خوفهم ، وزاد استعدادهم بادخار الآلات المملوءة ماء فى أسطحة الدور وغيرها . وأكثر ما كانت النار توجد فى العلو ، فتقع فى زروب الأسطحة والبادهنجانات . ويوجد النفط قد لُفّ فى الخرَق(١) المبللة بالزيت والقطران .

فلما (١٦٨ ب) كانت ليلة الجمعة حادى عشريه قُبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهارية(٢) بالقاهرة ، وقد أرْمَيا النار ، وأحضرا إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة ، فشمّ منهما رائحة الكبريت والزيت ؛ فأحضرهما من الغد إلى السلطان ، فأمر بعقوبتهما حتى يعترفا . فلما نزل [الأمير علم الدين] بهما وجد العامة قد قبضت على نصرانى من داخل باب جامع الظاهر بالحسينية ، ومعه كعكة خرَق(٣) بها نفط وقطران ، وقد وضعها بجانب المنبر ، فلما فاح الدخان وأنكروه وجدَ النصرانى وهو خارج والأثر فى يديه ، فعوقب قبل صاحبيه . فاعترف [النصرانى] أن جماعة من النصارى قد اجتمعوا وعملوا النفط ، وفرّقوه على جماعة ليدوروا به على المواضع . (١٦٩ ا) ثم عاقب [الأميرُ علم الدين] الراهبين ، فأقرّا أنهما من دير البغل(٤) ، وأنهما أحرقا سائر الأماكن التى تقدّم ذكرها . وذلك أنه لما مرّ بالكنائس ما كان ، حَنِق [هما] اللذان النصارى من ذلك وأقاموا النياحة عليها ، واتفقوا على نكاية المسلمين ، وعملوا النفط وحشوه بالفتائل وعملوها فى سهام ورموا بها ، فكانت الفتيلة إذا خرجت من السهم تقع على مسافة مائة ذراع . فلما أتقنوا ذلك فرّقوه فى جماعة ، فصاروا يدورون فى القاهرة بالليل ، وحيث وجدوا فرصة انتهزوها وألقوا الفتيلة ، حتى كان ما كان . فطالع [الأميرُ علم الدين] السلطانَ بذلك .

[واتفق وصول كريم الدين(٥) الكبير ناظر الخاص من الإسكندرية ، فعرّفه

---

(١) فى ف « الخروق المبلولة » ، والصحيح ما هنا ، فالخروق جمع خرق ، وهى القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . ( المحيط ) .

(٢) فى ف « الهكارية » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٣٨٢ ا ) . انظر ماسبق .

(٣) فى ف « خروق » .

(٤) موضع هذا الدير ، حسبما ذكر المقريزى ) المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٠٢ ــ ٥٠٣ ) بأعلى جبل المقطم شرقى طرا وحلوان ، واسمه الأصلى دير القصير .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة ، والتى تليها من الفقرات الواردة بصدد هذه الحوادث ، من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١٥) . وكان السلطان قد أرسل كريم الدين إلى الإسكندرية « بسبب تحصيل المال وكشف الكنائس التى خربت بها » ، والمفهوم من المقريزى ( نفس المرجع والجزء ، ص ٥١٤ ) أن السلطان بعثه إلى الإسكندرية ليبعده عن مجلسه بالقاهرة ، لأنه كان يغريه بالفتك بالعامة .

السلطان ما وقع من القبض على النصارى ، فقال كريم الدين : « النصارى لهم بطرك[1] يرجعون إليه ، وهو الذى يعرف أحوالهم] » . فأمر [ السلطان ] كريمَ الدين بطلب البطرك [ إلى بيته ] واستعلام الخبر منه ، فأتاه ليلا [ فى حماية والى القاهرة خوفا من العامة ] ؛ فبالغ كريم الدين فى إجلاله ، وأعلمه بما ذكر الرهبان وأحضرهم (١٦٩ب) إليه ، فذكروا له كما ذكروا للوالى ، فبكا وقال : « هؤلاء سفهاء قد فعلوا كما فعلو سفهاؤكم ، والحكم للسلطان ، ومن أكل الحامض ضرس ، والحمار العثور يلقى الأرض بأسنانه » . وأقام [ البطرك ] ساعة . وقام فركب بغلة كان قد رُسم له منذ أيام بركوبها فشقّ ذلك على الناس ، وهمّوا به لولا الخوف ممن حوله من المماليك .

فلما ركب كريم الدين من الغد صاحت العامة به : « ما يحلّ لك[2] ياقاضى تحامى للنصارى ، وقد أخربوا بيوت المسلمين ، وتركّبهم البغال » . فانتكى [ كريم الدين منهم نكاية بالغة ، [ وأخذ يهوّن من أمر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء ] وعرّف السلطان ما كان من أمر البطرك . و [أنه] اعتنى به . فأمر [السلطانُ] الوالى بعقوبة النصارى ، فأقرّوا على أربعة عشر راهباً بدير البغل ، فقُبض عليهم (١٧٠ا) من الدير . وعملت حفيرة كبيرة بشارع الصليبة ، وأحرق فيها أربعة منهم فى يوم الجمعة وقد اجتمع من الناس عالم عظيم . فاشتدّت العامة عند ذلك على النصارى ، وأهانوهم وسلبوهم ثيابهم ، وألقوهم عن الدوابّ إلى الأرض .

وركب السلطان إلى الميدان يوم السبت ثانى عشريه ، وقد اجتمع عالم عظيم وصاحوا : « نَصر الله الإسلام ، انصر دين محمد بن عبدالله » . فما استقرّ [السلطان بالميدان حتى أحضر له الخازن والى القاهرة نصرانيين قد قُبض عليهما فأحُرِقا خارج الميدان وخرج كريم الدين الكبير من الميدان وعليه التشريف ، فصاحت به العامة : « كم تحامى للنصارى؟ » وسبوه ورموه بالحجارة ، فعاد إلى الميدان . فشقّ ذلك على السلطان ، واستشار الأمراء ( ١٧٠ ب ) فى أمر العامة ، فأشار عليه الأمير جمال الدين اقوش نائب الكرك

(١) المقصود بذلك بطرك الأقباط ، وهو وقت ذاك حنا التاسع ١٣٢١ - ١٣٢٧ م ، ٧٢١ - ٧٢٨ هـ . انظر ( Butcher : Op. Cit. II. p. 193 ) .

(٢) فى ف « ١٠ يحصل » .

بعزل الكتاب النصارى ، فإن الناس قد أبغضوهم ؛ فلم يرضه ذلك . وتقدّم [السلطان] إلى الماس الحاجب أن يخرج فى أربعة أمراء ويضع السيف فى العامة حتى ينتهى إلى باب زويلة ، ويمرّ إلى باب النصر وهو كذلك ، ولا يرفع السيف عن أحد ؛ وأمَرَ والى القاهرة أن يتوجّه إلى باب اللوق والبحر ، ويقبض من وَجده ، ويحملهم إلى القلعة ؛ وعيّن لذلك مماليك تخرج من الميدان . فبادر كريم الدين وسأل السلطان العفو ، فقبل شفاعته ، ورَسم بالقبض على العامة من غير قتلهم .

وكان الخبر قد طار ، ففرّت العامة حتى الغلمان ، وصار الأمير لا يجد من يُرَكّبه . وانتشر ذلك ، فغلّقت جميع أسواق (١٧١ ا) القاهرة ، فما وصل الأمر إلى باب زويلة حتى لم يجدوا أحداً ، وشقّوا القاهرة ، إلى باب النصر ، فكانت ساعة لم يمرّ بالناس أعظم منها . ومرّ الوالى إلى باب اللوق وبولاق وباب البحر ، وقبض كثيراً من الكلابزة(١) والنواتية وأراذل العامة ، بحيث صار كل من رآه أخذه . وجفل الناس من الخوف ، وعدوا فى المراكب إلى برّ الجيزة .

فلما عاد السلطان إلى القلعة لم يجد أحداً فى طريقه ، وأحضر إليه الوالى بمن قُبض عليه وهم نحو المائتين ؛ فرسم أن يصلبوا ، وأفرد جماعة للشنق وجماعة للتوسيط(٢) وجماعة لقطع الأيدى . فصاحوا : « ياخوند ! مايحلّ لك ! فما نحن الغرماء ! » ، وتباكوا . فرقّ لهم بكتمر الساقى ، وقام معه الأمراء ، وما (١٧١ ب) زالوا بالسلطان حتى رسم بصلب جماعة منهم على الخشب من باب زويلة إلى سوق الخيل ، وأن يُعَلقوا بأيديهم . فأصبحوا يوم الأحد صفّاً واحداً من باب زويلة إلى سوق الخيل تحت القلعة ، فتوجّع لهم الناس ، وكان منهم كثير من بياض(٣) الناس ، ولم تفتح القاهرة .

---

(١) الكلابزة جمع كلابزى ، وهو فى (Dozy : Supp. Clct. Ar.) الشخص الذى يركب بكلاب الصيد عند سلطان أو أمير من الأمراء (celui qui conduit à cheval une meute) ، ويقابله فى الفرنسية لفظ (piqueur) وفى الإنجليزية (whipper-in) ، غير أن المقصود بهذا اللفظ وما يليه هنا الغوغاء من العامة ، كما يتضح من المتن . انظر أيضاً كشاف الألفاظ الاصطلاحية بآخر هذا الجزء .

(٢) انظر ما سبق ص ٢٠٣ ، حاشية ١ .

(٣) المقصود ببياض الناس كرمائهم وأتقياؤهم ، ففى محيط المحيط « الأبيض ... الرجل الكريم المتقى النقى العرض » .

وخاف كريم الدين على نفسه، ولم يسلك من باب زويلة، وصعد القلعة من خارج السور، فإذا السلطان قد قدّم الكلابزة وأخذ في قطع أيديهم. فكشف [كريم الدين] رأسه وقبّل الأرض، وباس رجل السلطان، وسأله العفو. فأجابه [السلطان] بمساعدة الأمير بكتمر، وأمر بهم فقيدوا وأخرجوا للعمل في الحفير بالجيزة. ومات ممن قُطع [يده] رجلان، وأمر بحطّ مَن عُلّق على (١٧٢ ا) الخشب.

فللحال وقع الصوت بحريق أماكن بجوار جامع ابن طولون، ووقوع الحريق فى القلعة وفى بيت الأحمدى بحارة بهاء الدين من القاهرة، وبفندق طرنطاى خارج باب البحر، فدهش السلطان. وكان هذا الفندق برسم تجار الزيت [الوارد من(١) الشام]. فعمّت النار كل ما فيه حتى العمد الرخام، وكانت ستة عشر عموداً، طول كل منها ستة أذرع بالعمل، ودوره نحو ذراعين، فصارت كلها جيراً؛ وتلف فيه لتاجر واحد ما قيمته تسعون ألف درهم؛ وقبض فيه على ثلاثة نصارى معهم فتائل النفط، اعترفوا أنهم فعلوا ذلك.

فلما كان يوم السبت تاسع عشريه ركب السلطان إلى الميدان، فوجد نحو العشرين ألفا (١٧٢ ب) من العامة قد صبغوا خرقاً(٢) بالأزرق والأصفر(٣)، وعملوا فى الأزرق صلباناً بيضاء، ورفعوها على الجريد، وصاحوا عليه صيحة واحدة: لادين إلا دين الإسلام! نصرَ الله دين محمد بن عبد الله! يا ملك الناصر يا سلطان الإسلام، انصرنا على أهل الكفر، ولا تنصر النصارى». فخشع السلطان والأمراء، ومرّ إلى الميدان وقد اشتغل سرّه. وركبت العامة أسوار الميدان، ورفعت الخرق الزرق وهى تصيح: «لادين إلا دين الإسلام». فخاف [السلطان] الفتنة ورجع إلى مداراتهم، وتقدّم إلى الحاجب بأن يخرج وينادى: «من وجد نصرانيا فدمه وماله حلال». فلما سمعوا النداء صرخوا صوتاً واحداً: «نصرك الله [يا ناصر] دين الإسلام»، فارتجت الأرض.

ونودى (١٧٣ ا) عقيب ذلك بالقاهرة ومصر: «من وُجد من النصارى(٤)

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من المقريزى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٩٤).

(٢) فى ف «خروقا». انظر ما سبق.

(٣) انظر ما يلى بالصفحة التالية.

(٤) فى ف «من وُجد نصرانيا بعمامة بيضاء حل دمه ومن وجد نصرانيا راكبا حل دمه»، وقد عدلت بعد مراجعة ما يلى، وكذلك النويرى (نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٧ – ٨)؛ حيث يوجد نص المرسوم السلطانى فى هذا الصدد. انظر ملحق رقم ٣، بآخر هذا الجزء.

بعمامة حلّ دمه . ومَنْ وُجد من النصارى راكبا باستواء حلّ دمه » . وكتب[1] مرسوم بلبس النصارى[2] العمائم الزرق ، وألا يركبوا فرساً ولا بغلا ، وأن يركبوا الحمير عَرْضاً ، ولا يدخلوا الحمام إلا بجرس فى أعناقهم ، ولا يتزيوا بزى المسلمين هم ونساؤهم وأولادهم . ورُسم للأمراء بإخراج النصارى من دواوينهم ومن دواوين السلطان ، وكُتب بذلك إلى سائر الأعمال ؛ وغُلّقت الكنائس والأديرة ؛ وطلب السنى بن ست بهجه[3] ، والشمس بن كثير فلم يوجدا .

وتجرّأت العامة على النصارى ، بحيث إذا وجدوهم ضربوهم وعرّوهم ثيابهم ؛ فلم يتاجسر ( ١٧٣ ب ) نصرانى أن يخرج من بيته . ولم يُتَحدَّث[4] فى أمر اليهود ، فكان النصرانى إذا طرأ له أمر يتزيا بزى اليهود ، ويلبس عمامة صفراء يكتريها من يهودى ليخرج فى حاجته . واتفق أن بعض كتاب النصارى حضر إلى يهودى له عليه مبلغ ألف درهم ليأخذ منه شيئاً ، فأمسكه اليهود وصاح : « أنا بالله وبالمسلمين » ؛ فخاف النصرانى ، وقال له : « أبرأتُ ذمتك » وكتب له خطه بالبراءة وفرّ . واحتجاج عدة من النصارى إلى إظهارهم الإسلام ، فأسلم السنى بن ست بهجة فى يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة ، وخُلع عليه[5] ؛ وأسلم كثير منهم ؛ واعترف بعضهم على راهب بدير[6] الخندق ( ١٧٤ ا ) أنه كان ينفق المال فى عمل النفط للحريق ومعه أربعة ، فأخذوا وسُمّروا .

وانبسطت ألسنة الأمراء بسبب كريم الدين أكرم الصغير ؛ وحصلت مفاوضة بين

---

(١) فى ف « ومن وجد » والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٨٣ ب ) .

(٢) ذكر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧ ) أن المرسوم السلطانى حتم على النصارى أن يلبسوا « عمايم زرق وجباب زرق ، ويشدوا الزنار فى أوساطهم » . هذا ويرجع اختيار الألوان المميزة لأهل الذمة من نصارى ويهود ومجوس إلى عهد الخليفة هارون الرشيد ، وكان تعيين الأزرق للنصارى والأصفر لليهود مسألة متروكة للعادات المحلية فيما يظهر. انظر (Mez : Die Renaissance Des Islams) تعريب أبو ريدة ، ص ٨٠ — ٨٢ ، ٩٥ .

(٣) انظر ما يلى بهذه الصفحة .

(٤) فى ف « ولا يتحدث » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٨٣ ب ) .

(٥) فى ف « عليهم » .

(٦) حدد المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٠٧ ) موضع هذا الدير بأنه كان ظاهر القاهرة من بحريها ، وأن القائد جوهر الصقلى هو الذى عمره عوضاً عن دير هدمه داخل القاهرة .

الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير بكتمر الساقى بسبب كريم الدين الكبير ، فإن بكتمر كان يعتنى به وبالدواوين ، والفخرى يضع [ منه و ] منهم ؛ وصار مع كل من الأميرين جماعة ، وبلغ السلطان ذلك ، وأن أمراء تترقب وقوع الفتنة .

وصار السلطان إذا ركب إلى الميدان لايرى أحداً فى طريقه من العامة لكثرة [ خوفهم ] من أن يبطش بهم ، فلم يعجبه ذلك ؛ ونودى بخروج الناس للفرجة على الميدان ، فخرجوا على عادتهم . فلما كانت ليلة الأحد ثانى عشريه وقع ( ١٧٥ ب ) الحريق بالقلعة ، وعظم أمره حتى اشتد القلق إلى أن طُفى .

وفى رابع عشريه توجّه كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية ، ونادى فيها بلبس النصارى العمائم الزرق ، ومَنعهم من المباشرة فى الديوان . فوردت مراكب تحصل منها للديوان نحو الخمسين ألف دينار ، فسرّ كريم الدين بذلك . وعاد [ كريم الدين ] إلى القاهرة . فشفع فى إطلاق المقيدين الذين قبض عليهم فأطلقوا ؛ وأعطى كل واحد [ منهم ] عشرة دراهم فضة وعشرة فلوساً وقميصاً ، ففرّق ألف قميص ؛ ثم استدعى المسجونين على الديون[1] ، وصالح غرماءهم عنهم ، وخلى سبيلهم بحيث لم يبق أحد بسجن القضاة وأغلق .

( ١٧٥ ا ) وفيها ألقيت ورقت فى جناح طائر وجد بالإسطبل تتضمن الإنكار على السلطان ، وأنه فرّط فى ملكه ومماليكه ، والعسكر قد تلف ، وقد باع أولادُ الناس الإقطاعات التى بأسمائهم ، وصاروا يسألون الناس من الحاجة . فغضب السلطان من ذلك ، وتقدّم إلى نقيب[2] الجيش بكتابةِ أسماء من باع خبزه ، وكشفِ حال الأجناد ومعرفةِ من فيهم بغير فرس ؛ وعُرِضَ مماليك السلطان ، وأخرج منهم مائة إلى الكرك .

و [ فيه ] سافر كريم الدين الكبير إلى دمشق على البريد ، فتلقاه النائب على العادة ، وقدّم الناس إليه تقادم جليلة ، فلم يقبل منها لأحد منهم شيئاً ، بل عمّهم بالإنعامات ( ١٧٥ ب ) والصدقات ، وعاد إلى القاهرة .

(١) فى ب (٣٨٤ ا ) « الديوان » .

(٢) تقدم التعريف بهذه الوظيفة وصاحبها فى المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ص ٨٤٦ ، حاشية ٤ ) .

وفيها جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة ، فضرب جماعة وحبس جماعة ، وقطع أخباز أربعة عشر من أولاد الأمراء ؛ ثم أفرج عن المحبوسين بعد شهرين ، وبعثهم إلى الشام .

وفيه قدم عرب البحرين بأربعين فرساً ، فقُوِّمت بخمسمائة ألف درهم فضه ، وأنعِم . عليهم بعشرة آلاف دينار مصرية زيادة على ذلك ؛ وخُلع على الجميع .

وفيه خرج الأمير جمال الدين [ أقوش (١) الأشرفى ] نائب الكرك بعسكر إلى أياس ، وخرجت معه عساكر الشام وحلب بالآلات ؛ فنازلوها ونصبوا عليها المجانيق ، وقاتلوا الأرمن حتى ملكوها ، وغنموا منها مالاً كثيرا وقتلوا عدة كثيرة منهم ، ( ١٧٦ ا ) وفرّ من بقى فى البحر ؛ وذلك فى حادى عشرى ربيع الآخر . وعادت العساكر فأغارت على بلاد تكفور (٢) ، وأخذت مالا كبيراً ؛ وقدم الأمير جمال الدين [ أقوش ] إلى القاهرة . فبلغ الأمير الطنبغا نائب حلب أن أهل أياس قد عادوا إليها ، فأمسك إلى أن كانت أيام عيد لهم ، [و] ركب بعسكر حلب وطرقهم على غفلة ، وقتل منهم نحو ألفى رجل وأسر ثلاثمائة ، وغنم مالا جزيلا وعاد .

وفيه تنكّرت المماليك السلطانية على كريم الدين الكبير، لتأخّر جوامكهم شهرين ؛ ثم تجمعوا فى يوم الخميس ثامن عشرى صفر قبل الظهر ، ووقفوا بباب القصر . وكان السلطان [ وقتذاك ] عند الحريم ، فلما بلغه ذلك ( ١٧٦ ب ) خشى منهم ، وبعث بخروج الأمير بكتمر الساقى إليهم ، فلم يَرْضَوْه ؛ فخرج إليهم السلطان وقد صاروا ألفاً وخمسمائة ، فعندما رآهم سبّهم وأهانهم ، وأخذ العصا من المقدّم وضرب بهما رؤوسهم وأكتافهم ، وصاح فيهم : « اطلعوا مكانكم » ؛ فعادوا بأجمعهم إلى الطباق ، فعُدّت سلامته من العجائب (٣) . ثم إنه أمر النائب بعرضهم ، فعرضهم فى يوم السبت

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zettersteen : Op. Cit. pp. 163,172) .

(٢) المقصود بذلك بلاد أمينية الصغرى ( قليقية ) ، وكان ملكها تلك السنة ، حسبما ورد فى أبى الفداء ( المختصر فى أخبار ، ج ٤ ، ص ٩٢ ) أوشين بن ليفون (Oshin, son of Leo IV) . انظر (Howorth : Op. Cit III. p. 602) . راجع أيضاً المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٥٥ ، حاشية ٣ ) لشرح لفظ تكفور .

(٣) ذكر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ص ١٤ ) أن السلطان عالج هذه الفتنة بأن طلب من الثائرين « أن يختاروا من أعيانهم من يعبر إليه ويشكو ضررهم ، ويشافهوه بحالهم ، فامتنعوا من ذلك ، =

آخر صفر ، وأخرج منهم مائة وثمانين إلى البلاد الشامية ؛ وأخرج بعد ذلك منهم جماعة من الطباق إلى خرائب (١) تترَ ؛ وضرب واحداً منهم بالمقارع هو وغلامه ، لكونه شرب الخمر ، فمات بعد يومين من ضربه ؛ وأخرج(٢) جماعة من الخدام وقطع جوامكهم ، (١٧٧ ا) وأنزلهم من القلعة .

وفيه قدم رسول جوبان من الأردو يسأل أن يعطى ضيعة من ضياع مصر الخراب ليعمرها ويقفها على الحرم ، فأعيد رسوله بأنه يُسَيَّر إليه مكاتيب ضيعة بعد ذلك .

وفيه أنعم السلطان على جماعة من المماليك بإمريات : منهم علاء الدين أيدغدى التليلى الشمسى أحد مماليك سنقر الأسقر ، و[كان قد] أمّر (٣) فى أيام المنصور لاجين ؛ وأنعم على كل من بيبرس الكريمى ، وقطلوبغا الناصرى ، وعبد الملك المنصورى والى القلعة ، وأبو بكر بن الأمير أرغون النائب ، وملكتمر السرْجَوانى (٤) ، وطيبغا القاسمى ، وطقبغا ، وبيدمر ، وطغاى تمر من (١٧٧ ب) الخاصكية ، بإمرة . ونزلوا إلى المدرسة المنصورية بين القصرين ، وقد أشعلت لهم القاهرة ، وجلس المغانى بالحوانيت فى عدة أماكن ؛ وعمل [لهم] كريم الدين سماطا جليلا وفواكه ومشارب بالمدرسة ، فكان يوما مشهوداً (٥) .

وفيه نزل السلطان لصيد الكراكى من بركة الحاج ، وتقدّم لكريم الدين الكبير أن يعمل بها أحواشاً للخيل والجمال وميداناً ، ويبنى الأمير بكتمر الساقى مثل ذلك . فجمع [كريم الدين](٦) من الرجال للعمل نحو ألفى رجل ومائة زوج من البقر حتى

= وكانوا فى جمع كثير . فخرج السلطان إلى الرحبة وسمع شكواهم ولطف بهم ، وقابل جهلهم بحلمه وسياسته ، ووعدهم بإزالة ضررهم ، وأنه يتولى ذلك بنفسه ، وصرفهم إلى أماكنهم فانصرفوا إليها ، وكشف عمن حملهم على الجرأة ... من المماليك أرباب الإقطاعات ، فرسم بإخراجهم من القلعة وإسكانهم المدينة ... » .

(١) فى ف « خرايب التتر » وما هنا من المقريزى ( المواعظ والاعتبار ج ١ ، ص ٣٣٨ — ٤٣٩ ، ج ٢ ، ص ٨٠ ) حيث ورد أن تتر اسم لمملوك من مماليك أسد الدين شيركوه ، عم السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وكان هذا المملوك قد استولى على حمام بخط دار الوزارة الكبرى مدة الدولة الفاطمية ، فعرفت الحمام والخط أيضاً باسمه ؛ ثم خربت الحمام وصار مكانها داراً عرفت باسم دار الأمير الشيخ على ، وبقى الخط معروفاً باسم خط خرائب تتر ، « غير أن العامة تقول خرائب التتر بالتعريف ، وهو خطأ » . انظر أيضاً نفس المرجع ( ج ٢ ، ص ٥١٣ ) .

(٢) فى ف « خرج » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٨٤ ب ) .

(٣) اذا صح هذا فمعناه أنه كان من الممكن تأمين المملوك أكثر من مرة .

(٤) ضبط هذا اللفظ من ( Zettersteen : Op. Cit. p. 183 ) .

(٥) هنا إشارة إلى بعض مراسيم الدولة المملوكية فى حفلات الترقية إلى مرتبة الإمرة .

(٦) فى ف « لكريم الدين » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٨٥ ا) .

فرغ فى أيام يسيرة ، وجعل فى الميدان عدة من الحجُورة (١) المستولدة ، وركب السلطان لمشاهدة ذلك ، [واستمرّ] يتعاهد الركوب إليها .

وفيه (١٧٨ ا) شكا طائفة من أجناد الحلقة من زايد القانون(٢) فى البلاد ، فرسم للفخر ناظر الجيش ألا يتحدّث فى ذلك . وزايد القانون شىء حدث فى الأيام الناصرية : وذلك أن السلطان لما عمل الجسور ، واتفق(٣) أمرها ، وأنشأ عليها القناطر ، صار الماء إذا أروى بلاد البحيرة يجد ما يمنعه من الخروج إلى البحر فيتراجع ، ثم خرق من موضع خرقاً كالجراة ، واتسع حتى صار خليجاً صغيراً يمر على أراضٍ لم يكن من عادتها أن يعلوها الماء . فطالع الأميرُ ركنُ الدين القلنجقى (٤) كاشفُ البحيرة [السطانَ] بأن عدة من الأراضى التى فى بلاد المقطعين قد شملها الرى ، وسأل أن يقتطع ولده منها خبزاً [بعشرة أرماح(٥)] ، فإنها زايدة عن قانون المقطعين . فندب السلطان الأمير أيتمش المحمدى (١٧٨ ب) والموفق مستوفى الدولة لكشف هذه الأراضى وقياسها ، فتوجّها إلى البحيرة وكشفا عنها ، فبلغت خمسة وعشرين ألف فدان ، فكُتبت مشاريحها (٦) ، ولم يذكر منها غيرُ خمسة عشر ألف فدان فقط ، فإنها كانت أراضى متفرقة فى بلاد المقطعين . فكتب السلطان بها مثالات (٧) ما بين ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ، وفرّقها على أرباب الجوامك من المماليك ؛ فشق هذا على الأجناد ، فإنها كانت من أراضى إقطاعاتهم .

وفى نصف جمادى الآخرة وُلد للسلطان من خوند (٨) طغاى ولداً أسماه

(١) انظر ما سبق ، ص ٣١٠ ، حاشية ٤ .

(٢) المقصود بذلك ما زاد من الأرض عن المساحة الأصلية للإقطاع المقرر بمكاتيبه . انظر تعريف هذا المصطلح الإقطاعى بالسطر التالى وما بعده بهذه الفقرة .

(٣) فى ف « اتفق » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٨٥ ا ) .

(٤) بغير نقط فى ف ، وقد كل النقط من ب ( ٣٨٥ ب ) .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٣٨٥ ب ) ، والأرماح جمع رمح ، ولعل المقصود هنا أن تكون المساحة قدر رمية الرمح عشر مرات .

(٦) المشاريح جمع مشروح ، والمقصود به هنا ، كما يفهم عن المتن ، ما يكتبه الموظف المكلف بعمل من الأعمال بمثابة تقرير وشرح لما كلف به من عمل .

(٧) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٤٤ ، حاشية ٦ ) لشرح لفظ مثال .

(٨ كذا فى ف ، وكذلك فى ب ( ٣٨٥ ب ) ، والمعروف أن هذا اللفظ كان يستعمل لقباً للملوك فقط ، وأما الملكات والأميرات فكنّ يلقبن غالباً بلفظ « خاتون » ، على أن لفظ « خوند » ــ أو خوندة أيضا ــ كان يطلق كذلك على الملكات والأميرات ( Dozy : Supp. Dict. Ar. ) .

آنُوك(١) ، وكانت طغاى هذه جارية تركية اشتراها تنكز نائب الشام من دمشق بتسعين ألف درهم ، وبعثها إلى السلطان . (١٧٩ ا) فشقّ على سيدها ذلك لشغفه بها، وحضر إلى السلطان ، فأنعم عليه بألفى دينار مصرية ؛ وكتب له مسموحا (٢) بألفى دينار . وحظيت [الخاتون طغاى] عند السلطان ، وكانت بارعة الجمال ؛ فعمل السلطان عند ولادتها مهماً عظيما إلى الغاية ، وأنعم لها بالسفر إلى الحجاز لتحج ؛ فشرع كريم الدين فى تجهيزها ؛ وبعث الأمير تنكز أيضاً يستأذن فى الحج ، فأذن له ؛

وفيها قُبِض على الأمير صلاح الدين بن البيسرى ، وأرخى فى الجب مقيداً ، ثم أخرج بعد يومين إلى الإسكندرية . وسببه أنه كان يتورّع عن الأكل من سماط السلطان ، كانت أخته تحت الحاج آل ملك ، فشكا منه أنه قد أكل مالها ، فقال السلطان : « متورعٌ عن الأكل من السماط ، ويأكل مال (١٧٩ ب) اليتيم ! » ، وأمر به فقيّد .

و[فيها] قدم البريد من حلب بمسير جوبان بعساكر المغل لحرب الملك أزبك(٣).

وفيها أنشأ السلطان على بركة الفيل داراً بجوار دار الأمير بدر الدين جنكلى(٤) ابن البابا ، وأقام آقسنقر شاد العمائر على عملها(٥) ، وأدخل فيها كثيراً من دور الناس وأراضى ملاكها ، ورسم بنقل كريم الدين الكبير إليها .

و [فيها] قدمت تقادم نواب الشام برسم سفر (٦) الخاتون طغاى [ إلى الحجاز ] ؛ وعمل الأمير أرغون النائب برسمها ثمانى عربات كعادة بلاد(٧) الترك للتسافر فيها ، وجرّها ، إلى الإسطبل ؛ فأعجب بها السلطان وأخلع عليه . وعُين للسفر مع الخاتون الأمير قجليس

---

(١) بغير ضبط فى ف . انظر (Zetterstéen Op. Cit. 173,184,etc) .

(٢) انظر ما سبق ، ص ١٩ ، حاشية ٥ .

(٣) كان غرض جوبان من تلك الحملة التى قادها شمالا لحرب أزبك ، أن ينتقم لدولة إيلخانات فارس مما شنه ازبك من حرب قبلا على حدود الدولة المغولية بفارس . راجع Howorth : Op. Cit. III . pp, 590,605)

(٤) فى ف « جنكل » . انظر ( Zetterstéen Op. Cit. 128,etc ) .

(٥) فى ف « عليها » ، والصيغة المثبت هنا من ب ( ٣٥٨ ب ) .

(٦) فى ف « سنقر » ؛ والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٨٥ ب ) .

(٧) وصف ابن بطوطة فى كتاب الرحلة المشهور ( تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار -Defr. Sang.، ج ٢ ، ص ٤٠٨ ) مواكب الخواتين فى بلاد الترك ، مما شاهده بنفسه فى بلاد أزبك خان ، ملك القبيلة الذهبية ، وهو يعطى صورة واضحة لما جهزت به الخاتون طغاى .

والقاضى كريم الدين الكبير ؛ وخرج النائب والحجاب (١٨٠ ا) فى خدمتها إلى بركة الحاج حتى رحلت فى يوم الأربعاء سابع عشرى شوال ، ومعها النقباء صاروجا وبكتاش[1] ؛ ورُفعت عليها العصائب السلطانية ودُقّت الكوسات وراءها ؛ وحُملت الخضراوات والبقول والرياحين فى المحاير[2] مزروعة فى الطين ؛ ولم يُعهد سفر امرأة من نساء الملوك مثل سفرها .

و [ فيها ] خرج السلطان إلى الصيد ، وقد توقّف حال الناس فى أمر الفلوس لكثرة الزغل فيها ، وتحسنت البضائع . فلما قدم السلطان من الصيد رسم أن تكون [ الفلوس ] بالميزان ، بعدما ضرب كثيراً من الباعة .

[وفيها][3] سقط نجم عظيم بعد العصر ، فطبّق شعاعه[4] الأرض ، ورآه كل أحد .

[ وفيها ] ولدت كلبة بالقاهرة (١٨٠ب) ثلاثين جروا ، وأحضرت بجراها[5] إلى السلطان .

وفى يوم الاثنين سادس عشرى رمضان شكا طلبة زاوية الشافعى بجامع عمرو من مدرسهم شهاب الدين الأنصارى ، وأبدوا فيه قوادح ؛ فصرف عنهم ، وولى عوضه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، ونزلت إليه الخلعة يوم الجمعة سلخه ، فلبسها يوم العيد .

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر نور الدين إبراهيم بن هبة الله بن على الحميرى الإسنائى الفقيه الشافعى ، قاضى قوص ، بالقاهرة يوم الثلاثاء سادس عشرى صفر ؛ أخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله القفطى ، والأصول عن الشيخ شمس الدين محمد بن محمود (١٨١ ا) الأصبهانى ، والنحو عن ابن النحاس ؛ وبرع فى ذلك وصنّف . و [ مات ] تاج الدين أبو الهدى أحمد بن محمد بن الكمال أبى الحسن على بن شجاع القرشى العباسى ، بمنشاة المهرانى خارج مدينة مصر ، عن تسع وسبعين سنة ، فى سابع جمادى الأولى . و [ مات ] مجد الدين أحمد بن معين الدين أبى بكر

(١) فى ف ، « بكتاش » انظر ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٨٢ ) .

(٢) المحاير جمع محارة ، وهى حسبما ورد فى محيط المحيط شبه الهودج ، وفى اصطلاح العامة صندوقان يشدان إلى جانبى الرحل . وكان للمحاير سوق خاص بالقاهرة اسمه سوق المحايرين ، واشتهر تجاره بتحديد أثمان بضائعهم بغير مساومة . ( المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٠١ ) .

(٣) موضع ما بين الحاصرتين بياض فى ف ، والإضافة من ب ( ٣٨٦ ا ) .

(٤) فى ف « سفاعته » والرسم المثبت هنا من ب (٣٨٦ ا ) .

(٥) فى ف « بجرواها » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٨٦ ا ) .

الهمذانى المالكى، خطيب الفيوم ، يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأول ؛ وكان يُضرب به المثل فى المكارم والسودد ، وهو أخو قاضى القضاة شرف الدين المالكى ، وصهر الصاحب تاج الدين محمد بن حنّا[1] . ومات بمكة الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد ابن محمد الأصبهانى ، فى جمادى الآخرة . و [ مات ] الأمير زين الدين كتبغا العادلى حاجب دمشق بها ، ( ١٨١ ب ) فى يوم الجمعة ثامن عشرى شوال ؛ واستقر عوضه الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى ؛ وكان شجاعا كريما . و [ مات ] تقى الدين محمد بن عبد الحميد بن عبد الغفار الهمذانى الحلبى الضرير بمصر ؛ وُجد ميتاً فى حادى عشر ذى الحجة ، وقد أناف على السبعين ؛ وحدّث بأشياء . ومات الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول التركمانى ملك اليمن ، فى مستهل ذى الحجة ؛ وكانت مدته خمسا وعشرين سنة ؛ وقام من بعده ابنه الملك المجاهد سيف[2] الدين على . ومات كمال الدين محمد بن عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير كاتب الدست ، فى ( ١٨٢ ا ) يوم الاثنين خامس عشر ذى الحجة بالقاهرة ؛ وكان حشِما رئيساً عاقلا . ومات الطواشى صفى الدين جوهر مقدم المماليك السلطانية ، فاستقر بعده الطواشى صفى الدين صواب الركنى ؛ وكان [ صواب الركنى هذا ] يلى تقدمة المماليك فى الأيام الركنية بيبرس ، فلما قدم السلطان من الكرك عزله ، ثم أعاده بعد موت جوهر . ومات حميد الدين أبو الثناء محمود بن محمد بن محمود بن نصر النيسابورى ، شيخ الخانكاه الركنية[3] بيبرس ، فى تاسع عشر جمادى الآخرة ؛ ومولده سنة خمس

(١) ربما كان من الضرورى هنا أن يشير كاتب هذه السطور إلى صحة هذا الاسم الذى تقدم مرات بالجزء الأول من كتاب السلوك من غير ضبط أو تعليق ، فصحته كما ذكر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ ) « بحاء مهملة مكسورة ، ثم نون مشددة مفتوحة ، بعدها ألف » .

(٢) اضطربت أحوال اليمن منذ قيام الملك المجاهد سيف الدين هذا ، إذ خرج عليه عمه الملك المنصور زين الدين أيوب سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢م) واعتقله وأخذ الملك منه مدة ثلاثة أشهر، ثم خلع الملك المنصور زين الدين وقبض عليه ، وأعيد المجاهد سيف الدين إلى العرش ، غير أن ابن عمه، واسمه الملك الناصر جلال الدين ، قام يريد الملك لنفسه ؛ وبقى أمر مملكة اليمن مضطربا غير منتظم الأحوال كما سيلى . انظر الخزرجى ( العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١ — ٦ ) ، أبو الفداء ( المختصر فى أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٩٤ ) ؛ النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٢٠ — ٦٠ ) ، حيث توجد هذه الأخبار ضمن فصل طويل كتبه النويرى فى تاريخ اليمن كله منذ دخلها المسلمون إلى زمنه .

(٣) وصف المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ٤١٦ ، وما بعدها ) هذه الخانقاه التى بناها الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٦ م ) قبل أن يتسلطن ، بأنها كانت « أجلّ =

وأربعين وستمائة . ومات الشيخ تاج الدين يحيى بن عبد الوهاب بن عبد الرحيم الدمنهورى الشافعى ، فى ثالث عشر جمادى الأولى ؛ كان يتصدّر لإقراء (١٨٢ ب) النحو ، وصنّف . ومات بمكة الإمام المقرئ عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الأحد المخزومى الدلاصى ، فى ليلة رابع عشر المحرم .

* * *

سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة . أهلّ المحرم يوم الأربعاء ، ففى يوم الأربعاء خامس عشره وصل أوائل الحجاج . وفى يوم الثلاثاء حادى عشريه وصل القاضى كريم الدين الكبير ، والأمير قجليس صحبة الخاتون[١] طغاى . وخرج السلطان إلى لقائها ببركة الحاج ، ومدّ سماطاً عظيما ؛ وخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف وجميع القهرمانات : مثل الست حَدَق[٢] المعروفة بالست مسْكة ، [ ونساء[٣] الأمراء ] ؛ ودخل الجميع[٤] إلى منازلهم ؛ فكان يوما مشهودا . (١٨٣ ا) ولم يسمع بمثل هذه الحجة فى كثرة خيرها وسعة العطاء ، ويقال إن السلطان[٥] أنفق على حجة طغاى مبلغ ثمانين ألف دينار وستمائة ألف درهم ، سوى كرى الحمول وثمن الجمال ومصروف الجوامك ، وسوى ما حُمل من [ أمراء ] الشام وأمراء مصر ، وفى تاسع عشريه قدم المحمل ببقية الحاج .

وفى يوم السبت ثانى صفر خرج الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك ، والأمير علم الدين سنجر الجمقدار ، والأمير سيف الدين ألماس الحاجب ، والأمير سيف الدين

---

= خانقاه بالقاهرة بنيانا ، وأوسعها مقداراً ، وأتقنها صنعة ... وهى مبنية بالحجر ، وكلها عقود محكمة بدل السقوف الخشب » ، وقد بناها بيبرس على جزء من أرض دار الوزارة الكبرى .

(١) فى ف « خوند » . انظر ما سبق ، ص ٢٣١ ، حاشية ٨ .

(٢) فى ف « مثل الست حدق والست مسكه » ، والصيغة المثبتة هنا من (Van Berchem : Corp. Inscr. No. 134,pp. 193-194) ومن ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٧) حيث توجد للست حدق هذه ترجمة ، ومنها « حدق القهرمانية الناصرية ، كان الناصر جعل إليها أمور نسائه ، فتحكمت فى داره تحكماً عظيما ، حتى صارت لا يقال لها إلا الست حدق ، وحجت مرة فضرب المثل بما فعلته من الخيرات ، وعمرت جامعاً ظاهر القاهرة ، وكان يقال ست مسكه ، فربما قيل للجامع ست مسكة ... » . انظر أيضاً المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١١٦ ، ٣١٣ ، ٣٢٦ ) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٢٨٦ ب) .

(٤) فى ف « ودخلوا إلى منازلهم » ، وقد عدلت للتوضيح .

(٥) فى ف « ويقال انه » .

طرجى أمير مجلس ، والأمير بهاء الدين أصلم السلاح دار ، بمضافيهم وطائفة من أجناد الحلقة ، إلى غزو [ بلاد متملك ] سيس ، لمنعه الحمل . ولم يكن الأمر كذلك، بل مسيرهم إنما كان (١٨٣ ب) لأجل توجه الملك أزبك إلى بلاد أبى سعيد . وكُتب بخروج عساكر الشام أيضاً .

وفيه هدم موضع دار العدل الذى أنشأه الملك الظاهر بيبرس ، وعُمل طبلخاناه ، فى شهر رمضان ، فاستمرّ موضع الطبلخاناه إلى اليوم ، ولما هُدِم وُجد فى أساسه أربعة[١] قبور ، فلما نُبشت وُجد بها رمم أناس طوال عراض ، وإحداها[٢] مغطاة بملاءة دَبيقى ملونة إذا مُرّ منها شىء تطاير ، وعليهم عدة القتال ، وبهم جراحات ؛ وفى وجه أحدهم ضربة سيف بين عينيه عليها قطن ، فلما رُفع القطن نَبَع من تحته دم ، وشوهد الجرح كأنه جديد ، فنقلوا إلى بين العروستين[٣] ، وعمل عليهم مسجد .

وفى مستهل ربيع الآخر قدم الأمير (١٨٤ ا) سيف الدين طقصبا الظاهرى ، ومعه رسل الملك أزبك بكتابه ؛ فأحضروا ، ولم يعبأ السلطان بهم لكثرة شكوى طقصبا من تغير أزبك عليه واطّراحه له ، وأعيد الرسل بالجواب .

[وفيه] قدم عرب البحرين بمائة وثلاثين فرساً ، فقوّمت بأثمان غالية ما بين عشرة آلاف درهم الفرس إلى خمسين ألفا . فلما أخذت أثمانها أنعم [ السلطان] عليهم بخلع وتفاصيل وغير ذلك ، وسفّروا إلى بلادهم .

وفيه عوّض السلطان أمير مكة عن نظير ما كان يستأديه من مكس الغلال ، وأقطعه ثلثى دمامين[٤] بالوجه القبلى .

و [فيه] قدم البريد من دمشق بحضور أخت الأمير بد الدين جنكلى بن البابا من الشرق ، وصحبتها جماعة كثيرة (١٨٤ب) إلى دمشق ، وأنها ماتت بعد قدومها بثلاثة أيام ؛ فاستُدعى من حضر معها إلى مصر ، فلما وصلوا أنعم عليهم السلطان بالإقطاعات وغيرها .

(١) ف ف « اربع » .

(٢) ف ف « واحدها مغطاة بملاه مملوه » ، والدبيق نسبة إلى دبيق ، وهى بليدة بين الفرما وتنيس ، ينسب إليها الثياب الدبيقية . ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٤٨ ) .

(٣) انظر ما سبق ، ص ٧٣ ، حاشية ١ .

(٤) عرف مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ١١ ، ص ٢٠) بلدة دمامين بأنها من مراكز الأقصر بمديرية قنا ، وموقعها على الشاطىء الغربى للنيل .

وفى مستهل جمادى الأولى قدم البريد بأن العسكر أغار على بلاد سيس ، وأخرب وغنم وقتل جماعة ، وأن أوشين[١] متملك سيس هلك ، وقام من بعده ابنه ليفون ، وله من العمر [ نحو ] اثنى عشرة سنة ، وأن العساكر نازلت أياس وأخذوها عنوة بعد حصار ، وقتلوا أهلها وخربوها ؛ وعادوا على الأرمن فغنموا وأسروا منهم كثيراً ، وتوجهوا عائدين[٢] . فقدم الأمير جمال الدين أقوش بالعسكر إلى القاهرة فى سابع عشرى جمادى الآخرة ، وخُلع عليه .

وفى يوم ( ١٨٥ ا ) الأربعاء تاسع عشر رجب قدم الأمير تنكز نائب الشام باستئذان ، فأنعم عليه السلطان إنعامات جليلة بلغت قيمتها نحو ثمانين ألف دينار ؛ ورُسم لسائر الأمراء بحمل تقادمهم إليه ، وأن من أحضر تقدمة يُخلع على مُحضِرها من الخزانة السلطانية ؛ فحملت[٣] إليه تقادم جليلة ، منها أربعون سلسلة مابين ذهب وفضة ؛ وحمل كريم الدين الكبير تقدمة بعشرة آلاف دينار . وعاد [ تنكز ] — بعد إقامته خمسة أيام — على البريد ، فى يوم الاثنين رابع عشريه ، ودخل دمشق أول شعبان .

و [ فيه ] توجه الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى إلى السلطان أبى سعيد بن خربندا لعقد الصلح ، وعلى يده هدية سنية ، وسفّر بألف دينار .

وفى ثانى شعبان ( ١٨٥ ب ) عُقد على الأمير أبى بكر بن الأمير أرغون النائب عقد خوند بنت السلطان ، وتولى العقد قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى ، على أربعة آلاف دينار . وخَتَن السلطانُ أولاد ثلاثة من الأمراء : وهم بكتمر الساقى ، وطشتمر حمص أخضر ، ومنكلى بغا الفخرى ، وعمل لهم مهماً عظيما مدة أربعة أيام ، ورمى الأمراء الذهب فى الطشت ، فبلغ ما فى طشت ابن الأمير بكتمر الساقى أربعة آلاف وثلاثمائة وثمانين ديناراً ، وفى طشت ابن طشتمر حمص أخضر ثلاثة آلاف دينار ونيف ، وفى طشت ابن منكلى بغا ألف دينار وثمانمائة دينار .

---

(١) ذكر ( Howorth Op. Cit III, P. 602 ) أن أوشين (Oshin) توفى سنة ١٣٢٠ م ( ٧٢٠ هـ ) ؛ وأن ابنه وخليفته ليفون الخامس ( Leo V ) كان عمره عشر سنوات فقط ، فقام عليه وصيا من اسمه (Bailiff Oshin) ، وقد تزوج الوصى من أم الملك ليفون الخامس ، وتزوج الملك من ابنه الوصى .

(٢) انظر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ١٢ — ١٤ ) ، حيث توجد أخبار هذه الحملة فى كثير من التفصيل .

(٣) فى ف « فحمل » .

وفى يوم الخميس عاشر رمضان قُبض على الأمير سيف (١٨٦ ا) الدين بكتمر البوبكرى وولديه ، ثم وقعت الشفاعة فى ولديه أطلقا . وسبب ذلك كثرة معارضته للسلطان ، فعينه [ السلطان ] لنيابة صفد ، فاستعفى من ذلك ؛ فبعث إليه كريم الدين الكبير بألفى دينار وتشريف نيابة صفد ومثالين بأمرتين لولديه بها ، فلم يعبأ بكريم الدين وفارقه وهو متغير فركب الأمير بكتمر وسأل السلطان الإعفاء ، فغضب وقبضه وولديه ، وسجنهم بالبرج إلى ليلة عيد الفطر ؛ [ ثم ] أفرج عن الولدين .

و [ فيه ] قدم الشريف عطيفة بن أبى نمى صاحب الحجاز ، وأخبر بقحط مكة لعدم المطر ، وأنهم استسقوا ثلاثاً فلم يُسقَوا ، ووصل القمح إلى مائتين وخمسين درهماً الأردب . فرسم السلطان أن يُحمل إلى (١٨٦ ب) مكة ألفا أردب ، وحمل النائب(١) ألف(٢) أردب ، والحاج آل ملك ألف أردب . فلما وصلت الغلال تُصُدّق بها ، فانحل السعر ، وأبيع الأردب القمح بمائة درهم ؛ وأغيث(٣) [ أهل مكة ] عقيب ذلك .

و [ فيه ] قدم الملك المؤيد صاحب حماة ، وسار مع السلطان إلى قوص .

و [ فيه ] نقل البوبكرى إلى الإسكندرية عند سفر السلطان إلى بلاد الصعيد ، فسجن بها .

و [ فيه ] ورد الخبر بخلع الملك المجاهد على صاحب اليمن ، وإقامة الناصر جلال الدين(٤) .

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر الشيخ نجم الدين الحسين بن محمد بن عبود ، ليلة الجمعة ثالث عشرى شوال ؛ وكان قد عظم قدره فى الدولة المنصورية لاجين وعمّر (١١٨٧) زاويته بالقرافة ، وقصده الناس لقضاء حوائجهم . ومات الشيخ جلال الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمود القلانسى ، بالقدس فى ذى القعدة ؛ وكان قدم إلى مصر فى سنة تسع وتسعين وستمائة ، وأقام بها وحصل له بها رياسة ، واعتقده الأمراء ، وأهل الدولة ، وترددوا إلى زاويته على بركة الفيل ؛ ثم أخرج إلى القدس

(١) لعل المقصود بذلك الأمير أرغون نائب السلطنة .
(٢) فى ف « الفا » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٨٨ ب) .
(٣) فى ف « واغيثوا » ، وقد حذفت واو الجماعة وأثبت الاسم للتوضيح .
(٤) انظر ما سبق ، ص ٢٣٤ ، حاشية ٢ .

وكان كاتباً فاضلا معتقداً . و [ مات ] الشيخ حسن الجوالقى القَلَنْدَرى ، صاحب زاوية القلندرية(١) ، خارج باب النصر من القاهرة ، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر جمادى الآخرة بدمشق ؛ و [ كان قد ] تقدم فى دولة العادل كتبغا . و [ مات ] الرئيس الكاتب زين الدين عبد الرحمن بن أبى صالح رواحة بن على بن الحسين بن مظفر ( ١٨٧ ب ) ابن نصر بن رواحة الأنصارى الحموى ، بسيوط من بلاد الصعيد ، فى ذى القعدة عن أربع وتسعين سنة ؛ ورحل إليه الناس لسماع الحديث . و [ مات ] محيى الدين عبد الرحمن بين مخلوف بن جماعة بن رجاء الربعى الاسكندرانى المالكى مسند الإسكندرية ، بها فى يوم الثامن من ذى الحجة عن ثلاث وتسعين سنة . و [ مات ] تقى الدين عتيق بن عبد الرحمن بن أبى الفتح [ العمرى ](٢) المحدث الزاهد ، فى ذى القعدة بمصر . و [ مات ] أبو عبد الله محمد بن محمد بن على بن حريث(٣) القرشى البَلَنْسى السَّبتى ، بمكة فى جمادى الآخرة عن إحدى وثمانين سنة ، وأقام بها مجاوراً سبع سنين ؛ وكان خطيباً بسبتة ثلاثين سنة ، وبرع فى فنون . و [ مات ] شمس الدين محمد بن الحسن بن سباع — المعروف ( ١٨٨ ا ) بابن الصائغ — بدمشق ؛ وقدم إلى مصر ، وبرع فى الأدب ، وصنف . و [ مات ] أمين الدين محمد بن حمزة بن عبد المؤمن الأصفونى الشافعى ، بسيوط . و [ مات ] تاج الدين محمد بن الجلال أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الدشناوى(٤) الشافعى بقوص . و [ ماتت ] زينب بنت أحمد بن عمر بن أبى بكر بن شكر أم محمد المقدسية المعمرة الرُّحْلة ، فى ذى الحجة بالقدس ، عن أربع وتسعين سنة ؛ حدَّثت بمصر والمدينة النبوية . ومات بدمشق الأمير غلبك العادلى ، والأمير فخر الدين أياز شاد الدواوين ، والأمير أيدمر الساقى — المعروف بوجه الخشب ومات أقجبا البدرى والى الفيوم .

---

(١) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٥٥ ، حاشية ٤ ) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٢٣٨ ا ) . انظر أيضا ابن العماد ( شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٥٧ ) .

(٣) فى ف « حرث » ، والصيغة المثبتة هنا من ابن العماد ( شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٥٨ ) . انظر أيضا ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ١٩٩ ) .

(٤) فى ف « النشاوى » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٢٣٧ ب ) . انظر أيضا ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٣٢٣ ) ؛ هذا والنسبة إلى دشنا أحد مراكز مديرية قنا الحالية . ( فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٦١ ) .

و[ مات ] بدر الدين والى قوص . ومات الأمير عز الدين أيبك البغدادى بمحبسه من قلعة الجبل ، فى سابع عشر جمادى الآخرة . ( ١٨٨ ب ) ومات بمصر القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن المكين[١] بن رابعة ، فى ثالث عشرى المحرم . و[مات] أقضى القضاة نور الدين أبو الحسن على بن إسماعيل بن يعقوب الزواوى المالكى ، يوم الأربعاء سابع عشر صفر . و[ مات ] القاضى سعد الدين مسعود بن نفيس الدين موسى بن عبد الملك القمنى الشافعى ، يوم الثلاثاء ثالث عشرى شعبان . و[ مات ] أقضى القضاة قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطى ، خليفة الحكم الشافعى ووكيل بيت المال بالقاهرة ، سَحرَ يوم الجمعة رابع عشرى ذى الحجة .

* * *

سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة . أهلّ المحرم بيوم الأحد الموافق له رابع عشر طوبة ، سقط بالدقهلية والمرتاحية من بلاد الغربية — بعد مطر (١٨٩ ا) عظيم وريحٍ قوية جداً — بَرَدٌ وزن الحبة منه ماينيف على خمسين درهما ، أتلف كثيراً من الزرع ومن الغنم والبقر ؛ ووُجد فيه حجارة منها [ ما ] وزنه من سبعة أرطال إلى ثلاثين رطلا ، وتلف من البلاد أحدٌ وسبعون[٢] بلداً بالغربية ، واثنان وثلاثون[٣] بلداً بالبحيرة .

وفيها نزل السلطان بالجيزة عائداً من بلاد الصعيد ، وخَلع على نائب حماة ، ورسم له بالعود إلى بلده . واستدعى [ السلطان ] بالحريم من القلعة إلى عنده ، وكان الوقت شتاءً ؛ فطُرد سائر الناس من الطرقات ، وغلّقت الحوانيت ؛ ونزلت خوند طغاى ، والأمير أيدغمش أمير آخور ماشٍ يقود عنان فرسها بيده ، وحولها سائر الخدام مشاة منذ ركبت من القلعة إلى أن وصلت إلى النيل ، فعدّت فى الحراقة . واستدعى ( ١٨٩ ب ) الأمير بكتمر الساقى وغيره من أمراء الخاصكية حريمهم ، وأقاموا فى أهنأ عيش وأرغده .

و[ فيها ] قدم من [عند] صاحب ماردين الجارية التى طُلبت : وكان المجد السلامى

(١) فى ف « المكير » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٨٨ ب ) .

(٢) فى ف « سبعين » .

(٣) فى ف « اثين وثلاثين » .

قد بعث بأنه أراد شراء جارية جَنكيّة(١) من الأردوا ، فبذل صاحب ماردين فيها الرغائب لصاحبها حتى اشتراها ، وأن الجد سيّر يعلمه بأنه قد عينها للسلطان ، فلم يعبأ بقوله وشُغف بها . فكتب [السلطان] لصاحب ماردين بالإنكار عليه ، وأن يحملها إلى مصر ، فسيّر جارية غيرها مع مملوكين ؛ فلم يخف ذلك على السلطان ، وردّ الثلاثة ، وقال لقاصده شفاهاً : « متى لم يبعث بالجارية ، وإلا أخربت ماردين على رأسه » ، فلم يجد بُداً من إرسالها ؛ فلما حضرت أنعم السلطان عليه بإنعامات (١٩٠ ا) جليلة .

و [فيه] عاد السلطان من الجيزة إلى القلعة ، وقد توعّك كريم الدين الكبير .

وفى خامس عشره قدمت بوادر الحجاج ، وقدم المحمل ببقية الحاج فى يوم الخميس سادس عشره .

و [فيه] تكرّر إرسال السلطان الأمراء وغيرهم لتفقد حال كريم الدين ، فلم ينزل إليه أحد إلا وخلع عليه أطلس بطراز وكلفتاه زركش وحياصة ذهب ، حتى استعظم الناس ذلك . وبالغ [السلطانُ] فى كثرة الإنعام على الأمراء والحكماء إلى يوم الخميس ثالث ربيع الأول . [ثم] ركب [كريم الدين] إلى القلعة ، وتوجه بعد اجتماعه بالسلطان إلى القرافة ؛ فكان يوماً مشهوداً ، زُينت فيه القاهرة زينة عظيمة ، وصفّت بها المغانى ، وأشعلت الشموع ؛ واجتمع الناس بالمدرسة المنصورية بين القصرين لأخذ الصدقات (١٩٠ب) ، فمات فى الزحمة أربعة عشر إنساناً ، وتأذى أناس كثيرة ، ولم يفرّق فيهم [شىء] . وخلع على جميع الأطباء ، وأخرج أهل السجون ، وتصدّق بأموال جزيلة .

و [فيه] قدم الخبر باجتماع الأمير أيتمش بالسلطان أبى سعيد ، وأنه أكرم غاية الكرامة ، وعاد إلى ماردين .

وفى عشريه قُتل الشيخ ضياء الدين عبد الله الدربندى (٢) الصوفى : وكان قد قدم من دمشق فى أوائل هذه السنة على هيئة الفقراء اليونسية(٣) ، ولا يزال فى يده

(١) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٢٧٥ ، حاشية ٣ ) .

(٢) فى ف « الدينرى » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٣٨٩ ا ) . انظر أيضا ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٣١١ ) .

(٣) انظر ما سبق هنا ، ص ٣١ حاشية ٤ .

طَبَر[١] ، وشُهِر بدين وعلم . فلما كان هذا اليوم تحزّم وقال : « أنا رايح أجاهد في سبيل الله وأموت شهيداً » ، وسار من خانكاه سعيد السعداء إلى قلعة الجبل ، والأمراء جلوس على باب القلة ، فرأى رجلا من المسلمين قد تبع بعضَ ( ١٩١ ا ) الكتاب النصارى وقبّل يده والنصراني لا يعبأ به ، فحنق منه وضرب النصراني بالطبر فهدل كتفه وثنّى عليه . فارتجت القلعة ، واجتمع الناس وقبضوه ؛ فاشتدّ السلطان ، وأمر به فضُرِب عنقه على باب القلعة .

وفي ثالث عشريه قدم البريد بوفاة نجم الدين أحمد بن محمد بن صَصْرَى قاضي القضاة الشافعية بدمشق ، فاستقرّ عوضه قاضي القضاة جمال الدين سليمان بن عمر الزرعي ؛ واستقرّ عوضه في تدريس المدرسة المنصورية القاضي تقي الدين السبكي ، وفي تدريس الجامع الحاكمي الشيخ شمس الدين محمد بن عدلان .

و [فيه] قدم الأمير أيتمش المحمدي من عند أبي سعيد ، وقد عَقَد الصلح بينه وبين السلطان ، وخُطِب بذلك في يوم الجمعة ( ١٩١ ب ) بمدينة توريز على منبر الجامع ، و[ قد حمل الأمير أيتمش ] معه نسخة الأيمان التي تتضمن حَلف أبي سعيد وجوبان والوزير[٢] ، وما أنعم به عليه أبو سعيد : وهو ما قيمته نحو المائتي ألف درهم ، ولؤلؤاً[٣] اشتراه بأربعين ألف درهم قُوِّم بمائة ألف . وقدّم [ أيتمش ] ذلك كله للسلطان ، وحلف ألا يدخل في ملكه ، فقبله منه وأنعم عليه بمائة ألف درهم ؛ وحمل له كريم الدين عشرين ألف درهم من عنده .

وفي يوم الخميس سلخ ربيع الأول قبل الظهر وُلد للسلطان ولد ذكر من حظيته طغاى[٤] سماه آنوك .

---

(١) في ف « طبر » والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٨٩ ا ) . انظر ما يلي بهذه الصفحة ، سطر ٥ ، وقد تقدم شرح لفظ طبر في المقريزي ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٤٧ ، حاشية ٤ ) .

(٢) المقصود بذلك وزير أبي سعيد ، واسمه على شاه ، وهو حسبما ذكر أبو الفداء ( المختصر في أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٩٦ ) صاحب الفضل في الصلح والمودة بين أبي سعيد والسلطان الناصر محمد . انظر أيضا ما سبق هنا ، ص ١٩٥ ، حاشية ٥ .

(٣) في ف « لولو » .

(٤) في ف « طنيه » . انظر ما سبق ، ص ٢٣١ ، سطر ١٧ . ويلاحظ أن هذا الخبر قد تقدم فعلا بالصفحة المشار إليها ، وقد تكررت هذه الظاهرة في بعض الأخبار ، ويظهر من هذا أن المقريزي قد ألف هذا الجزء من كتاب السلوك من مرجعين .

وفيه وقف بعض بزدارية [١] السلطان وشكا أن أحد أجناد الأمير بكتمر الحاجب تزوّج بامرأته من غير أن يكون [قد] طلقها [٢] ، وأنه رشا الشهود حتى فعلوا له (١٩٢ ا) ذلك . فكشف علم الدين الخازن والى القاهرة عن قوله فتبين كذبه ، وأنه طلّق المرأة وانقضت عدّتها ثم تزوّجت بالجندى . فتعصب الأمير بكتمر على البازدار لظهور كذبه ، فحنق السلطان وأمر الوالى بتعزيز [٣] الشهود ومنْعهم من تحمل الشهادة ، وإلزام الجندى بطلاق المرأة وردّها إلى البازدار ، فكان هذا من الأمور الشنيعة .

وفيه قُبض على القاضى كريم الدين عبد الكريم بن العلم بن هبة الله بن السديد ناظر الخاص ووكيل السلطان ، فى يوم الخميس رابع عشره ربيع الآخر ، بعد ما تجهز ليسافر فى يوم الجمعة خامس عشره إلى الشام . فعندما طلع إلى القلعة على العادة ، ووصل إلى الدركاه ، (١٩٢ ب) منع من الدخول إلى السلطان ، وعوق بدار النيابة هو وولده علم الدين عبدالله وكريم الدين أكرم الصغير ناظر الدولة . ووقعت الحوطة على دور كريم الدين الكبير خاصة التى بالقاهرة وبركة الفيل ، ونزل شهود [٤] الخزانة بولده إلى داره ببركة الفيل ، وحملوا ما فيها إلى القلعة . وتوالت مصادرته ، فوجد له شىء كثير جداً : من ذلك قماش وبُرُد [٥] وطرز وحوايص قيمتها زيادة على ستين ألف دينار ، وقند وسكّر زنته ثمانون ألف قنطار ، وعسل عدة ثلاثة وخمسين ألف مَطَر [٦] ؛ وصناديق بها مسك [ وزعفران ] وعنبر وعود ولبان وغير ذلك عدة

---

(١) انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٢٦ ، حاشية ٦ ) .

(٢) فى ف « يطلقها » .

(٣) التعزيز تأديب المذنب على ذنب لم تشرع فيه الحدود بعقوبة ثابتة ، ولذا تختلف العقوبة فيه بحسب المذنب والذنب المرتكب . انظر الماوردى ( الأحكام السلطانية ، ص ٢٢٤ — ٢٢٧ ) .

(٤) تقدمت هذه الوظيفة أكثر من مرة فى المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ص ٥٩٣ ، ٩٦٧ ). غير شرح أو تعليق ، والواضح من عبارة المتن أن المقصود بالشهود هنا شهود خزانة المال السلطانية ، ويوجد فى ابن مماتى ( قوانين الدواوين ، ص ٩ ) تعريف لوظيفة الشاهد عامة ، ونصه : « الشاهد من لوازمه أن يضبط كل شىء هو شاهد فيه ؛ وأن يكون له تعليق بخدمته ، ويكتب على الحساب الموافق لتعليقه ، ولا يلزمه شىء مما يلزم الناظر والمشارف والعامل والجهبذ ، إلا أن يظهر أنه واطأهم على خيانة ، فيكون كأحدهم » .

(٥) فى ف « وبر » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٩٠ ا ) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة .

(٦) المطر — والجمع أمطار — مكيال للسوائل عامة ، وقد ذكره المقريزى ( المواعظ =

أحد وأربعين صندوقاً . وأبيعت داره التى على بركة (١٩٣ ا) الفيل للأمير سيف الدين طقتمر بثلاثةعشر ألف دينار . وحُمل مالهفى[1] الإسكندرية ، وكان خمسين ألف دينار ، ومن أصناف المتجر شيء كثير جداً ، ومنه ثمانون ألف قطعة خشب ، ومائة وستون ألف قنطار رصاص ؛ وبلغت قيمة الأصناف التى له فى الإسكندرية خمسمائة ألف دينار . ووُجد له بدمشق ألف ألف وستمائة ألف درهم ، وخمسة وعشرون ألف دينار . وبلغت قيمة أوقافه ستة آلاف ألف درهم .

وفى يوم السبت سلخه [ قبض على كريم الدين الصغير[2] ، بسبب أنه امتنع من أن يتحدث فى الخاص والمتجر ويدبر الأمور كلها بعد القبض على خاله كريم الدين الكبير ].

و [فيه] نُقل كريم الدين الكبير وولده علم الدين إلى البرج المرسوم للمصادرين بباب القرافة من القلعة، وطولب بالحمل . وعوّق بالقلعة ناصر الدين شاد الخاص ، والمهذب (١٩٣ ب) العامل[3] ، وغيره لعمل حساب كريم الدين .

وكان سبب نكبته حسد الأمراء وغيرهم له على قوة تمكنه[4] من السلطان وسعة ماله وكثرة عطائه . فوشوا به إلى السلطان أنه يتلف الأموال السلطانية بتفريقها ، ليقال عنه إنه كريم . واتفق مع ذلك أن كريم الدين أكرم الصغير كان له اختصاص بالأمير أرغون النائب ، فأكثر من شكاية كريم الدين الكبير ، وأنه يمنعه من تحصيل الأموال . وكان

= والاعتبار ، ج ١ ، ص ٨٤ ) كيكيال للسمن . وهو لفظ يونانى الأصل ، ويقابله فى اللاتينية لفظ ( metreta ) وسعته نقلا عن (Dozy Supp. Dict Ar.) « نصف قنطار بالليثى على التحرير ، والرطل الليثى مائتا درهم » . وفى نفس المرجع لفظ مطرة ، وهى وعاء كبير من الجلد أو الخشب يستعمل للماء (grand vaisseau ou bouteille de cuir ou de bois pour l'eau) ، وقد قاموس المحيط بلفظ القربة . ويوجد به أيضا لفظ مطارية ، وهى إناء مستدير من الفخار له رقبة طويلة فمه ضيقة ( pot de terre, de forme ronde, avec goulot, étroit et allongé) .

(١) فى ف « الى » والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٣٩٠ ا ) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠٠) ، ضرورته فى توضيح ما يلى .

(٣) عرف القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٦ ) العامل فى زمنه بالآتى : « وهو الذى ينظم الحسبانات ( كذا ) ويكتبها ، وقد كان هذا اللقب فى الأصل إنما يقع على الأمير المتولى العمل ، ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب ، وخصه به دون غيره » .

(٤) فى ف « تمكينه » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٣٩٠ ا ) .

أكرم [الصغير] ظلوما غشوماً ، يريد أن يمدّ يده إلى ظلم الناس فيمنعه كريم الدين. فبلّغ النائبُ السلطانَ شكوى أكرم [الصغير] مراراً ، فأثّر فى نفسه ذلك . وصار [السلطان][1] يرى عند[2] الخاصكية من الملابس الفاخرة والطرز الزركش ، وعند نسائهم من الملابس والحلى (١٩٣ ا) مايستكثره ، فإذا سأل عنه قيل له هذا من كريم الدين ، فتصغر نفسه عندهم لأنه لا يعطيهم قطّ مثل ذلك . ولما حضر عرب البحرين بالخيل قُوّمت بألف ألف ومائتى ألف درهم ، سلمها كريم الدين إليهم بجملتها[3] فيما بين بكرة النهار إلى الظهر ، وعادوا إلى السلطان وقد دهشوا ، فإنه كان أخرج إليهم شكائر[4] مابين ذهب وفضة . فلما قال لهم السلطان : « قبضتم ؟ » ، قالوا : نعم ! » ، قال : « لعله تأخّر لكم شىء ؟ » ، فقالوا : « وحياتك ! عند كريم الدين مال فى خزانة إذا أخرج منه مدة شهر مايفرغ » . فتحرّك [السلطان] لذلك ، وقال لبكتمر الساقى : « سمعتَ قول العرب أنه دفع هذا القدرفى يوم واحد ، والخزانة ملآنة ذهبا وفضة ؟ وأنا أطلب (١٩٤ ب) منه ألفى دينار فيقول ماتمّ حاصل ! » . وتبين الغضب فى وجه السلطان ، فأخذ بكتمر يتلطّف به وهو يحتدّ إلى أن قبض عليه .

وفى يوم السبت سابع جمادى الآخرة نُقل تاج الدين بن عماد الدين [بن السكرى[5]] من شهادة الخزانة إلى نظر بيت المال ، وخُلع عليه بطرحة .

و [فيه] نقل علاء الدين بن البرهان البرلسى من نظر بيت المال إلى نظر خزائن السلاح ، وخلع عليه .

وفى رابع عشره قدمت رسل أبى سعيد لتحليف السلطان على الصلح ، ومعهم هدية مابين بخاتى وأكاديش وتحف ، فقرئ كتابه بوقوع الصلح ؛ ثم سفّروا بهدية

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠٣ ) ، حيث توجد أخبار كارثة كريم الدين الكبير فى تفصيل كثير .

(٢) فى ف « على » .

(٣) فى ف « بحملها » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٩٠ ب ) .

(٤) الشكائر جمع شكارة ، وهى هنا كيس النقود (bourse). انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar) .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٣٩٠ ب ) .

سنية — بعد ماغمرهم إحسان السلطان — فى ثانى عشريه .

[ وفيه(١) قدم ] الحمل من [ عند متملك ] سيس [صحبة رسوله] ، ومعه جواهر ثمينة ، واعتذر [ الرسول ] عما ( ١٩٥ ا ) كان من(٢) [ متملك سيس ، واستأذن فى عمارة أياس ، على أن يحمل فى كل سنة مائة ألف درهم ؛ فأجيب إلى ذلك .

و [ فيه ] قدم موسى بن مهنا وعمه محمد بالقود على العادة ، وخيول كان السلطان استدعى بها: وسبب ذلك وقوع الصلح مع أبى سعيد ، فضاقت بهم البلاد ، فأكرمهما السلطان وأنعم عليهما ، وأعادهما إلى بلادهما .

و [ فيه ] وقعت مرافعة بين فرج وعلى ولدى قراسنقر ، بسبب ذخيرة لأمهما تبلغ نحو المائتى ألف ألف درهم ، فأخذها السلطان منهما .

و [ فيه ] قدم المجد السلامى من الشرق ، وقدم تقدمة جليلة ؛ فرتبت له الرواتب السنية ، وكتب له مسموح بمبلغ خمسين(٣) ألف درهم فى السنة ، ومرسوم بمسامحة نصف المكس عن تجاراته ؛ وعاد ( ١٩٥ ب ) إلى توريز .

و [ فيه ] قُبض على جماعة من المماليك ، وعُوِّقوا بسبب ورقة وُجدت تحت كرسى السلطان فيها سبّه وتوبيخه ؛ وأخرج منهم عدة إلى بلاد ، وسُجن منهم جماعة.

وفى سادس عشره استقرّ الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى أستاداراً ، عوضا عن الأمير سيف الدين بكتمر العلائى ؛ وخرج بكتمر إلى دمشق . [ وكان ذلك ] بسبب أنه استخدم طباخ كريم الدين الكبير فى مطبخ السلطان ، فأنكر عليه [ السلطان(٤) ذلك ] وقال له : « تستخدم طباخ رجل قد عزلته وصادرته فى مطبخى ؟ » . وأخرج أيضاً الأمير سنقر السعدى نقيب المماليك إلى طرابلس .

---

(١) موضع ما بين الحاصرتين بياض فى ف .

(٢) فى ف « منه » وقد حذف الضمير وأثبت الاسم ، وأضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة بعد مراجعة (Howorth : Cp. Cit. III. P. 604) وكان متملك سيس — أى صاحب إرمينية الصغرى — تلك السنة ليون الخامس ، وقد سفر له عند السلطان الناصر قسطنطين بطرك الأرمن .

(٣) فى ف « خمسون » .

(٤) فى ف « وانكر عليه وقيل له ».

وفيه أفرج عن كريم الدين أكرم [ الصغير(١) ] ، ورُسم [ له ] أن يتحدّث فى الأموال السلطانية كلها بغير مشارك ؛ فامتنع من ذلك ، ( ١٩٦ ا ) فعزل عن نظر الدواوين . ثم خُلع(٢) عليه واستقرّ صاحب ديوان الجيش ، عوضا عن معين الدين ابن حشيش ؛ وخُلع على معين الدين بنظر الجيش بالشام .

وفيه ولى السلطان نظر الخاص تاج الدين إسحاق أحد نظار الدواوين ، وتسمى لما أسلم عبد الوهاب ، ورسم ألا يتحدث فى متجر . وكان سبب ولايته أن السلطان لما قبض كريم الدين الكبير بعث إليه أن يعين من يصلح لنظر الخاص ، فعين التاج ؛ وباشر [ التاج ] الخاص بسكون زائد وسياسية جيدة إلى أن مات .

و [ فيه ] طلب الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القدس .

وفى ليلة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سفر كريم الدين أكرم [ الصغير(٣) ] على البريد إلى صفد .

وفى يوم الأربعاء رابع عشريه أفرج ( ١٩٦ ) عن كريم الدين الكبير وولده ، وألزم بالأقامة فى تربته من القرافه ؛ وكان له يوم عظيم جدا ، وأتاه الناس من كل مكان .

و [ فيه ] استقر الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك فى نظر المارستان ، عوضا عن كريم الدين [ الكبير ] ؛ فوجد حاصله أربعمائة ألف درهم ، سوى سكر وغيره قيمته مائة ألف درهم .

و [ فيه ] استقر الأمير سيف الدين قجليس فى نظر جامع ابن طولون ، [ عوضا(٤) عن كريم الدين الكبير أيضاً ] .

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠٠ ـ ٤٠١ ) .

(٢) فى ف « وخلع » ، وقد عدلت كما هنا للتوضيح .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠١ ) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٣ ) .

(٥) فى ف « لغبريال » ، انظر ابن كثير ( البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٠٥ ) ومنه أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة . ولشمس الدين غبريال هذا ترجمة طويلة فى ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ ـ ٣٥٤ ) ، ومنها ان اسمه عبد الله بن صنيعة القبطى شمس الدين غبريال ، وأنه أسلم سنة ٧٠١ هـ . وأنه كان يحتفل بالمولد النبوى ويقيم الليالى سماع البخارى .

أموال كثيرة ؛ ثم حوّل أموال كريم الدين الكبير ، وعاد إلى دمشق مكرّما] .

ثم قدم[١] [الصاحب] أمين الدين يوم الأحد رابع عشرى ربيع الآخر ، وقرّر فى الوزارة ، وجلس بقاعة الصاحب من القلعة ، ونزل إلى داره ، فكان يوما مشهودا. واستقرّ فى نظر النظار شرف الدين إبراهيم بن زُنبور[٢] ، واستقرّ عوضه فى استيفاء (١٩٧ ا) الصحبة شمس الدين إبراهيم بن قَرْوينة[٣] صهر [الصاحب] أمين الدين ؛ فصار نظر النظار بين القاضى موفق الدين هبة الله بن سعيد الدولة إبراهيم وبين ابن زنبور . وشفَى [الصاحب] أمين الدين نفسه من [كريم الدين] أكرم الناظر ، وأخرق به .

وفى يوم السبت سلخ ربيع الآخر قبض على كريم الدين الصغير ؛ واعتقل ببرج فى القلعة ، فشرع فى حمل المال ؛ ثم أفرج عنه سلخ جمادى الأولى ، ورسم له بنظر صفد ، فتوجه إليها ليلة الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة .

و [فيه] قدم شمس الدين غبريال ؛ ومعه حمل دمشق ألف ألف وستمائة ألف درهم ومن الذهب مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار من حاصل كريم الدين ومتاجره .

وفى يوم السبت تاسع عشرى جمادى (١٩٧ ب) الآخرة أخرج كريم الدين الكبير وولده إلى الشوبك ؛ بعد ما أشهد عليه أن جميع ما وقفه من الأملاك وغيرها إنما اشتراه من مال السلطان دون ماله . فأبقى السلطان أوقاف الخانكاه بالقرافة ؛ وأوقاف الجامع بدمشق ؛ وأعيد غبريال إلى دمشق على عادته .

و [فيه] توجه التاج إسحاق والأمير [علاء الدين] مغلطاى [الجمالى[٤]] إلى

(١) فى ف « فقدم » .

(٢) فى ف « زبير » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٩١) . انظر أيضا ما يلى بهذه الصفحة ، سطر ٦ ، ولم يكتب ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤١ ، ومابعدها ترجمة لابن زنبور هذا بين من اسمه ابراهيم كما ينظر ، على أنه أورد ترجمة لابن له فيما يظهر ، واسمه علم الدين عبد الله بن أحمد بن ابراهيم بن زنبور القبطى ( نفس المرجع ، ج ٢ ص ٢٤٠ ) وكذلك Wiet : Les Biographies du Munhal Safi No. 1301. p. 185 )

(٣) فى ف « قزوينة » . انظر ابن حجر ( الدرر الكامنة ؛ ج ١ ، ص ٥٣ ) ، وكذلك (Wiet : Les Biographies du Munhal Safi No. 1951, P. 291 ) حيث ورد ذكر اخ لإبراهيم هذا ، واسمه فخر الدين ماجد بن قروينة القبطي الأسلمى . انظر أيضا ما سبق هنا ، ص ١٤٧ ، سطرا ١ .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة بعد مراجعة ( Zetterstéen : Op. Cit. p.148, etc ).

الإسكندرية ، واحتاطا على أموال كريم الدين [ الكبير ] ، وكانت تحت يد مكين الترجمان ، و [قد] أخذ المكين [منها] ثلاثة وخمسين ألف دينار ؛ فاستقر [ التاج إسحاق] يتحدث فى متجر الخاص . وعاد [التاج إسحاق] — ومعه الأمير مغلطاى — فأوقع الحوطة على أموال التجار ، وألزم ابن المحسنى متولى الثغر بخمسين ألف دينار ، ورسم على سائر المباشرين ، وصادر الناس ، فغلقت المدينة . وبلغ السلطان ذلك (١٩٨ ا) فأنكره ، وأفرج عن ابن المحسنى بعد ما أخذ منه مبلغ اثنى عشر ألف دينار ؛ وعاد [ الأمير علاء الدين مغلطاى] الجمالى بستين ألف دينار من المصادرات .

وفيه كان عرس أمير على بن أرغون النائب على ابنة السلطان ، فى يوم الاثنين ثامن عشر شعبان . وقد اعتنى السلطان بجهازها عناية عظيمة ، وعمل لها بشخاناه(١) وستارة ودائر بيت زركش بمبلغ ثمانين ألف دينار ، وآت ذهب وفضة بما ينيف على عشرة آلاف دينار . وعمر [السلطان] لها مناظر الكبش عمارة جديدة ، ونقل الجهاز إليها ، ثم نزل بنفسه حتى نصب الجهاز . وعمل المهم مدة ثلاثة أيام ، حضره نساء الأمراء بتقادمهم : وهى ما بين أربعمائة دينار — سوى تعابى القماش — إلى مائتى دينار . وكان فيه ثمانى (١٩٨ ب) جوق من مغانى القاهرة ، وعشرون جوقة من جوارى السلطان الأمراء ، خص كل جوقة من جوق القاهرة خمسمائة دينار ومائة وخمسون تفصيلة حرير ؛ ولم يحصر ما حصل لجوارى السلطان والأمراء لكثرته . فلما انقضى المهم بعث السلطان لكل من نساء الأمراء تعبية قماش على قدرها ، وعم جميع الأمراء بالخلع ؛ وفضل من الشمع بعد ما استعمل منه مدة العرس ألف قنطار مصرى . وأنعم [ السلطان ] على الأمير أرغون النائب بمنية بنى خصيب ، زيادة على إقطاعه .

وفيه قبض على الأمير طشتمر حمص أخضر الساقى ، وفرج بن قراسنقر ، وكرت ، وعدة من المماليك . ثم أفرج عن طشتمر من يومه ، ونفى كرت إلى صفد ، وبقى فرج بن قراسنقر (١٩٩ ا) بالجب .

---

(١) البشخاناه — والجمع بشاخين — لفظ فارسى معرب ، ومعناه حسبما ذكر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) الناموسية أو ما يشبهها من حليةحول السرير أو الغرفة كلها ، ومن معانيها أيضا السرير أو الغرفة التى بهـا ناموسية ( Msustiquaire, garniture du lit ou de chambre pour garantir des cousins,.... le lit ou la chambre, qui a un moustiquaire ) .

وفيه هبّت ريح سوداء حارة بدمشق ، مات منها جماعة من الناس فجأة ، وفسدت الثمار وجفت المياه ؛ فتحسّن سعر الغلال . ثم وقع مثل ذلك بالقاهرة ومصر ، فتغيرت أمزجة الناس ، وفشت الأمراض ، وكثر الموت مدة شهر ، وفسدت الثمار ؛ وتحسن السعر لحيف الغلة وقلة وقوعها .

وفيه قدم الأمير بكتمر الحسامى من دمشق ، فولى الإسكندرية وتوجه إليها ؛ فأراق الخمور بها ، ومنع من بيعها ، وجعل أجرة النقيب نصف درهم ، وتثبّت فى البيّنات ، وحمل الناس على الأمور الشرعية. فاستخفوا به وطمعوا فيه . وكثر فسادهم ؛ فأحدث عليهم غرامات يقومون بها إذا تبين الحق عليه ، فكان الرجل إذا شكا يجبى [ منه ] من مائتى درهم إلى ما ( ١٩٩ ب ) دونها ؛ وضرب جماعة منهم فخضعوا له .

و [فيه] توجه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة والأمير آل ملك إلى الحج ، فى سادس شوال . وتوجه الأمير بيبرس الدوادار نائب السلطنة فى حادى عشره ، ومعه حاج كثير ؛ ورحل المحمل ببقية الحاج فى ثامن عشره من البركة . وتوجه الفخر ناظر الجيش فى ثانى عشريه إلى القدس ، ليتوجه منه إلى الحج . وكانت عدة ركوب الحاج من مصر ستة ركوب ، على كل ركب أمير .

و [فيه] استقر بلبان العتريس فى ولاية البحيرة ، عوضاً عن أسندمر القانجق .

و [فيه] استقرّ قدادار مملوك برلغى فى ولاية الغربية .

وفى أول ذى الحجة خرج الأمير علاء الدين على بن قراسنقر ، والأمير سيف الدين أيدمر الكبكى ، والأمير (٢٠٠ ا) طقصباى المرتبة فِديَتُه[1] بقوص ، وخمسمائة من أجناد الحلقة إلى بلاد النوبة ، ومعهم كُرُنبس . فانتهوا إلى دمقلة — و [كان] قد تغلب كنز الدولة عليها ، ونزع كرنبس — ، ففر كنز الدولة منهم ؛ وجلس كرنبس على سرير ملكه وعادوا ، فحارب كنز الدولة كرنبس بعد عود العسكر ، وملك منه البلاد .

وفيه صرف معين الدين بن حشيش عن ديوان الجيش ، ونقل إلى دمشق ، وأشرك بينه وبين القطب ابن شيخ السلامية فى نظر الجيش بها .

(١) فى ف « طقصباى افديته المرتبه بقوص » ، ولعل الصحيح ما أثبت بالمتن .

وفيه ابتدأ السلطان بعمارة القصور بناحية سرياقوس فى آخر ذى الحجـة .

وكان قاع[1] النيل فى هذه السنة ستة أذرع ونصف ، وكان الوفاء يوم الأربعاء سادس شعبان ، وسابع عشر مسرى ؛ وانتهت الزيادة فى سابع عشر ( ٢٠٠ ب ) رمضان إلى ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع . وخرق الماء من ناحية بستان الخشاب ، ودخل إلى بولاق ، وغرّق بساتين . وانقطعت الطريق من جهة اللوق ، وغـرِق الخور ، وانهدمت عدة بيوت ، وغرقت المنية وجزيرة الفيل ؛ وجزيرة الفيل ؛ فركب السلطـان بنفسه لعمل جسر . ثم قويت[2] الزيادة ، وفاض الماء على منشاة المهرانى ومنشاة الكتبة ، وصار مابين بولاق ومصر بحراً واحداً . وأمر الناس برمى التراب فى ناحية بولاق ، وكثر الخوف من غرق القـاهرة ، واشتـدّ الاحتراس . وطُلب الفقراء للعمل ، فبلغت أجرة الرجل فى كل يوم مابين درهم إلى ثلاثة دراهم ، لعزة وجود الرجال واشتغالهم عنـــد الناس فى نقل التراب . ونزّت أماكن كثيرة ، وغرقت ( ٢٠١ ا ) الأقصاب ببلاد الصعيد ، وتلف القلقاس والنيلة وعدة مطامير بها الغلال . وكتب لسائر الولاة بكسر جميع الترع والجسور وتصريفها إلى البحر الملح ، فثبت الماء ثلاثة وأربعين يوماً ، ثم نزل قليلا قليلا . فاستدعى السلطان المهندسين ، ورسم بعمل جسر يحجز الماء عن القاهرة لئلا تغرق فى نيل آخر ، وألزم أرباب الأملاك المطلة على النيل بعمارة الزرابى[3] ، فعمل كل أحـد تجاه داره زَرْبية . واستدعى الأمراء فلاحيهم من النواحى ، فحضروا بالأبقار والجراريف . وعُمل الجسر من بولاق إلى منية الشيرج ، وَوُزِّع بالأقصاب على الأمراء ، فنصب كل أمير خيمة وخرج برجاله للعمل . ونُصبت لهم الأسواق ، حتى كمل [ الجسر ] فى عشرين يوما ؛ ( ٢٠١ ت ) وكان ارتفاعه أربع قصبات فى عرض ثمانية .

و [ فيه ] قدم البريد بموت تكفور متملك سيس ، وإقامة ولده بعده ؛ ثم قدمت رسله بالهدية[4] .

(١) فى ف « قاعدة » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٩٢ ب ) .

(٢) فى ف « فقويت » .

(٣) الزرابى جمع زربية ، وهى هنا ـ فيما يظهر ـ ما يبتنيه أصحاب البيوت المطلة على النيل من حوائط لحماية بيوتهم من فعل الماء ، ومن سلالم لتسهيل الوصول من تلك البيوت إلى النهر، كما هو متبع فى البيوت الباقية على شواطىء النيل بدمياط وسمنود ورشيد . هذا وقد عرّف Dozy : Supp. Dict. Ar.) الزربية بأنها باب السر( Porte Secrète )، ولم يزد على ذلك .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٢٣٧ ، حاشية ١ .

و [ فيه ] قدم الشريفان عطيفة أمير مكة وقتادة أمير ينبع .

ومات فى هذه السنة من الأعيان المجاهد أنص بن بن العادل كتبغا ، بعد ما عمى من سهم أصابه ، فى يوم الاثنين ثانى المحرم ؛ وكان سمحا ذكيا متندّما فى رمى البندق . ومات تاج الدين أحمد بن مجد الدين على بن وهب بن مطيع بن دقيق العيد الشافعى ، فى عشرى ذى الحجة ؛ ومولده فى ربيع سنة ست وثلاثين وستمائة ؛ وكان فقيها فاضلا فى مذهبى الشافعى ومالك ، سمع الحديث وحدّث ، وولى الحكم بغرب[1] قولا وبقوص ؛ وكان ( ٢٠٢ ا ) كثير العبادة . ومات قاضى القضاة بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن العماد محمد بن الأمير سالم بن الحافظ بهاء الدين الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْرّى التغلبى الدمشقى الشافعى ، فى ليلة [ السبت[2] ] سادس عشرى ربيع الأول ؛ ومولده فى سابع عشرى ذى القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة ؛ وولى القضاء إحدى وعشرين سنة ؛ [ و ] قدم القاهرة مرارا ؛ وقرأ القراآت السبع ، وسمع الحديث ، وكتب الخط المليح ، وبرع فى الأدب والتاريخ ، وقال الشعر ، وشارك فى فنون من فقه وتفسير وغيره . [ ومات ] أحمد بن محمد بن على بن أبى بكر بن خميس الأنصارى المغربى ، فى يوم الأحد سابع عشر شعبان بمصر ؛ ومولده بالجزيرة[3] الخضراء من الغرب ، فى المحرم ( ٢٠٢ ب ) سنة ست وأربعين وستمائة ؛ وكان صاحب فنون وصلاح ودين وشعر جيد . ومات نجم الدين محمد بن عثمان بن الصفى البصروى الحنفى الوزير الصاحب ؛ ولى حسبة دمشق ثم وزارتها ، ثم صار من الأمراء . ومات كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الفوطى[4] البغدادى المؤرخ ، فى المحرم ببغداد . ومات تاج الدين ناهض بن مخلوف ، أخو قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى ، فى يوم الأربعاء ثامن عشر المحرم بمصر . ومات السنى ابن ست[5] بهجة ، يوم الأحد خامس عشرى ذى الحجة ؛

(١) تقدم التعريف ببلدة قولا فى ص ٨٤ ، حاشية ١ ، وكانت تعرف أيضا باسم غرب قولا .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ١٣٩٣ ) .

(٣) فى ف « بالجيزة » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٩٣ ب ) . انظر ايضا ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٢٨١ ) .

(٤) فى ف « القرطى » ، والرسم المثبت هنا من ب . انظر أيضا ابن العماد ( شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٦٠ ) ، حيث ورد أن الفوطى نسبة إلى بيع الفوط ، وهى صناعة جده لأمه ؛ هذا ومن مؤلفات الفوطى كتاب الحوادث الجامعة ، وهو من المراجع الهامة فى تاريخ استيلاء التتر على بغداد .

(٥) فى ف « بنت » . انظر ما سبق ، ص ٢٢٧ ، سطر ٦ .

وكان من أعيان الكتاب بمصر . ومات بهاء الدين القاسم بن مظفر بن محمود بن تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله (١٢٠٣) بن عبد الله بن عساكر ، فى خامس عشرى شوال ؛ ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة ؛ سمع وحدّث وصار مسند الشام .

* * *

سنة أربع وعشرين وسبعمائة . أهلّ المحرم يوم الجمعة ثالث شهر طوبة ، فقدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز عشية الأحد ثالثه .

وفى يوم الأربعاء سادسه نودى على الفلوس أن يتعامل الناس بها بالرطل ، على أن كل رطل منها بدرهمين ، ومَنْ عنده منها شيء يحضره إلى دار الضرب ، ويأخذ عنها فضة . ورُسم بضرب فلوس زنة الفلس منها درهم وثُمن ، فضُرب منها نحو مائتى ألف درهم فرقت على الصيارف . وكان سبب ذلك كثرة مادخل فى الفلوس من (٢٠٣ ب) الزغل ، حتى صار وزن الفلس نصف درهم . فتوقف الناس عن أخذ الفلوس ، وكثر ردّها وعقوبة الباعة على ذلك بالضرب والتجريس ، إلى أن فسد الحال ، وغلقت الحوانيت ، وارتفعت الأسعار ، وبلغ القمح بعد عشرة دراهم الأردب إلى سبعة عشر درهما .

وفى يوم السبت تاسعه وصل الأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر الساقى من الحجاز ، وصحبته جماعة — وكان قد سافر بعد الإفراج عنه — ؛ وأنعم عليه بألفى دينار وغلال كثيرة ، وعمل له السلطان عند قدومه اثنتى عشرة بدلة وثلاثة حوائص وطرز زركش ، وأنعم عليه بمال جزيل . وتتابع قدوم الحاج حتى قدم المحمل فى خامس عشريه .

وفيه توجه (١٢٠٤) الأمير أرغون النائب إلى منية بنى خصيب ، فشكا أهلها من مباشريهم ، فلم يسمع لهم وأمر بضربهم ، فرجموه بالحجارة وأنكوا فى مماليكه وغلمانه . فركب عليهم [ أرغون ] ليفتك بهم ، ففرّوا من عند الوطاق[1] خارج البلد إلى داخل البلد ؛ فأخذ مماليكه من عمائم الهاربين نيفاً على ثلاثمائة وستين عمامة زرقاء من عمائم النصارى ، فلما استكثر ذلك قيل له إن بها كثيراً من النصارى ، ولهم

(١) انظر المقريزى (كتاب السلوك ؛ ج ١ ؛ ص ١٠٤ ، حاشية ٦) .

خمس كنائس، فهدمها فى ساعة واحدة ، ورَسم ألا يُستخدم نصرانى فى ديوانه ؛ وكان النصارى قد جدّدوا عمارة ماخرب من الكنائس بالصعيد ، فهدمت أيضاً .

وفى يوم الجمعة هبت ريح والناس فى الصلاة ، حتى ظنّ ( ٢٠٤ ب ) الناس أن الساعة قامت ، واستمرّت بقية النهار وطول الليل ، فهدم بها دور كثيرة ، وامتلأت الأرض بتراب أسود . وخرجت ريح شديدة ببلاد قوص إلى أسوان ، واقتلعت فى ليلة واحدة أربعة آلاف نخلة ، وخربت الديار .

و[ فيه ] قدمت رسل [ المجاهد[1] سيف الدين بن على ] ملك اليمن بطلب نجدة من مصر ، فلم يجب إلى ذلك .

وفيها قحطت بلاد الشرق ، فقدمت طوائف إلى بلاد الشام ، وكان الجراد قد أتلف زروعها ، فبلغت الغرارة بدمشق إلى مائتى درهم . فجهز الأمراء من مصر الغلال الكثيرة فى البحر إلى بيروت وطرابلس ، فكان ماحمل من جهة السلطان والأمراء نحو عشرين ألف أردب سوى ماحمله التجار ؛ فانحط السعر حتى أبيعت الغرارة بثمانين درهما . ( ٢٠٥ ا ) وكتب بإبطال مكس الغلة بالشام ، وهو على كل غرارة ثلاثة دراهم ، فبطل ذلك واستمرّ بطلانه .

وفيه عُزل جمال الدين سليمان الزرعى عن قضاء القضاة بدمشق ؛ واستقرّ عوضه جلال الدين محمد القزوينى ، بعد استدعائه إلى القاهرة فى يوم الأحد حادى عشر جمادى الأولى ، وقدومه فى يوم الجمعة ثالث عشريه . فلما اجتمع [ القزوينى ] بالسلطان أقبل عليه وصلى به الجمعة ، ونزل إلى خانكاه سعيد السعداء ؛ ثم ولاه قضاء القضاة بدمشق ، وخلع عليه يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة . وسافر [ القزوينى ] على البريد يوم الاثنين رابع عشريه ، فقدم دمشق خامس رجب ؛ وكان عليه ديون (٢٠٥ ب) اجتمعت عليه بسبب مكارمه ، وهى ألف دينار ومائة وستون دينارا ، فأعطاه السلطان ما وفى به ديونه .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح ، وكان الملك المجاهد (٧٢١ – ٧٦٤ هـ ، ١٣٢١ – ١٣٦٢ م قد تقلص عنه سلطانه حتى صار لا يعدو حصن تعز ، وأما بقية اليمن فكانت بيد الملك الظاهر ابن الملك المنصور زين الدين أيوب . انظر ما سبق ، ص ٢٣٨ ، سطر ١٦ ، وأبو الفداء ( المختصر فى أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٩٥ ) وكذلك (Zambaur : Op. Cit. P. 120) . ولقد أرسل الملك المجاهد إلى السلطان الناصر محمد يطلب النجدة مرة ثانية ؛ فأجيب إلى طلبه كما سيلى .

و [فيه] كتب باستقرار كمال الدين محمد بن على الزملكانى [فى قضاء[1] حلب]، عوضا عن زين الدين عبد الله بن محمد بن عبد القادر الأنصارى.

وفيه توجّه السلطان إلى الصيد بالبحيرة، فاصطاد نحو المائتى غزال بالحياة — سوى ما قتل —، وجرّح كثيرا منها وأطلقها.

وفى يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول توجّه الأمير سيف الدين قطلوبغا المغربى[2]، لإحضار كريم الدين الكبير وولده من القدس؛ فلما كان يوم الخميس خامس عشر به حضرا على البريد تحت الحوطة فسُلّما إلى الأمير قجليس، فأقاما عنده إلى يوم حادى عشر (١٠٦ ا) ربيع الآخر؛ ثم طلعا[3] إلى قلعة الجبل، وطولبا بالمال.

وفيه تنكّر الحال بين الأميرين تنكز نائب الشام والأمير ألطنبغا نائب حلب.

وفى يوم الخميس عاشر ربيع الآخر حضر كريم الدين أكرم الصغير على خيل البريد من صفد إلى قلعة الجبل، فعُوّق ببرج باب القرافة. وفى يوم الجمعة ثامن عشره سُفّر كريم الدين الكبير وولده إلى الوجه القبلى، صحبة والى قوص. وفى يوم الاثنين ثامن عشريه أفرج عن كريم الدين أكرم الصغير، ونزل إلى بيته.

وفى ليلة الأحد خامس عشر جمادى الأولى طلع القمر مخسوفا بالسواد.

و [فيه] قدم منسا[4] موسى ملك التكرور يريد الحج، وأقام تحت الأهرام ثلاثة (٢٠٦ ب) أيام فى الضيافة. وعدى [منسا] إلى برّ مصر فى يوم الخميس سادس عشرى رجب، وطلع إلى القلعة [ليسلم[5] على السلطان]، وامتنع من تقبيل الأرض؛ فلم يُجْبر على ذلك، غير أنه لم يمكن من الجلوس فى الحضرة السلطانية]. وأمر السلطان بتجهيزه للحج، فنزل وأخرج ذهباً كثيراً فى شراء ما يريد من الجوارى والثياب وغير ذلك، حتى انحط الدينار ستة دراهم.

---

(١) أضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة ابن كثير (البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١١٢).

(٢) فى ف «المعزى». انظر ما سبق، ص ١٩٤، حاشية ١.

(٣) فى ف «فطلعا».

(٤) اسم هذا الملك فى ابن كثير (البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١١٢) الأشرف موسى بن أبى بكر.

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة بعد مراجعة ابن كثير (البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١١٢).

وفى يوم الخميس ثامن رمضان عزل الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام عن الوزارة ، ولزم بيته ، واستقر عوضه الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى وزيرا ، مع ما بيده من الأستادارية فى يوم السبت عاشره .

و [فيه] استقر شهاب الدين ابن الأقفهسى فى نظر الدواوين ، عوضا عن الموفق ، وعن شرف الدين بن زنبور . وولى مجد الدين إبراهيم بن لُقَيْتة (١) نظر البيوت ، عوضا عن الأقفهسى (٢٠٧ ا) المذكور . ثم قدم شمس الدين غبريال من دمشق باستدعاء فى أثناء شهر رمضان ؛ فاستقرّ ناظر الدواوين ووزير الصحبة ونائب الوزارة ، فى يوم الجمعة ثانى عشرى رمضان يوم وصوله .

واستقر فى يوم الجمعة ثالث عشرى رمضان الأمير سيف الدين قدادار فى ولاية القاهرة ، عوضا عن علم الدين سنجر الخازن — نُقل إليها من ولاية البحيرة — ؛ ففتك فى العامة ، ومنع من الخمور وأراقها (٢) ، فعظمت مهابته .

و [فيه] عزل علم الدين سنجر الجمصى من شد الدواوين ، وولى الجيزة نحو شهرين ؛ ثم أخرج إلى طرابلس شاد الدواوين بها .

وفيه استقر علاء الدين أيدغدى الباشقردى بمصر ، عوضا عن علاء الدين بن (٢٠٧ ب) أمير حاجب .

و [فيه] استقر ابن زنبور فى نظر خزائن السلاح ، عوضا عن علاء الدين على بن البرهان إبراهيم أحمد بن ظافر البرلسى . واستقر ابن البرلسى فى نظر بيت المال ، عوضا عن تاج الدين بن السكرى ، واستقر ابن السكرى شاهد الخزانة الكبرى .

و [فيه] استقر كريم الدين أكرم [الصغير (٣)] فى نظر ، عوضا عن غبريال ، فى يوم السبت رابع عشرى رمضان ؛ وخرج على البريد يوم الاثنين سابع عشرى شوال .

وفى يوم السبت ثانى عشرى شوال فتحت الحمام بقرب رحبة الأيدَمرى ، وقد جدّدها الأمير الحاج آل ملك .

(١) مضبوط هكذا فى ف . انظر ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ) ، حيث ورد أن ابن لقيتة كان نصرانياً ثم أسلم .
(٢) « وارقتها » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٩٤ ب ) .
(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن كثير ( البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١١٣ ) .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشريه رحل الركب من بركة الحاج إلى الحجاز .

وفى يوم الاثنين ثامن ذى القعدة (٢٠٨ ا) قدمت رسل أبى سعيد بسبب المصاهرة مع السلطان ، فأعيدوا بعد إكرامهم .

وفيه رُسم بإغلاق دكاكين النشاب ، وهَدْم مرامى النشاب .

وفيه فشت الأمراض فى الناس بالشام ومصر والصعيد ، وكثر الموت السريع . ومرض السلطان ثمانية عشر يوما وعوفى ، فعملت التهانى والأفراح سبعة أيام ، وكتب بالبشارة إلى الأعمال على يد الأمير قطلوبغا المغربى[1] ، فحصل له ستة آلاف دينار وثلاثون فرسا وثلاثمائة قطعة قماش وست خلع كاملة بحوائص ذهب ؛ فلما حضر أنعم عليه السلطان بعد ذلك بتشريف .

وفيها أخرج الأقوش [ المنصورى[2] ] أميراً بدمشق . وسبب ذلك مرافعة ولده حتى قُبض عليه يوم الجمعة سادس عشرى رجب ، ثم أفرج عنه فى سلخه ؛ ورُسم ( ٢٠٨ ب ) له بإمرة فى حلب ، فخرج على البريد فى عشية نهاره .

وفى سادس عشرى رجب استقرّ الأمير ألطنقش أستاداراً ، عوضا عن الأمير جمال الدين يغمور بعد موته ؛ [ وكانت وفاة الأمير يغمور ] فى خامس عشرى جمادى الآخرة .

وفى ثالث شعبان قدم المجردون إلى النوبة ، وقد غابوا ثمانية أشهر . و[ فيه ] مُنع الأجناد من الاجتماع بسوق الخيل .

و[فيه] قدم الخبر بهبوب الريح فى بلاد الصعيد ، وأنها اقتلعت من ناحية عرب[3] قولة زيادة على أربعة آلاف نخلة فى ساعة واحدة ، وأخرجت عدة أماكن بأخميم وأسيوط وأسوان وبلاد السودان ، وهلك منها كثير من الناس والدواب .

وفى ذى القعدة طُولب[4] الصاحب أمين الدين والموفق ناظر الدولة ( ٢٠٩ ا ) بثمن كتان من خراج الجيزة قيمته مائة ألف درهم ، خصّ الصاحب منها مبلغ خمسين ألفا ، وخصّ الموفق مبلغ خمسة عشرين ألفا ؛ فاستخرج ذلك من جوامك المباشرين .

(١) فى ف « المعزى » . انظر ما سبق ، ص ١٩٤ ، حاشية ١ .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zettersteen : Op. Cit. p. 174)

(٣) كذا فى ف . انظر ما سبق ، ص ٨٤ ، حاشية ١ .

(٤) فى ف « طلب » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٣٩٥ ) .

وكان قاع النيل فى هـذه السنة ستة أذرع وعشرين أصبعـا ، وكان الوفاء فى يوم الأربعاء تاسع شعبان وثامن مسرى . وانتهت الزيادة إلى ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر أصبعا ؛ فغرقت الأقصاب والمعاصر وكثير من شون الغلال[١] ، وصـارت المركب لا تجـد بَرّا تضرب فيه الوتد من قوص إلى القـاهرة ؛ وغرقت[٢] الفيوم لانقطاع جسرها ، وتوجه الأمير بكتمر الحسامى لعمارته .

وفيها قرر السلطان أن تعمل له كل يوم أوراق بالحاصل والمصروف ، فصارت ( ٢٠٩ ب ) تعرض عليه كل يوم ، وتحدّث فى الأموال بنفسه[٣] .

ومات فى هذه السنة من الأعيان برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن ظافر ، يوم الخميس سادس جمادى الآخرة ؛ كان فقيها شافعيا . و [ مات ] الشيخ نور الدين على ابن يعقوب بن جبريل البكرى الفقيه الشافعى ، فى يوم الاثنين سادس ربيع الآخر . و [ مات ] تقى الدين محمد بن الجمال عبد الرحيم بن عمر الباجربقى الشافعى ، فى ربيع الآخر بدمشق ؛ قدم القاهرة وأقام بها ؛ وله الملحمة الباجربقية ، واتهم بالزندقة[٤] . و [ ماتت ] خوند أردكين بنت نوكاى الأشرفية [ ثم الناصرية[٥] ] ، يوم السبت ثالث عشرى المحرم . و [ مات ] الأمـير بدر الدين بكتاش أمير سـلاح الفخرى ، يوم الجمعة ثامن ( ٢١٠ ا ) عشرى جمـادى الآخرة ؛ وكان أحـد الأمراء الألوف . و [ مات ] الأمـير سيف الدين بزلار أمـير علم . [ ومات ] الطواشى عنبر الأكبر زمام[٦] الدور ، فى ليلة الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى . و [ مات الأمير ] محمد ابن عيسى بن مهنا من آل فضل ، يوم السبت سابع رجب ؛ قـدم القاهرة مراراً .

(١) فى ف « الغلات » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٩٥ ب ) .

(٢) فى ف « شرقت » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٣٩٥ ب ) .

(٣) هنا مثل من أمثلة الحكم المطلق الذى عمل الناصر على تطبيقه فى نواحى الحكم والإدارة فى عهده .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٤ ، حاشية ٢ .

(٥) أضيف مابين الحاصرتين لتكميل الاسم ، فقد عرفت خوند أردكين أولا باسم « الأشرفية » نسبة إلى السلطان الأشرف خليل بن قلاون زوجها الأول ، وقد توفى عنها ، ثم تزوجها من بعده أخوه السلطان الناصر محمد بن قلاون ، فهى الناصرية أيضاً . انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ص ٧١٧ ، ٩١٧ ) .

(٦) تقدم شرح هذه الوظيفة فى المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٧٧ ، حاشية (١) ، غير أنه يوجد فى ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ) أن الطواشى عنبر هذا كان متوليا لوظيفة اسمها « زمام الوقف » .

و [مات] الأمير قطليجا الزينى من أمراء مصر . و [مات] الشيخ الصالح محمود الحيدرى ، خارج القاهرة . و [مات] الأمير بدر الدين بكتمر بدرجَك ، أحد الأمراء بمصر . و [مات] كريم الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السديد بثغر أسوان ، ليلة الخميس العشرين من شوال ؛ وعاد ابنه علم الدين عبد الله فاعتقل بالقلعة ، وأخذ منه مال كثير جداً . ومات نور الدين (٢١٠ ب) على بن تقى الدين محمد بن مجد الدين حسن بن تاج الدين على القسطلانى ، خطيب جامع عمرو بمصر ، فى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الآخر . و [مات] ناصر الدين محمد بن علاء الدين النابلسى ، يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى . و [مات] بهاء الدين ابن الشيخ جمال الدين ابن صفى الدين بن أبى المنصور ، يوم الخميس سابع عشرى جمادى الآخرة . و [مات] الحسن بن على الأسوانى الفقيه الشافعى ، فى جمادى الأولى بالمدينة النبوية ؛ وقد أمَّ بها واشتغل [1] ثمانى عشرة سنة ؛ وكان فقيها صالحا .

* * *

سنة خمس وعشرين وسبعمائة . المحرم أوله الأربعاء ثالث عشرى كيهك.

[وفى] يوم الجمعة عاشره قدم أوائل الحاج .

[وفى] يوم الخميس (٢١١ ا) ثالث عشره قدم السلطان من الوجه القبلى . [وفى] يوم السبت خامس عشريه وصل المحمل وبقية الحاج ، مع الأمير أيتمش المحمدى أمير الركب .

و [فيه] اجتمع بمصر من رسل الملوك ما لم يجتمع مثلهم فى الدولة التركية ، وهم : رسل صاحب اليمن ، ورسل صاحب إسطنبول ، ورسل الأشكرى [2] ، ورسل متملك سيس ، ورسل أبى سعيد ، ورسل ماردين ، ورسل ابن قرمان ، ورسل ملك النوبة ؛ وكلهم يبذلون الطاعة . وسأل الملك المجاهد صاحب اليمن إنجاده بعسكر من

(١) فى ف « واشغل بها ثمانى عشرة سنة وقدام بها » والعبارة المثبتة هنا من ب (٣٩٥ ب) .

(٢) هذه العبارة توجب الالتفات ، فإن صاحب إسطنبول والأشكرى شخص واحد ، وهو إمبراطور الدولة البيزنطية أندرونيق الثانى باليولوج الذى تقدمت الإشارة إليه أكثر من مرة هنا . على أنه كانت بالدولة البيزنطية تلك السنة حرب بين الإمبراطور وحفيده أندرونيق الثالث باليولوج ، والغالب أن كلا منهما بعث إلى السلطان الناصر محمد يطلب مودته ، أو أنهما أرسلا إليه ليستخدم نفوذه فى مصلحتهما عند عثمان ملك الدولة العثمانية النامية . انظر (Camb. Med. Hist. IV. pp. 536, 559) .

مصر ، وأكثرَ من ترغيب السلطان فى المال الذى باليمن ، وكان قدوم رسله فى مستهل صفر . فرسم [السلطان] بتجهيز العسكر صحبة الأمير [ركن الدين] بيبرس الحاجب ، [وهو (١) مقدم العسكر] . و[ كان ] معه من أمراء (٢١١ ب) الطبلخاناه خمسة : [وهم] آقول (٢) الحاجب ، وقجهار الجوكندار — ويعرف باسم بُشاس (٣) — ، وبلبان الصرخدى ، وبكتمر العلائى أستادارا ، وألجاى الساقى الناصرى ؛ ومن العشراوات عز الدين أيدمر الكوندكى ، وشمس الدين إبراهيم بن التركمانى ؛ وأربعة من مقدمى الحلقة ، عليها الأمير سيف الدين طينال الحاجب ، ومعه خمسة أمراء طبلخاناه ، وهم : الأمير ططر الناصرى ، وعلاء الدين على بن طغريل الإيغانى (٤) وجرباش أمير علم ، وأيبك الكوندكى ، وكوكاى طاز ؛ ومن العشراوات [ أيضاً ] بلبان الدوادارى ، وطرنطاى الإسماعيلى والى باب القلة ؛ وأربعة [ آخرون ] من مقدمى الحلقة ؛ ومن المماليك السلطانية ثلاثمائة فارس ؛ ومن (٢١٢ ا) أجناد الحلقة تتمة الألف فارس . وفُرّقت فيهم أوراق السفر يوم الاثنين خامسه . وكتب بحضور العربان من الشرقية لأجل الجمال .

و[ فيه ] خرج السلطان إلى سرياقوس ، وقبض على الأمير بكتمر الحاجب وجماعة ، فى يوم الخميس ثانى ربيع الأول .

و[ فيه ] قدم الأمير تنكز نائب الشام فى عاشره ، فأقام عند [السلطان] (٥) أياما وعاد إلى دمشق [ مكرّما ] .

و[فيه] أنفق (٦) [ السلطان ] فى الأمراء المتوجهين إلى اليمن فقط ، فحمل لبيبرس

(١) أضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٥٨ ) ، وكذلك ( Zettersléen: Op. Cit. P. 176 ) ، ويلاحظ أن النويرى قد سمى هذا الأمير « ركن الدين بدر ابن الحاجب » .

(٢) فى ف « أفول » ، انظر ( Zettersléen: Op. Cit. p. 147, etc ) .

(٣) فى ف « ويعرف بيشاس » ، انظر ( Zettersléen: Op. Cit. p. 193, etc ) .

(٤) فى ف « الاغانى » . انظر ما سبق ، ص ٦٢ ، سطر ١٥ ، وكذلك (Zettersléen: Op. Cit. p. 23 ) .

(٥) فى ف « عنده » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح ، وذلك بعد مراجعة ابن كثير ( البداية والنهاية ج ١٤ ، ص ١١٧ ) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٦) فى ف « نفق » .

ألف دينار ، ولطينال ثمانمائة دينار ، ولكل أمير طبلخاناه عشرة آلاف درهم ، والأمير من العشراوات مبلغ ألفى درهم ، ولمقدم الحلقة ألف درهم . وحضرت العربان ، فاستقرّ كرا الجمل إلى مكة بمائة وستين (٢١٢ ب) درهما ، وإلى ينبع بمائة وثلاثين ؛ ورَحّل(١) كلّ جندى على أربعة جمال، جملين إلى مكة ، وجملين إلى ينبع ؛ وتولى الأمير عز الدين أيدمر الكبكى أمر(٢) العربان . وأخذ العسكر فى التجهيز ، وباعوا موجودهم ، فانحط سعر الدنانير من خمسة وعشرين إلى عشرين درهما ، لكثرة ماباعوا من الحلى والمصاغ . وبرزوا من القاهرة إلى بركة الحاج يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر ، واستقلوا بالمسير يوم الخميس ثالث عشره .

و [فيه] خرج السلطان إلى سرياقوس ومعه عدة من المهندسين ، وعين موضعاً على نحو فرسخ (٣) من ناحية سرياقوس ليبتنى فيه خانكاه بها مائة خلوة لمائة صوفى ، وبجانبها جامع تقام فيه الجمعة ، ومكان برسم ضيافة الواردين (٢١٣ ا) وحمام ومطبخ ؛ وندَب [ السلطان ] آقسنقر شاد العمائر لجمع الصناع . ورتب [ السلطان ] لها(٤) أيضاً قصوراً برسم الأمراء الخاصكية ، وعاد ؛ فوقع الاهتمام فى العمل حتى كملت فى أربعين يوما .

ثم اقتضى رأى(٥) [السلطان] حفر خليج(٦) خارج القاهرة ينتهى إلى سرياقوس ، ويرتب عليه السواقى والزراعات ، وتسير فيه المراكب أيام النيل بالغلال وغيرها إلى القصور بسرياقوس ؛ وفوّض ذلك إلى الأمير أرغون النائب . فنزل [الأمير أرغون] بالمهندسين فى النيل إلى أن وقع الاختيار على موضع بمورَدة البلاط من أراضى بستان الخشاب ، ويقع الحفر فى الميدان الظاهرى الذى صار بستاناً ، ويمرّ على بركة قرمُوط إلى باب البحر ، ثم إلى أرض الطبالة ، ويرمى فى الخليج الكبير . فكُتب (٢١٣ ب) إلى ولاة الأعمال بإحضار الرجال للحفير ، وعُين لكل واحد من الأمراء أقصاب

(١) فى ف « عاد » . (٢) فى ف « امير » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٩٦ ب ).

(٣) ذكر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٦١ ) أن السلطان الناصر اختار لهذه العمائر قرية سماسم قرب سرياقوس .

(٤) الضمير عائد على الخانكاه .

(٥) فى ف « فاقتضى رأيه » .

(٦) هذا هو الخليج الناصرى ، وقد شرحه المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٧٢ ؛ ج ٢ ، ص ١٤٥ ) بما لا يخرج فى جوهره عما هنا .

يحفرها . وابتدأ الحفر مستهل جمادى الأولى إلى أن تمّ فى سلخ جمادى الآخرة . وخربت فيه أملاك كثيرة ، وأخذت قطعة من بستان الأمير أرغون النائب ؛ وأعطى السلطانُ ثمن ما خرب من الأملاك لأربابها ، وفيهم من هدم داره وأخذ أنقاضها . والتزم الفخر ناظر الجيش بعمارة قنطرة برأس الخليج عند[1] فمه ، والتزم قدادار والى القاهرة بعمل قنطرة تجاه البستان الذى كان ميدانا للظاهر ؛ ورُسم بعمل قنطرة الأوز وقناطر الأميرية[2] . فلما كانت أيام الزيادة فى ماء النيل جرت السفن فى[3] هذا الخليج ، وعمرت (١٢١٤ ا) عليه السواقى ، وأنشئت بجانبه البساتين والأملاك .

وفى يوم الاثنين[4] سادس جمادى الآخرة توجه السلطان إلى الخانكاه خارج ناحية سرياقوس ، و[قد] خرجت القضاة والمشايخ والصوفية يوم الأربعاء ؛ وعُمل لهم سماط عظيم فى يوم الخميس تاسعه بالخانكاه . واستقرّ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى — [وهو] شيخ خانكاه كريم الدين الكبير بالقرافة — فى مشيخة هذه الخانكاه ؛ ورُتّب عنده مائة صوفى[5] ، وخلع [السلطان] عليه ، وعلى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، وولدِه عز الدين عبد العزيز ،

---

(١) ذكر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ، وما بعدها ) هذه المنطقة وغيرها مما بنى فى ذلك العهد ، ومنه يستخلص أن القنطرة التى التزم الفخر ناظر الجيش بعمارتها كانت أول قنطرة عمرت على الخليج الناصرى ، وموقعها بجوار موردة البلاط من أراضى بستان الخشاب ، وقد عرفت باسم قنطرة الفخر . أما قنطرة قدادار فكان يتوصل إليهما من اللوق ، ويمشى فوقها إلى بركة الفيل ، وكانت قناطر الأوز توصل بين الحسينية وأراضى البعل .

(٢) كانت قناطر الأميرية آخر القناطر القامة على هذا الخليج ، من حيث موقعها من القاهرة ، إذ كانت تجاه الناحية المعروفة بالأميرية ، فيما بينها وبين المطرية .

(٣) فى ف « فيه » .

(٤) فى ف «الخميس» ، وهو غلط يصححه ما يلى انظر أيضا (Wus tenfeld-Mahler : Tabellen

(٥) ذكر المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ — ٤٢٣ ) كثيرا مما رتبه السلطان الناصر لهذه الخانكاه وصوفيتها ، ومنه أن معاليمها كانت « من أسنى معلوم بديار مصر ، يصرف لكل صوفى فى اليوم من لحم الضأن السليخ ( كذا ) رطل تد طبخ فى طعم شهى ، ومن الخبز النقى أربعة أرطال ، ويصرف له فى كل شهر مبلغ أربعين درهما فضة عنها ديناران ، ورطل حلوى ، ورطلات زيتا من زيت الزيتون ومثل ذلك من الصابون ، ويصرف له ثمن كسوة فى كل سنة ، وتوسعة فى كل شهر رمضان ، وفى العيدين وفى مواسم رجب وشعبان وعاشوراء ؛ وكلما قدمت فاكهة يصرف له مبلغ لشرائها . وبالخانكاة خزانة بها السكر والأشربة والأدوية ، وبها الطبائعى والجرائحى والكحال ومصلح الشعر ، وفى كل رمضان يفرق على الصوفية كيزان لشرب الماء وتبيض لهم قدورهم النحاس ، ويعطون حتى الأشنان لغسل الأيدى من وضر اللحم ؛ يصرف ذلك من الوقف لكل منهم . وبالحمام الحلاق لتدليك أبدانهم وحلق رءوسهم ، فكان المنقطع بها لا يحتاج إلى شىء غيرها ، ويتفرغ للعبادة » .

وعلى قاضى القضاة تقى الدين الأخنائى المالكى ، وعلى الشيخ علاء الدين القونوى شيخ خانكاه سعيد السعداء ، ورسّم (٢١٤ ب) للشيخ مجد الدين ببغلة ، وأن يلقب بشيخ الشيوخ ؛ وخلع على أرباب الوظائف ؛ وفرّق ستين ألف درهم ، وخلع على الأمراء وأهل الدولة .

وفيها حُبس شهاب الدين أحمد بن محمد بن مرى [1] البعلبكى [ الحنبلى ] [2] أحد أصحاب ابن تيمية ، مقيداً فى سجن القاضى المالكى [تقى الدين الأخنائى ] بالقاهرة ، وضُرب بالسياط ضربا مبرحا ، وشهّر فى تاسع عشرى جمادى الأولى ، بعد ما أقام فى السجن من سادس عشرى ربيع الأول ؛ و [ كان قد ] عُرض على السلطان فى نصف ربيع الآخر ، [ فأثنى عليه الأمير ] بدر الدين بن جنكلى بن البابا ، والقاضى بدر الدين [3] بن جماعة ، وغيرهما من الأمراء ، وعارضهم الأمير أيدمر الخطيرى ، حتى كادت تكون فتنة . ففوض السلطان الأمر لأرغون النائب ، فآل الأمر إلى تمكين القاضى المالكى منه كما تقدّم . ثم أعيد [ ابن مرى ] إلى السجن ، ثم شُفع فيه ، فآل أمره إلى أن أفرج عنه]، وأخرج إلى القدس بعد يومين [من [4] سجنه] ، وكان مظلوما . فاتفق عقيب ذلك أن الفقهاء شنعوا على تقى الدين بن شاس بأنه كفر [لتصويبه بعض [5] آراء ابن مرى] ، وشهدوا عليه ، فدافع الأخنائى عنه وسكّن القضية (٢١٥ ا) حتى خمدت ، فقال الشيخ برهان الدين إبراهيم الرشيدى فى ذلك :

ياقاضياً شادَ أحكامَه على تُقىً من الله وأقوى أساسْ
مقالة فى ابن مرى لُفّقت تجاوزت فى الحد حدَّ القياسْ
وفى ابن شاس حققت ماأثرت فهل أباح الشرع كفر ابن شاسْ

وفيها بلغ السلطان عن دمرداش [6] بن جوبان متملك الروم ماأغضبه ، فكتب يشكوه

(١) فى ف « مر » وما هنا من ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٣ ) ، حيث توجد لهذا الرجل ترجمة طويلة تنبىء عن كثير مما كان بذلك العصر من أثر لآراء ابن تيمية ، ومنها أن ابن مرى هذا كان فى أول أمره مخالفا لابن تيمية منحرفاً عنه ، ثم اجتمع به فأحبه وتلمذ له ، وبالغ فى التعصب له حتى لقى ما لقى ، كما بالمتن هنا .

(٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) أضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٣ ) .

(٦) كذا فى ف ، وفى بعض المراجع المتداولة فى هذه الحواشى مثل ( Zetterstéen : Op. Cit. p. 179. etc ) ؛ وهذا الاسم وارد فى بعض المراجع الأخرى ، كأبى الفداء (المختصر فى أخبار البشر ، =

إلى أبيه [ جوبان ] ، فأنكر عليه فعله ، فاعتذر عما وقع منه ؛ وبلّغ [ جوبان ] ذلك [ إلى ] السلطان ، فجهز إلى دمرداش تشريفاً وهدية ، وكتب إليه يستميله .

وفى آخر جمادى الآخرة توجه الأمير الوزير مغلطاى الجمالى ، ومكين الدين بن قروينة مستوفى الدولة ، على البريد (٢١٥ ب) لكشف القلاع وحمل مافيها من الحواصل ؛ فراك [الجمالى(١)] المملكة الحلبيّة ، وعاد يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان .

و [فيه] استقر بهادر البدرى فى نيابة الكرك ، عوضاً عن بيليك الجمالى .

وفى يوم(٢) السبت العشرين من رمضان قدم الأمير سيف الدين بُكمُش الجدار الظاهرى والأمير بدر الدين بيليك السيفى السلارى — المعروف بأبى غُدَّة — من بلاد أزبك بهدية ، و [معهما] كتابه ، وهو يسأل أن يجهز له كتاب جامع الأصول فى أحاديث الرسول ، وكتاب شرح السنة والبحر للروبانى فى الفقه ، وعدة كتب طلبها ؛ فجهزت (٣) له .

و [فيه] خرج السلطان إلى البحيرة (٤) ، فى ثالث عشر ذى الحجة ، للصيد .

و [فيه] بعث [السلطانُ] الأمير مغلطاى الجمالى إلى الإسكندرية ، فأفرج عن [الأمراء] المسجونين بها ، وهم : طاجار(٥) المحمدى ، وبلبان الشمسى ، وكيتَمُر(٦) ،

= ج ٤ س ٩٣ ، وغيرها ) برسم تمرتاش . وكان هذا الأمير حاكما على آسيا الصغرى من قبل أبى سعيد ، وقد ادعى أنه المهدى المنتظر سنة ٧٢٢ هـ ( ١٣٢٢ م ) ، فسار إليه أبوه جوبان وحاربه وهدم حركته ، ثم عفا عنه أبوسعيد وأبقاه على ولايته . انظر (Browne: Lit. Hist. Of Persia, III. p. 55) وترجع صلة تمرتاش بالسلطان الناصر إلى ما قبل هذا العهد ، كما تدل عليه أخبار قصاده إلى القاهرة ( انظر ص ١٦٣ ، سطر ١٤ ) ، وكما يدل عليه قيامه بغزو بلاد الأرمن بإيعاء السلطان الناصر سنة ٧٢٠ هـ ( ١٣٢٠م ) . انظر (Howorth: Op. Cit. III. p. 602) ؛ غير أن المراجع المتداولة بهذه الحواشى لا تنبىء بشىء عما أغضب السلطان الناصر على دمرداش تلك السنة .

(١) أضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٦١ ) ، حيث ورد أن نيابة حلب كانت النيابة الوحيدة التى ظلت بغير روك حتى تلك السنة ، من دون أسائر جزاء الدولة المملوكية .

(٢) فى ف « وقدم فى يوم السبت العشرين من رمضان الأمير بدر الدين بكمش المعروف بابى عدة الظاهرى من بلاد أزبك » ، وقد عدلت العبارة وضبطت أسماؤها بعد مراجعة النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٦١ ) ، وكذلك ( Zettersteen: Op. Cit. pp. 174-176 )

(٣) فى ف « تجهزت » .

(٤) فى ف « البحر » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٩٧ ب ) .

(٥) فى ف « طارجا » . انظر (Zettersteen: Op. Cit p. 176) ، وابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢١٣ ) .

(٦) بغير ضبط فى ف . انظر (Zettersteen: Op. Cit p. 176) ، حيث ورد « كيتمر اخو حروط » .

وبهادر التقوى أمير جاندار ؛ فقدموا ( ٢١٦ ا ) إلى القاهرة فى ثامن عشريه .

وفيها نزل سيل عظيم فى النيل حتى اصفرّ ماؤه ، وزاد ستة أصابع .

وأما العسكر [ المجرد لنجدة صاحب[1] اليمن ] فإنه سار إلى مكة ، وقد كتب السلطان إلى الشريف عقيل أمير ينبع ، وإلى الشريفين عطيفة ورميثة أميرى مكة ، وإلى قوادهما ، و [ إلى ] بنى شعبة وعرب الواديين وسائر عربان الحجاز ، بالقيام فى خدمة العسكر . [ووصل العسكر إلى مكة فى السادس والعشرين من جمادى الأولى] ، ودخلها وأقام بها حتى قدمت المراكب بالغلال وغيرها من مصر إلى جدة ؛ فأبيع الشعير بثلاثين درهما الأردب ، والدقيق بعشرين درهما الويبة . وتقدّم الخادم كافور الشبيلى[2] خادم [ الملك ] المجاهد إلى زبيد ، ليعلم مولاه بقدوم العساكر ؛ وكتب [ الأمير ركن الدين بيبرس بن الحاجب ، وهو مقدّم العسكر ] إلى أهل حلى بنى يعقوب بالأمان ، وأن يجلبوا البضائع للعسكر .

ورحل العسكر فى (٢١٦ ب) خامس جمادى الآخرة من مكة ؛ [ ومعه الشريف عطيفة والشريف عقيل ، وتأخر الشريف رميثة ] . فوصل العسكر إلى حلى بنى يعقوب فى اثنى عشر يوما ، بعد عشرين مرحلة ؛ فتلقّاهم أهلها ، ودهشوا لرؤية العساكر ، وقد طُلِّبت ولبست السلاح ، وهموا بالفرار . فنودى فيهم بالأمان ، وألا يتعرض أحد من العسكر لشيء إلا بثمنه ، فاطمأنوا وحملوا إلى كل من بيبرس وطينال مقدمى الألوف مائة رأس من الغنم وخمسمائة أردب أذرة[3] ، فردّاها ولم يقبلا لأحد شيئاً . ورحل[4] [ العسكر ] بعد ثلاثة أيام ، فى العشرين منه .

فقدمت الأخبار باجتماع رأى أهل زبيد على الدخول فى طاعة الملك المجاهد خوفا من معرّة [ قدوم ] العسكر [ المصرى ] ، وأنهم ثاروا بالمتملك عليهم [ وهو الملك الظاهر ] ، ونهبوا أمواله ففرّ عنهم ، وكتبوا إلى المجاهد بذلك ، فقوى

(١) أضيف مابين الحاصرتين بهذه الفقرة وما يليها من أخبار هذه الحملة من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٥٨ ــ ٦٠ ) ، حيث توجد تفاصيل أكثر مما هنا . انظر أيضا الخزرجى ( العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، ومابعدها ) .

(٢) كذا فى ف ، على أنه يوجد فى الخزرجى ( العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٨٩ ) من اسمه « كافور البتولى » .

(٣) فى ف « درا » .

(٤) فى ف « ورحلوا » ، وقد حذفت واو الجماعة وأثبت الاسم للتوضيح .

(٢١٧ ا) ونزل من قلعة تعز يريد زبيد فكتب أمراء[1] [العسكر المصرى] إليه، [وهم قرب حدود اليمن]، بأن يكون على أهبة اللقاء.

ونزل العسكر على زبيد، ووافاهم المجاهد بجنده؛ فسخر منهم[2] الناس من أجل أنهم عراة، وسلاحهم الجريد والخشب، وسيوفهم مشدودة على أزرعتهم، ويقاد للأمير فرس واحد مُجلّل، وعلى رأس المجاهد عصابة ملونة فوق العمامة. وعندما عاين المجاهد العساكر [المصرية] وهى لابسة آلة الحرب رُعب، وَهَمّ أن يترجل عن فرسه حتى منعه الأميران بيبرس وآقول من ذلك. ومشى العسكر صفين والأمراء فى الوسط حتى قربوا منه، فألقى [المجاهد] نفسه ومن معه إلى الأرض؛ وترجل له أيضاً الأمراء وأكرموه وأركبوه فى الوسط، وساروا إلى المخيم، وألبسوه تشريفاً سلطانياً (٢١٧ ب) وكلفتاه زركش وحياصة ذهب. وركب [المجاهد] والأمراء فى خدمته بالعساكر إلى داخل[3] زبيد، ففرح أهلها فرحا شديداً.

ومدّ المجاهد لهم سماطا جليلا فامتنع الأمراء والعسكر من أكله خوفا من أن يكون فيه ما يخاف عاقبته، واعتذروا إليه بأن هذا لايكفى العسكر. ولكن فى غد يُعمل السماط. فأحضر [المجاهد] إليهم مايحتاجون إليه، وتولى طباخو الأمراء عمل السماط. وحضر المجاهد وأمراؤه، وقد مُدّ السماط بين يدى كرسى جلس عليه المجاهد، ووقف السقاة والنقباء والحجاب والجاشنكيرية على العادة؛ ووقف الأمير بيبرس رأس الميمنة، والأمير طينال رأس الميسرة. فلما فرغ السماط صاحت الشاويشية على أمراء المجاهد (٢١٨ ا) وأهل دولته فأحضروهم، وقرئ كتاب السلطان، فباسوا بأجمعهم الأرض، وقالوا سمعاً وطاعة؛ وكتب الأمير بيبرس لمالك اليمن بالحضور، فحضروا.

ولم يجهز [الملك] المجاهد للعسكر شيئاً من الإقامات. وعنّفه الأمير بيبرس على ذلك، فاعتذر بخراب البلاد، وكتب لهم على البلاد بغنم وأذرة[4]؛ فتوجه إليها قصاد

(١) فى ف «الامرا»، وقد أضيف مابين الحاصرتين للتوضيح.

(٢) الضمير عائد على جند الملك المجاهد.

(٣) ذكر النويرى (نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٥٩) أن الملك المجاهد لما رأى أن مدينة زبيد الثائرة قد أعلنت ولاءها له كتب إلى الأمير بيبرس مقدم العسكر المصرى، وهو وقت ذاك عند حدود اليمن «إنه سقط فى يده» وندم على طلب العسكر، وخاف على نفسه» غير أن الأمير بيبرس تقدم إلى زبيد، كما سيلى بالمتن.

(٤) فى ف «درا».

الأمراء. وسار [ المجاهد ] إلى تعز لتجهيز الإقامات، ومعه الأميران(١) [ سيف الدين ططر العفيفى السلاح الدار وسيف الدين قجمار فى مائتى فارس، وتأخر العسكر بزبيد؛ وعادت قصاد(٢) [ الأمراء ] بغير شىء. فرحل(٣) [ العسكر ] من زبيد فى نصف رجب يريدون تعزّ؛ فتلقاهم المجاهد، ونزلوا خارج البلد، وشكوا ما هم فيه من قلة الإقامات، فوعد بخير. وكتب الأمراء إلى الملك المقيم بدُمْلُوة(٤)، وبعثوا إليه الشريف عطيفة ( ٢١٨ب ) أمير مكة وعز الدين الكوندكى؛ وكتب إليه المجاهد أيضاً يحثه على الطاعة.

وأقام العسكر فى جهد، فأغاروا على الضياع، وأخذوا ماقدروا عليه، فارتفع سعر الأذرة(٥) من ثلاثين درهما الأردب إلى تسعين، وفقد الأكل إلا من الفاكهة فقط، لقلة الجلب؛ واتهم أن ذلك بمواطأة المجاهد خوفا من العسكر أن يملك منه البلاد.

ثم إن أهل جبل صَبِر(٦) قطعوا الماء عن العسكر، وتخطفوا(٧) الجمال والغلمان. وزاد أمرهم إلى أن ركب العسكر فى طلبهم، فامتنعوا بالجبل ورموا بالمقاليع على العسكر، فرموهم بالنشاب. وأتاهم المجاهد فخذلهم عن الصعود إلى الجبل فلم يعبأوا بكلامه، ونازلوا الجبل ( ٢١٩ ا ) يومهم، ففقد من العسكر ثمانية من الغلمان، وبات العسكر تحته. فبلغ بيبرس أن المجاهد قرر مع أصحابه بأن العسكر إذا صعد يضرمون النار فى الوطاق وينهبون(٨) مافيه. فبادر بيبرس وقبض على بهاء الدين بهادر الصقرى(٩) وأخذ موجود، ووسطه قطعتين وعلقه على الطريق؛ ففرح أهل

(١) فى ف « ومعه اميرين ».

(٢) فى ف « قصادهم ».

(٣) فى ف « فرحلوا ».

(٤) بغير ضبط فى ف، وهى حصن عظيم باليمن، على مسافة ثلاثين ميلا شرقى تعز، وبينها وبين عدن خمسة وستون ميلا. انظر الخزرجى ( العقود اللؤلؤية - Annotations - ص ٦٥، رقم ٣٢٦ )، وياقوت ( معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٩٩ - ٦٠٠ ).

(٥) فى ف « الدرة ».

(٦) بغير ضبط فى ف، وهو حسبما جاء فى ياقوت ( معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٦٦ ) الجبل الشامخ المطل على قلعة تعز باليمن، وفيه عدة حصون وقرى.

(٧) فى ف « تحفظوا »، والرسم المثبت هنا من ب ( ٣٩٨ ب ).

(٨) فى ف « يضرموا النار فى الوطاق وينهبوا ما فيه ».

(٩) فى ف « المظفرى »، وفى ب ( ٣٩٨ ب ) « الصغرى »، والرسم المثبت هنا من الخزرجى ( العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٣٤ ). انظر أيضا ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٤٩٩)، حيث توجد ترجمة وافية لهذا الأمير، ومنها أضيف مابين الحاصرتين.

تعز بقتله ، وكان [ بهادر ] قد تغلب على زبيد ، [ وتسمى بالسلطنة ، وتلقب بالملك الكامل ، وظل متسلطاً عليها ] حتى طرده أهلها عند قدوم العسكر .

وقدم الشريف عطيفة والكوندكى من [ عند الملك الظاهر صاحب ] دُملوة [ وأخبرا ] بأنه فى طاعة السلطان . وطلب [ بيبرس ] من المجاهد ماوعد به السلطان ، فأجاب بأنه لاقدرة له إلا بمافى دُمْلوة ؛ فأشهد عليه بيبرس قضاة تعز بذلك ، وأنه أذن للعسكر فى العود ، لخراب(١) البلاد وعجزه عما يقوم به للسلطان ، ( ٢١٩ ب ) و [ أنه ] امتنع بقلعة(٢) تعز .

ورحل العسكر إلى حلى بنى يعقوب ، فقدمها فى تاسع شعبان . ورحلوا منها أول رمضان إلى مكة ، فدخلوها فى جادى عشرة بعد مشقة زائدة . وساروا من مكة يوم عيد الفطر ، وقدموا بركة الحاج أول يوم من ذى القعدة .

وطلع الأمراء إلى القلعة ، فخلع عليهم فى يوم السبت ثالثه . وقدم الأمير بيبرس هدية ، فأغرى الأمير طينال السلطان بالأمير بيبرس ، وأنه أخذ مالا من المجاهد وغيره ، و [ أنه ] قصر فى أخذ مملكة اليمن . فلما كان فى يوم الاثنين تاسع عشره رسم بخروجه إلى نيابة غزة ، فامتنع لأنه كان قد بلغه ماقيل عنه ، وأن السلطان قد تغير عليه ؛ فقيد وسجن فى البرج ، وقبضت حواشيه . وعوقبوا(٢٢٠ ا) على المال فلم يظهر شيء .

وفى ثالث ذى الحجة قبض على إبراهيم بن الخليفة أبى الربيع ، وسجن بالبرج ، لأنه تزوج بمغنية ، وأشهد عليه بطلاقها .

وفى ثالث عشر ذى القعدة قدم الطنبغا نائب حلب ، وسافر آخر يوم الأحد .

وفى أول ذى الحجة خلع على الأمير بهادر البدرى السلاح دار ، واستقر فى نيابة الكرك ، عوضا عن عز الدين أيبك الجمالى ؛ ونقل لنيابة غزة ، [ فسار(٣) إليها فى خامس عشرة .

(١) فى ف « لجواب » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٩٨ ب) .

(٢) ذكر الخزرجى ( العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٣ ) أن الملك المجاهد كتب إلى مقدمى العسكر المصرى وهو بمدينة تعز يطلب إليهم الجلاء عن اليمن ، ونصه « وكتب إلى مقدميهم أنه قد بلغ شكركما ، وهذا خطنا بأيديكما يشهد بوصولكما وانقضاء الحاجة بكما » .

(٣) ليس لما بين الحاصرتين وجود فى ف ، ولكنه فى ب (١٣٩٩) .

وفى ثالث عشره توجّه السلطان إلى الصيد نحو الجيزة ؛ وأفرج عن بلبان الشمسى ، وبهادر التقوى ، وأمير جاندار ، وطاجار المحمدى .

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر ( ٢٢٠ ب ) حُجّاب [بنت عبد الله] شيخة[١] رباط البغدادية فى الحرم ؛ وكانت صالحة خيرة ، ملازمة للرباط ، تعظ النساء . و[ مات ] الأمير سيف الدين قطز عند عوده من اليمن ، وحُمل إلى مكة فدفن بها ؛ وكان جوادا عفيفاً . و[ مات ] الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى ، فى ليلة الخميس خامس عشرى رمضان ؛ وهو أحد مماليك الملك المنصور قلاون ، واستنابه بالكرك ؛ وعزله الملك الأشرف خليل بالأمير جمال الدين آقوش ، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس ، وولى نيابة السلطنة بديار مصر ؛ وكان عاقلا كثير البر ، وإليه تنسب المدرسة الدوادارية بخط سويقة العزى خارج القاهرة ؛ وله تاريخ سماه زبدة الفكرة[٢] فى تاريخ ( ٢٢١ ا ) الهجرة ، يدخل فى أحد عشر سفراً . أعانه على تأليفه كاتبه ابن كبر[٣] النصرانى ، وكان يجلس رأس الميسرة ؛ فأخذ إقطاعه الأمير مغلطاى الجمالى ، وأخرج منه طبلخاناه لبلبان السنانى[٤] ؛ وصار الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى بعده يجلس فى رأس الميسرة . ومات الشريف منصور بن جماز بن شيحة فى حرب يوم الرابع والعشرين من رمضان ، قتله حديثة ابن ابن أخيه ؛ و[كان] له فى الإمرة ثلاث وعشرون سنة وستة أشهر وأيام ؛ واستقر عوضه فى إمرة المدينة النبوية ابنه [ بدر الدين ] كبيشة[٥] بن منصور ؛ وقدم منصور إلى القاهرة مراراً . ومات الشهاب محمود بن سلمان بن فهد الحلبى كاتب السر ، بدمشق فى شعبان ،

(١) فى ف « شحنه » ، والصيغة المثبتة هنا من ابن حجر ( الدر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٦ ) ؛ ومنه ضبط الاسم وأضيف ما بين الحاصرتين .

(٢) استخدم الناشر مخطوطه هذا الكتاب فى الحواشى هنا كثيرا ، وتوجد منها صور شمسية بمكتبة الجامعة المصرية ( جامعة القاهرة ) . وللأمير بيبرس مؤلف آخر فى التاريخ اسمه التحفة الملوكية فى الدولة التركية . انظر (Ecy. Isl. Art. Baibars al - Mansuri) .

(٣) كذا فى ف ، وكذلك فى ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٥١٠ ) ، حيث توجد ترجمة طويلة للأمير بيبرس .

(٤) كذا فى ف ، وكذلك فى ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ٤٩٣ ) .

(٥) فى ف « كنيس » ، والرسم المثبت هنا من ابن حجر ، القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٠١ ) . انظر أيضاً ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٦٢ ، ج ٤ ، ص ٣٠٣ ) ، حيث ورد اسم هذا الأمير برسم « كبيس » و « كبيش » .

عن إحدى وثمانين سنة ؛ ( ٢٢١ ب ) وقدم القاهرة مراراً . ومات الشيخ تقى الدين محمد بن الجمال أحمد بن الصفى عبد الخالق — الشهير بالتقى الصائغ — شيخ القراء ، بمصر فى ليلة الأحد ثامن عشر صفر . ومات نجم الدين أبو بكر بن بهاء الدين محمد ابن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان الشافعى ، بالقاهرة فى ثالث ذى القعدة ؛ وكان فاضلا ، إلا أنه رمى فى عقله وعقيدته بأشياء . ومات الأمير سيف الدين بلبان التترى المنصورى ، فى ذى القعدة . و [ مات ] الخطيب جمال الدين محمد بن تقى الدين محمد ابن[1] الحسن بن على بن أحمد القسطلانى ، فى ليلة السبت مستهل ربيع الأول ؛ واستقر [ ابن أخيه الخطيب تقى الدين بن نور الدين ] مكانه خطيباً بجامع القلعة ، ورُتب [ ولده ] زين الدين أحمد بن ( ٢٢٢ ا ) جمال الدين فى خطابة جامع عمرو وإمامته ونظره . ومات شرف الدين يونس بن أحمد بن صلاح القلقشندى الفقيه الشافعى ، فى خامس عشرى ربيع الآخر .

* * *

سنة ست وعشرين وسبعمائة . أهلت والسلطان فى الصيد بالوجه البحرى .

و [ فى ] يوم الاثنين سادس عشر المحرم وردت رسل ملك الحبشة[2] بكتاب يتضمن إعادة ماخرب من كنائس النصارى ومعاملتهم بالإكرام والاحترام ، ويهدد بأنه يخرب ماعنده من مساجد المسلمين ، ويسدّ النيل حتى لايعبر إلى مصر ؛ فسخر السلطان منه ، وردّ رسله .

وفى عشرى صفر خُلع على فخر الدين أستادار ألطنبغا ، ( ٢٢٢ ب ) واستقرّ والى المحلة بعد موت الشيخى .

---

(١) فى ف « الخطيب جمال الدين محمد بن تقى الدين محمد بن محمد بن الحسن » ، وقد عدلت إلى بالمتن بعد مراجعة النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ٦٣ ) ، ومنه أضيف مابين الحاصرتين . انظر أيضاً ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ١٧٣ ) .

(٢) كان ملك الحبشة وقت ذاك جبرة مصقل ( Gabra Maskal ) ، واسمه الأصلى عمدة صيون (Amda Seyon) ، وقد حكمه من سنة ١٣١٢ إلى ١٣٤٣ إلى ١٣٤٢م ( ٧١٢ — ٧٤٣ هـ ) ، وكان فى معظم تلك السنين يشن حروبا كثيرة ضد مسلمى الحبشة . انظر (Budge: Op-Cit. I. pp. 288-298).

وفى ثامن عشر صفر صُرف شمس الدين غبريال عن نظر النظار ، وسُفِّر إلى دمشق ؛ فسار على البريد فى حادى عشريه ، وقدم دمشق فى ثامن عشريه .

وفى يوم الاثنين سادس ربيع الأول قدم كريم الدين أكرم الصغير من دمشق باستدعاء إلى ناحية سَفْط من الجيزة — والسلطان مخيم بها — ؛ فأنكر [السلطان] عليه إنكاراً شديداً ، وأمره بملازمة بيته . وكان قد سعى به الفخر ناظر الجيش وغيره ، وأغروا به السلطان حتى أحضره من دمشق .

وفيه استقر شرف الدين الخطيرى — المعروف بكاتب سلار ، وكان قد خدم عند الأمير أرغون النائب — فى نظر ( ٢٢٣ ا ) النظار ، عوضاً عن غبريال .

و [ فيه ] رُسم للوزير مغلطاى بقتل [ كريم الدين ] أكرم [ الصغير[١] ] فى خفية ، فتقدم إلى والى القاهرة بذلك ، فوضع له أعيناً [٢] يترقبون فرصة ، إلى أن ركب من داره يريد الحمام بعد العشاء الآخرة من ليلة الاثنين رابع ربيع الآخر ، فوثب عليه جماعة ، وكان قد احترس على نفسه ، فنجا بفرسه منهم ، وقتلوا غلامه . وأصبح الناس وقد شاع خبره . وبلغ السلطانَ فرسم للوزير بإخراجه إلى أسوان ، فقبض عليه فى يوم السبت تاسعه هو وأولاده ، وأحضرهم بمجلس السلطان ، وطُولب بالمال ، فلم يعترف بشيء ، فضُرب ابنه سعد الدين أبو الفرج بالمقارع . وسُلم أكرم إلى والى القاهرة ، فوُجد فى كمه أوراقا فيها مرافعات فى جماعة ( ٢٢٣ ب ) من أهل الدولة ، فطلبها الوزير منه ، فامتنع من ذلك حتى بعث السلطان مَنْ تسلمها منه وقرأها ؛ فأفرج [ السلطان ] عن أولاده ، ورسم بعقوبته فَسُعِّط[٣] بالخل والجير . وأخرج [ أكرم ] هو وابنه سعد الدين فى ليلة الاثنين حادى عشره إلى جهة الصعيد ، بعد ما توجه الأمير بهاء الدين والى القلعة إلى الوزير يطلب له[٤] منه بساطاً ونفقة فأبى ذلك . ومضى أكرم وابنه فى سلّورة[٥] إلى أسوان ، مقدما فى

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١، ص ٤٠٠ — ٤٠١) .

(٢) فى ف « اعانا » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٤٠٠ ا ) .

(٣) هنا إشارة إلى نوع من التعذيب فى مصر فى العصور الوسطى ، ويقال سَعط الدواء وأسعطه إياه ، أى أدخله فى أنفه . ( المحيط ) .

(٤) فى ف « منه له » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٤٠٠ ا ) .

(٥) السلورة — والجمع سلالير — نوع من السفن ، ولم يرد (Dozy : Supp. Dict. Ar.) فى =

ليلة الاثنين خامس عشريه ، وقُتل ليلة الثلاثاء سادس عشريه .

وفى يوم الخميس سابع جمادى الأولى سار الأمير أيتمش المحمدى رسولا إلى القان بوسعيد ، وصحبته هدايا جليلة ، ليرغبه فى مصاهرة السلطان . فبلّغ [ أيتمشُ ] رسالته ، ( ٢٢٤ ا ) وعاد إلى القاهرة يوم الثلاثاء ثامن عشرى شعبان .

وفى ثانى عشرى جمادى الأولى خرجت تجريدة إلى برقة ، عليها من الأمراء أسندمر العمرى ، وملكتمر الإبراهيمى ، وقطلوبغا الطويل ، وجماعة من أجناد الأمراء . وسببها حضور فايد وسليمان أميرى العربان ببرقة ، وشكواهم من العرب أنهم منعوا أداء الزكاة عن الغنم .

وفى ليلة الجمعة ثامنه وقت الغروب ركب أحمد ابن السلطان ، ومعه الأمير قجليس والأمير طقتمر الخازن ، ليتوجه إلى الكرك ـ وعمره يومئذ ثمانى سنين ـ ؛ وسار معه عدة من المماليك وخزانة مال . واستقرّ فى نيابة الكرك الأمير سيف الدين بهادر البدرى ، ( ٢٢٤ ب ) وتوجه معه ليقوم بأمره ، ويُودع المال بخزانة قلعة الكرك ، ولا يمكن أحداً من التصرف ، بل يمرنه[1] على الصيد والفروسية . فأوصله الأميران إلى الكرك ، وعادوا فى ثانى جمادى الآخرة .

و [ فيه ] قدم كتاب نائب الشام بأنه قبض على بكتوت القرمانى ، لامتناعه من التوجه لإحضار حمل سيس ، فأجيب بتقييده وسجنه بقلعة دمشق ، وأن يستقر شهاب الدين قرطاى الصلاحى نائب طرابلس على خبزه .

و [ فيه ] رُسم للأمير طينال الحاجب بنيابة طرابلس ، فسار من القاهرة فى يوم الخميس رابع جمادى الآخرة . وأَمّرَ [ السلطان ] بتقدمته على الأمير قوصون زيادة على إقطاعه ، وعُقد له على إحدى بنات ( ٢٢٥ ا ) السلطان .

---

= تعريفها عن ذلك ، انظر أيضا (Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus in the Fifteenth Century) على أن الواضح هنا أن السلورة كانت من السفن المستعملة فى نهر النيل ، أى أنها لم تكن من سفن البحار الكبرى .

(١) فى ف « يمحنه » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٤٠٠ ب ) .

وفى يوم الثلاثاء ثامن رجب ابتدأ جلوس الصوفية بخانقاه الأمير بكتمر الساقى ، بآخر القرافة مما يلى بركة الحبش .

وفى يوم الاثنين رابع عشر رجب قدمت رسل جوبان حاكم دولة أبى سعيد ، ومعهم طايَرْبغا(١) وابنه يحيى ؛ فخُلِع عليهم ، وأنعم على طاير بغا بإمرة طبلخاناه فى سابع عشره ، وعلى ابنه يحيى بإمرة عشرة ؛ وأعيدت الرسل فى رابع عشريه . وكان طاير بغا هذا [يلى نيابة خِلاَط(٢)] ، وبينه وبين السلطان قرابة ؛ فكُتب إلى الأمير جوبان ليستدعيه [ وأهله إلى مصر ] ، فبعثهم . وفى سابع عشره أيضاً أنعم على أحمد ابن بكتمر الساقى بإمرة .

وفى يوم الاثنين سادس شعبان حُبس (٢٢٥ ب) تقى الدين أحمد بن تيمية ، ومعه أخوه زين الدين عبد الرحمن بقلعة دمشق . وضُرب شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيِّم الجوزية، وشُهِّر على حمار بدمشق . وسبب ذلك أن ابن قيم الجوزية تكلم بالقدس فى مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء ، وأنكر مجرّد القصد للقبر الشريف دون قصد المسجد النبوى ؛ فأنكر المقادسة عليه مسألة الزيارة ، وكتبوا فيه إلى قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى وغيره من قضاة دمشق . وكان قد وقع من ابن تيمية كلام فى مسألة الطلاق بالثلاث(٣) أنه لا يقع بلفظ واحد ، فقام عليه فقهاء دمشق . فلما وصلت كتب المقادسة فى ابن القيم ، كتبوا فى ابن تيمية وصاحبه ابن القيم (٢٢٦ ا) إلى السلطان ، فعرّف شمسَ الدين الحريرى قاضى القضاة الحنفية بديار مصر ذلك ، فشنع على ابن تيمية تشنيعاً فاحشاً حتى كتب بحبسه ؛ وضُربَ ابن القيم .

وفيه أنشأ الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك قاعة بالمارستان المنصورى ، ونحّت جدران المارستان والمدرسة المبنية بالحجر كلها داخلا وخارجا ، وطرّ(٤) الطراز الذهب من خارج القبة والمدرسة حتى صار كأنه جديد . وعمل [ آقوش ] خيمة يزيد طولها على مائة

(١) بغير ضبط فى ف . انظر (Zettersteen: Op. Cit. p. 177) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٤٠٠ ب ) .

(٣) فى ف « الثلاث » .

(٤) فى ف « طرا » ، والصحيح لغة ما أثبت بالمتن ، والمقصود بذلك أنه جدده ؛ ففى قاموس المحيط الطرّ تجديد البنيان ، وفى محيط المحيط طرّ البنيان جدده .

ذراع ، وركّبها للتستر على مقاعد الأقفاص ، وتستّر أهلها من الحر ؛ ونقل الحوض من جانب باب المارستان ، لكثرة تأذى الناس برائحة النتن ، وعمل موضعه سبيل ماء عذب (٢٢٦ ب) لشرب الناس ؛ وكان مصروف ذلك كله من ماله دون مال الوقف .

وفي يوم الاثنين سابع عشرى شعبان أفرج عن الأمير بلبان طرنا(١) أمير جاندار ، فكانت مدة اعتقاله إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام ؛ فلما مَثُل بحضرة السلطان خلع عليه وأعطاه إمرة دمشق ، وبعثه إليها .

وفيه نقل الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من دمشق إلى شدّ الدواوين بطرابلس ، وأنعم على أشقتمر (٢) من أمراء حلب بخبزه .

و [فيه] حُمل بكتوت القرمانى من قلعة دمشق إلى القاهرة مقيداً على البريد وحمل منها إلى الإسكندرية هو والبوبكرى والجاولى ، فسجنوا بها .

وفيه قدم بازان (٢٢٧ ا) رسول جوبان حاكم بلاد أبي سعيد ؛ [ وجوبان هو ] الذى أجرى العين من عرفة إلى مكة . فلما قدم إلى مصر واجتمع بالسلطان ، وعرّفه خبر العين ، شقّ عليه ذلك ؛ وقال له على لسان النائب : « مَن أذن لك فى هذا ؟ ولِمَ لاشاورتنى ؟ » ، فقال [ بازان ] للنائب : « عرف السلطان أن جوبان فعل ما فعل من الخير ، وبقى الأمر للسلطان إن شاء يخرب أو يعمر ، فهذا شيء قد فعله مَن فعله وخرج عنه ، والأمر إليكم » ؛ فلما بلّغ [النائبُ] قوله السلطانَ سكت .

وكان من خبر هذه العين أنه لما كثر ترداد الحاج من العراق إلى مكة فى كل سنة شقّ عليهم قلة الماء بمكة ، فإن الراوية كانت تبلغ فى الموسم عشرة دراهم مسعودية (٣) ، وفى غير الموسم (٢٢٧ ب) من ستة [ دراهم ] إلى سبعة . فقصد الأمير جوبان حاكم مملكة

(١) فى ف « طاربا » .

(٢) كذا فى ف . انظر أيضاً ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٨٩ ) .

(٣) تنسب الدراهم — وكذلك الدنانير — المسعوديه إلى الملك المسعود الأيوبى ملك اليمن ، واسمه المسعود بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب ، وكان المسعود قد غزا مكة سنة ٦١٩ هـ ( ١٢٢٢م ) ، فضرب اسمه على نقودها ، وظل متولياً عليها حتى وفاته بها سنة ٦٢٦ هـ ( ١٢٢٩ ) (Sauvaire : Materiaux Pour Servir a l' Histoire de la Numismatique et de la Métrologie Musulmanes, Ire Partie. pp. 222-223 ) .

أبى سعيد عمل خير بمكة ، فدله بعض الناس على عين كانت تجرى فى القديم ثم تعطلت ، فندب لذلك بعض ثقاته وأعطاه خمسين ألف دينار ، وجهّزه فى موسم سنة خمس وعشرين . فلما قضى حجه تأخر بمكة وشهر أمره بها ، فأعلم بعين فى عرفة ، فنادى بمكة : « من أراد العمل فى العين فله ثلاثة دراهم فى كل يوم » . فهرع إليه العمال ، وخرج بهم إلى العمل ، فلم يشقّ على أحد منهم ولا استحثه ، وإنما كانوا يعملون باختيارهم . فأتاه جمع كبير من العرب ؛ وعمل حتى النساء ، إلى أن جرى الماء بمكة بين الصفا والمروة ، فى ثامن عشرى جمادى (٢٢٨ ا) الأولى من هذه السنة ، فكانت مدة العمل أربعة أشهر . وكثر النفع بهذه العين ، وصرّفه أهل مكة إلى مزارع الخضراوات .

وفيه قدم [ القاهرة الأمراء ] المجردون إلى برقة ، وقد غابوا عنها ثلاثة أشهر وأربعة أيام .

و [فيه] قدم الخبر بأن الأمير تنكز نائب الشام جمع العامة بدمشق وألزمهم بإحضار الكلاب ورميها بالخندق ، فأقاموا عشرة أيام فى جمعها حتى امتلأ الخندق بها ، وأكل بعضها بعضاً .

و [فيه] قدم الخبر بحصول سيل عظيم فى الفرات ، أعقبه مطر ، وأنه حدث وخم وفناء عمّ الناس من الفرات إلى دمشق ، فلم تبق مدينة فيما بين ذلك حتى كثر بها المرض والموت ؛ وباع بعض عطّارى دمشق فى كل يوم أدوية للمرضى (٢٢٨ ب) بنحو الألف درهم ، وأبيع قدر فيه حَسْو (١) شعير بزيادة على ثلاثين درهما ، وأخذ حجّام فى أجرة فصد وشراطة آذان فى كل يوم أربعمائة درهم ، فإنه كان فصلا زموما (٢) ، وكان الموت فيه بالنسبة إلى المرض قليل .

---

(١) فى ف « حشو » ، وفوق الشين حرف ظ ، والرسم المثبت هنا من ب (٤٠١ ب) ، وهو المعقول ، إذ الحسو مصدر فعل حسا ، ومعناه شرب فى مهلة ، والحسا طعام يعمل من الدقيق والماء ، وربما كان الحسا هو المقصود هنا . (انظر محيط المحيط). هذا وفى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) أن الحسو ـ والجمع أحساء ـ ما يكون مغلياً غليانا بسيطا ، فيقال حسو البيض لما يغلى منه بحيث لا يكون جامداً (Des oeufs mollets, des oeufe que le blanc et le jaune restent liquides)

(٢) فى ف « ديرنا » ، وفوقها حرف ظ ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٤٠١ ب ) ، والزموم الممتلىء . ( المحيط ) .

وفى يوم الثلاثاء خامس رمضان قدم الملك الصالح صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل سيف الدين أبى بكر بن شادى بن الملك الأوحد تقى الدين بن الملك المعظم غياث الدين توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب [ بن الملك الكامل[١] محمد بن الملك العادل بن أيوب ] بن شادى ، صاحب حصن[٢] كيفا . فأقبل عليه السلطان وأكرمه ، وخلع عليه تشريفاً طرد وحش بحياصة ، ورتب له ما يليق به من اللحم والدجاج والسكر والحلوى ( ٢٢٩ ا ) وغير ذلك ، وبعث له عشرة آلاف درهم .

وأقام [ الصالح صلاح الدين ] إلى نصف شوال ، وسار بعد ما جهزه السلطان بكل مايحتاج إليه من خيل وجمال وسلاح وتحف ، وأنعم عليه بألف دينار . فلماقدم دمشق بالغ الأمير تنكز فى الإحسان إليه ، وبعثه إلى بلده فقدمها ، وسُرّ به أهلها . فلما صعد الحصن وتوسط الدهاليز ، وثب عليه أخوه [ الملك العادل محيى الدين ][٣] وقتله . وكان من خبر [ الصالح صلاح الدين ] أنه ملك حصن كيفا من أعمامه وإخوته بالقوة ، فإنه كان شجاعا جريئاً ؛ فلما [٤] تمكن منع الخراج عن أبى سعيد ، وتعرّض لقصاد الأمير تنكز نائب الشام ، وإلى بعض التجار . فكتب إليه تنكز يهدده بأنه يقتله وسط حصنه ، فخاف سوء العاقبة ، وأجاب بالاعتذار ، وأنه من اليوم فى خدمة ( ٢٢٩ ب ) السلطان ونائبه ، وأنه يمتثل ما يرسم به ؛ وجهز لتنكز هدية .

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٦٩ ) ، حيث الوارد بصدد حضور هذ الملك الأيوبى إلى القاهرة أكثر تفصيلا وأوضح تعليلا ، وخلاصته فضلا عما هنا فيما يلى بالمتن أن الملك الصالح هذا كان يدين بالتبعية لدولة إيلخانات فارس وملكها خربندا ، غير أنه لم يخلص لمتبوعه، فخاف على نفسه وعلى إمارته بحصن كيفا ، وحضر إلى مصر ليطلب إلى السلطان الناصر حمايته ، وقد تم له ما أراد كما سيلى بالمتن .

(٢) يقع حصن كيفا على نهر دجلة ، فى منتصف الطريق بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر ، وقد استولى عليه الأيوبيون سنة ٦٢٩ هـ ( ١٢٣٢ م ) ، وجعل منه أحد فروعهم دويلة صغيرة تشمل آمد أيضاً ، وظلت تلك الدويلة الأيوبية ، كما ظلت أختها فى مدينة حماة بالشام آثاراً باقية لتدل على أيام الأيوبيين ، فبقيت مملكة حماة حتى سنة ٧٣٢ هـ ( ١٣٣٢ م ) ، وعاشت مملكة حصن كيفا إلى سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٣ م) ، أى إلى ما بعد زوال دولة المماليك من مصر والشام . على أن هاتين الدويلتين لم تكونا مملكتين مستقلتين ، بل كانت حماة فى الواقع تابعة للدولة المملوكية، كما كان حصن كيفا يدين بالطاعة لدولة إيلخانات فارس . انظر (Ency. Isl. Art. Hisn Kaifa) ، وكذلك (Zambaur : Op. Cit. pp. 97 - 98) ، وخليل بن شاهين ( زبدة كشف الممالك — Ravaisse — ص ١٤٩ — ١٥١ ) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٦٩ — ٧٠).

(٤) فى ف « فلم يمكن » والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٤٠٢ ا ) .

فسر السلطان بذلك ، وأكد على تنكز فى مهاداته . فلما قدم الأمير أيتمش المحمدى عليه تلقاه ، وقـدّم له تقدمة حسنة ، وعرّفه أنه نائب السلطان فى الحصن تحت أوامره ؛ وكتب إلى نائب الشام بذلك . فكتب [ تنكز ] يعرّف السلطان [ بذلك ] ، فازداد رغبة فيه ، وما زال به الأمير تنكز يستميله حتى قدم [ إلى مصر ] ، و [ ذلك بعد أن ] استناب أخاه [ الملك العادل محيي الدين على الحصن مدة غيبته ] . فطمع [ محيي الدين ] فى الحصن وقتله [ بعد رجوعه من مصر ] ، وكتب إلى جوبان وأبى سعيد أنه لم يقتله إلا لمخامرته وخروجه عن طاعتهما ، وبعث إليهما بالخراج ؛ فأجاباه بالشكر والثناء واستمراره على نيابة الحصن . وكتب [ محيي الدين ] أيضاً لنائب الشام بأنه لم يقتله إلا لما ثبت عليه من شربِ الخمر ( ١٢٣٠ ) والفسقِ وقتل الأنفس واستباحة الأموال والتلفظِ بالكفر غير مرة ، وجهز إليه هدية وترفّق إليه فى كتبه ، وأنه مملوك السلطان ونائبه . فعرّف [ تنكز ] السلطانَ ذلك ، فأجابه بقبول عذره ومهاداته واستجلاب خاطره ؛ ففعل ذلك .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشر رمضان تولى الأمير عماد الدين البحيرة ، عوضاً عن [ بلبان ][1] العتريس .

وفى خامس شوال توجّه الأمير سيف الدين أرغون النائب وولده ناصر الدين محمد ، إلى الحجاز للحج .

و [ فيه ] أشيع أن قصاد الأمير تنكز وصلت من الشرق ، [ وأخبرت ] بأن الأمير جوبان جمع من خيار عسكر الأردو عشرة آلاف فارس ، وقصد الحج . فأظهر السلطان الخوف على نائبه (٢٣٠ ب ) الأمير أرغون أن يَقْبض عليه جوبان ويحمله إلى بلاده ، وكتب إلى [ تنكز ] نائب الشام أن يخرج بعسكر الشام إلى جهة الكرك ليدرك الأمير أرغون . فبرز [ تنكز ] بعد أربعة أيام من قدوم البريد عليه ، ونزل الصنمين . ثم كتب إليه السلطان بعوده إلى دمشق : فعاد . وباطنُ هذه الحركة أن السلطان بلغه أن الأمير مهنا بن عيسى يريد الحج فندب الأمير أرغون للحج ، وأن يقبض عليه . فلما خرج أروغن بلغ السلطانَ أنه كتب إلى مهنا يحذره من الحج ،

(١) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق ، ص ٢٥٠ ، سطر ١٥ .

فشقّ ذلك على السلطان ، وأشاع ماتقدم ذكره ، وأخرج نائب الشام بالعسكر ليقبض على أرغون ؛ ثم بدا له فأشاع أن جوبان أبطل حركته للحج ، وأعاد نائب الشام .

وفيها ( ١٢٣١ ) كثر الرخاء بمصر ، فأبيع الأردب القمح بخمسة دراهم وبستة ، وأبيع الشعير والفول من ثلاثة دراهم الأردب إلى أربعة .

وفى يوم الخميس تاسع عشر شوال فرّق السلطان الحوائص الذهب على الأمراء .

و[ فيها ] بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر إصبعاً وسبعة عشر ذراعا .

وفيها كُتب مرسوم السلطان — وقرىء على المنابر — بألا يُضرب أحدٌ فى ديار مصر والشام بالمقارع .

وفيها قدم بيبغا الحوى من مكة مبشراً بسلامة الحاج ، فى رابع عشرى ذى الحجة .

ومات فيها ممن له ذكر شيخ الشيعة جمال الدين حسين بن يوسف بن المطهر الحلى المعتزلى ، شارح مختصر ابن الحاجب ، فى المحرم ؛ وكان رضىّ(١) الخلق حليما ، عالما ( ٢٣١ ب) بالمعقولات ، وله وجاهة عند حربندا ، وله عدة مصنفات ، ولابن تيمية عليه ردّ فى أربع مجلدات ، وكان يسميه ابن المنجس . و[ مات ] شرف الدين أبو الفتح أحمد بن عز الدين أبى البركات عيسى بن مظفر بن محمد بن إلياس — المعروف بابن الشيرجى — الأنصارى الدمشقى ، محتسب دمشق ؛ ومولده فى سنة سبع وأربعين وستمائة . و[ مات ] بدر الدين حسن بن الملك الأفضل صاحب حماة ، أحد الأمراء بحماة ، عن نيف وستين سنة ، وكان من أهل العلم ، وسَعى فى مملكة حماة . و[ مات ] سراج الدين عمر بن أحمد بن خضر بن ظافر بن طراد الخزرجى الأنصارى المصرى الشافعى ، خطيب المدينة النبوية . ومات والى المحلة الشيخى ، فى سابع عشرى المحرم .

( ٢٣٢ ا ) سنة سبع وعشرين وسبعمائة . أهلّ المحرم وقد كثر مرض الناس بحميات حادة دموية فَشَتْ حتى لم يكد يسلم منها أحد ، فكان المريض يتمادى مرضه أسبوعا ويبرأ ؛ وربح بياعو الأدوية والأطباء والحجّامون مالا كثيرا .

---

(١) فى ف « ريض » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٤٠٢ ب ) .

وفى يوم الأحد حادى عشره قدم الأمير أرغون النائب وولده ناصر الدين محمد من الحجاز ، والسلطان بناحية سرياقوس . فقبض عليهما وعلى الأمير طيبغا الحموى ، فأخذهم الأمير بكتمر الساقى عنده وسعى فى أمرهم ؛ فأخرج [ السلطانُ(١) الأميرَ أيتمش ] فى يوم الاثنين ثانى عشره بالأمير أرغون لنيابة حلب ، عوضاً عن ألطنبغا .

وقد تقدم تغيّر السلطان على(٢) [ الأمير أرغون ] فلما قَدِم بعث السلطانُ الأميرَ (٢٣٢ ب) أيتمش المحمدى ليقف على باب القلة من قلعة الجبل ، فإذا مرّ به أرغون فى دخوله على السلطان منع مماليكه من العبور معه . وأمر [ السلطانُ ] الأميرَ قجليس أن يتلقاه إذا صعد القلعة ، ولا يمكنه من العبور إلى داره ؛ فتلقاه قجليس من باب القلعة ، ومشى معه إلى أن جاز(٣) دار النيابة ؛ فسمع(٤) [ أرغون ] صراخ أهله ، وقد ماتت ابنة زوجته . ثم(٥) مرّ [ أرغون ] إلى باب القلة ، فإذا أيتمش وغيره ؛ فأخذوا سيفه وسيف ابنه محمد وفرّق بينهما . فبعث السلطان إليه الأمير بكتمر الساقى يعدّد عليه ذنوبه فاستسلم لأمر الله ؛ وطال ترداد بكتمر بينه وبين السلطان إلى أن أنعم عليه بنيابة حلب ، وأخرج معه أيتمش ليوصله ويعود . وبعث السلطان (٢٣٣ ا ) الأمير ألجاى الدوادار على البريد إلى حلب ليحضر ألطنبغا نائبها ، وقرّر مع كل من أيتمش وألجاى أن يكونا بمن معهما فى دمشق يوم الجمعة ثالث عشريه ولم يعلم أحد منهما بما توجه فيه الآخر ، حتى توافيا بدمشق فى يوم الجمعة المذكور . وقد خرج الأمير تنكز فى الساعة الرابعة إلى ميدان الحصا للقاء الأمير أرغون ، فترجّل كل منهما لصاحبه ، وسارا إلى جامع بنى أمية ؛ فعند ما توسطاه إذا بألجاى ومعه ألطنبغا نائب حلب ، فسلّم عليه أرغون بالإيماء . فلما قضيت صلاة الجمعة عمل لهما الأمير تنكز سماطا جليلا ، وركب أرغون إلى حلب ، فدخلها فى سلخه .

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلى ، سطر ١٤ .

(٢) فى ف « عليه » .

(٣) فى ف « جاد » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٤٠٣ ) .

(٤) فى ف « سمع » .

(٥) فى ف « فر » .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره (٢٣٣ ب) عُزل شرف الدين الخطيرى من نظر الدولة بمجد الدين إبراهيم بن لفيتة ، واستقر الخطيرى ناظر البيوت ؛ فألزم ابن لفيتة المباشرين بعمل الحساب ، وأراد توفير جماعة منهم ، فلم يتمكن من ذلك .

و[ فيه ] سار ألطنبغا إلى القاهرة ، فقدمها يوم السبت مستهل صفر ، فأكرمه السلطان وخلع عليه ، وأسكنه بقلعة الجبل ، وأنعم عليه بإمرة مائة من جملة إقطاع أرغون ؛ وكمّل [ السلطان ] منه اطايربغا إمرة مائة ، فزادت التقادم تقدمة ، وصارت الأمراء خمسة وعشرين مقدّماً .

واتهم الفخر ناظر الجيش بأنه كان سبب تغيّر السلطان على الأمير أرغون ، لكثرة حطه عليه وإغرائه به ، حتى قال له : « ياخوند ! ما رأينا (٢٣٤ ا) سلطاناً دخل عليه الدخيل من غير نائب السلطنة » ، وذكّره بما وقع للمنصور لاجين بسبب نائبه منكوتمر ، وقيام لاجين وهو نائب السلطنة على العادل كتبغا ، وإفساد سلار نائب السلطنة ملك المظفر بيبرس ؛ وأشار عليه بإبطال النيابة والاستبداد بالأمور . وسبب ذلك ما كان بين الفخر وبين الأمير أرغون من المنافرة ، وأهنة أرغون له وحطّه من مقداره .

ولما قدم أيتمش سأله السلطان عن أرغون ، فما ذكر إلا خيراً ، فقال له الفخر بحضرة السلطان : « يا أيتمش ! كلما قلتَ صحيح ، لكن والله لو أقام أرغون فى النيابة شهراً واحداً مارأيتَ السلطانَ على هذا الكرسى » . فأثر هذا القول فى السلطان[١] (٢٣٤ ب) أثرا [قبيحاً[٢]] ، وطلبَ شرف الدين الخيرى كاتبه وهدّده بالشنق إن أخفى شيئاً من مال أرغون ، وألزمه بكتابة حواصله[٣] ؛ فلما تنجزت الأوراق أحاط [ السلطان ] بجميع حواصله . وأخذ بعضها وأنعم بالباقى .

وفى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر قدم الشريف طفيل فاراً من ابن عمه الشريف ودى[٤] ابن جماز بن شيخة ، [ وأخبر ] أنه حصر المدينة النبوية سبعة أيام ، ودخلها عنوة

(١) فى ف « ارغون » ، وهو خطأ واضح .
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٠٣ ب) .
(٣) فى ف « وهدده بالشنق ان اخفى شيئا من ماله والزمه بكتابة حواصل ارغون » ، وقد عدلت للتوضيح .
(٤) انظر ما سبق ، ص ١٧٥ ، سطر ٩ .

لغيبة الشريف كُبَيْشَة (١) أمير المدينة ، وأخذ غلمانه وأهله وصادرهم ، وعاقب جماعة حتى ماتوا تحت العقوبة ، وقَتَل القاضى هاشم بن على وعبد الله بن القائد على ابن يحيى. فلما بلغ ذلك الشريف كبَيشة (٢) قدم ، ففرّ منه ودى ، فغضب السلطان (٢٣٥ أ) من ذلك ، وعزم على تجريد عسكر يوم الجمعة .

وفى رابع ربيع الآخر قدم الأمير تنكز نائب الشام باستدعاء ، ومعه قليل من مماليكه ؛ فخرج الأمير بكتمر الساقى إلى لقائه بسرياقوس وقدم به ، فأكرمه السلطان وأنزله بدار الأمير بكتمر الساقى . وكان قد قدم الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير أحد حجاب دمشق ، فشكا (٣) منه وسأل أن يكون بديار مصر ، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، وأن يكون حاجباً صغيراً رفيقاً للأمير ألماس الحاجب ؛ وأنعم بإقطاعه فى دمشق على أخيه شرف الدين محمود بن الخطير ؛ وسافر الأمير تنكز .

وفى يوم الأحد سادس ربيع الآخر ( ٢٣٥ ب ) قُبض على الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى ، والأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر الساقى . وأخرج قطبغا على إقطاع أيدغدى التليلى بدمشق ، فى يوم السبت ثانى عشريه ؛ وأفرج عن طشتمر ، واستمرّ على حاله . وسبب مسكهما أن السلطان وجد ورقة فيها أنهما اتفقا على قتله ، فقام الأمراء وكذبوا (٤) هذا القول ، فإنه من فِعل مَنْ يريد الفتنة ، وما زالوا (٥) حتى أفرج عنهما .

وفيه استقرّ الأمير عز الدين دقماق نقيب الجيوش ، عوضاً عن شمس الدين المهمندار ، مضافاً لما بيده من نقابة المماليك ؛ واستقرّ المهمندار على المهمندارية .

وفى يوم الخميس مستهل جمادى الأولى قُبض على (٢٣٦ أ) الأمير بهاء الدين أصلم ، وعلى أخيه سيف الدين قرمجى ، وجماعة من القبجاقية . وسبب ذلك أن أصلم عَرَض سلاح خاناه وجلس بإسطبله ، وألبس خيله عدة الحرب ، وعرَضها يومه كله ؛ فوَشى به إلى السلطان بعضُ أعدائه بأنه قد عزم هو وأخوه قرمجى وجماعة جنس القبجاق أن يهجموا على السلطان ويغيروا الدولة ، وأنه أمس عَرَض عدده وألبس خيله ورتبهم

(١ ، ٢) فى « كبيش » . انظر ما سبق ، ص ٢٦٩ ، حاشية ٥ .
(٣) فى ف « فشكر » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٤٠٤ أ ) .
(٤، ٥) فى ف « وكذبا ... وما زالا » ، والرسم المثبت هنا من ب (٤٠٤ أ) .

للركوب ؛ وكتب[1] هذا فى ورقة وألقاها [أحدهم] فى الإسطبل السلطانى . فلما وقف السلطان عليها تغير تغيراً زائداً ، وكانت عادته أنه لا يكذّب[2] فى الشر خبراً ، وبعث من فوره يسأل أصلم مع الحاجب ألماس عما كان يعمله أمس (٢٣٦ ب) فى إسطبله ، فذكر أنه اشترى عدة أسلحة فعرضها على خيله لينظر ما يناسب كل فرس منها ؛ فصدّق السلطان ما نُقل عنه ، وقبض عليه وعلى أخيه وأهل جنسه ، وعلى قيران صهر قريجى[3] وانكبار[4] أخى آقول الحاجب ؛ وسفّروا إلى الإسكندرية مع صلاح الدين طرخان ابن بدر الدين[5] بيسرى الشمسى وبرلغى قريب[6] السلطان ، وكانا مسجونين بقلعة الجبل ؛ وأفرد أصلم فى برج بالقلعة .

[وفى] يوم الاثنين تاسع عشره قدم الأمير حسين بن جندر بك من الشـــام ، فخلع عليه أطلس بطرز زركش وكلفتاه زركش وحياصة بجوهرة[7] ، وأنعم عليه بإقطاع الأمير أصلم .

وفيه سار الأمير حسام الدين حسين بن خربندا إلى الشام ، (٢٣٧ ا) وقد كان فرّ من بلاد التتار ، [وشمله الإنعام السلطانى[8]] ، وصار من جملة أمراء الطبلخاناه .

و[فيه] قدمت رسل اصطنبول ، فأسلم منهم [نفران ، وهما] أقسنقر [وبهادر] ؛ وأنعم

---

(١) ضمير الفاعل عائد على « بعض الأعداء » .

(٢) هنا إشارة دقيقة لبعض أخلاق السلطان الناصر محمد بن قلاون ، وهو يلقى ضوءاً على كثير من حوادث التعذيب والقتل التى ارتكبت فى ذلك العهد بناء على ريبة أو شك ، ويقابل تلك العبارة فى وصف أخلاق السلطان الناصر أيضاً ما أورد المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٤٩ ) ونصه : «وكان السلطان كثير النفور من العامة شديد البغض لهم » .

(٣) فى ف « قرمشى » . انظر الصفحة السابقة ، سطر ٢٠ .

(٤) فى ف « انسكار » . انظر ما سبق ، ص ٧٠ ، سطر ١ .

(٥) فى ف « صلاح الدين طرخان بن ملسرى » . انظر (Zettersteen : Op. Cit. p.171)

(٦) ذكر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٦ ) أن برلغى كان ابن عم السلطان الناصر محمد .

(٧) فى ف ، وكذلك فى ب (١٠٤ ب) « مكرمحه » بغير نقط البتة ، والرسم المثبت هنا من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٦ ) .

(٨) أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٦ ) ، حيث توجد تفاصيل أكثر بصدد هذا الأمير ورجوعه إلى بلاده بناء على طلب أبى سعيد ، بعد أن تقرر الصلح الدائم بين الدولة المملوكية ودولة إيلخانات فارس .

على [أقسنقر] (١) بإمرة عشرة بديار مصر ، [وعلى بهادر بجبز جندى ، وكانا أخوة].

[وفى] يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة عُقد على الأمير سيف الدين قوصون بالقلعة عَقدُ ابنة السلطان بالقلعة ، وتولى عقد النكاح قاضى القضاة شمس الدين محمد ابن الحريرى الحنفى .

وفيه سأل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى فى الإعفاء من القضاة ، واعتذر بنزول الماء فى إحدى عينيه وانحداره إلى الأخرى ، وقلةِ نظره وكبرِ سنه . فسأل السلطانُ من ابنه عز الدين عبد العزيز بن جماعة عن وظائفَ والده ، فأخبره بها ، فلما ( ٢٣٧ ب ) حضر بدر الدين دارالعدل فى يوم الاثنين عاشره أعاد السؤال فى طلب الإعفاء ، فأجابه [السلطان] من غير تصريح ، وقال له : « احكم بين الأمير بكتمر الحاجب وبين غرمائه » ، فنزل إلى المدرسة الصالحية وحكم بينهما ، وقال لأهل مجلسه : « هذا آخر الحكم » ، ومضى إلى داره بمصر ؛ فقرّر له السلطان من مال المتجر فى كل شهر ألف درهم فضة .

و [فيه] كتِب بإحضار جلال الدين محمد القزوينى قاضى دمشق ، ليستقرّ فى قضاء القضاة بمصر عوضاً عن بدر الدين بن جماعة ، فقدم على البريد إلى سرياقوس يوم الجمعة ثامن عشريه ، وخطب بجامع الخانكاه ، وصلى بالناس صلاة الجمعة . وطلع [القزوينى] قلعة الجبل (٢٣٨ ا) يوم السبت تاسع عشريه ، فخلع عليه فى أول رجب ، واستقرّ فى قضاء القضاة ، وأركب بغلة بزنار جوخ ؛ وأضيف إليه تدريس المدرسة الصالحية ، والمدرسة الناصرية ، ودار الحديث الكاملية ، وخطابة جامع القلعة شركة [ مع ] ابن القسطلانى ؛ وأعيد ابنه بدرالدين محمد على خطابة جامع بنى أمية بدمشق . وكتِب باستقرار شمس الدين أبى اليسر بن الصائغ بتعيين الجلال القزوينى ، فامتنع من ذلك .

وفى يوم الأربعاء رابع رجب قدمت رسل القان أبى سعيد ، ومعهم محمد بيه (٢) بن جمق قريب السلطان وابن أخت طاير بغا ، بهدية سنية . فأنعم [السلطان] على محمد بيه (٣)

---

(١) فى ف « وانعم عليه » ، وقد عدلت وأضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 178)

(٢) فى ف « محمد مالى بن جق » ، والصيغة المثبتة هنا من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٨ ) .

(٣) فى ف « مالى » . انظر الحاشية السابقة .

بإمرة طبلخاناه عوضاً عن أيبك البكتوتى أمير علم ، بحكم انتقاله على إقطاع (٢٣٨ ب) فيروز بصفد .

فلما كان يوم السبت ركب السلطان إلى الميدان ومعه الرسل ، ثم أركبهم فى ثالث عشره معه إلى القاهرة ، ونزل إلى زيارة قبر والده الملك المنصور ؛ ومُدّ سماط عظيم بإيوان المدرسة المنصورية القبلى ، وحضر الفقهاء بالإيوان البحرى . ثم ركب [السلطان] بهم مرة ثانية إلى الميدان ، وأعادهم فى سادس عشره بهدية جليلة .

وفى يوم الخميس خامسه كانت الفتنة بالإسكندرية : وملخصها أن بعض تجار (١) الفرنج فاوض رجلا من المسلمين وضربه ، وذلك أن الفرنجى وقف بجانب صبى أمرد ليأخذه ويفعل به ذلك الفعل ، فنهاه بعض المسلمين وقال [له] : « هذا ما يحلّ » ، فضربه الفرنجى بخفّ على وجهه . (٢٣٩ ا) فثار المسلمون بالإفرنجى ؛ وثار الفرنج لتحميه ، فوقع الشر بين الفريقين ، واقتتلوا بالسلاح . فركب [ركن الدين] الكركى (٢) متولى الثغر فإذا الناس قد تعصبوا وأخرجوا السلاح ، وشهدوا على الفرنجى بما يوجب قتله ، وحملوه إلى القاضى ، وغُلّقت أسواق المدينة وأبوابها .

فلما كان بعد عشاء الآخرة فتحت الأبواب ليدخل مَنْ كان خارج البلد ، فمن شدة الزحام قتل عشرة أنفس ، وتلفت أعضاء جماعة ، وذهبت (٣) عمائم وغيرها لكثير منهم . وتبين للكركى (٤) تحامل الناس على الفرنج ، فحمل بنفسه وأجناده عليهم ليدفعهم عن الفرنج ، فلم يندفعوا وقاتلوه إلى أن هزموه ، [وقصدوا (٥) إخراج الأمراء المعتقلين بالثغر] . بعد ما سفكت بينهما دماء كثيرة .

---

(١) ذكر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٨ ) أن الفرنجى المذكور هنا كان من أتباع الرسل الذين وصلوا حديثاً من عند صاحب اسطنبول ، وأن الفتنة التى ثارت بسببه قد وقعت فى وجهه بين الباب الأخضر وباب البحر ، وأن الحادث الذى كان أصلا لتلك الفتنة هو أن الفرنجى كان بقرب حلقة ذكر ولم يجهر مع الناس بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) كذا فى ف ، وهو فى ب « الكركرى » . انظر أيضاً النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٨ ) ، وكذلك ( Zetterstéen : Op. Cit. p. 180 )

(٣) فى ف « نهب » والرسم المثبت هنا من ب (٤٠٥ ا) .

(٤) فى ف « له » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة وما يليها من أخبار تلك الفتنة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ٧٨ – ٧٩) .

[ فعند ذلك بادر الكركى بمطالعة السلطان بهذه الحادثة ] ، فسرح(١) الطائر بالبطائق يعلم السلطان ، ( ٢٣٩ ب ) فاشتدّ غضبه . وخشى [ السلطان ] خروج الأمراء من السجن ، وبادر إلى أخذ أولاد الأمير سيف الدين الأبو بكرى الثلاثة - وهم على وأسنبغا وأحمد - فى يوم الاثنين تاسعه ، وجعلهم فى دار الأمير ألماس الحاجب . وأخرج [ السلطانُ ] الوزير مغلطاى الجمالى ، وطوغان شاد الدواوين ، و[سيف الدين] ألدمر(٢) [ الركنى] أمير جندار ، فى جماعة من المماليك السلطانية ، ومعهم ناظر الخاص إلى الاسكندرية ، ومعهم تذاكر(٣) بما يشتمل من تتبع أهل الفساد وقتلهم ، ومصادرة قوم بأعيانهم ، وتغريم(٤) أهل البلد المال ، والقبض على أسلحة الغزاة ، ومسك القاضى والشهود وتجهيز الأمراء المسجونين إلى قلعة الجبل ؛ فساروا فى عاشره ، ودخلوا المدينة .

( ٢٤٠ أ ) وجلس الوزير والناظر بديوان الخُمس(٥) ، وفرض [ الوزير ] على الناس خمسمائة دينار ، وقبض [على ] جماعة من أراذلهم [و] وسّطهم ، وقطع أيدى بعضهم وأرجلهم ؛ وتطلّب(٦) ابن رواحة كبير دار الطراز ووسطه ، من أجل أنه وُشى به أنه كان يغرى العامة بالفرنج ويمدّح بالسلاح والنفقة . فحلّ بالناس من المصادرة بلاء عظيم ، وكتبُ السلطانِ ترد شيئاً بعد شىء تتضمن الحثّ على سفك دماء المفسدين وأخذِ الأموال ، والوزير يجيب بما يُصلح أمر الناس . ثم استدعى

(١) فى ف « فرح » والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٤٠٥ ) .

(٢) بغير ضبط فى ف . انظر (Zetterstéen: Op. Cit. p. 149) ومنه أضيف ما بين الحاصرتين.

(٣) التذاكر جمع تذكرة ، وقد تقدم شرح هذا اللفظ الاصطلاحى فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٨٠ ، حاشية ٥ ) .

(٤) فى ف « وتغريمهم » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٤٠٥ ) .

(٥) فى ف « وجلس الوزير والناظر بالخمس » ، وقد عدلت إلى الصيغة المثبتة هنا بعد مراجعة المقريزى ( المواعظ والاعتبار - Wiet - ج ٣ ، ص ١٥٥ ، ١٩٢ ، ٣٢٨ ) . وكان ديوان الخمس خاصاً بالضرائب التى تجىء من التجار الأجانب على متاجرهم ، وقد عرف المقريزى ( نفس المرجع - Wiet - ج ٢ ص ١٠٢ ) هذه الضريبة بالآتى : « فالخمس ما يستأدى من تجار الروم الواردين فى البحر عما معهم من البضائع المتجر ، بمقتضى ما صولحوا عليه ، وربما بلغ ما يستخرج منهم عما قيمته مائة دينار ما يناهز خمسة وثلاثين ديناراً ، وربما انحط من عشرين ديناراً ، ويسمى كلاهما خمساً ، ومن أجناس الروم من يؤخذ منهم العشر ، ولذلك ضرائب مقررة . . . » .

(٦) كان هذا الرجل ، حسبما يفهم من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ٧٩ ) قائد الحامية الموكلة بحفظ ثغر الإسكندرية ، وقد تزعم الفتنة مع من تزعموها ، فأخرجه الوزير من الإسكندرية . ثم توجه ابن رواحة هذا إلى منية مرشد مستجيراً بالشيخ محمد المرشدى ، فطلبه منه الوزير الجمالى كما بالمتن .

[ الوزير ] بالسلاح المعَدّ للغزاة ، فبلغ ستة آلاف عدة . وضعها كلها فى حاصل وختم عليها ؛ واستمرّ نحو العشرين يوما فى سفك دماء وأخذ أموال ، حتى جمع ما ينيف على ( ٢٤٠ ب ) مائتين وستين ألف دينار . وقدّم [ الوزير ] عماد الدين محمد بن إسحاق ابن محمـــد البلبيسى قاضى الاسكندرية ليشنق ، أخّره ، وكاتَبَ [ السلطان ] بأنه كشف عن أمره فوجد ما نقل عنه غير صحيح . وبعث [ الوزير ] المسجونين إلى قلعة الجبل فى طائفة معهم لحفظهم ، فقدموا فى ثامن عشره ، وهم البوبكرى ، وتمر الساقى ، وسنجر الجاولى ، وبهادر المعزى ، وطغلق ، وأمير غانم ، وقطلوبك الوشاق ، وأيدمر اليونسى ، وكجلى[1] ، وأياس نائب قلعة الروم ؛ فأخرِج البوبكرى وتمر الساقى إلى الكرك ، وسُجن الجاولى وبهادر المعزى فى البرج بالقلعة ؛ وأنزل بطغلق وأمير غانم وقطلوبك وأيدمر وبلاط وبرلغى ولاجين زيرباج وبيبرس ( ٢٤١ ا ) العلمى وطشتمر أخى بتخاص المنصورى إلى الجب بالقلعة ؛ وأفرج عن فخر الدين أياس نائب قلعة الروم ، فى يوم الخميس سادس عشريه .

وقدم الوزير [ من الإسكندرية ] بالمال ، وجلس فى سلخ رجب بالشباك بقاعة الوزارة المستجدة بالقلعة ، وقد سكنها ؛ وحضر النظار والمستوفون من خارج الشباك ، وحضر طوغان الشاد أيضاً : فنفذ [ الوزير ] الأمور ، وصرّف أحوال الدولة .

وفى أول شعبان قدمت رسل بابا[2] الفرنج من مدينة رومة بهدية ، وكتاب فيه

(١) فى ف « كسلى » والرسم المثبت هنا من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٩ ) . انظر أيضاً (Zetterstéen Op. Cit. p. 190, etc)

(٢) كان البابا تلك السنة حنا الثانى والعشرين (John XXII 1316 - 1334 A. D) ، وكانت البابوية منذ سنة ١٣٠٥ م قد انتقلت عن روما إلى مدينة آفنيون( Avignon )، كنتيجة من نتائج نضالها المعروف مع الملكية الفرنسية فى عهد الملك فيليب الجميل (Philip IV, The Fair, 1285-1314) . ومع أن البابوية قد خسرت كثيراً بسبب انتقالها عن روما ذات الصفة العالمية القديمة ، فإنها ظلت تؤدى وظيفتها الدينية العامة ، وتدعو إلى إحياء فكرة الحروب الصليبية ، وتعمل على التبشير بالمسيحية بالشرق، وتسعى لإغاثة من يستغيث بها من الدول المسيحية ، كدولة الأرمن فى سيس مثلا .(Camb. Med. Hist. VII, pp. 286 - 288) ، وكذلك ( Howorth : Op. III. pp. 602-604) . والحاصل هنا أن رسل البابا الذين حضروا إلى القاهرة تلك السنة قد جاءوا إليها من مدينة آفنيون، وليس من روما كما بالمتن ، وكان برفقتهم حسبما ذكر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٠ ) سفراء من قبل ملك فرنسا وقت ذاك ، وهو شارل الرابع (Charles IV 1322 - 1328) ؛ وأما سبب قدوم رسل البابا وملك فرنسا تلك السنة فهو ما نزل بطوائف المسيحيين من عنت وإرهاق كما تقدم . انظر (Lane - Poole : History of Egypt in the Middle Ages. p. 310) .

الوصية بالنصارى ، وأنه مهما عُمل معهم بمصر والشام عاملوا من عندهم من المسلمين بمثله ، فأجيبوا (١) وأعيدوا ؛ ولم تقدم رسل [ من عند ] (٢) البابا [ إلى مصر ] منذ أيام الملك الصالح نجم الدين ( ٢٤١ ب ) أيوب .

وفيه قبض على أمير فرج بن قراسنقر ، واعتقل بالجب فى القلعة . وأخــرج كجكن (٣) الساقى إلى صفد ، فاعتقل بها .

[وفى] يوم الاثنين السادس [ والعشرين (٤) من] شوال استدعى الشيخ علاء الدين على بن إسماعيل بن أبى العلاء القونوى الشافعى شيخ خانكاه سعيد السعداء ، وخُلع عليه بقضاء القضاة بدمشق ، ونزل فحكم بالقاهرة ، وأثبت كتباً تتعلق بدمشق ؛ وسافر فقدم دمشق فى خامس عشريه ، وأضيف إليه مشيخة الشيوخ بها ، عوضاً عن قاضى القضاة شرف الدين المالكى . واستقرّ فى مشيخة سعيد السعداء شيخ الشيوخ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى ، [ شيخ ] خانكاه (٥) سرياقوس ، ورسم له أن يستنيب (٦) عنه ( ٤٤٢ ا ) بسعيد السعداء الشيخ جمال الدين الحُوَيزَانى (٧) . واستقرّ فى مشيخة الخانكاه الركنية بيبرس افتخار الدين الخوارزمى ، عوضاً عن مجد الدين أبى بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلونى ؛ إلى مشيخة تدريس الحديث النبوى بالقبة البيبرسية .

---

(١) فى ف « فلم يجيبوا » ، وما هنا من ب ( ٤٠٥ ب ) .

(٢) يشير المقريزى هنا إلى جماعة أخوان والإرشاد ( Preaching Friars ) الذين وصلوا إلى بلاط السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ١٢٤٥ م ، من قبل البابا إنوسنت الرابع (Innocent IV. 1243 - 1254) . انظر ( Lane - Poole Op. Cit. p. 241 ) .

(٣) فى ف « كجكر » ، والرسم المثبت هنا من ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ ).

(٤) فى ف « سادس شوال » ، وقد عدلت وأضيف ما بين الحاصرتين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٩ ــ ٨٠ ) .

(٥) فى ف « بخانكاه » ، وقد حذف حرف الجر ، وأضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن كثير ( البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٢٩ ) .

(٦) فى ف « ورسم له ان يقيم باتباعه بسعيد السعدا الشيخ جمال الدين ... » ، والصيغة المثبتة هنا من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٠ ) .

(٧) هذا الاسم مضبوط هكذا فى ف ، والنسبة إلى حويزان ، وقد عرف ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٧١ ) هذا الموضع بأنه « صقع يمان » ، ولم يزد على ذلك .

وفيه قُبض على الشريف وَدِىّ [ بن جماز ] عند ما حضر من المدينة النبوية ، و [ كان قد ] تحاقق هو وطفيل [ بن منصور بن جماز ][1] بين يدى السلطان ، ففلح عليه طفيل فى الخصومة . و سفّر الأمير علاء الدين على بن طغريل صحبة الشريف كبيشة [2] ، ليوصله إلى المدينة النبوية ، ويقبض على أصحاب ودى . فلما قدما فرّ أصحاب ودى ،وتملّكَ كبيشة [3] [ابن منصور] المدينة ، ودعا للسلطان عقيب كل (٢٤٢ ب ) صلاة كما يدعى له بمكة .

وفى خامس عشر ذى القعدة ، استقر مغلطاى الخازن فى نيابة قلعة دمشق ، عوضاً عن سنجر الدميترى ؛ وأنعم على سنجر بإمرة فى دمشق .

و [فيه] استقر الأمير بلبسطى[4] فى نيابة حمص ، بعد وفاة بلبان البدرى . واستقر فى نظر القدس والخليل إبراهيمُ الجاكى .

وفى ليلة الجمعة ثالث عشر ذى الحجة دخل الأمير قوصون على ابنة السلطان ، بعد ما حمل جهازها إليه ؛ وكان شيئا عظيما : منه بشخاناه وداير بيت زركش ، زنة البشخاناه بمفردها مائة ألف مثقال ذهبا . و عُمِل الفرح مدة سبعة أيام ، ذبح فيه خمسة آلاف رأس من الغنم الضأن ، ومائة رأس من البقر ، وخمسون فرسا [5] ، ومن الدجاج (٢٤٣ ا) والأوز مالايحصى كثرة . واستعمل فيه من السكر برسم الحلاوات وتحالى الأطعمة والمشروب أحد عشر ألف أبلوجة ؛ وبلغ وزن الشمع الذى أحضره الأمراء ثلاثمائة قنطار وأحد عشر قنطاراً ؛ وبلغت تقادم الأمراء لقوصون خمسين ألف دينار . وعمل الأمير قجليس فى القلعة برجاً من بارود ونفط ، غرم عليه ثمانين ألف درهم . وحصّل المغانى من النقوط عشرة آلاف دينار مصرية . وقدّم جميع أمراء مصر والشام تقادم جليلة ، منها تقدمة الملك صاحب حماة ، ومن جملتها مشعل وطرطور ومخلاة مطرز ذهب بألفى دينار .

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٠١ ) .

(٢،٣) فى ف " كبيش » ، وما هنا من القلقشندى ( صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٠١ ) .

(٤) فى ف « بلسطى » ، وفى ب « بلبسطى » .

(٥) كذا فى ف ، وفى ب ( ٤٠٦ ا ) . والواضح من المتن أن لحم الخيل كانت من طعام الولائم الكبرى عند سلاطين المماليك وأمرائهم ، ومعنى ذلك أن حافظوا على عوائد موطن الغالبية العظمى منهم ، وهو بلاد القبجاق بحوض نهر إتل ( الفولجا ) ، حيث تؤكل لحوم الخيل فى الولائم والمواسم والأعياد . انظر (Camb. Med. Hist. I. pp. 331, 339)

وفى صبيحة العرس عقد الأمير أحمد بن بكتمر الساقى على قطلوملك[1] (٢٤٣ب) بنت الأمير تنكز نائب الشام ، وقد حضرت فى أول ذى القعدة بجهاز عظيم ، فيه داير بيت زنة زركشه ستون ألف مثقال من الذهب . وقدم الأمير تنكز ، وخلع عليه السلطان خلعة كاملة ، انصرف على القباء الفوقانى [منها] وحده مبلغ أربعة وخمسين ألف درهم فضة فدخل أمير أحمد على ابنة تنكز فى ليلة رابع عشره .

وفى هذه السنة قدم إلى ميناء بيروت من سواحل الشام تجار الفرنج بمائة وأربعين من أسارى المسلمين ، وقد اشتروهم من الجزائر ؛ فاشتراهم الأمير تنكز ، وأفاد التجار فى كل أسير مائة وعشرين درهما على ما اشتراه به . وكسا [تنكز] الجميع وزوّدهم ، وحملهم (٢٤٤ ا) إلى مصر ، فسرّ المسلمون بقدومهم ؛ وجدّ تجار الفرنج فى شراء الأسرى رغبة فى الفائدة

و [فيه] كُتب لنائب الشام بجمع فقهاء الشام والعمل فى أوقافها كلها بمقتضى شروط واقفيها ، وأن يُجهز ضياء الدين يوسف بن أبى بكر بن محمد — المعروف بالضياء ابن خطيب بيت الآبار — ، وكان قاضى القضاة جلال الدين القزوينى قد عينه لنظر الأوقاف بديار مصر وأثنى عليه . فلما قدم [ضياء الدين] خُلع عليه بنظر الأوقاف، فباشرها مباشرة جيدة . ونظر [تنكز] نائب الشام فى أوقافها ، ورسم بعمارة مايحتاج إليه ، ومنع الجوامك كلها أن يصرف منها لأحد حتى تفرغ عمارتها ، فامتثل ذلك . (٢٤٤ ب) ونظر [تنكز] فى مقاسم المياه بدمشق التى تتصرّف فى دور الناس ، وكسح ما فيها من الأوساخ ، وفتح ما استدّ منها حتى صلحت كلها ، فعمّ النفع بها . وكانت المياه قد تغيرت لما خالطها فى طول السنين ، وصار الوخم يعتاد أهل دمشق فى كل سنة . فشكر الناس هذه الأفعال ، ودعوا له ؛ ويقال إنه بلغ المصروف فى ذلك ثلاثمائة ألف درهم

وفيها اهتم تنكز أيضاً بفتح العين بالقدس ، فإن الماء قلّ به حتى بلغ شرب الفرس الماء مرة واحدة نصف درهم فضة ؛ وكتب إلى ولاة الأعمال بإخراج الرجال ، وندب قطلوبك بن الجاشنكير بالمال لنفقته عليها .

(١) فى ف « تطلوبك » ؛ والرسم المثبت هنا من ب (٤٠٦ ب) ، وهو أرجح ، فإن اسم قطلوبك يطلق كما بالمتن هنا على المذكور عادة . انظر ما يلى بهذه الصفحة ، سطر ٢٤ .

وفيها ندب السلطان الأمير علاء الدين (٢٤٥ ا) على بن هلال الدولة لعمارة حرم مكة ، وقد بلغه أن سقوفه تشعثت ، وتهدّم فيه عدة جدر ، وجُهِّز [ابن هلال الدولة] بكل ما يحتاج إليه من المال والصناع والآلات ، وكتب [السلطان] للشريف عطيفة بمساعدته ؛ وحجّ بالناس من مصر الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك .

ومات فى هذه السنة من الأعيان نجم الدين أحمد بن أبى الحزم[(١)] مكى المخزومى ابن ياسين القمولى[(٢)] الشافعى ، محتسب مصر ، فى ثامن رجب . و [مات] أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد اللحيانى ، ملك تونس ، بالإسكندرية . و [مات] كمال الدين محمد بن علاء الدين على بن كمال الدين [٢٤٥ ب] عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان الزملكانى الشافعى ، بمدينة بلبيس عند قدومه من حلب ، فى سادس شهر رمضان ؛ ودفن بالقرافة . و [مات] شمس الدين محمد بن الشهاب محمود بن سلمان بن فهد الحلبى ، كاتب السر بدمشق ، فى عاشر شوال . و [مات] نور الدين على بن عمر بن أبى بكر بن عبد الله الخلاطى الوَانِى[(٣)] الصوفى ، نزيل القاهرة ، فى المحرم ؛ ومولده فى سنة ست وثلاثين وستمائة ؛ سمع من يونس بن محمود الشاوى وعبد الوهاب [بن[(٤)]] رواج وعبد الرحمن بن مكى ، سبط السلفى وجماعة ؛ وخرّج له الحافظ أبو الحسين بن أيبك جزءاً حدّث به ، فسمع منه قديما البرزالى سنة خمسة وثمانين وستمائة ، (٢٤٦ ا) وسمع منه شيخنا[(٥)] أبو الفرج بن الشيخة وأبو على الباصلى وعبد الوهاب البصروى . و [مات] قاضى القضاة الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الحسن على بن صفى الدين أبى القاسم

---

(١) فى ف « نجم الدين احمد بن محمد بن أبى الحزم حرى بن ياسين ... » ، وقد عدّل الاسم بعد مراجعة ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٠٤ ) ، وابن العماد ( شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٧٥ ) .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٨٤ ، حاشية ١ .

(٣) كذا فى ف ، بفتحة على الواو فقط ، والنسبة إلى قلعة وان ، وهى حسبما جاء فى ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨٩٥ ) واقعة بين خلاط وتفليس ، وتعمل فيها البسط المعروفة بتلك النسبة ، ولعلها مدينة « وان » الواقعة على البحيرة المعروفة بذلك الاسم ببلاد أرمينية . هذا وقد ذكر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٩٠ ) ، وكذلك ابن العماد ( شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٧٨ ) أن نور الدين هذا كان قد أضر فى آخر أيامه ، ثم عولج فأبصر .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٩٠ ) .

(٥) هنا إشارة إلى أحد شيوخ المقريزى ، وهذه ثانى مرة يتكلم المقريزى فيها بشىء عن نفسه فى هذا الكتاب . انظر ما سبق ، ص ١٤٠ ، حاشية ٥ .

ابن محمد بن عثمان البصراوى ، فى شعبان ، بعد ما حكم بدمشق عشرين سنة . و[مات] الملك الكامل ناصر الدين محمد بن السعيد فتح [الدين(١)] عبد الملك بن الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبى بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادى ؛ بدمشق فى حادى عشرى جمادى الآخرة ، عن أربع وسبعين سنة . و [مات] الطواشى ناصر الدين نصر الشمسى ، شيخ الخدام بالحرم النبوى ؛ وكان خيّرا يحفظ القرآن ، ويكثر تلاوته بصوت حسن . (٢٤٦ ب) و [مات الضياء المجدى بمصر ، وكان مطبوعا صاحب نوادر . و[مات] الأمير سيف الدين بلبان البدرى نائب حمص ، فى ليلة عيد الفطر . و [مات الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب بحلب ، فى ثالث عشر شعبان . و [مات] الأمير سيف الدين قطلوبغا المغربى(٢) الحاجب ، بالقاهرة فى ثامن رجب . [ومات] الأمير سيف الدين كوجرى أمير شكار ، بالقاهرة فى تاسع عشرى ذى الحجة ؛ وهو مملوك عز الدين أيدمر نائب دمشق فى الأيام الظاهرية . و [مات] بكتوت بن الصائغ ، فى يوم السبت رابع عشرى جمادى الأولى . و [مات] الأمير شمس الدين إبراهيم بن الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركمانى ، فى جمادى الآخرة ، بداره (٢٤٧ ا) جوار باب البحر خارج القاهرة ؛ وكانت له مكارم وفيه مروءة .

* * *

سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . [فى] ثالث المحرم أنعم بخبز الأمير كوجرى أمير شكار على الأمير بشتاك .

وفى خامس عشريه قدم الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك من الحجاز بالحجاج.

وفى سابع عشريه قدمت رسل القان أبى سعيد ، فأكرموا وأعيدوا فى رابع صفر .

وفى المحرم هذا وُشى بالأمير شمس الدين آقسنقر شاد العمائر أن جميع عمائره وأملاكه التى استجدّها مما يأخذه من الأسرى وأرباب الصنائع ؛ فرُسم عليه ليحمل

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٢) ، حيث توجد وفاة أيوبى آخر بدمشق أيضاً ، واسمه ناصر الدين إبراهيم بن المعظم شرف الدين عيسى بن الزاهر داود بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن القاهر ناصر الدين بن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى. هذا وقد ذكر حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣١ - ٣٢) بصدد ناصر الدين محمد الوارد بالمتن هنا أنه كان ممن اشتغل بالعلم من ذرارى الأيوبيين .

(٢) فى ف « المعزى » . انظر ما سبق ، ص ١٩٤ ، سطر ١ .

مالا ألزم به، فاعتنى به الأمير قوصون (٢٤٧ب) وشفع فيه، فأفرج عنه وأخرج إلى الشام.

و[ فيه ] وردت مكاتبة الأمير تنكز نائب الشام بالشكوى من الأمير طينال نائب طرابلس وترفعه عليه ؛ فكتب بالإنكار عليه ، وألا يكاتب في المهمات وغيرها إلا نائب الشام ، ولا يجهز بعدها مطالعة إلى مصر .

وفى سابع ربيع الأول قدم دمرداش بن جوبان بن تُسلك بن[1] تداون . وسبب ذلك أن القان أبا سعيد بن خربندا لما ملك أقبل على اللهو ، فتحكم الأمير جوبان ابن تُسلك[2] على الأردو ، وقام بأمر المملكة ، واستناب ولده [دمشق][3] خواجا بالأردو ، وبعث ابنه دمرداش إلى مملكة الروم . فانحصر أبو سعيد إلى أن تحرك بعض أولاد[4] كبك (٢٤٨ ا) بجهة خراسان ، وخرج عن الطاعة ؛ فسار جوبان لحربه فى عسكر كبير ، فما هو إلا أن بعد عن الأردو قليلا [ حتى ] رجع العدو عن خراسان ، وقصد جوبان العود . و [ كان ] قد قبض بوسعيد على دمشق خواجا ، وقتله بظاهر مدينة السلطانية ، فى شوال من السنة[5] الماضية ؛ وأتبع به إخوته ونهب أتباعهم ، وسفك أكثر دمائهم ؛ وكتب إلى مَن خرج من العسكر مع جوبان بما وقع ، وأمرهم[6] بقبضه ؛ وكتب إلى دمرداش أن يحضر إلى الأردو ، وعرّفه[7] شوقه إليه ، ودس مع الرسول إليه عدة ملطفات[8] إلى أمراء الروم بالقبض عليه أو قتله ، وعرّفهم ما وقع .

---

(١) فى ف « ملك بن تداون » . انظر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٤ ) ، وكذلك (Howorth : Op. Cit. III. pp. 491 etc) حيث يوجد أمير بهذا الاسم ، كما توجد مدينة بتلك التسمية أيضاً . انظر أيضا ( Sauvaire : Materiaux Pour Servir à l'histior de la Numismatique et de la Métrologie Musulmanes. Ire. partie p. 223 ).

(٢) فى ف « ملك » انظر الحاشية السابقة .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٠٧ ب) . انظر أيضاً (Browne : Op, Cit. III.p. 54)

(٤) يشير المقريزى هنا إلى ما حدث من ثورات بخراسان وغيرها فى السنوات الأولى من حكم أبى سعيد، وكان من زعمائها كبك خان (Kepek Khan) المنحدر من بيت شغطاى . انظر Howorth : Op. Cit. III. p . 591 )

(٥) وقعت تلك الحادثة فى ٢٥ أغسطس ١٣٢٧ م ، أى فى أواخر سنة ٧٢٧ هـ . انظر ( Browne : Op, Cit III. p. 55 ) ، وما به من المراجع .

(٦) فى ف « يأمرهم » .

(٧) فى ف « يعرفه » .

(٨) فى ف « حاطفاب » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ٤٠٨ ا ) .

وكان دمرداش قد ملك بلاد الروم جميعها وجبال ابن قرمان ، وأقام على كل دربند جماعة تحفظه ، فلا يمرّ أحـــد إلا ويعلم به خوفاً ( ٢٤٨ ب ) على نفسه من السلطان الملك الناصر أن يبعث إليه فداويا يقتله ، بسبب ما حصل بينهما من المواحشة التى اقتضت انحصار السلطان منه ، وأنه منع التجار وغيرهم من حمل المماليك إلى مصر ، وإذا سمع بأحد من جهة صاحب مصر أخرق به . فشرع السلطان يخادعه على عادته ، ويهاديه ويترضاه ، وهو لايلتفت إليه ؛ فكتب إلى [ أبيه ] جوبان فى أمره حتى بعث ينكر عليه ، فأمسك عما كان فيه قليلا ، ولبس تشريف السلطان ، وقَبِل هديته وبعث عوضها ؛ وهو مع هذا شديد التحرّز[١] .

فلما قدمت رسل أبى سعيد بطلبه فتشهم الموكلون بالدربندات ، فوجدوا الملطفات ، فحملوهم وما معهم إلى دمرداش . فلما وقف [ دمرداش ] عليها لم يزل يعاقب الرسل إلى أن ( ٢٤٩ ا ) اعترفوا بأن أبا سعيد قتل دمشق خواجا وإخوته ومن يلوذ بهم ، ونَهَب أموالهم ، وبعث بقتل جوبان . فقتل[٢] [ دمرداش الرسل ] ، وبعث إلى الأمراء أصحاب الملطفات فقتلهم[٣] أيضاً ؛ وكتب إلى السلطان الملك الناصر يرغب فى طاعته ، ويستأذنه فى القـدوم عليه بعساكر الروم ، ليكون نائباً عنه بها ؛ فسرّ السلطان بذلك . وكان قد ورد على[٤] [ السلطان ] كتابُ المجد السلامى من الشرق بقتل دمشق خواجا وإخوته ، وكتابُ أبى سعيد بقتل[٥] جوبان ، وطلبِ ابنه دمرداش ، وأنه ما عاق أبا سعيد عن الحركة إلا كثرة الثلج وقوة الشتاء .

فكتب [ السلطانُ الناصر ] جواب دمرداش يَعِده بمواعيد كثيرة ، ويرغّبه فى الحضور . فتحير [ دمرداش ] بين أن يقيم فيأتيه أبوسعيد ، أويتوجه إلى مصر فلا ( ٢٤٩ ب ) يدرى ما يتفق له . ثم قوى عنده المسير إلى مصر ، وأعلم أمراءه أن عسكر مصر سار ليأخذ بلاد الروم ، وأنه [ قد ] كتب إليه الملك الناصر يأمره أن

---

(١) فى ف « الفجور » ، والرسم المثبت هنا من ب ( ١٤٠٨ ا ) .

(٢) فى ف « فقتلهم » ، وقد عدلت العبارة بالإضافة بين الحاصرتين للتوضيح . انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٤ ، وما بعدها ) ، حيث توجد هذه الأخبار كلها بتفصيل أكثر مما هنا .

(٣) فى ف « قتلهم » .

(٤) فى ف « عليه » .

(٥) فى ف « ويقتل » ، والرسم المثبت هنا من ( ١٤٠٨ ا ) .

يكون نائبه ، فشق عليهم ذلك وسرّهم(١) . وأخذ [ دمرداش ] يجهز أمره ، وحصّن أولاده وأهله فى قلعة منيعة ، وبعث معهم أمواله ؛ ثم(٢) ركب بعساكره حتى قارب بهسنا ، فجمع (٣) من معه وأعلمهم أنه يريد مصر ، وخيرهم بين العود إلى بلادهم وبين المسير معه ، فعادوا إلا مَن يختص به .

وسار [ دمرداش ] إلى بهسنا فى نحو ثلاثمائة فارس ، فتلقاه نائبها ؛ ومازال حتى قدم دمشق يوم الأحد خامس عشرى صفر ، فركب الأمير تنكز إلى لقائه ، وأنزله بالميدان ، وقام له بما يجب ، وجهزه إلى مصر بعد ما قدّم بين يديه ( ٢٥٠ ا ) البريد بخبره . فبعث إليه السلطان بالأمير سيف الدين طرغاى الجاشنكير ، ومعه المهمندار بجميع الآلات الملوكية من الخيام(٤) والدهليز والبيوتات كلها إلى غزة ، فلقوه بها وأقام فيها يومين وسافر [ إلى القاهرة ] ؛ فركب الأمراء إلى لقائه ، وخرج السلطان إلى برّ الجيزة ، ورسم أن يعدّى النيل إليه .

فلما قـــدم [ دمرداش إلى القاهرة ] فى سابع ربيع الأول أتاه الأمير طايربغا وأحضره إلى السلطان ، بالجيزة ، فقبل الأرض ثلاث مرات . فترحب [ السلطان ] به وأجلسه بالقرب منه ، وباسطه وطيب خاطره ، وسأله عن أحـواله ، وألبسه تشريفاً عظيما ، وركب معه للصيد ؛ وعدّى به النيل إلى القلعة ، وأسكنه بها فى بيت الجاولى ، ورتب له جميع مايحتاج إليه ؛ ورُسم ( ٢٥٠ ب) للأمير طوغان أن يدخل صحبة طعامه بكرة وعشيا .

وفى عاشره قدم [ دمرداش ] مائة إكديش وثمانين بختيا وخمسة مماليك وخمس بقج فيها الثياب الفاخرة ، منها بقجة بهاقباء أطلس مرصع بعدة جواهر ثمينة ؛ فلم يقبل السلطان غير القباء وإكديشا واحداً وقطار بخاتى ، وردّ البقية [إليه] ليتقوّى بها . وتقدّم [ السلطان ] إلى الوزير أن يرتّب لدمرداش(٥) ما يليق به ، [ وطلَب ] إلى الحاجب أن يجلسه(٦) فى الميمنة تحت الأمير سيف الدين آل ملك [ الجوكندار ] .

(١) فى ف « فسرهم » .
(٢) فى ف « وركب » .
(٣) فى ف « جمع » .
(٤) فى ف « الخام » .
(٥) فى ف « له » .
(٦) فى ف « يجلس » ، والرسم المثبت هنا من ب (٤٠٨ ب ) . انظر النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٥ ) .

فشق عليه ذلك ، إلى أن بعث السلطان إليه الأمير بدر الدين جنكلى يعتذر إليه أنه ماجهل قدره ، ولكن الشهيد والد السلطان له مماليك كبار قد ربّوا السلطان ، فهو يريد تعظيم قدرهم ، « فلهذا أجلسكَ بجانبهم » ؛ (٢٥١ ا) فطاب خاطره .

واجتمع [دمرداش] بالسلطان وفاوضه فى أمر بلاد الروم ، وأن يجهز إليها عسكراً فأشار السلطان بالمهلة حتى يرد [البريد] بخبر أبيه جوبان مع أبى سعيد ، وكَتَبَ إلى ابن قرمان أن ينزل على القلعة التى فيها أولاد دمرداش وحواصله ويرسلهم مكرّمين إلى مصر . فاستأذن دمرداش فى عود من قدِم معه إلى بلادهم ، فأذن له فى ذلك ، فسار كثير منهم . وأنعم [السلطان] على دمرداش بإمرة بسنجر الجمقدار ، بحكم إخراجه إلى الشام . وفى يوم الاثنين حادى عشره ركب دمرداش بالقماش الإسلامى [(١)] [على] هيئة الأمراء .

وفى تاسع عشره قدم الأمير شاهنشاه ابن عم جوبان ، فخُلع عليه ، وأنزلِ عند دمرداش (٢٥١ ب) وفى ثامن عشريه وصل طُلْب دمرداش وثِقله ، فأنزلوا بدار الضيافة ، وهم نحو ستمائة فارس .

وفى يوم الأحد أول ربيع الآخر عرض السلطان أصحاب دمرداش ، وفرّق أكثرهم على الأمراء ، واختار نحوُ التسعين منهم العودَ إلى بلادهم ، [فعادوا[(٢)]] .

وفيه قدمت رسل أبى سعيد بكتابه ، وفيه بعد السلام والاستيحاش وذكر الودّ إعلام[(٣)] [السلطان] بأمر جوبان وتحكّمه وقلة امتثاله الأمر ، وأنه قصد قتله [(٤)] والتحكم بمفرده ، فلما تحقق ذلك [لديه] بعثه إلى خراسان ، وسير بالقبض عليه ، و[هو] يأخذ رأى السلطان فى ذلك ؛ وقد سيّر أبو سعيد مع رسله هدية[(٥)] . وسألهم السلطان عن دمرداش ، فذكروا أنهم لم يعرفوا خبره حتى قدموا دمشق ؛ (٢٥٢ ا) فبعثهم إليه فلم يعبأ بهم .

---

(١) وصف القلقشندى (صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ٣٩ – ٤١) ملابس أمراء المماليك وأزيائهم ، وذكر « القباء الإسلامى » فى عرض وصفه سريعًا ، ويتبين من (Dozy : Vêtements pp. 81, 210 ,359) أن هذه التسمية كانت تطلق على القباء العربى التفصيل ، تمييزاً له من القباء السلارى التترى ، وهو البغلطاق .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٠٩) .

(٣) فى ف « أعلامه » .

(٤) الضمير عائد على أبى سعيد .

(٥) فى ف « وسير معه هدية فقبلت » .

وفى يوم الثلاثاء عاشره توجه السلطان إلى الوجه البحرى ، ومعه دمرداش ؛ وحسّن له الفخر ناظر الجيش والأمير بكتمر الساقى زيارة الشيخ محمد(١) المرشدى ، فتوقف فى زيارته ثم عزم عليها . فرُسم(٢) للأمير علم الدين سنجر الخازن كاشف الغربية بطلب جميع العربان وتقديمهم الخيل والهجن ، وأن يُجهز الإقامات ؛ واستناب السلطان فى غيبته الأمير تجليس . وعاد [السلطان] فى سادس عشريه ، بعد ما قدم الأمير تنكز فى رابع عشريه .

وفى تاسع شوال خُلع على الطواشى ناصر الدين نصر الساقى ؛ واستقرّ مقدّم المماليك ، عوضاً عن الطواشى [ صواب(٣) الركنى ] .

و[فيه] بعث [السلطان] الأميرَ سيف الدين (٢٥٢ ب) أرُوْج(٤) مملوك قبجق إلى أبى سعيد يشفع فى دمرداش ، ومعه الرسل بهدية جليلة ؛ فساروا فى تاسع جمادى الأولى .

وفى يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة سار برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق الحنفى على البريد إلى القاهرة ، وقد طلب ؛ فقـــدم يوم السبت خامس عشريه ، واستقرّ فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر ، عوضاً عن شمس الدين محمد عثمان الحريرى بعد وفاته .

[وفى] يوم السبت عاشر رجب عاد أطُوْجى(٥) من بلاد أزبك ملك القبجاق بتقادم جليلة ، فأنزل بالميدان ، وأنعم عليه وعلى جماعته بشىء كثير ، وفى حادى عشره حضر [أطوجى] إلى بين يدى السلطان فخلع عليه ، وسار فى عشريه .

وفى خامس عشريه عقد نكاح (٢٥٣ ا) ابنة السلطان على الأمير سيف الدين طغاى تمر العمرى الناصرى ، وأعفِى(٦) الأمراء من حمل الشموع وغيرها ، وأنعم عليه من الخزانة بأربعة آلاف دينار عوضا عن ذلك .

---

(١) الغالب أن هذا الشيخ الذى زاره ابن بطوطة قرب فوة فى أول رحلته المشهورة . ابن بطوطة ( تحفة النظار — Der. et. San. — ج ١ ، ص ٣١ ) .

(٢) فى ف « ورسم » .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٤٠٩ ا ) ؛ انظر أيضاً ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ ) .

(٤ ، ٥) بغير ضبط فى ف . انظر ( Zettersteen : Op. Cit. 179, etc ) .

(٦) فى ت « اعفى عن الامرا » .

و [فيه] عاد جواب ابن قرمان بأنه ركب إلى القلعة التى فيها أهل دمرداش ، وعرّفهم أنه حضر بمرسوم السلطان ، وبعث إليهم بكتاب دمرداش أنهم يقدمون (١) عليه بمصر ؛ فردّوا جوابه : «لا حاجة لنا فى مصر» . وذكر [ابن قرمان] أن هذا بمباطنة دمرداش لهم ، وحطّ عليه بأنه سفك دماءً كثيرة ، وقتل من المسلمين عالماً عظيما ، وأنه تَجسُّور وما قصد بدخوله مصر إلا طمعاً فى ملكها . وبعث [ ابن قرمان] الكتاب صحبة نجم الدين إسحاق الرومى صاحب أنطالية (٢) ، [وهى] القلعة التى أخذها منه دمرداش وقتل والده ، وأنه ( ٢٥٣ ب ) قدم ليطالبه بدم أبيه . فلما وقف السلطان على الكتاب تغير ، وطلب دمرداش وأعلمه بما فيه . وجمع السلطان بينه وبين إسحاق ، فتحاققا بحضرة الأمراء فظهر أن كلا منهما قتل لصاحبه قتيلا ؛ فكُتب جواب ابن قرمان معه وأعيد . وقد تبين للسلطان خبث نية دمرداس . فقبضه وأمسك مَنْ معه من الأعيان ، وهم محمود شاهنشاه [وعدة (٣) أخرى] ، فى يوم الخميس العشرين من شعبان ؛ واعتقل [دمرداش] ببرج السباع من القلعة ، وفرّق البقية فى الأبراج ؛ وفرقت مماليكه على الأمراء ، ورتّب له ما يكفيه .

وكان(٤) للقبض على [دمرداش] أسباب : منها أنه كان(٥) له بالروم مائة ألف رأس من الغنم ، فلما وصلت قطيا أطلق منها للأمير بكتمر الساقى عشرين ألفا ؛ ولقوصون وبقية الأمراء كل واحد شيئا (٢٥٤ ا) حتى فرّق الجميع ، فلم يعجب السلطان ذلك . ودخل [دمرداش] يوما الحمام فأعطى الحمامى ألف درهم ، والحارس ثلاثمائة ؛ فزاد حنق السلطان منه . ثم أخذ [دمرداش] يوقع(٦) فى الأمراء والخاصكية ؛ ويقول: «هذا كان كذا ، وهذا كان كذا ، وهذا ألماس الحاجب كان حمالا » ؛ فما حمل السلطان هذا منه .

---

(١) فى ف « يقدموا » .

(٢) فى ف « انطاكيه » ، وهو خطأ واضح من الناسخ فى الغالب ، وأنطالية حسبما ورد فى ياقوت ( معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ ) حصن وبلد كبير بآسيا الصغرى على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، واسمه القديم أطالية (Attalia)، وهو فى المراجع الإنجليزية (Satalia) ؛ ويسمى الآن أضالية انظر ( Ency. Isl. Art. Adalia ) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٤٠٩ ب ) .

(٤) فى ف « فكان للقبض عليه أسباب » .

(٥) فى ف « كسب » .

(٦) فى ف « يقع ».

وفى شوال حسّن جماعة للسلطان توفير كثير من الجوامك . فعمل [ فيه (١) استيمار ] ، وفرّق فيه (٢) ما قُطع من جوامك المباشرين والغلمان وهى جملة ، ووفر منهم عدة ؛ ثم قرئ عليه .

وأحضر الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام (٣) ؛ وخلع عليه وعلى مجد الدين إبراهيم بن لفيتة بغير طرحات ؛ واستقرا فى نظر النظار والصحبة فى يوم الاثنين نصف شوال . [وفيه] نُقل شمس الدين إبراهيم بن قروينة (٢٥٤ ب) إلى نظر البيوت وخلع عليه معهما .

وفى تاسع عشريه عقد نكاح الخاتون طلباى (٤) الواصلة من بلاد أزبك على الأمير سيف الدين منكلى بغا السلاح دار ، بعد ماطلقها السلطان وانقضت عدتها ، وبنى عليها [الأمير سيف الدين] فى ثامن ذى القعدة .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشريه عزل الصاحب أمين الدين (٥) بن الغنام عن نظر الدولة . [ وكان قد كتب (٦) قصة يطلب الإعفاء من المباشرة ، فلم يجب إلى ذلك ، فكتب قصة ثانية فأجيب ؛ فكانت مدة مباشرته أربعة وأربعين يوماً تحريراً ] .

وفى يوم الخميس ثامن ذى الحجة أفرج عن الأمير حسام الدين لاجين [العمرى (٧)] ـ الملقب زيرباج ـ الجاشنكير ، أحد المماليك المنصورية المشهورين بالشجاعة والقوة ، بعد ما أقام فى الاعتقال ـ من يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر سنة ثنتى عشرة ـ مدة ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام ، (٢٥٥ ا) وهو يغزل الصوف المرْعِز (٨) ويعمله كوافى بديعة الزىّ وللناس فيها رغبة ، ويتصدق بثمنها .

(١) موضع مابين الحاصرتين بياض فى ف ، والإضافة من ب (٤٠٩ ب) . انظر المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٥٠ ، حاشية ٢ ) لشرح لفظ استيمار .

(٢) فى ف « وفر فيه » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٤٠٩ ب ) .

(٣) فى ف « امين الدين عبد الملك عبد الله بن الغنام » ، والصيغة المثبتة هنا من ب(٤١٠ ا ) . انظر ماسبق ، ص ١٠٦ ، حاشية ٣ .

(٤) كذا فى ف . انظر ماسبق ، ص ٢٠٣ . حاشية ٥ .

(٥) فى ف « أمين الملك بن غنام » . انظر حاشية ٤ بهذه الصفحة .

(٦) أضيف مابين الحاصرتين من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٨ ) .

(٧) أضيف مابين الحاصرتين من ( Zettersteen : Op. Cit. p. 147 ) .

(٨) ذكر ( Dozy : Supp. Dict. Ar. ) أن هذا اللفظ من أصل أرمنى ، وأن الصوف المرعز هو صوف الماعز .

و [فيه] أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، وكانت مدة اعتقاله ثمانى سنين وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً ، كان فيها ينسخ القرآن وكتب الحديث ونحوه . وأفرج عن أمير فرج بن قراسنقر فى يوم عرفة ، ثم أعيد [إلى سجنه ؟] فى يومه .

وفيه سافر [الأمير سيف الدين(١)] أيتمش إلى بو سعيد [برسالة تتضمن ما قام به السلطان(٢) مع دمرداش بن جوبان وكان قد وصل إلى الأبواب السلطانية فى يوم الأربعاء حادى عشر شهر رمضان رسلُ من عند أبى سعيد ، وهم ثلاثة نفر ، والمشار إليه منهم أياجى أمير جندار الملك أبى سعيد . فلما مثلوا بين يدى السلطان ، وشملهم الإنعام بالتشاريف على عادة أمثالهم ، أرسلهم السلطان إلى دمرداش (٣) فى معتقله ، صحبة الأمير سيف الدين قجليس أمير سلاح ، فاجتمعوا به وتحدّثوا معه . وقيل كان مضمونُ رسالتهم طلب دمرداش من السلطان ، وأنه إذا سلم إليهم أرسل الملك أبو سعيد فى مقابلة ذلك الأمير شمس الدين سنقر المنصورى . فمال السلطان إلى ذلك ، ورسم للأمير أيتمش المحمدى أن يتوجه إلى الملك أبى سعيد برسالة السلطان لتقرير الحال فى ذلك ، وتوجه طلب دمرداش فى يوم الاثنين سادس عشر شهر رمضان ؛ ثم عدل السلطان عن هذا الأمر ، وترجّح عنده أنه لا يرسله إلى الملك أبى سعيد] .

[فلما كان فى ليلة الخميس رابع شوال من هذه السنة أخرج دمرداش من معتقله بالبرج ، وفتح باب السر من جهة القرافة وأخرج منه وهو مقيد مغلول ، وشاهده رسل الملك أبى سعيد وهو على هذه الحال . ثم خنق دمرداش ، وشاهده الرسل بعد موته ؛ وقُطع رأسه وسلخ وصبّر وحُشى ؛ وأرسل السلطان الرأس إلى أبى سعيد ، ودُفن الجسد بمكان قتله . وحضر الرسل إلى الخدمة السلطانية فى يوم الخميس رابع شوال ،

---

(١) انظر الحاشية التالية .

(٢) سيلاحظ القارىء هنا أن المقريزى أورد الخبر عن هذا السفر دون أن يشير إلى موضوعه بشىء ، وفى ذلك حذف غريب لموضوع كبير الأثر فى قصة العلاقات بين الدولة المملوكية ودولة إيلخانات فارس ، ولذا رأى الناشر أن يتدارك هذا الحذف بالإضافة الطويلة بين الحاصرتين ، وهى الفقرة التى تليها من النويرى ( نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٦ ) ، حيث توجد أخبار دمرداش بن جوبان كلها فى تفصيل . انظر أيضاً ( Zetterstéen : Op. Cit. p. 179 ) .

(٣) فى الأصل « تمرتاش » بهذه الفقرة والتى تليها . انظر ما سبق ، ص ٢٦٣ ، حاشية ٦ .

ووكبوا مع السلطان إلى الميدان فى يوم السبت سادسه ؛ ثم خضروا إلى الخدمة السلطانية فى يوم الاثنين ثامنه ، وشملهم الخلع والإنعام ، وأعيدوا إلى مرسلهم فى هذا اليوم ؛ وتوجه معهم الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى برسالة السلطان إلى الملك أبى سعيد ، كما تقدّم ] .

وفيها وقع فى زروع أرض مصر آفة من الدودة عند أوان الزرع عقيب حرّ شديد ، حتى عمّ ذلك أكثر الزرع . فكُتب إلى الولاة بكتابة ما تلف ، فوُجد قد تلف فى بعض البلاد نصف الزرع وما دونه فى غيرها [1] . وتحسن السعر ، فبلغ القمح (٢٥٥ ب) إلى عشرين الأردب بعد ثلاثة عشر .

وفيها هبّت ريح سوداء بعد ما أرعدت السماء وأبرقت ، حتى كان الإنسان لا يُبصر [2] رفيقه ، وحتى ردّت وجوه الخيل إلى ورائها ، ولم يستطع أحد أن [3] يثبت فوق فرسه ، ولا أن يقف على رجليه فوق الأرض ، بل تلقيه الريح ؛ وكان ذلك ببلاد فوة وبحر الغرب وسائر الوجه البحرى . وغرق بها من المراكب شىء كثير ، وتقصفت عدة من النخل ؛ واقتلعت شجرة جميزة كبيرة من أصلها بناحية فوة ، ومرّت بها قدر مائتى قصبة ، فلما قُطعت حمل خشبها تسعة أحمال . ومرّ من ذلك [4] فى البرين الغربى والشرقى جانب ، وهدمت عدة دور ثم أمطرت بعد أيام مطراً عظيما سال منه [ إلى ] مدينة (٢٥٦ ا) بلبيس حتى خرُب [5] كثير منها ، وجرى السيل إلى المطرية ؛ وأمطرت بالقاهرة ومصر ثلاثة أيام مطراً لم يعهد مثله ، تلف [6] منه عامة السقوف .

وفيها اشتد بأس الأمير قدادار والى القاهرة ، وتسلط على العامة بكثرة سفك الدماء . وكان قد رُسم لجميع الولاة أن لا يقتلوا أحداً ولا يقطعوا يده [إلا بعد [7] مشاورة السلطان] ، خلا قدادار ، فإنه لا يشاور على مفسد ولا غيره . فانطلقت يده فى سائر الناس ، وأقام

(١) فى ف « بعضها » . والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٤١٠ ا ) .
(٢) فى ف « لاينظر » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٤١٠ ا ) .
(٣) فى ف « ولم يثبت أحد فوق فرسه » ، وقد عدلت لتنسجم مع بقية الجملة .
(٤) فى ف « ومر فى ذلك من البرين ... » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٤١٠ ب ) .
(٥) فى ف « حزب » .
(٦) فى ف « دلفت » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ٤١٠ ب ) .
(٧) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٤١٠ ب ) .

عنه (١) نائباً من بطـّالى الحسينية ضمن المسطبة منه فى كل يوم بثلاثمائة درهم . وأتت الطائفة المعروفة بالمستصنعين (٢) فى المدينة ، وعملوا أعمالا شنيعة ، وكتبوا لأرباب الأموال أوراقاً بالتهديد ، فاشتدّ خوف أهل الرتب منه . ونادى [قدادار] ألا يفتح بعد عشاء الآخرة أحدٌ دكانا (٢٥٦ ب) فى مدة غيبة السلطان فى الوجه البحرى ، ولا يمشى أحد بالليل فى الأسواق ، ولايخرج أحد من بيته بعد عشاء الآخرة ؛ فكان مَن يوجد يؤخذ ، فإن وجدت منه رائحة الخمر لقى شدة . فانكف الناس عن الخروج ليلا ، وصارت الشوارع موحشة . وأقام [ قدادار ] على كل حارة دربا (٣) ألزم أهلها بعمله ، ورتّب الخفراء تدور [ فى الليل (٤) ] بطبول فى جميع الحارات والخطط ؛ فظفر [أحدهم] برجل قد سرق من بيت ولبس ثياب النساء ، فسمّره (٥) [ قدادار ] بباب زويلة .

وفيها قدم البريد من صفد ، ومعه مبلغ أربعين ألف درهم حملا للموقعين ؛ فأخذ قريباً من بلبيس . فألزم السلطان واليها علم الدين – مملوك العلائى – بها ، بعد ما رسم بشنقه ؛ ثم عفا عنه وعزله .

و[فيها] ولى طُظْطِيه (٦) الشرقية ، نقله [السلطان] إليها [ من ] (٧) (٢٥٧ ا) ،

(١) فى ف « وضمن نائبه بخمسماية درهم فى كل يوم » ، والصيغة المثبتة هنا من المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٤٨ – ١٥٠ ) ، حيث وردت أخبار هذا الأمير فى تفصيل كثير ، ومنه أن السلطان الناصر كان شديد الإعجاب به وبوسائله الصارمة ، وأنه أبقاه على ولايته مدة برغم سعى الساعين الموتورين.

(٢) المقصود بهذا اللفظ ، كما يفهم من المتن ، جماعة الرجال الذين اصطنعهم هذا الوالى – او غيره ممن سلف فى ولاية القاهرة – ، وجعل منهم عونا له على ما يريد من وسائل التشديد والمراقبة والتهديد ، ويؤيد ذلك ما أورده المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٤٩) فى هذا الصدد ونصه : « وتسلطت المستصنعة وأرباب المظالم على الناس ( وكانوا إذا رأوا سكران أو شموا منه رائحة خمر أحضروه إليه » ؛ وفى موضع آخر بنفس الصفحة مانصه : « ومشت جماعة من المستصنعين فى البلد وكتبوا الأوراق ورموها فى بيوت الناس بالتهديد » ، كما بالمتن هنا .

(٣) الدرب – وجمعه دراب – باب السكة الواسع ، والباب الأكبر أيضاً . ( قاموس المحيط ) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٤١٠ ب ) .

(٥) المقصود بذلك أن هذا السارق عوقب بعقوبة التسمير ، وهى إحدى العقوبات الشنيعة بمصر وغيرها من البلاد فى العصور الوسطى ، وقد تقدم شرحها فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٠٤ ، حاشية ١) .

(٦) فى ف « طلديه » ، بغير ضبط ، وهو فى ب ( ٤١٠ ب ) بالظاء بدل الطاء ، وفى ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ) « برسم ضلداى » ، والرسم المثبت هنا من (Zettersteen : Op. Cit. pp. 201, etc) ، وسيدأب الناشر على إثبات هذا الرسم فيما يلى بغير تعليق .

(٧) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ( ٤١٠ ب ) .

البهنسا . وولى عوضه شجاع الدين قنغلى .

و [فيها] ولى عز الدين أيدمر السلامى المنوفية ، فتفنن فى إتلاف الأنفس ، وأوقف رجلا بين خشبتين ونشره من رأسه ، وصاق آخر فى دست ، وسلخ آخر وهو حىّ .

وفيها عزم السلطان على أن يُجرى النيل تحت القلعة ، ويشقّ له من ناحية حلوان ؛ فبعث الصناع صحبة شاد العمائر إلى حلوان ، وقاسوا منها إلى الجبل الأحمر المطل على القاهرة ؛ وتدّروا العمل فى بناء الواطى حتى يرتفع ، وحفر العالى ليجرى الماء وينتفع به فى داخل قلعة الجبل ، من غير معاناة نقلٍ ولا كلفة . ثم عادوا وعرّفوا السلطان ذلك ، فركب لكشفه ، وقاسوا الأرض بين يديه . فكان قياس(١) (٢٥٧ ب) ما يُحفر اثنين وأربعين ألف قصبة حاكمية(٢) ، ليبقى خليجاً فيه ماء النيل شتاء وصيفا بسفح الجبل . وعاد [ السلطان ] وقد أعجب بشروعه (٣) ، وشاور الأمراء فيه ، فلم يعارضه منهم أحد إلا الفخر ناظر الجيش ، فإنه قال : «بمن يحفر السلطان هذا الخليج؟» فقال(٤) [السلطان] : «بالعسكر» ، فقال(٥) [الفخر] : «والله ! لو اجتمع عسكر آخر فوق عسكر السلطان ، وأقام سنين ؛ ما قدروا على حفر هذا العمل . ومع ذلك فإنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال . ثم هل يصح أو لا ، فالسلطان لا يسمع كلام كل أحد ، ويتعب الناس ويَستجلب دعاءهم ؛» ، ونحو هذا من القول حتى رجع [ السلطان] عن عمله .

وفيها كملت العين التى أجراها (٦) الأمير تنكز بالقدس ، بعد ما أقام الصناع (٧) فيها مدة سنة ، وبنى لها مصنعا (٨) سعته نحو مائتى ذراع ، (٢٥٨ ا) وركب فى الجبل مجارى نقب لها فى الحجر حتى دخل الماء إلى القدس ، فكان لها يوم مشهود ، وأنشأ [ تنكز] بالقدس [أيضا] خانكاه وحماما وقيسارية ؛ فعمرت بالقدس .

---

(١) فى ف « قياسها » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٤١١) .

(٢) تقدم التعريف بهذا المقياس فى المقريزى ( كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧١٢ ، حاشية ٣ ) . انظر أيضاً ابن مماتى ( قوانين الدواوين ، ص ٣٢ ) .

(٣) فى ف « اعجب منه » .

(٤ ، ٥) فى ف « قال » .

(٦) فى ف « انشاها » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٤١١ ) .

(٧) فى ف « بالضياع » ، والصيغة المثبتة هنا من ب ( ١٤١١ ) .

(٨) المصنع حوض يجمع فيه ماء المطر ، وجمعه مصانع . ( قاموس المحيط ) .

وفيها أفرج عن تقى الدين أحمد بن تيمية ، بشفاعة الأمير جنكلى بن البابا وغيره من الأمراء .

وفيها أجرى ابن هلال الدولة عينا بمكة تعرف بعين ثقبة ، فصار بمكة عين جوبان وعين ثقبة هذه . وانحلت الأسعار بها حتى نزل القمح من ستين درهما الغرارة إلى أربعين ، وزُرع بها البطيخ والذرة والخضراوات وغيرها ، وامتلأت البرك وكملت عمارة الحرم . وجدّد [ ابن هلال الدولة ] بمكة عدة ميِّض باسم السلطان ، وأجرى لها ما يقوم بكلفتها .

وفيها ورد الخبر بقتل جوبان نائب (٢٥٨ ب) أبى سعيد . وذلك أن العسكر المجهز معه لما وصل إليهم خبرُ قتلِ أولاده(١) [بأمر أبى سعيد] ، و[وصلت إليهم] كتبُ أبى سعيد بقتله [أيضا] . ركبوا عليه ، ففرّ ومعه ابنه جلوخان(٢) وطائفة من خواصه إلى قلعة هراة(٣) ، وامتنع بها ، فدسّ إليه أبو سعيد مَنْ قتله وابنه وحملا إلى أبى سعيد ، فكان لدخولهما الأردوا يوما عظيما .

و[فيها] حج بالركب المصرى شهاب الدين أحمد بن المهمندار . وحج [فى هذه السنة] أيضاً الأمير [ سيف الدين ] طقزدمر [ الناصرى(٤) ] ، وست حدق(٥) ، وعملت معروفا كبيراً .

وفيها قدم ابن هلال من مكة فخلع عليه ، وأعيد إلى شد الخاص .

وفيها طُلب صلاح الدين يوسف دوادار قبجق من طرابلس ، وولى شد الدواوين .

وفيها تنكّر السلطان على الأمير علاء الدين (٢٥٩ ا) مغلطاى الجمالى الوزير . وسببه

(١) كذا فى ف ، غير أن المراجع المتداولة فى هذه الحواشى ، مثل (Browne: Op, Cit, III, pp.54-55) ، وكذلك (Howorth ; Op. Cit. III. p. 606-607) تنبىء بقتل دمشق خواجا فقط ؛ وقد أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة هذين المؤلفين . انظر ما سبق هنا ، ص ٢٩٢ سطر ١١ .

(٢) فى ف «جكوخان» ، والرسم المثبت هنا من (Howorth : Op. Cit, III, p, 610 - 611) ، وكان الأمير جوبان أولاد آخرون ، ومنهم حسن ودمرداش وحسين ومحمود . انظر (Howorth : Op. Cit. III. pp. 606 610) .

(٣) فى ف « هرا » ، وكان صاحب هراة وقت ذاك الأمير غياث الدين كرت ، وهو رجل قديم الصلة بجوبان ، غير أنه هو الذى قام بقتله . انظر ( Howotrh : Op. Cit. III. p. 601-611 ) ، وكذلك ( Browne ; Op, Cit III, p, 55 ) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر ( الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ ) ، ولهذا الأمير أخبار كثيرة فى عهد أولاد السلطان الناصر محمد .

(٥) انظر ما سبق ، ص ٢٣٥ ، سطر ١٠ .

عمل الفخر ناظر الجيش عليه بموافقة التاج إسحاق ، و [قد] كتبت فيه مرافعة غضب [السلطان] بسببها عليه ، وقَصدَ الإيقاع به . فاعتنى به الأمير بكتمر الساقى ، واعتذر عنه بأنه رجل غتمى (١) .

وفى يوم عرفة — وهو يوم الجمعة — أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، ومدة سجنه ثمانى سنين وثلاثة أشهر وتسعة أيام .

ومات فى هذه السنة(٢) من الأعيان شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى ، بدمشق ليلة الاثنين العشرين من ذى القعدة ، فى سجنه بالقلعة ؛ ومولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول ، سنة إحدى وستين ( ٢٥٩ ب ) وستمائة . و [ مات ] الأمير سيف الدين جوبان المنصورى ، أحد أمراء دمشق الأكابر ، بها فى العشرين من صفر . و [ مات ] الأمير سيف الدين بكتمر البوبكرى ، بسجنه من قلعة الجبل ، يوم الخميس نصف شعبان . و [ مات ] الأمير جوبان ابن تلك بن تداون (٣) نائب القان أبى سعيد بن خربندا مقتولا بهراة ؛ وحُمل إلى بغداد ، فقدمها فى سابع عشرى شوال ، وصُلى عليه وحُمل إلى مكة مع ركب الحاج العراقى ، وطيف به الكعبة ، ومُضِىَ به إلى المدينة النبوية ، فدُفن (٤) بالبقيع . و [مات] الشريف كبيشة (٥) بن منصور بن جماز بن [شيحة] أمير المدينة ، فى أول شعبان قتيلا ، وكانت ولايته بعد قتل أبيه منصور فى رابع عشر رمضان سنة خمس وعشرين وسبعمائة ؛ قتله أولاد ودى ، وكان ودى قد (٢٦٠ ا) حُبس بقلعة الجبل ، فولى بعده أخوه طفيل . و [مات] الأمير جمال الدين خضر

---

(١) الغتمى صفة للشخص الأغتم ، وهو الذى لا يفصح شيئا ، والغتمة العجمة (قاموس المحيط). ومثال ذلك قول المقريزى ( المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ ) بصدد الأمير ألماس الحاجب ، ونصه «وكان غتمياً لا يفهم شيئاً بالعربى » ، غير أن ( Dozy ; Supp. Dict. Ar. ) قد ترجم هذا اللفظ الى ( Callidus ) ، وهى كلمة لاتينية معناها الحاذق الفطين .

(٢) فى ف « ومات فيها من الاعيان » ، والصيغة الواردة هنا من ب (٤١١ ب) ، وهى ماجرى المقريزى على تصدير الوفيات به فى أغلب المواضع .

(٣) انظر ما سبق ، ص ٢٩٢ ، حاشية ١ .

(٤) هذه الوفاة واردة فى ب (٤١١ ب) فى عبارة مخالفة ، على أنها لاتخرج فى جوهرها عما هنا مضافا إليه ماتقدم بصفحة ٢٩٢ بصدد جوبان .

(٥) انظر ما سبق ، ص ٢٦٩ ، حاشية ٥ .

ابن نوكاى أخو خوند أردوكين ، فى ليلة الرابع عشر من رمضان . و [مات] الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى بالمراغة من آذربيجان ، يوم السبت سابع عشر شوال ؛ وورد الخبر بموته فى حادى عشرى ذى القعدة ، فأنعم على والده أمير على ابن قراسنقر بإمرة طبلخاناه على عادته بدمشق ، وعلى أخيه أمير فرج بن قراسنقر بإمرة عشرة ؛ ورسم بسفرهما من القاهرة إليها . [و] توفى دمرداش بن جوبان بن تلك ابن تداون ، ليلة الخميس رابع شوال ؛ وحمل رأسه إلى أبو سعيد بن خربندا . ومات ببغداد مفتى العراق كمال الدين عبد الله بن محمد بن على بن حماد بن ثابت الواسطى العاقولى ، مدرس (٢٦٠ ب) المستنصرية . فى ذى القعدة ، ومولده فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة (١) .

---

(١) هنا تنتهى مخطوطة فاتح رقم ٤٣٨٣ ، وقد رؤى أن يكون عند ذلك وقفة لإخراج القسم الأول من الجزء الثانى من كتاب السلوك ، حتى لا تطول الفترة بين ما سبق نشره وبين هذا القسم الجديد .

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٥٦٠ / ١٩٧١

